الجمهورية العربية السورية
كلية الآداب
جامعة دمشق



اليمن واليمانيون منذ المبعث وحتى سقوط الدولة الأموية

رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب و الاسلام

إعداد

محسن يونس

بإشراف

الدكتور سهيل زكار

مكتب اسود
١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

ـ الاهـــداء ـ

الى من كفلني بعد الشهر الثالث من ولادتي ومنحني حنانه وحبه وقيمه ، وأمسك بيدي معلما أبجدية المعرفة جدي المغفور له الشيخ علي حسن يونس .

ـ المحتـــــــــــوى ـ

بادئ ذي بدء لا بدّ لي من القول إنه في الوقت الذي حاولت فيه أن أختار بحثاً علمياً يؤهلني انجازه لنيل هذه الدرجة العلمية كان وقت ذاك قد وقع اختياري على موضــوع ((الفتوحات الاسلامية فيما وراء النهر)) . وعندما حاولت مناقشة هذا الموضوع ومخططه في مجلس قسم التاريخ رأى جلّ أعضائه آنذاك أن الدراسات التي انصبت لبحث التاريخ الإسلامي في القسم الشمالي من بلاد العرب ـ أي بلاد الشام وخراسان وما وراء النهر ـ كانت كثيرة وكثيرة جداً لذا كان رأيهم التوجه إلى القسم الجنوبي من بلاد العرب ـ أي بلاد اليمن ـ التي أُهمل تاريخها بمختلف أقسامه ولم يأخذ نصيبه من البحث والاستقصاء بالمقارنة مع المناطق الأخرى آنفة الذكر .

فراقت لي الفكرة وقبلت رأيهم طائعاً مختاراً ثم انتقلنا بعد ها إلى اختيار عنوان البحث وتحديد فترته الزمنية فكان رأيهم بحث تاريخ اليمن واليمانيين منذ البعث وحتى سقوط الدولة الأموية .

لم يكن هناك من شك ان العرب الجنوبيين امتازوا بحضارة راقية عبر عصورهم الغابرة قبل الاسلام ، فقد وصفوا بأنهم شعب عرف الاستقرار وابتنوا المنازل وعمروا القرى والمدن وحرثوا الأرض وجنوا منها محاصيل زراعية وافرة بعد أن أمّنوا ريها باعتمادهم على الأمطار وحصر مياهها خلف سدود شيدوها وفق أحدث النظريات العلمية المتطورة . وقد أيدت مصادر تاريخية كثيرة قديمة وحديثة عربية وأجنبية وجود هذه الحضارة عند اليمنيين .

غير انه مهما كان للعرب من تراث حضاري وبدور في الأزمنة القديمة فان دورهم التاريخي الكبير يتجلى في الدولة التي نمت وعلا عند ظهور الاسلام ، وفي الحضارة العتيدة المزدهرة التي وضعوا اسسها وقاموا بتوجيهها وأشرفوا على بنائها فامتدت آثارها الى ماوراء حدود دولتهم ، وظلت حية في نفوس الملايين من أهلها ، تنسق نظمها حياتهم وبرهف فنها وجمالها ذوقهم وتستثير قضاياها تفكيرهم .

وعلى الرغم من سعة هذه الحضارة وشمولها ، فإن اسسها وضعت عند ظهور الاسلام وتقررت اتجاهاتها في أوائل العهود الاسلامية وكان للعرب الدور الأول في وضع أسسها وتقرير اتجاهاتها وفي تنميتها ورعايتها .

ولا ريب في أن الاسلام أبرز مؤثر في الحضارة العربية ، فهو الذي رسم للأمة شكلاً عليا جديدة ، ووضع لها نظماً شاملة تكاملت فيها الجوانب الروحية والمادية ، والخلقية والاجتماعية والسياسية ، وقد عمل الرسول صلّى اللّهُ عليه وسلم على نشرها بين الناس وعلى تطبيقها في الحياة ، وبناء مجتمع جديد يقوم على أساسها .

ولقد أدرك الرسول صلّى اللّهُ عليه وسلم منذ البداية ضرورة توفر العناصر التي تؤمن بالعقيدة الجديدة ، وتناضل لنشرها ، وكان طبيعياً أن يفكر بالاعتماد على العرب فهم قومه الذين ينتمي اليهم ، وعاش بينهم ، إلاّ أنه كان يدرك أيضاً أن العرب يعانون من التفكك السياسي ، وفقدان المثل العليا التي ترتفع بتفكيرهم ، وتجمعهم وتوجههم إلى القيام بدور حضارى بناء ، أي إلى عقيدة تسمو بأفكارهم وتكون قوة محركة لهم .

وقد اقتضت الظروف المحيطة بالرسول صلى اللّهُ عليه وسلم في السنيين الأولى من الهجرة ان يركز اهتمامه على المدينة ، ليجعل منها ومن المسلمين فيها النموذج الواقعي للنظام الذى يعمل على تحقيقه ، غير ان هدفه كان عاماً وشاملاً ، فقد أُرسل للناس كافة ورحمة للعالمين ، لهذا فكر منذ وقت مبكر في توسيع نطاق دعوته ، ونشر المثل العليا الجديدة بين الناس لتوحدهم وتجمعهم روحياً وفكرياً وسياسياً .

وبعد أن تم تحرير مكة من الوثنية أصبح الحجاز كله موحداً في الدولة الجديدة ، وقد كان لتحقيق وحدة الحجاز أثره في ايقاظ العرب وتنبيههم إلى أهمية القوة الجديدة ، فأقبلوا يعلنون اعتناقهم لمثلها .

ولما حقق الرسول صلى اللّه عليه وسلم وحدة الحجاز ودخلت وحدة الجزيرة العربية في مرحلة التحقيق ، أرسل رسله إلى الدول والقوى المهيمنة على الجزيرة العربية وأطرافها يحملون الرسائل التي تدعوهم الى الدخول في الدين الجديد والى الجلاء عما يهيمنون عليه من الأراضي العربية .

لقد أدى الاقبال الواسع لاعتناق الدعوة إلى انتشار الاسلام وتوسع دولته حتى شملت كل الجزيرة تقريباً بصورة سلمية ، حيث تقدمت وفود العرب تعلن ولاءها للدولة الجديدة . وقد عرّف مؤرخو السيرة هذه الظاهرة وأدركوا تميزها فسموا العام الذي تلا عام تحرير مكة ((عام الوفود)) .

ولا ريب في أن الاقبال الظاهري على الاسلام والانضمام إلى دولته في شبه الجزيرة العربية بشكل عام وفي اليمن بشكل خاص لم يكن عاماً بالشكل الذي صوره مؤرخو السيرة ، ولم تكن دوافعه وعوامله واحدة كما أنه لم يحدث كله في وقت واحد ، ولا بد لفهم التطور الحقيقي للأحداث من دراسة دقيقة متعمقة لوضع كل جماعة أو منطقة ومعرفة موقفهما من الاسلام ، وأثر أوضاعها في المواقف التي اتخذتها .

ومن المؤكد أن من أروع ما حققه الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة هو أن العرب عموماً أصبحت لهم قناعة ذاتية بالاسلام ، فكان ذلك دافعاً شاملاً وقوياً طغى على تلك القوى المرتبطة بالقديم الموروث في الجزيرة العربية فلم تجرأ على رفع صوتها بالمعارضة ولم تعمل على التكتل لصد التيار الجديد .

وقد استغلت هذه القوى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لتأكيد كيانها ولكن الخليفة أبا بكر الصديق (رضي) قضى على حركاتها وثبت الوحدة السياسية ، وركز السلطة المركزية على كل الجزيرة العربية . ولم يتأخر في تنفيذ الخطوات اللازمة لتحرير الأراضي العربية فأرسل الجيوش ، وأشرف على الحركات العسكرية ضد القوى الأجنبية المسيطرة عليها ، ثم تابع عمر بن الخطاب (رضي) تلك السياسة فاستطاعت الجيوش العربية سحق الجيوش الأجنبية وتحرير الأراضي العربية في الشام والعراق ومصر فبرز واجب جديد أمام الخليفة عمر (رضي) ، وهو تحويل الوحدة السياسية إلى بناء مادي قوامه تنظيم اداري وعسكري شامل يتسم بتركيز السلطة المركزية باعتبارها رمزاً لوحدة الأمة ، وتعبئة كل قوى الأمة والافادة من خصائص التنظيم في تحقيق الهدف الاستراتيجي لها وهو بناء دولة الدين الجديد .

لقد وضع الخليفة عمر (رضي) تنظيمات ادارية عامة لتطبق على كل الدولة الجديدة وراعى فيما وضعه مبادئ العدالة ومصلحة الجماعة .

ولا ريب في ان العرب كانوا المهيمنين على الدولة الجديدة ، فمنهم الخلفاء والقواد والاداريون والمقاتلون والمستشارون الموجهون لها ، فدورهم في صوغ هذه الحضارة وصيانتها هو الاكبر من بين أدوار . . . الشعوب التي اعتنقت الاسـلام كافة .

وكان لليمنيين تحديد . الدور الاكبر في صياغة هذه الحضارة من بين سائر العـرب الآخرين نظراً لإرثهم الحضاري الذي ورثـوه عن أجدادهم منذ عصر ما قبل الاسلام ، غير ان تاريخ اليمن الاسلامي ـ فيما أعلم لم يُعط حقه من الدراسة والتحليل في ابراز هـذا الدور ، وكل من كتب ـ حسب علمي وحسب ما اطلعت عليه عن الفترة ، التي اخترتها لا يعدو واحداً من ثـلاثـة .

إما أن يمر بهذه الفترة مروراً سريعاً ، ويكتفي بأن يضع قائمة بأسماء الولاة في عهد كل خليفـة من الخلفاء ابتداء من الخلفاء الراشدين وانتهاء بالخلفاء الأمويين .

واما أن تروى الأحداث وتجمع دون أن تخضع للدراسـة والتمحيص .

واما أن يُنحى بالأحداث منحى الاقليميـة الضيقة ولذلك تعتسف النصوص اعتسافاً وتوجه الوجهة التي تلائم هذا الاتجاه .

ان هذا البحث محاولة لدراسـة تاريخ أهل اليمن واليمانيين منذ المبعث وحتى سقوط الدولة الأمويـة ومدى مساهمتهم في بناء هذه الأمة والأدوار المتنوعة التي شغلوها خـلال هذه الحقبة . فمن المعلوم ان أهل اليمن اتصلوا بالاسلام في حياة الرسول ثم ساهموا فـي حروب التحرير في وقت مبكر بأعداد كبيرة من مختلف الطبقات والمناطق ، فكانوا غالبية الجيش العربي الذي خاض غمار المعارك الحاسمة الأولى . ثم استقروا في الأمصار الاسـلامية التي أصبحت المراكز الرئيسـية للحضارة والحياة النشطة وساهموا بنصيب غير قليل في الحياة السياسـية والاجتماعية والحضاريـة . وقد أدرك المرء لغون العرب تميزهم فكانوا يسـمونهم (أهل اليمن) تمييزاً لهم عن غيرهم . ولما كان فهم عوامل ومظاهر ومدى هذه المساهمـة بشكل دقيق لا يتم إلا إذا فُهمت الأوضاع المحيطة بهم عندما بدأوا بالقيام بدورهم فقد رأيت أن أبدأ بدراسـة أحوال اليمن من الناحية الجغرافية وملخصاً عن تاريخها .

قبيل ظهور الاسـلام وعشية انبلاج فجره لما لذلك من علاقـة وثيقة بموقف أهل اليمـن

من الاسلام وبتحركهم لخدمته ، ثم لاسهامهم في تكوين الحضارة والحياة الجديدة في الأمصار .

ومن المعلوم ان الأوضاع الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية كانت متنوعة ومتعددة والوصف الشائع لهم انهم ما بين ((دابغ جلد أو ناسج برد أو سايس قرد أو راكب عرد)) ، انما يعبر عن تنوع الممارسات الاقتصادية لاستغلال الموارد الطبيعية التي تتطلب الافادة منها جهداً بشرياً كبيراً . ويبدو منها عدم كفاءة اليمن لممارسة نشاط اقتصادي واحد والاقتصار عليه فقط . وبما ان امكانية اليمن من المياه هي امكانيات فعلية ، فقد فرضت هذه الوضعية على النشاط الاقتصادي الاعتماد على نظام ري دقيق .

لقد وصل كثير من اليمنيين إلى مستوى عال من التحضر والتقدم في عدد من جوانب الحياة عبر حقب طويلة من الزمن ، وبفضل جهود عدد كبير ممن ساهموا في بناء وتقدم تلك الحضارة التي كانت عند ظهور الاسلام عميقة الجذور شاملة لكثير من نواحي الحياة وكان لها أثر في مقاومة الحكم الأعجمي الذي حاول السيطرة عليها قبيل الاسلام ، ولا بد انها جعلت لأهل اليمن الذين هاجروا بعد التحرير واستوطنوا الأمصار الاسلامية دوراً خاصاً يتميز كماً ونوعاً عن الدور الذي كان للبدو والمهاجرين من الصحراء ، وليس من قبيل الصدف ان تسند الدولة تنظيم خطط الأمصار والاشراف على انزال الناس فيها في حمص والفسطاط إلى رجال من أهل اليمن . فخطط حمص تولاها السمط بن الأسود الكندي وخطط الفسطاط تولاها أربعة من رجالات اليمن هم معاوية بن حديج التيجبي من كندة ، وشريك بن سمي الغطيفي من مراد ، وعمر بن قحزم الخولاني من خولان ، وحيويل بن ناشرة من المعافر ، وهذا يدل على تأصل الاستقرار واتساع الأفق والخبرة السابقة في هذا المجال ، كما انه ليس من قبيل الصدف أن يكون من قضاة الأمصار الأولين عدد من أهل اليمن الذين ظل بعضهم يمارس القضاة أمداً طويلاً واكتسبوا شهرة عالية . كما ظهر منهم عدد غير قليل من الفقهاء الأولين الذين احتلوا مكانة مرموقة ، واعتمد الناس على احكام آرائهم ، ولا يخفى ان أعظم فقهاء أهل المدينة وهو مالك بن انس يماني من قبيلة أصبح ، كما برز أهل اليمن في الادارة وتولى عدد منهم مناصب في الشرطة والخراج وبيت المال ، حتى أن معاوية بن أبي سفيان كتب لعامله على مصر يقول : ((لا يتولى عملك إلاّ أزدي أو حضرمي فانهم أهل الامانة)) .

أما في مجال السياسة فقد شغلوا معظم أهم الاحداث السياسية في الدولة الاسلامية

ابتداء من عصر الخلفاء الراشدين مروراً بالفتنة الكبرى وانتقال الخلافة الى معاوية الى جانب مشاركتهم في حركات المعارضة ضد الأمويين وتزعم أحداثها ثم قيامهم بالتحولات الهامة في السياسة الأموية ولا سيما في موقعة مرج راهط ومؤتمر الجابية وانتهاء بدورهم الفاعل في سقوط الدولة الأموية وقيام الخلافة العباسية .

بالإضافة إلى ذلك لا بدّ من القول إننا نؤمن بوجود جماعات أخرى من العرب وغيرهم ساهمت في بناء وتنظيم حضارة الدولة الاسلامية ولكن التعمق الذي يقتضي حصر الموضوع يجعلنا نقتصر على بحث أهل اليمن ودورهم . ادراكاً منا لدورهم الكبير وأهمية تراثهم الحضارى في تأهيلهم لذلك الدور . ونرجو أن تكون موفقين في لفت النظر الى مدى تعقد وشمول الحضارة حتى في أدوار تأسيسها الأولى . وان تكوين الدولة والحضارة لم يعتمد على البدو الرحل وان جزيرة العرب عند ظهور الاسلام رغم فقدانها الوحدة السياسية . إلا أنها في بعض مناطقها على الأقل وصلت الى مستوى عال من النمو والتعقد . كما يتجلى في اليمن وهو موضوع دراستنا .

لقد قسّمت بحثي إلى سبعة فصول رئيسية بحثت في الفصل الأول جغرافية اليمن وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبيل الاسلام . فوصفت جغرافية اليمن وطبيعتها وامكانياتها بصورة عامة وأظهرت ما لليمن القديم من أوضاع خاصة رسمتها عوامل السمات الحضارية وانتشار السكان . فقد كانت حدوده البشرية تصل الى منطقة جرش قرب مدينة أبها في عسير الآن . وهذا الامتداد الواسع منح اليمن تنوعاً في شكل الأرض والامكانيات المتوفرة فيها . وأعطاه أيضاً موقعاً بارزاً في الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية من مزاياه الاساسية طول سواحله على البحرين الأحمر والعربي .

ثم درست أحوال السكان في صدر الاسلام وشمل بحثي تركيبهم الاجتماعي . ومدى التطور الذى أصاب المجتمع . والعلاقة القائمة بين المراكز الحضرية ومراكز البداوة ووضعها الاجتماعي والسياسي ونشاطات السكان المختلفة والعلاقة بين كل ذلك وبين طبيعة اليمن .

وعرضت للأحوال السياسية في اليمن وموقف أهل اليمن من الاحتلالين الحبشي والساساني اللذان تتابعا على اليمن قبيل ظهور الاسلام .

وخصصت الفصل الثاني لدراسة اتصال الاسلام باليمن وحاولت فيه تحديد خطوات هذا

الاتصال ، وموقف الأطراف المختلفة فيه ثم موقف الفرس في اليمن من الاسلام . وركزت على موقفهم جميعاً من سلطة الخلافة في المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والتطورات التي أعقبت ذلك ـ أي حركة الردة ـ ثم تطرقت الى تحليل ما اذا كان ذلك الموقف ناشئاً عن معارضة للدين أو معاداة للسلطة المركزية أم انه مجرد تطور في موقف تاريخي قديم كان موجوداً قبيل الاسلام .

ثم درست موقف أهل اليمن من الدعوة الى الجهاد ، واجابتهم لها والمشاركة في تحرير الشام والعراق ومصر من السيطرة الاجنبية ، وكيف تم انتقالهم واتجاهات عملية الانتقال ، ثم عدد أهل اليمن الذين إنضموا إلى الجيش العربي الاسلامي ، وعوامل انضمامهم في ذلك الزمن المبكر الذي لم يتضح فيه بعد مستقبل تلك الحروب .

أما الفصل الثالث فقد درست فيه مساهمة أهل اليمن في الحياة العامة فدرست استقرار أهل اليمن وتوزيعهم الجغرافي في الأمصار وأسس ذلك التوزيع والعوامل التي تحكمت فيه وقد شملت الدراسة استقرارهم في حواضر بلاد الشام وطبيعته وكذلك خططهم في الفسطاط والكوفة ودورهم في الحياة الاجتماعية والسياسية للأمصار ، والمكانة التي شغلها أهل اليمن في المجتمع العربي الاسلامي عموماً من خلال الوظائف التي شغلوها والمواقف التي اتخذوها وموقعها من الموقف العام لسكان الأمصار .

كما تناولت في الفصل الرابع دور أهل اليمن في عصر الخليفة الثالث عثمان (رضي) وبشكل خاص دورهم في الفتنة الكبرى ثم تتبعت مراحل تطور أدوارهم حتى نهاية الحكم السفياني .

أما في الفصل الخامس فقد بحثت دور أهل اليمن في انتقال السلطة من البيت السفياني الى البيت المرواني وما لحق ذلك من أحداث كانت بصماتهم واضحة فيها حتى نهاية عصر الخليفة هشام .

كما بحثت في الفصل السادس دور اليمانيين في عصر الخلفاء الأمويين المتأخرين ابتداء من عصر الوليد الثاني وانتهاء بعصر مروان بن محمد حيث تجلى دورهم بقتل هذا الأخير من الخلفاء الأمويين ومساهمتهم الفعالة في سقوط الدولة الأموية بعد ما أشادوا بنائها بقوة سواعدهم هم أنفسهم .

أما الفصل السابع ، فقد أوقفته لبحث أوضاع اليمن في حدودها الجغرافية في ظل الدولة الاسلامية حتى نهاية الدولة الأموية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والادارية والثقافية .

وختمت البحث بعد ذلك بخاتمة استعرضت من خلالها أهم نقاط البحث وأهم النتائج التي توصلت اليها ، بالاضافة إلى وضع ثبت لأهم المصادر التي اعتمدت عليها.

من جانب آخر لقد اعتمدت في جمع المادة المتعلقة بموضوع بحثي على المصادر العربية القديمة ، ومعظمها مصادر شمالية كتبت خارج اليمن وخاصة في الأمصار الأولى كالكوفة والفسطاط ، أو في بلاد الشام ثم في بغداد ، وقليل منها كتبها يمانيون من اليمن ذاتها غير ان كل هذه المؤلفات تتسم عموماً بأنها دراسات قائمة على معلومات جمعت من أفراد أو جماعات ، أو جوانب معينة من جوانب العصر ، أما التطور الكلي للمجرى الحضاري فلا نجد عنه إلّا اشارات مقتضبة متناثرة رغم ما في بعضها من عمق وبصيرة ، ولما كانت هذه المؤلفات متأخرة عن الفترة التي بحثتها لذلك فان كثيراً من معلوماتها وصلت الينا بشكل مقل جداً ولما كانت هذه الكتب قد كتبت أساساً لمؤلفات عامة فانها لم تفصّل في أحوال اليمن عند ظهور الاسلام خاصة ، ولم تفرد لأهل اليمن في داخله أو خارجه فصولاً خاصة ، ولهذا لم يحظ اليمن باهتمام كبير في المؤلفات العربية الاسلامية ، واتسمت المعلومات المتعلقة به بالاختصار والاقتضاب ، وربما يرجع بعض هذا إلى عوامل منها ان التواريخ المكتوبة هي تأريخ عام للدولة ، التي كانت أشد اهتماماً بالمدينة والشام ثم بغداد عندما أصبحت مقام الخلافة ، ومركز النشاط السياسي والفكري والاجتماعي ، أما اليمن فلم يحظ بمثل هذا الاهتمام لبعدها عن المراكز الحيوية في الدولة الاسلامية وعزلتها النسبية عن تلك المراكز وحتى اليمانيون الذين ساهموا بالتأليف اتسمت كتاباتهم بهذه السمة ، ومن المعلوم ان الزمن قد باعد بينهم وبين اليمن في الفترة موضوع البحث ، فزاد من جهلهم وغموض أفكارهم عن فترة بحثنا .

وأبرز مؤشر في كتابة التاريخ في مجال بحثنا عموماً ، هو ما تميز به المجتمع العربي من انقسام الى كتل قبلية بعضها كان كبيراً ولها دور مؤثر في الاحداث وأبرزها ((اليمانية

والقيسية)) مما دفع بعض المؤرخين تحت تأثير الولاء القبلي إلى ان يسحبوا التاريخ الى الوراء ، وان يصوغوا بعض أحداثه وفقاً لمقتضيات ولائهم وآرائهم والروح السائدة في عصرهم وقد كان لهذا الاتجاه أثره على المؤرخين من أهل اليمن الذين كتبوا في تاريخ بلادهم ويتضح ذلك في اللغة التي استعملوها في تدوين المعلومات عن الأحداث التي سبقت الاسلام كذلك في ارجاع اسلام أهل اليمن إلى حقبة قديمة نسبياً تعود الى ما قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى يثرب فأضاعوا بذلك فرصة الالمام الدقيق بفترة الاحتلال الفارسي لليمن ٠

وعلى الرغم من كل ذلك ، وجدنا أن هناك العديد من المصادر العربية الهامة التي تطرقت بشكل متفاوت وجوانب مختلفة إلى تاريخ أهل اليمن في الاسلام من حيث كيفية اسلامهم وقدوم وفودهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم في عام الوفود ٠ ثم قيام حركة عبهلة (الأسود العنسي) وموقف أهل اليمن منها قبيل وبعيد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ ثم ارتداد بعض قبائلهم عن الاسلام وطريقة معالجة ذلك من قبل الخليفة أبي بكر ٠ كما وجدنا مادة هامة جداً في مصادرنا العربية عن دور اليمانيين في عمليات الفتوح على جبهتي الشام والعراق في (اليرموك والقادسية) الى جانب دورهم في فتح مصر ثم كيفية استقرارهم في الأمصار المفتوحة - في الكوفة ، ودمشق ، والفسطاط ، والأندلس.

كما أمدتنا بعض المصادر بمعلومات قيمة عن دور اليمانيين في الفتنة الكبرى ودورهم في مقتل الخليفة الثالث نفسه ثم موقفهم من بيعة الخليفة الرابع علي وصراعه مع معاوية في صفين ومصرعه فيما بعد على يد أحد أبناء قبائلهم وساعدتهم الفعالة لمعاوية في توسد عرش الخلافة ٠

ففي الخلافة الأموية ذكرت لنا بعض المصادر العربية دوراً بارزاً ومميزاً لبعض رجالات أهل اليمن اعتمد معاوية عليهم اعتماداً كبيراً منذ اللحظة الأولى التي قرر فيها رفض بيعة علي واغتصابه الخلافة وحتى نهاية الدولة الأموية مروراً بجميع المشاكل التي واجهتها هذه الدولة من ثورات واضطرابات كانت على درجة كبيرة من الأهمية تمثلت بثورات الشيعة في العراق ومصرع الحسين في كربلاء ، ثم ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وعبدالله بن الزبير في الحجاز ، وثورات الخوارج ، وعبد الرحمن بن الأشعث ٠ وفي ما يلي سنحاول تقديم تحليل نقدي لأهم هذه المصادر مرتبة بحسب أهميتها بالنسبة لبحثنا بالإضافة إلى مراعاة

القدم والتسلسل التاريخي قدر الامكان .

وفي هذا الصدد يُعدّ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة (٣١٠هـ / ٩٢٢م) من أعظم علماء القرن الثالث الهجري حيث ترك لنا مصنفين من أهم الكتب هما : تفسير القرآن الذي يُعدّ من أهم وأعظم ما كتب بالعربية من شروح وتفاسير لمحتويات القرآن الكريم ، ثم كتابته في التاريخ الموسوم باسم تاريخ الرسل والملوك . ويتصدر هذا الكتاب جميع المصادر العربية التاريخية باعتباره أغزرها مادة . وقد رتب الطبري مادته كما هو معروف ابتداء من الهجرة النبوية حسب طريقة الحوليات وقد اعتمد في سرد رواياته الى طريقة الاسناد حسب طرائق المحدثين وهكذا يسرد في بعض الأحيان للحادثة الواحدة أكثر من رواية . ويقف كتابه عند سنة ٣٠٢هـ والذين تحدثوا وترجموا عن حياة الطبري كثر أجمعهم ياقوت في معجم فترجمته للطبري من أطول التراجم في كتابه حيث تشغل أربعين صفحة وتبدأ بإبانة العلوم الأربعة التي اشتهر الطبري فيها وهي : الحديث والفقه ، وقراءة القرآن ، والتاريخ . وعلى العموم يعد كتابه في التاريخ من أغزر المصادر مادة ، يهتم بالتفاصيل ويعطي انطباعاً دقيقاً ومفصلاً للقارئ عن الحادث أو الشيء الذي يروى خبره وهو لا يأخذ عهدة خبر على عاتقه ولا يبدي رأيه انما يذكر الحادثة باسنادها فقط .

ويعود هذا إلى تأثره باسلوب المحدثين وطريقتهم في رواية الأحداث . وقد انعكس ذلك على الكتابات التي نجدها في تاريخه حول القسم الغربي لديار الخلافة في سورية والحجاز . وعلى الرغم من ان الطبري عالم واسع العلم والمعرفة والاطلاع ومؤرخ منصف جليل الا أن كتابه يعكس روح العصر الذي عاش فيه لذلك نجده بشكل واضح يأخذ جانب العباسيين لا الأمويين . كذلك نجد أخبار السياسة طاغية طغياناً هائلاً على الأخبار الأخرى حيث يخرج القارئ من مطالعة كتابه بانطباع سيء عن التاريخ الاسلامي وكأنما كان كله حوادث قتال وحروب وفتن ، ثم هو يهتم بخراسان والمشرق أكثر من اهتمامه ببقية الأمصار . وعلى الرغم من كل هذا ، فقد كان تاريخه مصدراً أساسياً بالنسبة لي وتجلت فائدته في ما تطرق اليه عن اسلام أهل اليمن ثم دورهم في حركة عبهلة (الأسود العنسي) ثم ردتهم بعد وفاة الرسول صلّى اللّه عليه وسلم وعودتهم ثانية الى حظيرة الاسلام ومشاركتهم الفعالة في معارك التحرير الفاصلة على جبهتي العراق والشام وفتح مصر ثم استقرارهم في

الأمصار المفتوحة مروراً بدورهم في الفتنة الكبرى فصراع علي ومعاوية فالثورات المتعددة التي قامت ضد البيت الأموي وحتى سقوط دولة الأمويين نفسها .

وما ذكرناه عن أهمية تاريخ الطبري بالنسبة لبحثنا يمكن أن يقال عن مصدر آخر لم يكن أقل منه أهمية هو ما كتبه أحمد بن يحيى البلاذري المتوفي سنة (٢٧٩ هـ / ٢٩٢ م) في مؤلفاته وعلى وجه التخصيص في كتابه (فتوح البلدان) و (أنساب الاشراف) ويعد البلاذري بعد الطبري من حيث العلم والشهرة . كما انه يعد من أبرز علماء القرن الثالث الهجري . وقد وصف البلاذري بأنه كان شاعراً ومصنفاً ورجل بلاط عاشر في بلاط الخليفة المتوكل كما وعينه المعتز مربياً لابنه عبد الله . وقد أكثر من رحلاته بحثاً عن المعرفة وزار عدة مدن من الشام ، كان من شيوخه في مدينة بغداد أربعة من أشهر علمائها هم : ابن أبي شيبة ، والقاسم بن سلام ، والمدائني ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي .

اهتم في كتابه (فتوح البلدان) بأخبار افتتاح أقاليم البلاد الاسلامية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى عهده مع لمحات حضارية ملاحظات انتقائية قيمة .

ويورد في كل فصل من فصول هذا الكتاب عادة بعض تفاصيل تاريخ البلد المفتوح بعد فتحه ، ويخبرنا ان التفاصيل مجموعة غالباً من علماء كل اقليم .

أما كتابه (أنساب الاشراف) فتعود أهميته لما يحويه من مواد اخبارية سياسية وغير سياسية موثوقة وتمتاز بنظرة شمولية وكانت الافادة كبيرة من هذين المؤلفين بالنسبة لبحثي في ما كتبته عن تاريخ اليمنيين في صدر الاسلام والدولة الأموية . ولا سيما مشاركة أهل اليمن في القادسية واليرموك واستقرارهم في الأمصار ودورهم في الثورات التي نشبت ضد البيت الأموي .

واذا كان عند الطبري شيء من المحاباة للعباسيين وعدم انصاف كامل للأمويين فاننا نجد العكس لدى خليفة بن خياط العصفري المتوفي سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) الذي هو أبكر عصراً من الطبري ومن أوائل المؤرخين العرب الذين كتبوا حسب طريقة الحوليات وابن خياط كان من أهل البصرة ، وكان من ذوي الميول العثمانية وقد صنف أكثر من كتاب ، وصلنا منها كتابة في التاريخ وكتابه في الطبقات ويحوى كتاب خليفة مواداً عظيمة الأهمية مصنفة لبني أمية لكنها لسوء الحظ شديدة الاختصار لا يمكن اعتمادها لوحدها ، لذلك ظل الطبري

يحتل مكانة أسمى من مكانته ، وتجلت الافادة من تاريخه بالنسبة لبحثي في ما ذكره خليفة عن اليمنيين ورد تهم ودورهم في الفتنة الكبرى وصراع علي مع معاوية وموقعة صفين .

وبعد خليفة بن خياط يطالعنا كاتب آخر بارز ومشهود له بين كتاب القرن الثالث الهجري هو عبد الله بن مسلم بن قتيبه المتوفي سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) الذى اشتهر من خلال مؤلفاته التي كان أبرزها كتاب (أدب الكاتب) و (عيون الأخبار) و (الامامة والسياسة) ـ المنسوب له ـ وهو كتاب تاريخي للدولة الاسلامية منذ وفاة النبي (ص) الى وفاة هارون الرشيد . ثم كتاب (المعارف) الذى هو كتاب موجز المعلومات التاريخية التي تتألف في غالبها من القوائم والحقائق المتصلة بالنبي وجداول الانساب وأسماء الفرق وما الى ذلك . وفائدة الكتاب لا ينازع فيها ولكن قلما يستطاع تسميته تاريخاً . وابن قتيبة لم يكن مثل الطبري ، انما يمكن الاعتماد عليه واعتباره مصدراً جيداً يكمل المصادر الأخرى ولا يناقضها ومرد ذلك يعود الى تسرعه برواية أحداث ليس لها سند تاريخي حقيقي على أنها حقائق ، كما فعل لما روى خطبة الحجاج عند ما ورد الكوفة أول مرة والظروف التي لابستها ورافقتها .

وفي سياق استعراضنا لأهم كتّاب القرن الثالث الهجري يطالعنا أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري المتوفي سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) الذى يمثل مرحلة هامة من مراحل التأليف في التاريخ الاسلامي ، وهي مرحلة الانتقال من الخبر الحولي المجزوء الى مجموعة من الأخبار الطوال المتصلة ، ولذلك كانت طبيعة كتابه انتقائية ، وهو على العموم كتاب موجز في التاريخ الاسلامي في عهوده الأولى وكانت افادتنا من الأخبار الطوال كبيرة ، في ما يتعلق بكتابة بحثنا من بعض الجوانب ولا سيما عن دور اليمانيين بعد معاوية ثم موقعة كربلاء ودور اليمانيين في الصراعات مع الخوارج .

وقد قدم لنا ابن عبد الحكم المتوفي سنة (٢٥٧ هـ) معلومات قيمة في كتابه فتوح مصر وأخبارها في ما يتعلق باسلوب وطريقة فتح مصر ومشاركة اليمنيين في هذا الفتح بالاضافة الى طريقة استقرارهم في الفسطاط .

واذا كنا قد اعتمدنا على ابن عبد الحكم في هذا الجانب ، فان ما يقال عن أحمد بن

أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي المتوفي سنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) غير ذلك تماماً حيث كانت الافادة من مؤلفه التاريخي الذي حمل اسمه جامعة وشاملة ابتداء من دخول اليمنيين في الاسلام وانتهاء بانتهاء الخلافة الأموية . وقد عرف اليعقوبي واشتهر من خلال مؤلفاته وكونه من اسرة كتاب . وقد أكثر من رحلاته وألف كتاباً في الجغرافيا ضمه دي غوبه الى مكتبته الجغرافية .

لم يكن اليعقوبي من محبي الأمويين ، ولكن هذا لم يمنعه أن يكون منصفاً لهم في العديد من المناسبات كما يُعدّ من أقدم المؤلفين وأكثرهم دقة وحياداً ومعلوماته عن العصر الأموي جيدة على العموم وواضحة صحيح انها مختصرة ، لكنها تمتاز بالترتيب والنظام وقد عرض اليعقوبي أخباره حسب فترات حكم الخلفاء والملوك .

ومن اليعقوبي ننتقل إلى صنف آخر من كتّاب المصادر العربية الاسلامية الذين امتازوا بالشمولية واتصفوا بالموسوعية انه إبو الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) وقد قيل عنه إنه هيرودوت العرب لريادته واهتماماته العالية ومزجه الجغرافية بالتاريخ . وللمسعودي أكثر من كتاب وأهم ما وصلنا منها كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ثم كتاب (التنبيه والاشراف) ، ويشبه تاريخه تاريخ اليعقوبي ، لكن المسعودي أغزر منه علماً وان كان أقل دقة وتمحيصاً ، ومع ذلك فهو يكمل الروايات الواردة في كتب الطبري واليعقوبي ، وتكمن الافادة من كتب المسعودي فيما جاء بها عن ردة أهل اليمن وعن دور اليمنيين في عصر الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما وانتهاء بالتحكيم .

كما كان لابن عبد ربه الاندلسي المتوفي سنة (٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) أهمية خاصة بالنسبة لبحثنا في كتابه العقد الفريد في ما يتعلق باستقرار اليمانيين في الفسطاط .

وفي سياق حديثنا عن المصادر الهامة التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا البحث نجد من الضروري بمكان أن نتطرق إلى كاتبين على درجة كبيرة من الأهمية كانا لهما أثر حميد لا يمكن تجاهله هما محمد بن اسحاق والواقدي ولوانهما كانا من كتّاب القرن الثاني فإني كنت قد نوهت بأني تبنيت ذكر المصادر وترتيبها بحسب الأهمية أولاً والقدم ثانياً ومن هنا جاء الحديث عن هذين الكاتبين متأخراً نسبياً .

وعن محمد بن اسحاق الذي اختلف في سنة وفاته بين سنة (١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢هـ) يقال : انه أول من جمع مغازي الرسول (ص) وأعظم ما كتبه هو سيرة النبي (ص) . كان جده يسار من سبي عين التمر ، وهو أول سبي دخل المدينة من العراق . ويبدو انه وقع في مشاكل في المدينة لسعيه وراء الأخبار لدى فاطمة بنت المنذر ابن الزبير ، فكره ذلك زوجها هشام بن عروة فهرب الى الحيرة وكان بها المنصور ، فأهداه (مغازيه) وسمع منه أهل الجزيرة والري . ويروى انه قيل به (انه لا يزال في الناس علم ما عاش محمد ابن اسحاق) . ولكن مالك بن أنس أطلق عليه لقب (الدجال) وربما كان سبب ذلك نقده أحاديث مالك . وكما هو معروف لم نحصل على سيرة ابن اسحاق وانما وصلتنا محتوياتها من المقتطفات التي يوردها ابن هشام والطبرى والتي يكمل بعضها بعضاً الى حد ما . وقد تمثلت استفادتنا من سيرة ابن اسحاق وابن هشام في ما كتباه عن أسلام اليمنيين في عام الوفود ومشاركتهم في اليرموك والقادسية .

أما محمد بن عمر الواقدي المتوفي سنة (٢٠٧ هـ) فإنه يُعدّ من أعظم كتّاب القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجري . ويقال إنه سمع من مالك بن أنس وسفيان الثورى وكلاهما من أسمى الفقهاء منزلة . ويقال أيضاً أنه لقي ابن جريج الذي يرتبط اسمه بمبدأ دراسة الحديث . وكان الواقدي حجة في الحديث والفقه والتاريخ شأنه في ذلك شأن الطبرى وقائمة مؤلفات الواقدي طويلة ومتنوعة . لكن الكتاب الوحيد الذى رأى النور من كتبه جزء من مغازيه (فتوح الشام) المنسوب له والذي تم نشره في كلكتا . وقد أفادنا كتاب الواقدي هذا في معرفة دور اليمنيين في عمليات الفتوح .

كما ويُعدّ هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة (٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ) من الطبقة الأولى ممن كتب في (الانساب) وتزيد قائمة كتبه عن مائة وخمسين كتاباً وقد طبع احداها وهو كتاب الاصنام الذي تعرفنا من خلاله الى بعض معبودات أهل اليمن في الجاهلية ولم يقتصر دور مؤلفات ابن الكلبي في معالجة التاريخ الجاهلي فحسب بل عالج في قسم آخر من مؤلفاته أحداثا كانت في عهد النبي (ص) . وفي هذا الجانب أفادنا ابن الكلبي في كيفية استقرار اليمانيين في بلاد الشام بعد فتحها من قبل المسلمين .

أما ابن سعد صاحب كتاب الطبقات المتوفي سنة (٢٣٠ هـ) فقد أفادنا كتابه في

التعرف على وضع اليمنيين الاجتماعي في بلاد الشام بالاضافة إلى مشاركتهم في معركتي اليرموك والقادسية • ثم كيفية استقرارهم بالكوفة •

ويعد كتاب المحبر لابن حبيب المتوفي سنة (٢٤٥ هـ) من أهم مصادر بحثنا فيما يتعلق بمعرفة الرجال (الجرارين) من اليمن • كما ويعد ابن أعثم الكوفي من الاخباريين المشهورين في القرن الثالث الهجري الذي أفادنا كتابه الفتوح افادة جمّة فيما يتعلق بطريقة اسلام أهل اليمن ثم ردتهم وكيفية معالجتها بالإضافة إلى ما حواه هذا الكتاب من معلومات على درجة كبيرة من الأهمية فيما يتعلق بالفتنة الكبرى ومقتل الخليفة عثمان •

أما الحسن بن يعقوب الهمداني الذى عاش ما بين (٢٨٠ ـ ٣٤٤ هـ) والملقب بـ (لسان اليمن) فإنه وصل الينا من مؤلفاته كتاب (صفة جزيرة العرب) وكتاب (الجوهرتين) وبعض أجزاء كتاب (الاكليل) •

ولكتاب (صفة جزيرة العرب) أهمية كبيرة فيما بحثته عن أوضاع اليمن من الناحية الجغرافية ، ومع أنه ألف في وصف جزيرة العرب ، الا أن معلوماته في غالبيتها كتبت في وصف اليمن فاستعرض طبيعة الأرض اليمنية ، جبالها ووديانها سهولها وصحاريها وما ينبت فيها من نبات وما عليها من مجار مائية ومراكز حضرية ومعادن وحيوانات وآثار ، وتحدث عن سكان كل منطقة وانتسابهم القبلي ، ووضعهم ونشاطهم ، وطباعهم • وقد اعتمد الهمداني على معلوماته ومشاهداته الخاصة والمباشرة • وقد نشر كتاب الهمداني (صفة جزيرة العرب) وطبع في هولندة عام ١٨٨٤ م ثم أعاد نشره الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد في مصر عام ١٣٧٢ هـ ثم أعيد طبعه في بيروت سنة ١٩٧٤ م باشراف الشيخ حمد الجاسر •

أما كتاب (الاكليل) فهو مؤلف وضعه الهمداني في أخبار وأنساب بعض قبائل اليمن الكبيرة مثل حمير وهمدان ، وقد قسّم الهمداني كتابه الى عشرة مجلدات الكتاب الأول في التاريخ والأنساب عامة ، والثاني في أنساب حمير ، والثالث في فضائل قحطان ، والرابع والخامس والسادس في سيرة حمير حتى الاسلام ، والسابع في التنبيه على الأخبار الباطلة والثامن في قصور حمير ومدنها والتاسع في أمثال حمير والعاشر في انساب همدان •

وصل إلينا من هذا المؤلف الكتابان الأول والثاني اللذان قام بتحقيقهما ونشرهما محمد بن علي الأكوع الحوالي في سنتي (١٩٦٣ و ١٩٦٦م) ، كما وصل الينا الجزء الثامن وقد نشره الأب انستاس الكرملي ثم أعاد نشره نبيه فارس سنة ١٩٤٠ م والجزء العاشر الذي نشره محب الدين الخطيب .

من جانب آخر يُعدّ ما جاء في كتاب الهمداني (صفة جزيرة العرب) مكملاً لكتاب (الاكليل) في الكلام عن القبائل اليمنية فكان لذلك أهمية خاصة بالنسبة لي في كتابة الفصل الأول بشكل عام .

كما وكانت افادتنا قيمة من كتاب أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المتوفي سنة (٣٥٠هـ) الولاة والقضاة ، وذلك بما ذكره لنا في هذا الكتاب عن استقرار الكنديين في الأمصار المفتوحة ولا سيما في مصر والعراق .

أما أبو الفرج الاصفهاني ، المتوفي سنة (٣٥٦ هـ) فقد أفادتنا المعلومات القيمة المتوفرة في كتابيه الاغاني ومقاتل الطالبيين افادة كبيرة في كتابة هذا البحث بشكل عام .

وقد كان لكتاب الاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) أهمية لا بأس بها من حيث احتواء هذا الكتاب على مقتطفات كبيرة من كتاب الردة لوثيمة بن الفرات ، فساعدنا ذلك على التعرف بشكل مفصل عن ردة أهل اليمن ومراحل تطورها وكيفية معالجتها من قبل أبي بكر رضي الله عنه .

كما كان لكتاب الاكمال لصاحبه أبي النصر علي بن هبة الله ابن ماكولا المتوفي سنة (٤٧٥هـ) وكتاب المناقب المزيدية لصاحبه ابن البقاهبة الله الحلي الذي كان حياً سنة ٤٩٤ هـ ثم كتاب الانساب لصاحبه عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المتوفي سنة (٥٦٢ هـ) أهمية كبيرة في التعرف على كيفية استقرار اليمنيين في الكوفة بالفسطاط وبلاد الشام .

أما علي بن الحسن ابن عساكر الذي عاش ما بين سنة (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ) والذي يُعدّ كتابه تاريخ دمشق من أعظم ما كتبه . فقد كان كتابه هذا في بادىء الأمر

خمسمائة وسبعين جزءاً ثم جمله في ثمانمئة . ويبتدئ كتاريخ بغداد بوصف للمدينة ينتقل منه إلى معجم ألفبائي للرجال الذين عاشوا فيها أو اتصلوا بها . وكان عمله في التراجم له مزاياه الجيدة ، وقد أفاد منه ياقوت الحموي إفادة كبيرة . كما أخذ ابن عساكر نفسه الكثير عن الخطيب البغدادي وعلى العموم فإن كتابه مليء بالأسانيد وتكرير المادة الواحدة تبعاً لطرقها المختلفة . وقد استفدت من تاريخه إفادة كبيرة فيما يتعلق باستقرار اليمنيين في دمشق وردتهم في اليمن ثم عودتهم ثانية ففي هذه الجوانب ذكر ابن عساكر في تاريخه نقاط مفصلة ومهمة .

وقد تطرق نشوان بن سعيد الحميرى المتوفي سنة (٥٧٣ هـ) في كتابيه شمس العلوم ومنتخبات في أخبار اليمن ، إلى توزع اليمنيين من الناحية الجغرافية وأهم قبائلهم في الجزيرة العربية .

كما كانت الافادة كبيرة من معجم ياقوت الحموي المتوفي سنة (٦٢٦هـ) حيث أمدنا بمادة تاريخية وجغرافية عن اليمنيين في تاريخهم القديم والاسلامي ، كانت على درجة كبيرة من الأهمية في كتابة هذا البحث .

والأمر ذاته يمكن أن نقوله من حيث الافادة في ما وجدناه عند ابن حبيش المتوفي سنة ٥٨٤ هـ في كتابه الغزوات الضامنة الذي قام بتحقيقه ونشره الدكتور سهيل زكار حيث قدم لنا في مؤلفه هذا مادة تاريخية هامة تشمل جميع مراحل تاريخ أهل اليمن في الاسلام .

كما قدم لنا صاحب كتاب بغية الطلب في تصنيف الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي المتوفي سنة (٦٦٠) هـ مادة تاريخية هامة تتعلق بدور أهل اليمن في الصراع الذى نشب بين علي ومعاوية .

بالإضافة إلى ذلك فقد افدنا من مصادر مختلفة في كتابة هذا البحث بدرجة متفاوتة من حيث الأهمية مثل كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ . ثم كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي المتوفي سنة ٨٢١ هـ . ثم كتاب البداية والنهاية لابن كثير المتوفي سنة ٧٧٤ هـ ، ثم كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن

جغرافية اليمن :

تقع اليمن من الناحية الجغرافية في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية وتتصل بالبحر الاحمر من الغرب وبالبحر العربي من الجنوب والخليج العربي من الشرق ومنطقة نجد من الشمال الشرقي والحجاز من الشمال الغربي .

ويعد الحسن بن احمد الهمداني صاحب كتاب (صفة جزيرة العرب) من اعظم الجغرافيين العرب القدماء الذين كتبوا عن جغرافية شبه الجزيرة بشكل عام وعن اليمن وجغرافيتها بشكل خاص .

فقد جاء في حديثه عن حد اليمن الذي يفصلها عن باقي شبه جزيرة العرب ((أنه الخط الذي يمتد من حدود عمان ويبرين الى حد ما بين اليمن واليمامة فالى حدود الهُجيرة وتثليث وانها جرش وتنته على شعف عنز ، الى تهامة على ام جحدم الى البحر حذاء جبل كدمل بالقرب من حضة))(١) .

بينما يحدد لنا الأصمعي بداية حدود اليمن الشمالية الشرقية عند بينونة ـ وهي ليست من اليمن ـ بين عمان والبحرين (٢) ، وما يلي المشرق غربا رمل بني سعد الذي يقال له يبرين وهو منقاد من اليمامة حتى حضرموت (٣) .

وفي هذا السياق يجب ان نوضح هنا ان حدود اليمن مع بداية عصر الدعوة لم تكن هي نفسها الحدود في العصور القديمة قبل الاسلام بزمن اى في عصر دولها القديمة كدولة سبأ ومعين وحمير وغيرها ففي هذه الفترة القديمة نجد مصادرنا خالية من المعلومات الجغرافية التي تحدد لنا موقع اليمن. بيد أن هيمنة الدول اليمنية القديمة السياسية والحضارية قد وصلت إلى ارجاء بعيدة في المنطقة الشمالية حتى وصلت الى جوار دولة الفرس على حدود العراق والجزيرة الفراتية ودول بلاد الشام ، بل ان السيطرة اليمنية السياسية والاقتصادية كانت لا تضاهي على المنطقة الممتدة من الحجاز الى الشام (٤) .

---

(١) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٠ ، نشر مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٨٣م .
(٢) ـ الحموى : (ياقوت) معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .
(٣) ـ البكرى : معجم ما استعجم ، ج ١ ص ١٦ .
(٤) ـ الطبرى : التاريخ ج ٢ ص ٨٩ ـ ٩٠ ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ج ٩ ص ١٧٣ .
النويرى : نهاية الارب ، ج ١٥ ص ٤٠٦ ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٠ .
عدنان ترسيسي : اليمن وحضارة العرب ، ص ١٠ .

وقد وضح عدد من الباحثين المحدثين سبب الوجود البشري والسياسي والحضاري اليمني في الخط الواصل ما بين الحجاز بالشام بالقوة الاقتصادية الهائلة التي كانت تمتلكها اليمن في تلك الاونة (١) .

وفي صدد انتشار سلطة دول اليمن على قبائل عربية شمالي ووسط شبه الجزيرة العربية وعلى اهم مدنها في اليمامة ونجد ومكة ويثرب (٢) ، فذلك ما افاضت بذكره المصادر القديمة .

بالاضافة الى ذلك فقد اطلق على اليمن تسميات عديدة عبر تاريخها منها ما ذكره الهمداني في كتاب (صفة جزيرة العرب) بأن اليمن سميت باليمن الخضراء لكثرة اشجارها وثمارها وزروعها (٣) . ويقال انها سميت يمناً لأنها تقع على يمين الكعبة او من اليُمن والبركة لخصب تربتها ووفرة خيراتها وكثرة منابعها ووديانها (٤) . كما ويفسرها الهمداني ايضا في مكان آخر ان الجزيرة العربية عند اهل اليمن (يمن) وتعني الجنوب و(شام) وتعني الشمال (٥) .

اما في النقوش العربية القديمة (٦) ، فقد ورد ذكر اليمن باسم (يمنت) او (يمنات) في نص يعود زمنه الى حكم الملك الحميري (شمر يهرعش) في حوالي عام ٣٠٠ م وذلك بعد حضرموت في الترتيب ((سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)) .

ويمنت الوارده في النص السابق في راي المستشرق النمساوي ادوارد غلازر (A.Glaser) منطقة تشمل القسم الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب من باب المندب غربا حتى حضرموت شرقا (٧) .

اما في الكتابات والنقوش (المعينية) القديمة التي اكتشف قسما منها المستشرق الفرنسي (يوسف هاليفي) فقد تبين بعد قراءتها ان حربا كانت قد وقعت بين ذي يمنت وذي شامت اي بين عرب الجنوب وعرب الشمال ومن يمنت هذه جاء اسم اليمن (٨) .

---

(١) ـ محمد بن علي الحوالي : اليمن الخضراء ، ص ٢٣ جواد علي : المفصل ، ج ٢ ص ١٢١ ـ ١٢٤ .
(٢) ـ الطبري : ج ٢ ص ١٠٥ الاغاني (ابو الفرج) : ج ٨ ص ٦١ ـ ٦٢ ج ١٥ ص ٨٢ .
(٣) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٠ عبد الكريم الجراني : المقتطف من تاريخ اليمن ص ٤ عدنان ترسيسي : اليمن وحضارة العرب ، ص ١٤ .
(٤) ـ القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٦ المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٤٢ . عبد الله الثور : هذه هي اليمن ، ص ٤ .
(٥) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٤ .
(٦) ـ عدنان ترسيسي : اليمن وحضارة العرب ، ص ١٤ .
(٧) ـ جواد علي : المفصل ، ج ٢ ص ٥٣٠ ـ ٥٣١ بافقيه : تاريخ اليمن القديم ص ٤٥ .
(٨) ـ جواد علي : مرجع سابق ج ٢ ص ٧٩ ، ٨٨ ، ٥٣١ بافقيه : مرجع سابق ص ٤٥ .

ودرس المؤرخون جغرافية اليمن ووجهوا دراسة وصف مظاهر سطحها بما يخدم وجهة نظرتهم التاريخية ـ التي تختلف الى حد عن دراسة الجغرافيين ـ وهذا جوهر ما نريد التعمق في بحثه ومعرفته ٠

لقد تميزت اليمن بوجود قبائل متعددة ، استقرت كل منها في منطقتها واستغلت امكاناتها الاقتصادية المختلفة لمدة طويلة من الزمن حتى اصبحت تلك المناطق تعرف باسم القبائل ـ المستقرة فيها ٠ وكانت بعض هذه القبائل كبيرة وتشغل مناطق واسعة سميت باسمها ، الا ان بعض المناطق استوطنتها عدة عشائر ولم يطلق عليها اسم عشيرة بالذات ، وبالنظر لشيوع هذا التقسيم لليمن ، وعمق اسسه فاننا سنسير عليه في بحثنا في وصف احوال اليمن الجغرافية ٠

١ ـ تهائم اليمن :

تتوضع تهائم اليمن بين جبال السّراة شرقا والبحر الاحمر غربا وخليج عدن جنوبا وتهامة الحجاز شمالا ، ومعظم ارضها رملية تكثر فيها الحصى كلما اقتربت من الساحل (١) ٠

يبلغ ارتفاع هذه المنطقة عن سطح البحر ما بين (٣ ـ ٥ م) يميل هذا الارتفاع الى الانخفاض كلما اتجه المرء باتجاه الشرق ٠٠ اما طولها فيقدر بـ (٥٠٠ كم) وعرضها يتفاوت ما بين (٥٠ و ٧٠ كم) (٢) ٠

بالاضافة الى ذلك يذكر الهمداني ان ساحل تهامة يضم عددا كبيرا من الجزر والخلجان (جزيرة كمران وجزر فرسان ، وجزيرة بريم ـ ميون ـ ثم جزيرة سقطرة ودهلك وغيرها)(٣) ٠

من جانب اخر تشتمل هذه المنطقة اليمنية على ما يعرف ببلاد حكم وعك والاشعريين وبني مجيد ٠ تقطعها اودية عديدة تنحدر من السراة باتجاه البحر ، واهمها من الشمال اودية حازان ، وخلب ، وحرض ، ومور ، وسرود ، وسهام ، ورمع ، وزبيد (٤) ، وتكون هذه الاودية مجارى لسيل مياه الامطار الساقطة ، وفيها كثير من الينابيع مما ساعد على ارواء الارض المحيطة بها خاصة قرب البحر ٠ وامطار تهامة قليلة الا ان الرطوبة فيها عالية جدا ٠

في القسم الشمالي من تهامة سكنت قبائل عك ، والاشعريون في قسمها الجنوبي وبعد ونهم خالطوا حمير في سكناها ، فقد كانت لحمير اراضي حول زبيد ٠

---

(١) ـ عبد الله الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن ، ص (٥) .

(٢) ـ عبد الله الثور : هذه هي اليمن ، ص ٨٠

(٣) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٣ ـ ٩٤٠

(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٥٢ ـ ٥٤ ، ٧١ ـ ٧٣٠

انتجت هذه المنطقة اعدادا متنوعة من الزراعات اشهرها الورس في زبيد[1] ، و الزعفران في وادي نخلة[2] ، والصبر في ام جحدم[3] ، والعنب في وادي ربع والموز في وادي نخلة ، كذلك قصب السكر[4] ، وتربى فيها الابقار الجيدية .

٢ ـ منطقة الجوف ومأرب :

وتعرف هذه المنطقة بـ (أرض سبأ) وهي التي تمتد شرقي صنعاء ، فيما بين حضرموت جنوبا ونجران شمالا ، واقسامها الغربية اكثر ارتفاعا وتنحدر نحو الشرق ، وتتخللها بعض الاودية التي تنحدر من الغرب الى الشرق وهي من الشمال وادي الخارد[5] ، ووادي اذنه[6] ووادي حريب[7] .

كما تتخللها بعض الجبال مثل جبل برط[8] ، وجبل يام[9] ، وجبال نهم[10] ، وجبال خولان[11] .

اشتهرت هذه المنطقة بمناجم الذهب والفضة كان اشهرها منجم ذهب السر في ارض سبأ وهي مناجم جاهلية كانت كثيرة الانتاج تملكها في الاسلام ابن الروية رئيس مذحج[12] ، وكذلك منجم الفضة في السر من ارض مذحج[13] . والملح في مارب[14] .

لا تسقط على هذه المنطقة خلال فصول السنة امطار تذكر لذلك شحت مياهها واقتصرت على ما ينحدر اليها من سيول الاودية او من المياه الجوفية . ومن اشهر مناطقها مارب حيث يزرع النخيل[15] ، والقطن[16] ، والسمسم[17] .

---

(١) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٧٥ ياقوت الحموي : المعجم ج ٤ ص ٤٧٢ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه .
(٤) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٧٥ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨١ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨٠ .
(٧) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨٠ ، ٩٥ .
(٨) ـ المصدر السابق نفسه ، ١٢٦ .
(٩) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨١ ، ٨٣ .
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨١ .
(١١) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٧ .
(١٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٨ ابن رسته : الاعلاق النفيسه ، ص ١١٣ .
(١٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨١ الجوهرتين ، ص ١٣٩ ، ١٥١ .
(١٤) ـ الصفة ، ص ٥٣ ، ٨٧ ، ١٠٢ .
(١٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٢ .

اشتهرت منطقة الجوف بالطريق التجاري القديم الذي كان يمر بها ، وهو يبدأ من شبوة ويسير عبر وادي حريب الى مأرب فنجران [1] ، وكانت له اهمية في التجارة العالمية ، وبسببها قامت فيه ممالك قديمة تركت اثار مدينتها في شكل مدن عامرة كمأرب وبراقش (معين) وقرناو شرقي صعدة وغيرها [2] .

اما عند ظهور الاسلام فان هذه المنطقة لم يكن لها ازدهارها القديم نفسه ، كما ان طريق التجارة تحول الى الغرب ، وظهرت عليه مدن تجارية ، وصارت المنطقة منطقة صراع بين القبائل التي تحوم حول المنطقة من الشرق وبين تلك التي استوطنت المنطقة واستثمرتها [3]

ـ منطقة خولان ((صعدة)) :

روى الهمداني ان قبيلة خولان كانت ساكنها في منطقة الهضبة الوسطى [4] ، وقد ذكر النسابون انها قسمان ، يعرف احدهما بخولان العالية وقد اشتركت ساكنها مع حمير في مخلاف ذي جهرة وخولان جنوب شرق صنعاء [5] ، وهؤلاء كانوا ينسبون منذ القديم الى حمير [6] . اما القسم الاخر فيسكنون مدينة (صعدة) وما حولها ، ومدينة صعدة تقع في ارض قليلة الارتفاع قليلة المطر ، وقد روى الهمداني اشتهارها بزراعة العنب وخاصة في وادي علاف [7] ، كما انشئت على ارضها السدود للاعادة من مياه الامطار كسد (الخانق) [8]

ويبدو ان خولان لم تنفرد بمنطقتها او بمدينة صعدة ، فقد شاركهم في سكنها ايضا بنو نهاب بن عاقل من كندة محالفين لآل ربيعة في عفارة وحيدان [9] ، وسكنها ذو الكلاع ويرسم من حمير ، وقد اعتبر الهمداني سكان صعدة جماع ليس من ولد الصلب ، عرفوا بأديم خولان تحالفوا وكتبوا حلفهم في أديم احمر فعرفوا بالاديم ، وربط بين هذا الجماع وبين اسم صعدة القديم ((جماع)) [10] .

---

(1) ـ Stark, Freya: The Southern Gates of Arabia, PP. 209-201. First edition. 1936, England.

(2) ـ المصدر السابق نفسه .

(3) ـ نزار الحديثي : اليمن في صدر الاسلام ، ص ٥٢ .

(4) ـ الهمداني : الاكليل ج ١ ص ٢٠٤ .

(5) ـ المصدر السابق نفسه .

(6) ـ المصدر السابق نفسه .

(7) ـ الهمداني : الصفة ، ص ١١٣ .

(8) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ٨ ص ١١٥ .

(9) ـ المصدر السابق : كتاب الصفة ، ص ١١٤ .

(10) ـ المصدر السابق : الصفة ، ص ٦٧ ، الاكليل ج ٢ ص ٢٩٤ .

٤ ـ منطقة نجران :

ومن مناطق اليمن الجغرافية نجران التي تقع الى الشمال من صعدة في المنخفض الشرقي لسراة اليمن ، وهي منطقة يخترقها وادي نجران بفروعه المتعددة .

ويبدو ان منطقة نجران تمتعت بوضعية اجتماعية وسياسية خاصة ومما لا شك فيه ان مدينة نجران كانت لها منطقة واسعة تشرق عليها ، فقد دعاها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم بـ (نجران وحاشيتها) (١) ، واشار الى سكانها من العرب وغير العرب(٢)، وتظهر تشكيلة سكانها وانتماءات اعضائها القبلية الى انها خليط من عدة قبائل ففيها من ربيعة وكندة ومذحج ولا عجب في ذلك فهي مدينة صناعية وحاجتها الى الايدي العاملة تفرض هذه الوضعية ، وفيها العبيد ايضا (٣) ، مما يشير الى نشاط زراعي . واستوطنها بنو الحارث بن كعب من مذحج و عملوا بالتجارة وكانوا يسلكون الطريق بين حضرموت ونجران واليمامة (٤) .

٥ ـ هضاب حضرموت :

يحد هذه المنطقة الجغرافية من الغرب جبال سرو مذحج وحمير ، والاجزاء الجنوبية من الهضبة الشرقية وتتدرج في الانحدار صوب الشرق الى ان تصل الى ما يقرب من ١٥٠ م عند خط طول ٥٧ شرقا ، ويستمر هذا المستوى الى ان تصل الحد الجنوبي لجبال اليمن الشرقية في عمان ويقطع هذه الهضاب وادي حضرموت من الغرب الى الشرق ويصب بالقرب من سيحوت (٥) .

اما قسم هذه المنطقة من الاسفل ، وبخاصة حول شبوة ، فانها تنحدر جنوبا نحو البحر ، ويصل معدل المطر في حضرموت الى ٣٥ كم في السنة ، وقد ادى توفر المياه الى ازدهار الزراعة (٦)

ومن القبائل التي استوطنت حضرموت قبائل عرفت باسم حضرموت ، ومن ابرز مناطق استيطانها الاقسام المحيطة بوادي حضرموت ووادي العبر ، ومركزها مدينة شبوة ، وكان من ابرز قبائلها عند ظهور الاسلام بنو المراحب وبنو محشر الذي منهم وائل بن حجر الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راسل الرسول (ص) كلا القبلتين (٧) .

غير ان من اعظم القبائل التي سكنت حضرموت قبيلة كندة حيث اختصت بسكن الاقسام المرتفعة

---

(١) ـ محمد حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوي ، ص ١١١ . ط ثانية القاهرة ١٩٥٦م
(٢) ـ المصدر السابق نفسه .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه .
(٤) ـ الهمداني : الجوهرتين العتيقتين ، ص ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٧٤ طبعة ١٩٦٨م ثم كتاب صفة جزيرة العرب ، ص ٩٠ .
(٥) ـ محمود طه ابو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ٤ ص ٢٣ ـ ٢٤ ، ٣٠ .
(٦) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٨٦ ، ٩٧ .

من هذه المنطقة ، فمساكنها سراة تحتضن وادي العبر ووادي دوعن وتصب اوديتها في وادي حضرموت ، وفي اعلاها الحصون واسفلها الزرع والنخيل (١) .

٦ ـ منطقة همـــدان :

ومن المناطق المهمة في اليمن المنطقة التي تقيم فيها همدان وتمتد من الرحبة شمال صنعاء الى صعدة ، وهي مقسمة بخط ما بين صنعاء وصعدة شرقية لبكيل وغربية لحاشد (٢) ، وتشـمل ايضا ما بين صعدة ونجران شرقا ، حيث تستوطن قبائل نسبت الى همدان مثل شاكر ووادعـــة ويام (٣) .

ويبدو ان امطار هذه المنطقة لم تكن كثيرة لذا عمد الهمدانيون الى انشاء خزانات للمياه ، وتذكر المصادر سد بيت كلاب في ارض همدان (٤) .

الى جانب ذلك فقد اشتهرت مواضع عديدة من ارض همدان بالزراعـة (٥) ، وبمناجم بعـــض المعادن (٦) .

وتعد منطقة شمال عمران من اهم المناطق المأهولة بقبائل همدان من حاشد وبكيل (٧) .

وبشكل عام فقد روى اصحاب المصادر ان المناطق المحصورة بين منطقة عمران جنوبا وصعـــدة شمالا كانت اكثر تحضرا من باقي مناطق همدان في الجوف وشمالا حتى نجران ، وقد اشار وفـــد همدان الى هذا الوضع الحضاري للقبيلة عندما وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم (٨) .

٧ ـ منطقة حميـر :

سكنت قبيلة حمير في المنطقة الواقعة من اليمن شمالا صنعاء الى عدن جنوبا ، ومن حافات الهضبة الغربية عند تهامة (من تهائم اليمن) الى شبوة في حضرموت.وهذه المنطقة هضبـــة جبلية عريضة في الوسط ، تبرز فيها قمم وعرة تفصلها اوديـــة عميقة وضيقة تتجمع مع بعضها وتنحدر اما نحو الغرب الى البحر الاحمر او تنحدر جنوبا لتصب في البحر بين عدن والمندب او تنحدر ـ باتجاه الشرق فيما يعرف بنجد اليمن (٩) .

وقد عرفت في هذه المنطقة مواقع مسماة بأسماء محلية مستمدة من القبائل التي سكنتها مثـل

---

(١) ـ الهمداني : الصفة ، ٨٦ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٩ ، ١١١ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨٣ ، ١١٥ .
(٤) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ٨ ص ١١٥ .
(٥) ـ الهمداني : الصفة ، ص ١٩٢ ـ ١٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، الاكليل : ج ٨ ص ٦١ .
(٦) ـ الهمداني الجوهرتين ، مصدر سابق ص ١٢٩ ، ١٧١ الصفة ، ص ٦٧ ، ١١٤ .

المعافر ، السحول ، الشراعب ، الكلاع ، جبلان ، الهان ، حراز ، هوزن ، رعين (١)

تعد هذه المنطقة من اغزر المناطق اليمنية مطرا وهي ايضا من المناطق التي تتوفر فيهــا المياه الجوفية التي تقرب في بعض الاماكن من سطح الارض كما هو الحال في ذمار (٢) ، كمــا تكثر فيها العيون والينابيع التي تسيل في الاودبــة كما في وادي السر في مخلاف ذي جرة و خولان (٣) .

إن سقوط الامطار الغزيرة في فصل الصيف حمل سكان هذه المنطقة على الاهتمام بهــــا وتنظيم خزنها ، والإفادة منها طول العام ، وادى هذا الى نمو نظام الري الدقيق بواسطـــة السدود والذي اشتهرت به قديما،وكان له دور كبير في ازدهارها الاقتصادي . وقد ادرك الحميريون اهمية السدود في الزراعة فعنوا بإنشائها وصيانتها ، وينسب الى اسعد تبع إنشاء مجموعــة السدود في يحصب العلو في الشمال الشرقي من بلد الكلاع ، والتي بلغت ثمانين سدًا (٤)

وقد انعكس ازدهار مشاريع الري بشكل ايجابي على منطقة حمير فازدهرت الزراعة وتنوعــت اشكالها وصنوفها، فقد وصفت منطقة ذمار ومنطقة رعين والسحول بـ (مصر اليمن) لشهرتها بزراعة الحبوب (٥) . وفي هذه المنطقة يتوفر عدد كبير من المعادن المختلفة (٦) ، وقد استغلــت حمير إمكانات منطقتها وما فيها من ثروة معدنية وزراعيــة وحيوانية فازدهرت بها صناعات متنوعة (٧) اخضعتها .

الى جانب ذلك فقد سكنت منطقة حمير قبائل نسبها أصحاب المصادر الى حمير وسميت بعض الأماكن الجغرافيــة بأسماء تلك القبائل ومنها الأصابح في عدن ولحج (٨) ، والسمافر في جبــل صبر (٩) ، والكلاع وهي بطون عدة من حمير وغيرها تتركز في منطقة الكلاع وفي اعالي وادي زبيــد وفي السحول ومع رعين (١٠) وغيره .

غير أن بعض قبائل حمير يرد ذكرها في اماكن خارج منطقة حمير فتذكر الكلاع وبرســـــم

---

(١) ـ الهمداني : المصدر السابق نفسه .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٤.
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٨٠.
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠١، الاكليل : ج ٨ ص ١١٥.
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، الصفة ، ص ١٠٤ ، ١٠٧.
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠٢، الاكليل : ج ٨ ص ٣٠، ابن رسته : الاعلاق ، ص ١١٢،
ـ البكري : معجم ما استعجم ، ص ٩٠٤، احسن التقاسيم : ٩٨ ، ١٠١.
(٧) ـ أي صناعات معدنية وحيوانية وزراعية ينظر الاكليل : ج ٢ ص ٢٥٤ الهمداني : الصفة ص ٢٠١ ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص ١١٢، البكري : المعجم ص ٧٢٨.
(٨) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٩٧.

في صنعاء(1) ، والمواسح في جرش(2) ، كما أن قسما كبيرا من حمير كانوا يسكنون حضرموت ، والراجح أن هذا الانتشار الواسع يعود الى الفترة التي كانت فيها حمير دولة مسيطرة على اليمن .

يتبين من هذا أن حمير ، اذا اضفنا اليها املاكها في حضرموت ابتداءً من مدينة شبوة باتجاه الغرب ، بأنها تسيطر على الطريق التجاري القديم الذي يخترق وادي حضرموت الى شبوة، حيث يتفرع الى فرعين فرع يتجه الى نجران مباشرة وفرع يتجه عبر بيحان غربا ثم يصعد شمالا الى مأرب ، بينما يستمر منه فرع باتجاه الغرب يتصل بميناءي اليمن عدن ومخا (3) .

ويبدو أن النشاط الاقتصادي المزدهر أدى دوره الإيجابي في التطور الاجتماعي والحضاري ، وتمثل في نشوء مستوطنات ومراكز حضارية متطورة ، تسميها المصادر مدناً مثل الجند وجيشان ومنكث وذمار ورداع وحصي وصنعاء وعدن . وتكثر هذه المدن في منطقة حمير وبعضها اتخذ له جماعات من الأعراب أطلق عليها اسم (بادية) (4) .

٢٩١١٢٩

---

(1) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١١٤ .

(2) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١١٧ .

(3) ـ The Southren gates of Arabia p.p. 209-210

(4) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ـ ١٠٢ .

اوضاع اليمن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبل الإسلام :

تكون المجتمع العربي اليمني من قبائل عربية متعددة انقسمت بحكم بنيانها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الى قسمين اساسيين :

ا ـ قبائل متحضرة

ب ـ وقبائل بدوية

وقد ذكرت هذه التقسيمات في مؤلفات النسابة العرب والإخباريين الذين عرّفوا القبائل المتحضرة باسم اهل المدر بينما عرفوا القبائل المتبدية باسم أهل الوبر .

كان لكل قسم من هذين القسمين خصائصه وميزاته التي فرقته عن الآخر، فاهل المدر هم اصحاب المجتمع المستقر المتحضر الذي بنى المساكن والقرى والمدن في أنحاء مختلفة من أرض اليمن وعاشر هؤلاء على ممارسة التجارة والزراعة بشتى ألوانها وصنوفها ،كما بنوا كل ما بإمكانهم تأمينه لخدمة زراعتهم من سدود وشقوا قنوات الري وحفروا الصهاريج الصخرية والآبار وغير ذلك من امور تفيد في استنبات الأرض وإعطاء أفضل المحاصيل (١) .

بالاضافة الى ذلك ، فقد عني اصحاب هذا المجتمع بتربية الحيوانات واستفادوا منها استفادة كبيرة في جوانب حياتهم الاجتماعية كاملة .

أما أهل الوبر (٢) فهم من القبائل التي جعلت من البادية سكنا لها وقد حافظوا على بداوتهم واعتمدوا في عيشتهم على ما انتجته حيواناتهم . منتجعين منابت الكلأ مرتادين لمواقع المياه يخيمون هنا وهناك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعي .

وقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى وجود هذا التقسيم الاجتماعي في القبائل العربية اليمنية (حضر ـ بدو) عندما ذكر في العهد الذي كتبه عليه الصلاة والسلام لمالك بن النمط الهمداني حيث جاء فيه : ((وكتب له عهده على همدان أحمورها وعربها وخلائطها ومواليها)) (٣)

فالإشارة الواردة الى عرب همدان تعني البدو . وهذا المعنى تؤيده رواية عن وفد همدان عندما قدموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قالوا له: ((يا رسول الله نصية

---

(١) ـ ابن منظور : اللسان ، ج ٤ ص١٩٧ وما بعدها ، مادة (حضر) .
(٢) ـ ابن العبري (غريغوريوس الملطي) ت ١٢٨٦ م ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٥٨ وما بعدها ، بيروت ١٩٥٨ م . الزبيدي : تاج العروس ، ج ٣ ص٥٩٤ ، مادة (وبر) . ابن منظور : اللسان ، ج ١ ص٥٨٦ .
(٣) ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢ ، ٧٢ برلين مؤسسة النصر بدون تاريخ . ابن الاثير : اسد الغابة ، ج ٤ ص ٢٢٤ . ابن حجر العسقلاني : الاصابة ، ج ٣ ص

من همدان من كل حاضر وباد(1) . فالتمييز هنا صريح بين المتحضرين والبدو من همدان وهو يعني المعنى نفسه الوارد في النص السابق ((احضورها وعربها)) . وقد فسر عمرو بن يحيى بن سلمة الهمداني لفظة (عربها) الواردة في العهد المذكور بأنها تعني أهل البادية(2) . وهكذا وردت في النقوش اليمنية القديمة التي تعد من اصدق واقدم مصادر تاريخ اليمن في عصورها الغابرة(3) . ومع بزوغ الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية ورد في القران الكريم ما يؤيد ذلك فقد ورد في الآية الكريمة : ((قالت الأعراب آمنا ...)) اشارة الى البدو(4) . فالنص يعبر عن وضعية حضارية وعن نمط من أنماط الإنتاج هو الإنتاج الرعوي ترتب عليه وضع اجتماعي .

بالاضافة الى ذلك فقد ذكر ابن الكلبي أعراب قبيلة همدان بالقبائل العربية التالية : ارحب ونهم ، وشاكر ، ووادعة ، ومرهبة ، ودالان ، وخارف ، وعذر ، وحجور(5) ، ومن البادية ايضا بني رازح ورشوان والأزمع من خولان(6) .

وهنا لا بد لنا من الاشارة الى ناحية هامة عند الحديث عن القبائل اليمنية المتبدية ان اصطلاح بدو وبدوى لم يقتصر استخدامه على الذين فرضت عليهم ظروفهم الإقامة في البادية فاصبحوا بدوا بل شمل هذا المصطلح بعض المدن ولكن ليس بالمعنى السابق اى سكان البادية وانما قصد منه هنا حاشية القبيلة التي تسكن المدينة من الأعراب الوافدين إليها والتوضعين حولها ، فمثلا يقال بادية قبيلة رداع : الربيميون ، والزيابيون ، وبنو جيش بن زيد(7) . ومدينة الدراء باديتها من قبيلة علك(8) ، وجيشان ، باديتها من قبيلة سبأ الصهيب(9) . أي إن الأعراب توغلوا الى داخل اليمن وسكنوا حول بعض المدن .

ومع ذلك لا بد لنا من القول إن أعراب اليمن في القديم كونوا نسبة كبيرة من مجموع سكان اليمن ، ويمكن التعرف على أماكن وجودهم من خلال أمور عدة منها ما يتعلق بلغتهم ومن اشتقاق اسماء مواضعهم أو قبائلهم لكلمة ((ذو)) التي تعبر في اليمن عن الملكية الاقتصادية وخاصة

---

(1) ـ ابن هشام : السيرة ج 4 ص 244 ، مصر 1936 ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 1 ص 134 . القاهرة 1948 م .
(2) ـ ابن الاثير : اسد الغابة ج 4 ص 324 .
(3) ـ خالد العسلي : جولة العرب للاعراب في النقوش العربية القديمة ، ج 5 ص 410 دار اليمامة ، 1961 م .
(4) ـ القران الكريم : سورة الحجرات ، الاية 14 .
(5) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج 6 ص 162 ، النويرى : نهاية الارب ، ج 18 ص 19 دار الكتب المصرية 1963 م .
(6) ـ الهمداني : الاكليل ، ج 1 ص 323 ـ 324 ـ 325 ـ 329 . القاهرة ، 1962 م

ملكية الارض[1] ، فقبائل مذحج وخولان من القبائل التي لم تذكر المصادر وجود (أذواء) بها . وتشير المصادر التاريخية القديمة إلى أن القبائل اليمنية كانت قد بدأت تظهر إلى الوجود السياسي منذ عهد ملوك الدولة المعينية أي منذ حوالي (١٣٠٠ ـ ٦٣٠ ق.م)[2] حيث أخذت القبائل تشغل دوراً مهماً في سياسة بلاد العرب الجنوبية ، ومثال تلك القبائل قبيلة همدان التي تمكنت من اغتصاب الملك من قبيلة سبأ[3] .

هذا وقد بقيت القبيلة اليمنية على حالها في فترة ما قبل الإسلام محتفظة بنظمها الإجتماعية وتقاليدها واعرافها القديمة وتقسيماتها السياسية والمكانية على الرغم من عمليات التحالف والإندماج السياسي التي كانت تتم فيما بينها عبر العصور الماضية[4] .

من جانب آخر عرفت القبائل اليمنية في المصادر العربية بالقبائل الجنوبية أو القبائل القحطانية . وكانت هذه القبائل قبل الدعوة الإسلامية تقسم إلى ثلاث جماهر قبلية كبيرة هي حمير وهمدان ، ومذحج . وقد ارتبطت هذه الجماهر الثلاث بنسب مشترك واحد قادها إلى سبأ حفيد قحطان ووالد حمير وكهلان الفرعين الرئيسيين لعرب الجنوب[5] .

وتظهر لنا النقوش الحميرية المكتشفة أن قبائل حمير ومذحج لم تستطع أن تحافظ على وحدتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تاريخها القديم على إعتبار أن عملية التغيير والتحول كانت أمراً مألوفاً ، وأن هذه القبائل كانت في أحوال كثيرة تضطر إلى أن تقيم بينها وبين غيرها من القبائل المجاورة نوعاً من الأحلاف السياسية القبلية كما كانت في بعض الأحيان تتطلب الدخول في حماية قبيلة أخرى قوية[6] . وقد أدى ذلك إلى نوع من التحول في عملية الانتساب لبعض تلك القبائل وخاصة انها كانت قد فقدت روحها القتالية وخضعت حياتها السياسية لسلطة الدولة المركزية ، ومن ثم اتجه غالبية السكان فيها إلى أعمال الزراعة والارتباط بالأرض وبشكل خاص في المناطق التي كثرت فيها المياه من ينابيع وأمطار ، وبذلك أخذت ظاهرة البداوة فيها بالتراجع مع مرور الزمن[7] .

---

(١) ـ جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام يقال : ذو ريدان وذو وغمدان أي صاحب ريدان وصاحب غمدان ص ١٥٢ .

(٢) ـ جواد علي : المفصل ، ج ٢ ص ٧٣ . ديتلف نلسن : تاريخ العرب القديم ، ص ٦٥

(٣) ـ فضل علي أبو أحمد غانم : البنية القبلية في اليمن ، ص ٧ الكاتب العربي ، ١٩٨٥ م
سيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ اليمن ، ص ١٦٦ . الاسكندرية ، ١٩٦٨ م

(٤) ـ هنا لا بد من الإشارة إلى أن القبلية لم تحتفظ بنظمها في العصر القديم فحسب بل استمر ذلك بعد قيام الدعوة ولكن تم تتطور النظم القبلية مع التعاليم التي جاء بها الاسلام .

ويرجح أن اضمحلال التجارة في نهاية الفترة التي كانت فيها الدولة الحميرية تحكم اليمن قد أدى بدوره الى الاتجاه نحو العمل الزراعي من قبل تلك القبائل اليمنية التي كانت تعتمد في حياتها الاقتصادية الى حد ما على ما كانت تحصل عليه من أتاوات وضرائب ورواتب مالية وذلك مقابل السماح بمرور قوافل التجارة في أراضيها وحمايتها لها أثناء عبورها (١) .

من جهة اخرى تشير المصادر القديمة الى مجتمع اليمن بأنه كان يحكم حكما ملكياً وراثياً في الأبناء والأخوة . غير أن هذه الملكية لم تكن مطلقة بل كانت مقيدة بـ (مجالس) تمد الملك بالمشورة وفي المسائل التشريعية.وقد ذكر وهب بن منبه وغيره من الإخباريين أنه كان للنساء اليمنيات حق وراثة العرش (٢) . وقد اتفقت هذه المعلومات مع ما ورد في القرآن الكريم وهو أصدق المصادر واقدمها وذلك من خلال قصة ملكة سبأ والنبي سليمان عليه السلام في سورة النحل إذ قالت لما ألقي إليها كتابه يطلب منها فيه أن تأتيه مسلمة قالت : ((يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون)) (٣) .

من جانب اخر تشير بعض المصادر القديمة الى بعض النظم الخاصة بتنظيم العمل والإنتاج وهي النظم التي كانت تخضع لنوع العلاقة بين الملك من ناحية وزعيم القبيلة من ناحية اخرى وذلك من خلال إبرام الاتفاقيات بينهما والمتعلقة بتحديد الضرائب التي يجب دفعها للدولة. وقد ذكر أن الضرائب جميعها التي كانت تفرض من قبل الملك على زعماء القبائل كانت تحصل عادة من محصول الأرض نفسه وغالبا ما كانت هذه الضرائب تقدر قبل جمع المحصول . وهذا يعني أنه كان من حق الدولة ـ اذا اقتضى الأمر ـ أن تقوم بالاستيلاء على المحصول الزراعي عن طريق قياسها بتقدير المحاصيل في الحقول أو على الأشجار وذلك لضمان تحصيل الضرائب المقررة . وقد أشار (النويري) . الى هذه الناحية وذلك من خلال النص الوارد في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن بعد قيام الدعوة ودخول اليمنيين بالإسلام . مبيناً فيه رفع الأحكام الضرائبية الجائرة التي كانت تفرض على المزراعين اليمنيين المغلوبين بما عليهم من الخراج والكلف الأثقال (٤) . بقوله صلى الله عليه وسلم : ((ومن أجبى فقد أربى)) وقد فسر (النويري) ذلك بأولئك الذين كانوا يشترون المحاصيل الزراعية قبل نضجها بأثمان منخفضة في المجتمع اليمني القديم (٥) . ومقابل جباية الدولة لهذه الضرائب كثيرا ما كانت تقوم الحكومات اليمنية

---

(١) ـ الحديثي : (نزار) ، مرجع سابق ص ٦٩ .
(٢) ـ وهب بن منبه : التيجان ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ص ٥٨ جواد علي : المفصل ، ج ٢ ص ١٠٧ ، ٥٢٦ .
(٣) ـ القرآن الكريم : سورة النحل ، الآية ٣٢ .
(٤) ـ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، المطبعة العثمانية ، مصر ١٣١١ هـ .
(٥) ـ النويري : نهاية الأرب ، ج ٦ ص ٣٧١ ـ ٣٧٣ ، القاهرة ١٩٦٣ م .

بمشاريع كبيرة ومتنوعة غايتها خدمة الزراعة لشق الطرق وحفر الآبار والصهاريج وبناء السدود[1] وأقنية الري[2] . ولكن الأمر الملفت للنظر أن هذه العمليات الإصلاحية جميعها كانت تتم بأيدي الطبقات المحرومة في المجتمع اليمني عن طريق ما يعرف بـ (السخرة) وقد أوضح ذلك نقوش يمنية قديمة مكتشفة يعود تاريخها الى عصر الدولة السبئية[3] ، وعصر الاحتلال الحبشي لليمن[4] .

بيد وأن المجتمع اليمني القديم كانت الحياة الزراعية فيه على درجة كبيرة من الأهمية وبشكل خاص في عصر الدولة السبئية ، جنباً الى جنب مع التجارة[5] . ولهذا نجد أن هناك أكثر من فئة إجتماعية استخدمها إقطاعيوا اليمن القدماء في الزراعة وقد اشارت الى هذه الناحية مصادر يمنية عديدة ومثال ذلك ورد في كتاب (الوثائق السياسية اليمنية) ، نص الرسالة التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بني عبد كلال من حمير والتي أظهرت لنا فيها تلك الفئات المنتجة بقوله عليه الصلاة والسلام : ((وليس في رقيق ولا مزرعة ولا عمالها شيء ..... وليس في عبد مسلم ولا فرسه شيء .))[6] ، فنحن هنا امام فئات ثلاث كانوا يعملون بالزراعة في مزارع بني عبد كلال هم (رقيق ، وعمال ، وعبيد فرسان) غير أننا نجهل أصول هذه الفئات وعلاقتها بالأرض وبالمالك ونظام عملها رغم أن وجود هذه الفئات في مجتمع زراعي يقتضي أن يكون الرقيق للأعمال الصعبة ، والعمال للري أما العبيد الفرسان فعلى الأرجح أنهم كانوا بمثابة جيش محلي يقوم بأعمال الأمن والحراسة وفي هذا الصدد يذكر (جروهمان) أنه في بعض مناطق الجنوب العربي — عدن وحضرموت — توجد إلى الآن جماعات تسمى (العساكر) وهم اتباع لأصحاب السلطة في المدينة[7] ، أما الرقيق فقد أشارت المصادر القديمة بكثرة إلى وجودهم في مجتمع اليمن القديم ، فقد ذكر أنه كان لذي الكلاع عبيد تراوح عددهم بين (٤ — ١٢) ألف عبد[8] ، وامتلاك بني طريف من كندة — للعبيد[9] . وكذلك امتلكت عك وذي خيوان وهمدان[10] .

---

(١) — الهمداني : الاكليل ، ج ٨ ، ص١١٥ . الالوسي : بلوغ الارب ، ج ١ ص ٢٠٣
(٢) — محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص١٩٦ — ١٩٧ بيروت ١٩٧٣ م
(٣) — المرجع السابق نفسه ، ص١١٩ نبيه عاقل : مرجع سابق ، ص٩٦ . السهيلي : الروض الانف ، ج ١ ص ٦٣ . القاهرة ١٩٧١ م . ياقوت الحموي : المعجم ، ج ٤ص ٣٩٥
(٤) — بافقيه : مرجع سابق ، ص١٩٩ سلطان ناجي : التاريخ السياسي لدول اليمن القديم ص ٤٣ — ٤٤ .
(٥) — بافقيه : مرجع سابق ، ص ٦٤ .
(٦) — محمد بن علي الحوالي : الوثائق السياسية اليمنية ، ص١٠٦ — ١٠٧ بغداد ١٩٧٦م
(٧) — جروهمان : تاريخ العرب القديم ، ص ١٢٣ .
(٨) — ابن حجر : الاصابة ، ج ٢ ص ٤٢٨ . القاهرة بدون تاريخ .
(٩) — الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ص١٦٦ مصر ، بدون تاريخ .

وما دمنا في الحديث عن العبيد في مجتمع اليمن القديم ، لا بد لنا من الاشارة الى صنوف هذه الفئة الاجتماعية التي كانت تقوم بالخدمة وسائر الأعمال التي يأنف الإنسان الحر من ممارستها ، فقد يكون العبيد مستوردين من زنوج أفريقيا أو من الرقيق الأبيض المستورد من أسواق العراق وبلاد الشام أو أن يكون مصدره إحدى القبائل الضعيفة التي تغزوها قبيلة كبيرة .

والعبد في العرف اليمني ملك خاص كسائر الاموال المنقولة يتصرف به صاحبه كيفما يشاء. كان بعض العبيد في اليمن مرتبطين بالأرض يباعون ويشترون معها بينما كان بعضهم الآخر له حرية التنقل والعمل كما يذكر الهمداني ... وغيره (١) .

بالإضافة الى ذلك فقد أشارت مصادر عديدة إلى تنوع صنوف محاصيل اليمن الزراعية (٢) مما ذكرته من محاصيل زراعية المر ، والبخور ، والقرنفل ، والعطور ، والطيوب ، والصمغ الكافور ، والورس (٣) ، والقطن والنخيل والعنب ـ الذي قال عنه الهمداني إنه يثمر مرتين في العام (٤) ـ ثم سائر اصناف الحبوب والفواكه والبن والموز (٥) ، والمشمش والبرقوق وقصب السكر ، والذرة ، والافاوية ، والازهار ، واللبان ، والعنبرود والكشرا والقمح الفاخر (٦) .

ونظراً لجمال اليمن وكثرة خيراتها ، فقد ذكرها الإغريق في مصادرهم باسم بلاد العرب السعيدة وكذلك المصادر الرومانية . وجاء في محكم تنزيله في سورة سبأ قوله تعالى : ((كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال (٧) ...)) . فاذا كان هذا وضع الزراعة ومحاصيلها في اليمن القديمة فما عسانا نتصور وضعها من الناحية التجارية ؟ .

تذكر بعض المصادر التاريخية أن حضارة اليمن قامت ـ الى حد كبير ـ على التجارة وذكر أنه كان لطبقة التجار اليمنيين نفوذ ونشاط هام جدا ابتداء من الأسواق الداخلية اليمنية مروراً بالأسواق العربية داخل الجزيرة العربية وانتهاء بالأسواق الدولية المجاورة (٨) .

---

(١) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ حسين مروة : النزعات المادية ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢) ـ المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ١٦١ دار الاندلس بيروت ، بدون تاريخ . نشوان الحميري : منتخبات ، ص ١٣ . ابن خلدون العبر ، ج ٢ ص ٢٥٣ . بولاق ١٢٨٤ هـ ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٣ ياقوت الحموي : المعجم مادة (يمن) ص ٤٤٨ المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ .

(٣) ـ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٣ المقدسي احسن التقاسيم ص ٨٧ . ياقوت : مادة (يمن) ص ٤٤٨ .

(٤) ـ الهمداني : الاكليل ج ٨ ص ٤٩ ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٣ .

(٥) ـ الهمداني : الاكليل ... ٢٠٢ ، ٢٢٦ ... ١١ ـ ١٢ ، ١٦

وقد ساهم الموقع الجغرافي لبلاد اليمن القديمة مساهمة كبيرة في عملية توسيع وزيادة نشاط التاجر اليمني نظراً لتوسط بلاده بين أمم العالم القديم . وهكذا عمل اليمنيون وسطاء للتجارة بين الهند وبلاد الشام والعراق ومصر وشهدت شواطئهم إنشاء موانئ عديدة لتلبي النشاط التجاري العالمي المزدهر فكان ميناء (موزا) ـ مخا الحالية) لا يقتصر عمله على استقبال السفن فحسب بل كان مكانا لإنشاء السفن التجارية أيضا ، كما برز ميناء عدن كأحد الموانئ الشهيرة في اليمن إلى جانب ميناء (قارة) ـ حصن الغراب ـ وميناء ظفار الذي كان مرسى بشكل خاص للسفن الصاعدة الى الخليج العربي في طريقها الى بابل [1] .

وعن طريق هذه الموانئ كانت لآلئ الخليج العربي وحرير الصين وسيوف الهند وتوابلها والعاج الإفريقي والذهب الأثيوبي تصل الى مصر وبلاد الشام بواسطة القوافل اليمنية البرية التي كانت تحملها عن طريق صنعاء ومأرب وظفار . وقد تمكن التجار اليمنيون من السيطرة على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد [2] ، ولم يلبث نفوذهم السياسي أن أدرك شمال الحجاز وأطرافه فدخلت معان وديدن (العلا) في نطاق هذا النفوذ وكان المعينيون والسبئيون يعينون نواباً عنهم وحاميات عسكرية في الواحات الهامة التي يمر بها الطريق التجاري كتيماء ومعان وديدن ، تمكينا لمصالحهم التجارية كذلك سيطر السبئيون على الطريق البحري للتجارة الهندية عبر البحر الأحمر ، وكان لهم اسطولهم التجاري الكبير الذي يتولى نقل هذه التجارة الى بلاد الشرق الأدنى القديم [3] . وقد أثرى اليمنيون بسبب ذلك ثراء فاحشا الى درجة وصفت هذه الطبقة في تاريخ الطبري بأن أفرادها كانوا يأكلون بصحائف من ذهب وفضة ، ويأكلون على طريقة الروم والفرس بسكاكين وشوكات مصنوعة من الذهب والفضة وكانوا يتحلون بالخواتم المصنوعة من الذهب تزينها أحجار كريمة [4] . وقد جاء في القرآن الكريم [5] والتوراة [6] ما يؤيد ما ذكر في المصادر التاريخية القديمة حول ثراء اليمنيين الكبير وذلك من خلال قصة زيارة ملكة سبأ للملك سليمان وما اقترن بذلك من مظاهر الترف المفرط .

ويبدو أن هذه الثروة الهائلة التي كسبتها تجارة اليمن في العصور القديمة تعود لتوفر أسباب الربح عند اليمنيين كما يذكر المؤرخون العرب والكلاسيكيون من صنوف التجارات التي كان لها رواج عالٍ في أسواق روما وبلاد الفرس .... وغيرها .

---

(١) ـ جرجي زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ١٢٨ دار الهلال بدون تاريخ .
(٢) ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ١٠ مؤسسة شباب الجامعة بدون تاريخ .
(٣) ـ [illegible] : تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، ص ١٣٧ ، ١٤٠ الاسكندرية ١٩٦٨ م .
(٤) ـ الطبري : التاريخ ، ٢ ص ٩٩٢ . البلاذري : انساب الاشراف ج ١ ص ٣٧٤ ، جواد علي : المفصل ، ج ٤ ص ٥٤٥ .

وقد اشار المؤرخ الروماني (بلينيوس) إلى الحجم الهائل لمستوردات روما من بلاد العرب الجنوبية في أواسط القرن الأول الميلادي من هذه المواد بقوله : ((إن بلاد العرب تأخذ منا كل عام (١٠٠) مليون سسترثة (Sesterces) ـ عملة رومانية ـ وهذا ما يكلفنا ترفنا ونساءنا [١])) .

وقد تحدث بالمعنى نفسه الجغرافي (سترابون) في مجال وصفه لأسباب الحملة الرومانية التي جردها أغسطس الإمبراطور الروماني بقيادة إيليوس غالوس عام ٢٤ ق . م على بلاد العرب الجنوبية بقوله : ((إن الحافز الذي دفع الإمبراطور الى احتلال بلاد العرب هو ما سمعه عن ثروة سكانها وما تنتجه من أنواع الخيرات ومن ثم كان هدفه إما يقضي ((التعامل معهم كأصدقاء أثرياء أو السيطرة عليهم كأعداء أثرياء [٢])) .

وقد علل الكاتب الموسوعي الروماني (بلينيوس) أسباب تكدس هذه الأرباح والثروات عند اليمنيين بقوله : ((إن العرب يبيعون ما يستخرجونه من لآلىء البحر وما تنتجه غاباتهم من الطيوب الى الرومان والفرس دون أن يشتروا بالمقابل من أسواق هذه البلدان شيئاً [٣])) .

فإذا كان هذا وضع اليمنيين من الناحية التجارية فكيف يمكن تصور حياتهم الصناعية والحرفية ؟ في بداية الأمر لا بد لنا من ذكر حقيقة ثابتة مترسخة في طبع المجتمع العربي القديم بقسميه الشمالي والجنوبي على حد سواء هذه الحقيقة هي أن الانسان العربي الحر نظر الى الخدمة والصناعيين والأعمال الحرفية بشكل عام نظرة إزدراء واحتقار على اعتبار أنها تقيد حريته وتضع حدا لحركته وهذه اعتبارات مرفوضة بنظرة.ومن هنا انحصرت مزاولة مهنة الحرف الصناعية بالطبقات الدنيا من المجتمع العربي بشكل عام وبالمجتمع اليمني بشكل خاص. بل لم تقف نظرتهم الاجتماعية عند هذا الحد فقد كانت العرب إذا أرادت تحقير إنسان وشتمه بعبارة تكون جمع السباب قالوا له : يا ابن الصانع . ومن هذا الجانب جاء تعبير عرب الشمال الى اخوانهم عرب الجنوب بأنهم كانوا ((ما بين دابغ جلد أو ناسج برد أو سايس قرد أو راكب عرد [٤])) .

ومما يؤيد انتشار الصناعة في بلاد العرب الجنوبية قول أمية بن خلف في هجاء الشاعر المخضرم اليمني حسان بن ثابت :

---

(١) ـ Plinius : HN, XII, 84 . نقلا عن لطفي عبد الوهاب يحيى ، ص٢٨٦ .
(٢) ـ Strabo : XVI, 4, 22 . " " " " " " " " .
(٣) ـ Plinius : HN, VI, 162 . " " " " " " ص٢٨٧ .
(٤) ـ ابن حجر : الاصابة ج ٢ ص ٤٢٨ . القاهرة بدون تاريخ . ياقوت الحموي : المعجم ج ٥ ص ٤٤٨ . دار صادر بيروت ١٩٧٧ م .

أليس أبوك فينا كان قيناً — لدى القينات فسلاً في الحفائظ ؟
يمانياً يظل يشد كيراً — وينفخ دائباً لهب الشواظ (١)

ومن المؤكد تاريخيا أن اليمنيين في عصور ما قبل الإسلام كانوا أكثر تحضراً من إخوانهم عرب الشمال وقد أكد هذه الحقيقة كثير من المؤرخيين المحدثين الذين بنوا رأيهم هذا على ما قرأوه من كتابات مكتوبة على رقم مكتشفة وعلى الواح معدنية أو حجرية يعود تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد (٢) . وهذا يدل على المستوى الحضاري الرفيع الذي كانوا عليه . ومن هنا نجدهم يستهجنون إخوانهم عرب الشمال الذين وصفوهم بالأوصاف غير اللائقة بسبب مزاولتهم الأعمال الحرفية ولم يقعوا عندها تنوعت صناعاتهم وانتشرت بشكل واسع في سائر أرجاء اليمن إلى حد استطاعت (من خلاله) أن تغطي متطلبات السوق المحلية وتصدير الفائض الى أسواق شبه الجزيرة العربية وخارجها من الدول الأجنبية كأسواق بلاد الفرس الروم والحبشة .

ونحن وإن قلنا بتنوع صناعة اليمن فإننا نعني ما نقوله حقا على اعتبار أن اليمنيين كانوا قد زاولوا العديد من الصناعات بأشكالها وألوانها المختلفة دون أن يكون هناك تخصص في صناعة محددة واحدة وقد ساعدتهم على ذلك عوامل محلية عديدة منها : ـ

١ ـ توفر المواد الخام اللازمة لقيام صناعاتهم من المواد المعدنية والنباتية والحيوانية .

٢ ـ توفر الأيدي العاملة اللازمة لقيام هذه الصناعات على اعتبار أن مزاولي الحرف ـ الصناعية هم من نفس الفئات الإجتماعية التي كانت تقوم بالاعمال الزراعية أي من طبقة العبيد والرقيق والفئات المستضعفة إلى حد كبير في مصانع الأثرياء والطبقة الحاكمة بشكل عام (٣) .

٣ ـ توفر الاسواق اللازمة لتصريف المنتوجات في الداخل والخارج وجني الارباح المغرية وعلى هذا الاساس قامت عند اليمنيين القدماء صناعات متنوعة ، نسيجية ومعدنية ونباتية وحيوانية .

وحول صناعة النسيج عند اليمنيين ذكرت مصادر عديدة ازدهار هذه الصناعة عندهم وتنوعها كصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية والكتانية وغيرها

---

(١) ـ ابن منظور : اللسان ، ج ٧ ، ص٤٤٦

(٢) ـ فيليب حتي : تاريخ العرب ، ص ٨٣ وطبعة ١٥ دار غندور ، ١٩٧٤ م .

(٣) ـ يذكر جواد علي في المفصل ، : ((ان النقوش اليمنية القديمة المكتشفة تظهر ان ملوك اليمن كانوا قد أسسوا دوراً للنسيج ... تأتي بالمال إليهم من جملة الموارد الاخرى)) . المفصل ، ج ٥ ، ص٢٦١ ، ط . الثانية بغداد ١٩٧٨ م .

والأمر الملاحظ هنا ، أن كل مدينة من مدن اليمن أو منطقة من مناطقها اشتهرت بصناعة منسوجات معينة ، كما تسمت بعض الملابس اليمنية باسم مكان صنعها أو القبيلة التي صنعتها. فمنطقة حمير ، ازدهرت بها صناعة النسيج في عدة مناطق وأشهر ما عرفت به الثياب ، وأهمها البرود اليمانية ، وقد سميت العديد من الملابس باسم القبائل والمدن التي تمت صناعتها بها أو على أيدي افراد قبيلتها من حمير مثل العمائم والبرود المدنية [1] ، والبز الصدماني [2] ، والثياب الشرعبية [3] ـ نسبة الى قبيلة شرعب الحميرية ـ والسحولية [4] والمعافرية [5] ، والجيشانية [6] ، والحضرمية [7] ، والجندية [8] ، والسعيدية [9] .

كما اشتهرت نجران بزراعة وصناعة الأنسجة الحريرية وبشكل خاص البرود النجرانية حيث كان انتاجها واسعاً من هذا الصنف بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح أهل نجران على ألفي حُلّة تدفع على مرحلتين [10] .

كما اشتهر اليمنيون في الحيرة بصناعة نسج الحرير الى جانب صناعة الكتان والصوف [11] والزرابي ـ اي صناعة السجاد [12] .

وقد أيدت الكتابات اليمنية القديمة المكتشفة قيام هذه الصناعات في بلاد العرب الجنوبية ففي نقش صرواح العظيم الذي اكتشفه المستشرق إدوار غلازر الذي يعود تاريخه الى أقدم عصور الدولة السبئية ورد بعض أخبار انتصار أحد ملوك سبأ على أعدائه من أهل (كحد سوطم) اليمنية إثر نشوب معركة حربية بينهما حيث أسفرت عن انتصار الملك السبئي ثم أخذ يعدد غنائمه من المال والأسرى فذكر أنه أسر من أعدائه من جملة ما اسر (٢٠٠٠) ألفي حائك [13] فإذا كان هذا الرقم صحيحاً تظهر لنا بشكل جلي تلك النسبة الكبيرة من اليمنيين الذين كانوا

---

(١) ـ البكري (ابوعبيد الله) : معجم ما استعجم ، ص٨٤٨ سيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، ص١٢٠ ، ط ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٧٠ م
(٢) ـ الحديثي (نزار) : مرجع سابق ، ص٥٥ .
(٣) ـ ابن دريد : الاشتقاق ، ص٣٧١ ، ياقوت الحموي : المعجم ، ج ٣ ص٢٧٥ .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص٤٠ ، ٦٧ ابن سيده : المخصص ج٤ ص٧٣ مصر ١٣١٩هـ ابن دريد : مصدر سابق ، ص٥٣٥ ط الاوفست بالاوفست بغداد بدون تاريخ .
(٥) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٢ ص١٠٨ ، دار المعارف مصر ١٩٦١ م ابن دريد : مصدر سابق ص٣٨٠ .
(٦) ـ البكري : مصدر سابق ، ص٤١٠ .
(٧) ـ الاهدل : الدر المكنون في اخبار اليمن الميمون ، ص٥٢ ، ط ، اولى مصر بدون تاريخ
(٨) ـ الزمخشري : الازمنة والامكنة ، ج ٢ ص١٦٤ ، حيدر اباد الدكن ١٣٣٢ هـ ، طبعة اولى .
(٩) ـ الحديثي : مرجع سابق ، ص٥٥ .
(١٠) ـ الحيدر ابادي : الوثائق السياسية للعهد النبوي ، ص١١١ ط ، ثانية القاهرة ١٩٥٦م
(١١) ـ واضح الصمد : الصناعات والحرف ، ص٣٨ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بدون تاريخ .

يزاولون هذه المهنة .

ولم تكن الصناعات المعدنية والتعدين عند اليمنيين القدماء أقل شأناً من الصناعة النسيجية بل كانت على درجة عالية من الأهمية نظراً لتوفر العديد من الخامات المعدنية في مناطق مختلفة من أرضهم ، وأهم هذه الخامات معدن الذهب ، حيث وصف (تيديور الصقلي) ذهب مناجم بلاد العرب ، بأنه ذهب خالص للغاية لا يحتاج إلى صهر (١) وليس أدل على وفرة ذهب اليمن مما قاله الملك الحميري سيف بن ذي يزن لكسرى عندما نثر دراهمه على خدم القصر قائلا : ((ما أصنع بالمال وتراب أرضي من ذهب وفضة (٢))) .

ومن معادن اليمن ايضا الرصاص والفضة والحديد (٣) . أما الأحجار الكريمة ، فمنها العقيق الذي يكثر في جبل شبام وفي مخاليف صنعاء (٤) ، ومن خامات الأحجار الكريمة أيضا معدن (الجزع) ـ نوع من العقيق ـ وأجوده الذي يعرف (بالجزع البقراني) ـ نسبة الى منطقة بقران اليمنية ـ ومن النوع المعرّق منه تصنع الأواني (٥) .

ويعد العنبر مصدراً هاماً من مصادر ثروة اليمن في العصور القديمة ويكثر وجوده في سواحل عدن وما يليها (٦) ، كما ويستخرج اللؤلؤ من منطقة عدن وعمان (٧) .

لقد دفعت حاجة الإنسان إلى المعادن لاستخراجها واستخدامها في أموره الحياتية المتنوعة بعد استخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا الى خلطها بمعادن اخرى لإيجاد أنواع جديدة منها كمعدن البرونز . وقد أيد القرآن الكريم قيام هذه الصناعات حيث جاء في قوله تعالى : ((ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع)) (٨)

ويبدو ان اليمن القديمة كانت في مقدمة أجزاء جزيرة العرب في الصناعة ولا نكاد نجد في جزيرة العرب مكانا يسبقها فيها . وإذا ما تفحصنا هجاء الشاعر الجاهلي أمية بن خلف لحسان ابن ثابت في البيتين التاليين واللذين وردا فيما يخص وهما :

---

(١) ـ نقلا عن فيليب حتي ، تاريخ العرب ، ص ٥٧ . القاهرة ١٩٥٣ م .

(٢) ـ وهب بن منبه : التيجان ، ص ٣٠٤ . حيدر اباد الدكن ١٣٤٧ هـ ابن هشام السيرة ج ١ ، ص ٦٣ . القاهرة ، ١٩٥٥ م .

(٣) ـ ابن رسته : الاعلاق ، ص ٩٧ . الالوسي : مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٤) ـ ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٤٤ . بيروت ١٩٦٣ م

(٥) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ٨ ص ٣٠ برنستن ١٩٤٠ ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ٣٦ بيدن ١٨٨٥ م .

(٦) ـ المقدسي : مصدر سابق ، ص ١٠٢ ابن الفقيه الهمداني : مرجع سابق ص ٣٢

(٧) ـ ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٥٢ .

(٨) ـ القرآن الكريم ، سورة الرعد ، الآية ١٧ .

أليس أبوك فينا كان قينا ... لدى القينات ، فسلاً في الحفاظ ؟
يمانياً يظل يشد كيراً ... وينفخ دائباً لهب الشواظ (١)

من شعر أمية هذا نستنتج أنه يعير حساناً بوالده الحداد ، وربما لا يقصد والده بالذات وإنما يريد آباءه وأجداده اليمنيين ، إذ المعروف أن حسان بن ثابت من بني النجار ، ثم من الخزرج ، وينتهي نسبه الى قحطان ، فهو إذن من أصل يمني (٢) . وربما لم يكن أحد من أهل حسان حداداً ، فعندها يكون المقصود أهل اليمن وفي هذه الحالة يمكننا الاستنتاج بأن صنعة الحدادة كانت منتشرة عند اليمنيين القدماء ، خاصة وهو يقول في مطلع البيت (يمانيا) ويقصد نسبة الى اليمن . هذا مع العلم ان (فريعة) أم حسان كانت امرأة من القين وإليها كانوا ينسبون (٣) .

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت اليمن في مقدمة المناطق العربية القديمة في صناعة السيوف وكان لسيوف (بيحان) شهرة خاصة لدقة صياغتها وجودة حديدها (٤) . وقد اشتهرت السيوف اليمانية في الجاهلية ، وبقيت شهرتها خالدة في الإسلام ، ومن هذه السيوف سيف عرف بـ (الصمصامة) وهو سيف عمر بن معد يكرب الزبيدي (٥) . وسيف عرف بـ (ذي الفقار) ارتبط اسمه باسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه استولى عليه في معركة بدر أخذه من العاص بن منبه (٦) ، الذي قيل إنه كان واحداً من السيوف السبعة التي أهدتها بلقيس ملكة سبأ الى سليمان (٧) .

إلى جانب ذلك اشتهر اليمنيون بصناعة الرماح وتهذيبها وعرف العديد من أسمائها في مختلف بلاد العرب كالرماح (الردينية) (٨) واليزنية (٩) . كما صنعوا الدروع المعدنية بأنواعها كالدروع (السلوقية) (١٠) و(التبعية) والـ (اليلب) (١١) .

---

(١) ـ ياقوت الحموي : المعجم ، مادة (يمن) ، ص٤٤٧ ، دار صادر .
(٢) ـ ديوان حسان بن ثابت الانصاري : ص٥ طبع دار صادر بيروت بدون تاريخ .
(٣) ـ الأصفهاني (أبو الفرج) : الأغاني : ج ٤ ص١٣٤ مؤسسة جمال للطباعة بيروت بدون تاريخ .
(٤) ـ جواد علي : المفصل ، ج ٧ ص٥٥٦
(٥) ـ الهمداني : الأكليل ، ج ١٠ ص٢٤٨ القاهرة ١٣٦٨ هـ
(٦) ـ جواد علي : المفصل ، ج ٥ ص ٤٢٣ .
(٧) ـ الزبيدي : تاج العروس ، ج٣ ص٤٧٤ . جواد علي مرجع سابق ، الحاشية ج ٥ ص ٤٢٣
(٨) ـ الهمداني : الأكليل ، ج ١٠ ص١٦ ٣ ديوان عنترة ، ص٣٥ دار صادر بدون تاريخ
(٩) ـ الهمداني : الأكليل ، ج ٢ ص٢٥٤ المفضليات : ص٤٢٨ . ط ختمسة ، مصر ١٩٧٦م
(١٠) ـ ابن رشيق : العمدة ، ج ٢ ص ٢٣٠ .
(١١) ـ المفضليات : ص٩٨ . الانباري : شرح القصائد السبع ، ص٤١٤ . عمرو بن كلثوم

ومن المثبت تاريخياً أنه لم يكن عبد الملك بن مروان أول عربي صك النقود العربية بل سبقه إلى ذلك العرب اليمنيون منذ قرون قديمة تعود الى ما قبل الميلاد وصفت تلك النقود ، بأنه كان على احد وجهيها صورة جانبية لملك يمني متوج ... وعلى الوجه الاخر صورة بومة . والبومة شعار لمدينة آثينة اليونانية ومعنى هذا يدل على ان اليمنيين توخوا في صك نقودهم قواعد أثينية[1] . وقد صك اليمنيون نقودهم هذه من الذهب والفضة والنحاس وقد عثر المنقبون في المواقع القديمة من اليمن على كل نوع من هذه الانواع[2] .

ومن الصناعات الهامة التي أجاد اليمنيون القدماء بصنعها صناعة الجلود ودباغتها ويبدو ان الطلب كان كثيراً على الصناعات الجلدية اليمنية الى درجة دفع اليمنيين الى استيراد الجلود من شرق إفريقية بالإضافة الى ما ينتجونه هم من بلادهم لتغطية حاجة أسواقهم[3] .

ويبدو أن اليمنيين استخدموا صناعة الجلود لأغراض عديدة كصناعة الأحذية والسياط وأدم الكتابة . وما يخدم الأغراض الحربية كواق للجسم من ضربات السيوف ومن تساقط السهام عليه بالإضافة إلى صنع الخوذ والتروس كما استخدمت الجلود في صناعة سروج الخيل ولجامها ورسنها .كما استخدموا فراء مختلف الحيوانات في الايام الباردة[4] .

وقبل أن ننهي بحث الصناعة اليمنية لا بد لنا من الإشارة الى بعض الصناعات المتفرقة التي مارسها اليمنيون الى جانب ما قدمنا ، وأبرز ما يمكن ذكره هو حرفة النجارة .

لقد عمل اليمنيون بحرفة النجارة بما يخدم أغراضهم المتعددة إبتداء من متطلبات ادوات الطعام[5] مروراً ببناء القوارب للصيد والتجارة[6] وانتهاء ببناء المساكن[7] ، ومما يثبت صحة هذا الأمر أن علماء الآثار تمكنوا من اكتشاف ألواح خشبية ونوافذ ومواد خشبية أخرى في اليمن وحضرموت تعود الى عهد الممالك اليمنية القديمة منقوشة نقشاً بديعاً ومحفورة حفراً يدل

---

(1) ــ فيليب حتى : مرجع سابق : ص ٩٢ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١٢١ . ط ٣ ١٩٧٩ م .

(2) ــ جواد علي : المفصل ، ج ٧ ص ٤٨٧ .

(3) ــ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩ ، ٣٦٣ دار اليمامة ١٩٧٤ م .

(4) ــ المصدر السابق نفسه ، ص ٣٥٢ . جواد علي : المفصل ، ج ٧ ص ٥٨٩ وما بعدها .

(5) ــ واضح الصمد : مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(6) ــ جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٧٨ . دار الهلال .

(7) ــ جواد علي : المفصل ، ج ٧ ص ٥٤٩ . نقلا عن تاج العروس للزبيدي ، ج ٤ ص ٣٢١ .

على تمكن النجار من مهنته وحسن استخدامه لأدوات النجارة في صنع النفائس والطرائف من الخشب(١).

وإلى جانب ذلك ، فقد عرف اليمنيون القدماء معدن الكبريت فاستخرجوه من مصدره الرئيسي في ارضهم من موقع (ذمار) ومنه يجلب إلى سائر اعمال اليمن(٢).

أما ما يتعلق بالملح فقد ذكر الهمداني أسماء مواضع عديدة وجدت فيها معادن الملح وقد أشير في كتابات المسند إلى الملح والى الاتجار به والى وجود كيالين كانوا يكيلونه ويرسلونه إلى الأسواق لبيعه فيها (٣).

كما ركب اليمنيون الدواء من بعض النباتات الطبيعية واستخدموه في الاستطبابات المتنوعة كما يذكر الاخباريون (٤) القدماء .

ونحن في ختام هذا البحث لو حاولنا أن نلخص كل ما سبق من خيرات اليمن في تاريخها القديم لم نجد وصفاً أنجع وأشمل مما جاء به المقدسي بقوله : ... واليمن معدن العمائم والعقيق ، والأدم ، والرقيق ، فإلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم ، والساج ، والساسم ، والعاج واللؤلؤ ، والديباج ، والجزع ، والياقوت والأبنوس ، والنارجيل ، والقند ، والاسكندروس ، والصبر ، والحديد ، والرصاص ، والخيزران والغضار ، والصندل ، والبلور ، والفلفل ، وغير ذلك . وتزيد عدن بالعنبر ، والشروب ، والدرق والحبش ، والخدم (٥).

وفي مكان آخر يقول : ((ومن خصائص نواحي هذا الاقليم - أي اليمن - أديم زبيد ونيليها الذي لا نظير له كأنه لازورد ، وشروب عدن تفضل على القصب ، وسد المهجرة يسمى ليفاً ، وبرود سحولاً والجريب ، وأنطاع صعده وركاءها ، وسعيدى صنعاء وعقيقها ، وقفاع (عثر) ، وأقداح (حلى) ... وكندر مهرة وحيتانها وورس عدن ومحين عمان ...))(٦)

فإذا كان هذا وضع اليمن من الناحية الإجتماعية والإقتصادية فكيف يمكن تصور وضعها

---

(١) - جواد علي : مرجع سابق ج ٧ ص ٥٤٥ .
(٢) - المرجع السابق نفسه ، ج ٧ ص ٥٧١ .
(٣) - الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٣ ، ٨٧ ، ١٠٢ . ط . السعادة ، مصر .
(٤) - المقدسي : مصدر سابق ، ص ٩٨ . الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٣١٨ .
(٥) - المقدسي : مصدر سابق ، ص ٩٧
(٦) - المصدر السابق نفسه .

السياسي عبر تاريخها القديم من خلال الممالك التي نشأت على ارضها والتي كتب تاريخهـــا في جبين الحضارات العالمية التي كانت سائدة في تلك الفترة .

وحول هذا الجانب نجد اختلافات واضحة بين المصادر العربية في أولوية نشوء الممالك اليمنية . وقد عانى من جراء ذلك مؤرخونا القدامى حيث يذكر بعضهم أثناء كتابة تاريخ التبابعة فيقول : (وبالجملة فأخبار التبابعة غير مضبوطة وامورهـا غير محققة (١)) .

غير ان الحقيقة الثابتة في هذا المجال هي أن النظام السياسي - أي الدولة - في اليمن قديم قدم الحضارة اليمنية نفسها وانه جاء نتيجة تطور المجتمع من الناحية الاقتصاديـــة الاجتماعيـة عبر قرون ما قبل التاريخ وبعده .

وقد اتفقت معظم المصادر على ان مملكة معين هي أولى الممالك اليمنية القديمة نشوءاً حيث ســت عام ١٣٠٠ - ٦٣٠ قبل الميلاد (٢) . غير أن اخبار هذه المملكة في المصادر العربية قليلة جداً (٣) . وبقيت حضارتهم غير معروفـة حتى بدأ المستشرقون الأوروبيون وغيرهم بالتنقيب عن آثار ممالك اليمن القديمة وقد عثر عدد منهم على نقوش وكتابات معينة أفادت إفادة كبيرة في التعرف على أكثر جوانب تاريخ هذه المملكة (٤) . من حيث الملوك الذين حكموها وأوجه نشاطاتهم المختلفة كاشتغالهم بالزراعة والتجارة وسيطرتهم على طرقها البرية الممتدة بين شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبها ، ثم امتداد نفوذهم السياسي من اليمن حتى شمال الحجاز وبالتالي دخول مناطق عديدة تحت نفوذهم كمنطقة (معان) و(ديدن) (العلا الحالية) في فلك دولتهم (٥) .

وقد أدى توسع المعينيين في الشمال الى احتكاكهم بدول بلاد الشام كآشور وفينيقية ومصر القديمة ، ويذكر ان حكام آشور بسورية كانوا يتفاوضون مع زعماء جالياتهم الموجودة هناك على خطوط التجارة على أنهم يمثلون ملوك الدولة المعينية (٦) .

وكما خضع المعينيون لملوك العرب الجنوبيين ، كذلك اعترف سكان آدوم الذين كانوا يسكنون

---

(١) - ابن خلدون : المقدمة ص ٩ القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٤ ، ٤٨٠

(٢) - ديتلف نلسن : تاريخ العرب القديم ، ص ٦٥ . عبد الله باوزير : مرجع سابق ، ص ٤ .

(٣) - الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٣ ط . القاهرة ١٩٥٣ م . الاكليل : ج ٨ ص ١٠٥ ط . برنستين ١٩٤٠ م . ياقوت الحموي : المعجم : ج ٥ ، مادة (معين) ص ١٦٠ ط . بيروت ١٩٥٥ م .

(٤) - جرجي زيدان : مرجع سابق ، ص ٣٠ ، ١٢٠ ديتلف نلسن : مرجع سابق ، ص ١٢ - ١٧ .

(٥) - الويس موسل : شمال الحجاز ، ص ١ - ٢ ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني طبعة الاسكندرية ١٩٥٢ م .

(٦) - نفس المرجع السابق : ص ٢ .

(سمير) بسيادة المعينيين عليهم .

. هذا وقد تم اكتشاف عدد من النقوش المعينية التي يعود تاريخها الى القرن الثاني قبل الميلاد في كل من موقع الجيزة بمصر وجزيرة ديلوس اليونانية وموقع الوركاء في العراق[1] تدل على الصلات القوية التي كانت تربط مصر واليونان وبلاد الرافدين بالدولة المعينية[2] .

وقد تمكن المعينيون من إخضاع جميع القبائل اليمنية تحت نفوذهم إلى أن بدأ الضعف يدب في دولتهم حيث استغل هذا الضعف السبئيون الذين كانوا يجاورنهم ، فأخذوا يوسعون منطقة نفوذهم على حساب دولة معين حتى تمكنوا آخر الأمر من القضاء عليها وإقامة دولتهم على أنقاضها ثم ورثوا جوانب حضارتها المختلفة . ولم يصل القرن الأول قبل الميلاد حتى أصبح السبئيون أعظم وسطاء التجارة بين الحبشة والهند وبين بلاد الشام ومصر ثم اتخذوا (صرواح) عاصمة لهم لفترة من الزمن ثم انتقلوا منها الى مدينة (مأرب) .

ولم يقتصر عمل السبئيين على التجارة فحسب ، بل عملوا في الزراعة وبرعوا بها واشادوا واتخذوا منها القناطر والسدود والأقنية وغيرها .

كما كان ولوعهم بالبحر شديداً فقد ركبوه وانطلقوا من خلاله الى الموانئ الساحلية كــي يصدروا ما يفيض من منتوجاتهم ويستوردوا ما يلزمهم لمتطلباتهم وما يمكن بيعه في الأســواق الخارجية ، وقد رافق هذا النشاط التجاري نشاط وتوسع في النفوذ السياسي السبئي امتد من اليمن جنوباً إلى نجد والحجاز شمالاً . كما تحكم السبئيون بطرق التجارة الدولية التي تربط جنوب شبه الجزيرة العربية بسورية ومصر . وكانت حكومة سبأ تبعث حكاماً يقيمون في الواحات الشمالية التي تقع على هذه الطرق التجارية إلى جانب حاميات عسكرية بغية بقاء هذه المواقع تحت دائرة نفوذهم . وكانت واحة (ديدن) ــ العلا ــ الشمالية منطلق سبأ الرئيسي فــي ممارســة نفوذها على شمال بلاد العرب[3] .

وقد عثر المنقبون على العديد من الكتابات والنقوش اليمنيــة القديمة التي تعود إلى عصر قيام الدولة السبئية تعرف الباحثون من خلالها أن مملكة سبأ مرت في تاريخها الغابر بعصر حكمين سيزين . العصر الأول الذي عرف بعصر (المكارب) ــ مفردها مكرب ــ أي المقرب من الآلهة ــ

---

(١) ــ Philby The back ground of Islam, P.42- P. 1947.

(٢) ــ جواد علي : مرجع سابق ، ج ١ ص ٣٨٥ ــ ٣٩٧ ط . المجمع العلمي العراقي ١٩٥٠، ١٩٥٥ .

(٣) ــ فيليب حتي : مرجع سابق ج ١ ص ٦٠ .

حيث كان للحاكم في هذه الفترة مهام مزدوجة دينية ودنيوية . امتدت هذا العصر ما بين ٨٠٠ ـ ٦٥٠ قبل الميلاد[١] .

اما العصر الثاني فهو العصر الذى تخلى فيه حكام سبأ عن لقبهم الديني (مكرب) ، واقتصارهم على لقب دنيوى هو (ملك) سبأ ، وقد استمرت هذه المرحلة حتى سنة ١١٥ ق.م[٢]

وتذكر النقوش المكتشفة أن مؤسس دولة سبأ هو (المكرب سمه علي) التي تصفه النقوش أنه كان يقدم البخور باسم للاله (المقه)[٣] .

غير أن أبرز ما يميز حكم المكارب السبئيين هو اعتناءهم الواسع بالزراعة والنماء بما تتطلبه هذه الناحية منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد وقد تمثل هذا ببنائهم السدود المائية التي كان ابرزها (سد مأرب) الشهير اثر الاعمال العمرانية في التاريخ السبئي بل واليمني كله .

وكان لسد مارب اعظم الاثر في تحويل مارب (البلدة الطيبة في القران الكريم) الى جنتين عن يمين السد وشماله .

ويبدو أن عهد (المكربين) لم يكن كله سلاما وعمرانا وإنما قامت خلاله حروب ، وأكبر الحروب التي أشارت إليها النقوش تلك التي خاضها (كرب إيل وتر) ضد بقايا الدولة المعينية التي تمكن من القضاء عليها نهائياً ، كما انتصر على (القتبانيين) الذين كانوا يسكنون في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد اليمن وقد سجل (كرب إيل وتر) هذه الانتصارات على جدران معبد صرواح ، ويبدو أن هذا الحاكم ضاق ذرعا بلقبه الديني (مكرب) فتحرر منه وتلقب بلقب مدني بدلا منه هو (ملك سبأ) ، حيث يعد أول حاكم سبئي يلقب بهذا اللقب الذى يبدأ مع هذا التغيير عصر جديد لسبأ هو عصر الملوك[٤] .

وفي مجمل القول : يمكن ان يقال عن تاريخ اليمن في عصر الدولة السبئية بأنه عصر امتاز

---

(١) ـ احمد فخرى : الاكتشافات الاثرية في اليمن ، ص ٢٥٥ ـ ٢٦٥ ـ القاهرة (١٩٦١ م
صالح احمد العلي : محاضرات في تاريخ ج ١ ص ١٩ . جرجي زيدان
مرجع سابق ، ص ١٢٨ . محمد عبد القادر بافقيه : مرجع سابق ، ص
٦٢ وما بعدها .
(٢) ـ محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ص ٨٨ وما بعدها .
(٣) ـ احمد فخرى : الاكتشافات الاثرية في اليمن ، ص ٢٥٥ ـ ٢٦٥ .
(٤) ـ محمد عبد القادر بافقيه : مرجع سابق ، ص ٦٥ .

بنشاطه الملحوظ في مجال الزراعة والتجارة بنوعيها البرية والبحرية والتي كان لهذه الأخيرة ميزة خاصة عند بعض المؤرخين المحدثين الذين وصفوا السبئيين بـ (فينيقي البحر الجنوبي) (١) .

غير أن عظمة سبأ السياسية بدأت تنزل من عليائها منذ سنة ٥٠٠ ق.م فما بعدها وسبب ذلك كما يذكر المؤرخون يعود إلى ظهور قبائل عربية يمنية قوية الى جانبها تمكنت من شغل دور خطير في سياسة بلاد العرب الجنوبية من بينها قبيلة (همدان) التي تمكنت من اغتصاب العرش من ملوك سبا (٢) .

ثم ازداد مركز ملوك سبأ سوءاً بعد أن عمل البطالمة في مصر على احتكار التجارة الشرقية، وزاد الأمر سوءاً المتاعب التي أثارها الهمدانيون والقبائل الأخرى الطامعة بالعرش منذ عام ٢٠٠ ق.م ، حيث نتج عنها اضطرابات عنيفة وثورات داخلية أضرت ضرراً بليغاً بالوضع الاقتصادي والسياسي لمملكة سبأ ومكنت الدول الأجنبية من التدخل في شؤونها الداخلية ، ثم فقد السبئيين سيطرتهم على البحر الأحمر وسواحل إفريقية بعد أن انتقلت التجارة البحرية من أيديهم إلى اليونان والرومان (٣) .

غير أن الصراعات التي حدثت في اواخر عصر ملوك سبأ حول العرش كان لها أعظم الأثر في تخريب الدولة السبئية وتدميرها . ففي غمرة هذا النزاع استغل الريدانيون والحميريون هذا الوضع وتمكنوا من السيطرة على عرش سبأ وأسسوا أسرة حاكمة جديدة لقب ملوكها بلقب (ملوك سبأ وذي ريدان) وهم الحميريون الذين حكموا اليمن ما بين ١١٥ ـ ٥٢٥ م (٤) .

اتفق المؤرخون على أن عصر (ملوك سبا وذي ريدان) والعصر التالي له المعروف بعصر (ملوك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت)) هما العصران اللذان برز فيهما الحميريون على مسرح الأحداث في بلاد العرب الجنوبية ، ولذلك اصطلحوا على تسمية هذين العصرين بعصري الدولتين الحميرية الاولى والثانية (٥) .

---

(١) ـ فيليب حتي : مرجع سابق ، ص ٦٠
(٢) ـ السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، ص ١٦٦ ، الاسكندرية ١٩٦٨م
(٣) ـ نبيه عاقل : مرجع سابق ، ص ٩١
(٤) ـ محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٩٢ .
(٥) ـ نبيه عاقل : مرجع سابق ، ص ٩١ ، ٩٤ .

ومن جهة اخرى يذكر الهمداني في كتابه (الاكليل)[1] ، أن مؤسس الدولة الحميرية الأولى هو الملك ((الشرح يحضب)) الذى ينسب إليه الاخباريون بناء قصر غمدان الكبير أشهر قصور اليمن فخامة واتقاناً[2] . الذى ظل بناؤه قائماً حتى بعد ظهور الاسلام حيث هدم في اثناء الحروب التي جرت في اليمن في صدر الإسلام كما يقول فيليب حتي[3] .

ولعل أبرز الأحداث السياسية التي ظهرت في اليمن خلال حكم الدولة الحميرية الأولى هي محاولة الدولة الرومانية السيطرة المباشرة بالقوة العسكرية على اليمن وذلك في عام ٢٤ ق . م للسيطرة على الطرق التجارية التي كان الحميريون يحتكرونها في عصر ملوك سبأ وذي ريدان ثم وضع يدهم على ثروات اليمن العديدة[4] .

غير أن هذه الحملة لم تحقق ما طمع الى تحققه الرومان وعادت أدراجها خائبة بعد أن ألحق بها أضراراً بالغة[5] ، ويبدو أن اخفاق هذه الحملة كان سبباً قوياً في تحول سياسة الرومان تجاه اليمن من سياسة الغزو العسكري المباشر إلى سياسة السيطرة غير المباشرة بواسطة الحبشة ثم السيطرة الاقتصادية وذلك بوضع يدهم على التجارة البحرية عن طريق تحسين علاقاتهم السياسية بالدول العربية والامارات في الجنوب العربي . ويؤكد ذلك ما ذكره صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيرى) أن الرومان عقدوا حلفاً مع ملك الحميريين الذي كان يملك مناطق واسعة في سواحل بلاد العرب الجنوبية على البحر الاحمر وعلى ساحل المحيط الهندي حتى حضرموت كما كان يملك عزانيا في افريقية[6] .

ويبدو أن خطة الرومان بالسيطرة على الطرق التجارية اليمنية قد نجحت وخاصة البحرية منها مما انعكس هذا بشكل سلبي على أوضاع التجارة اليمنية على اعتبار أن البضائع القادمة من بلاد الهند والصين لم تعد تنزل في الموانئ اليمنية ومنها عبر الخطوط البرية بل أصبحت تنزل في الموانىء الرومانية مما سبب ضعفاً كبيراً بالتجارة اليمنية وبالتالي اهمال خطوطها[7]

---

(١) ــ الهمداني : الاكليل ج ٨ ص ١٩ برنستن ١٩٤٠ م .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه مع الصفحة .
(٣) ــ فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ، ج ١ ص ٧٥ ط بيروت ١٩٤٩ م .
(٤) ــ فيليب حتي : تاريخ العرب ، ص ٥٦ ، جواد علي : مرجع سابق ، ج ٢ ص ٣٨٤
(٥) ــ جواد علي : ج ٢ ص ٣٨٦ . فيليب حتي : ص ٥٦ .
(٦) ــ = = : ج ٣ ، ص ١٢٨ .
(٧) ــ نبيه عاقل : مرجع سابق ص ٩٤ .

ومن ثم بدأت قوة العرب الجنوبيين تنزل من عليائها بسبب قلة الواردات التي كانت تأتي اليمن من خلال هذه الخطوط التجارية المتعددة الذي أشار اليها القرآن الكريم في سورة سبأ في قوله تعالى : ((وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)) .

اذا كان هذا حال وضع اليمن خلال حكم الدولة الحميرية الأولى ، فكيف يمكن تصور وضعهم خلال حكمهم في الدور الثاني ؟ .

تؤكد معظم المصادر التاريخية التي عدنا اليها الى بدء عصر الدولة الحميرية الثانية عام (٣٠٠ ب.م) وحتى عام (٥٢٥) م .

وتشير مؤلفات الإخباريين بشكل جلي أن اليمن مر خلال هذه الفترة من تأريخها باحداث تاريخية مميزة .

خلال المرحلة الأولى من ظهور هذه الدولة برز على عرشها ملوك أقوياء حاولوا تجاوز أسباب ضعف دولتهم في طورها الأول وكان أبرز هؤلاء الملوك شمبرة الملك (شمر يهرعش) الذي شن حربا لا هوادة فيها ضد أعدائه المحليين من القبائل الذين كانوا ينازعونه السلطة ، و استطاع أن يمد نفوذه إلى اجزاء واسعة من أرض اليمن . وقد تجلى انتشار نفوذه من خلال اللقب الملكي الذي تلقب به . فيذكر أنه في حوالي عام (٢٩٠) م ، أصبح يلقب بـ (ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت)(١) .

ولم يكتف بهذا الإنتصار المحلي بل تحدث عنه الإخباريون بمبالغة واضحة ونسبوا إليه فتح بلاد الهند والسند والصين وفارس والشام ومصر (٢) .

واذا ما تفحصنا أخباره القتالية الحقيقية فإننا نجدها لا تتجاوز تغلبه على القبائل التهامية التي كانت تسكن على ساحل البحر الاحمر ، ولعل هذه الانتصارات القلية التي أحرزها (شمر يهرعش) في عصر ظهور الأحباش وتطلعهم إلى التوسع في بلاد العرب الجنوبية كانت سببا رئيسيا عند الإخباريين في تعظيم أعماله ونسبة الأعمال الخارقة له .

ومن المعروف تاريخيا أن اليمن تعرضت الى الغزو الحبشي أكثر من مرة وذلك من خلال تصارع القوى الخارجية المحيطة بها التي لم تؤت أكلها الا في الدور الحميري الثاني من حكم اليمن .

لقد كان لهذا الغزو أسبابه من داخل اليمن وخارجها . ففي الداخل صراعات محتدمة

من أجل السلطة رافقها اقتصاد يمني منهار بسبب فقدهم للطرق التجارية التي كانت مصدر ثرائهم الحقيقي .

أما في الخارج فكانت دائما مطامع الدول المجاورة ليست خافية على أحد بهذه الرقعة الجغرافية الهامة ولم تترك فرصة تحتقد بها أنه بالإمكان السيطرة على اليمن إلا وجربتها ولئن النجاح لم يحالف الرومان ولم يحالف الفرس ولكنه حالف الأحباش في هذه الفترة .

ويبدو أن الاحتلال الحبشي لبلاد اليمن تم على مرحلتين أولى وثانية . أما المرحلة الأولى فقد حدثت عام (٣٤٠م) وعلى ما يظهر أنه لم يكن لها طابع السيطرة الحقيقية على اليمن من هنا وصفت بأنها كانت حملة استطلاعية .

حتى أن خبر احتلال الحبشة لليمن من جراء هذه الحملة لم يعرف إلا من كتابات عثر عليها في أكسوم تشير الى أن نجاشي الحبشة لقب بملك أكسوم وحمير وذو ريدان والحبشة وسبأ وصلح وتهامة والبجاء وكسو[1] .

وهنا لا نستطيع أن نعلل قيام هذه الحملة بدوافع دينية أي الدفاع عن النصرانية ونشرها على اعتبار ان نجاشي الحبشة لم يكن آنذاك نصرانياً بل كان يدين بالوثنية . ومن هنا يمكن حصر دوافع هذا الاحتلال بالعوامل الاقتصادية التي كانت تتحكم بها اليمن أو كرد فعل لسيطرة الحميريين على ساحل أزانيا الحبشي في القرن الأول الميلادي أو لتأديبهم بسبب جرأتهم على مهاجمة التجارة الحبشية في البحر الاحمر[1] .

وكان من نتيجة هذا الاحتلال فرار الملك الحميري وأبنائه الى يثرب[2] . لكن هذا الفرار لم يدم طويلا . إذ سرعان ما انتهز اليمنيون انشغال الأحباش بإخماد الثورات التي قامت ضدهم في مناطق إفريقية من سلطتهم . فقام الملك الحميري (ملكي كرب يهمن) بطردهم من بلاده ما بين عام (٣٧٠ ــ ٣٧٨م) .[4] .

على أن هذا التحرر السياسي لم يرافقه تحرر اقتصادي بالرغم من محاولة ملوك حمير ترميم سد مأرب مرات عديدة واستصلاح أراضيهم[5] .

---

(١) ــ جواد علي : ج ٣ ص ١٤٨ .
(٢) ــ المرجع السابق ج ٣ ص ١٤٩ .
(٣) ــ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ص ١٦٠ . ط . النجف ١٣٥٨ هـ
(٤) ــ جواد علي : ج ٣ ص ١٥٣ .
(٥) ــ محمد عبد القادر بافقيه : مرجع سابق ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

غير أن محاولاتهم كانت بدون جدوى فتهدم السد وتراجعت الزراعة وأجدبت الأرض ، مما دعا كثيراً من القبائل إلى ترك أماكنها والرحيل باتجاه أماكن أفضل خارج بلاد اليمن .

وخلال هذه الفترة اعتلى عرش اليمن عدد من الملوك الحميريين كان آخرهم الملك المشهور ذو نواس الذي حكم بين عام (٥١٠ – ٥٢٥ م) حيث شهدت اليمن في أخر عام حكم فيه (٥٢٥ م) الاحتلال الحبشي الثاني .

عاد الاحتلال الحبشي مرة أخرى الى اليمن ولكن ظروفاً جديدة رافقت هذا الاحتلال تختلف عما كان عليه الوضع أثناء دخولهم الأول . ففي هذه الفترة تبنى الملك الحبشي بتبنيه اعتنق النصرانية ديناً رسمياً له وقد حدث هذا التطور عام ٣٥٠ م أي بعد غزوهم الأول لبلاد اليمن بعشر سنوات (١) . وكان لهذا الحدث اهمية خاصة في البلاط البيزنطي حيث افقة تقارب قوى يتماشى ومصلحة الطرفين في السيطرة على اليمن وتجمع يدهم على خيراتها من هنا نجد سر اندفاع بيزنطه لدعمها الحبشة في احتلال الدولة الحميرية للمرة الثانية .

وما إن تحققت حلم الاحباش بالسيطرة على اليمن حتى بدأوا ينشرون الديانة النصرانية وفي أثناء ذلك مارسوا سياسة قاسية ضد المواطنيين المحليين مما دعا الملك الحميري ذا نواس إلى مواجهة هذه السياسة بالطريقة ذاتها ولا أدل على مقدار كرهه للاحتلال الحبشي من أنه ربط بين انتشار المسيحية في اليمن وبين ازدياد نفوذ الأحباش السياسي في بلاده لذلك عمد إلى تحويل نصارى نجران عن دينهم بالقوة وحول هذا الأمر يذكر وهب بن منبه أن ذا نواس ((احتفر أخاديد في الأرض وملأها ناراً فمن تابعه على دينه (٢) خلى عنه ومن اقام على النصرانية قذفه فيها (٣))) .

وصلت أنباء سياسة ذي نواس ضد نصارى نجران الى الإمبراطور البيزنطي فأغاظته بشكل كبير لما وجدها مناسبة عظيمة للتحالف مع الحبشة بغية السيطرة على اليمن وتحقيق مصالحهما

---

(١) – سيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٦٥ – ٦٦
(٢) – اعتقد عدد من المؤرخين ان سبب اضطهاد ذي نواس للنصرانية هو تعصبه الديني لليهودية التي اعتنقها ولكن هذا غير صحيح على اعتبار ان سبب اضطهادة للنصارى يعود لان بيزنطة والحبشة كانتا حاميتان للديانة المسيحية وانتشارها يعني ازدياد نفوذها بين الدولتين في اليمن مما لا يرضي اليمنيين . ورغم قسوة ذي نواس اليهودي على النصارى فلا يعرف عنه انه قسى على الوثنيين اليمنيين بل ظلت الوثنية قائمة في اليمن حتى ظهور الاسلام . المرجع السابق ص ٧١ .
(٣) – القرآن الكريم : سورة البروج الآية ٤ – ٥ ، وهب بن منبه : التيجان ص ٣١٠ . الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٦٢ ، طبع القاهرة ١٩٦١ م .

المشتركة التي يتطلع إلى تحقيقها الجانبان بفارغ الصبر ، من هنا نجده يوعز إلى نجاشي الحبشة بالهجوم على اليمن فجهز الاحباش حملة عسكرية بقيادة (ارياط) حيث تمكن من احتلالها بجهود لم تكن كبيرة (١) .

حاول الأحباش هذه المرة أن يتجنبوا أخطاءهم السابقة في معاملة السكان المحليين فأخذوا يعاملونهم برفق ولين رافق ذلك بعض الاصلاحات العمرانية واتصال ببعض القبائل بغية عقد تحالفات معها وقد نجحوا إلى حد ما في هذه السياسة (٢) .

ويجب أن لا نستغرب نجاح مثل هذه السياسة وظهور بعض الأسر الحميرية المتحالفة مع الاحتلال فإن ذلك أمر محتمل وقوعه في غياب السلطة المركزية حيث أتاح اولئك الذين كانوا يتطلعون إلى النفوذ ولم يكن باستطاعتهم الوصول إليه بمقدرتهم فوجدوا بالقوة الجديدة يناسب طموحهم فتحالفوا معها وصاهروهم فالصباح بن شرحبيل من (ذي أصبح) تزوج ابنة أبراهة وانجبت له ابنه أبرهة بن الصباح الذي كان متنفذا في تهامة (٣) .

غير أن هذا لا يعني أن المحتلين لم يواجهوا مقاومة من اليمنيين ، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن العديد من الأذواء واجهوا الحملة الحبشية مثل (ذي جدن (٤)) ، وأنيال ثبتا في منطقة المعبر وشدة بقيادة يزيد بن كبشة (٥) وروساء (ذي جره) و (ذي خليل) بيت محفد قرب صنعاء (٦) .

كما قاومة (ذو نفر الهمداني) ومقبل بن حبيب الخثعمي عند توجهه الى مكة (٧) .

إلا أن المقاومة القوية التي واجهها الاحتلال الحبشي في اليمن كانت مقاومة (ذي يزن) الذي ينتمي إلى أسرة حميرية عريقة لها تقاليدها في الصناعة المستدية كالرماح الحديدية التي تنسب اليها (٨) .

---

(١) ـ الطبري : تاريخ الطبري ج ٢ قسم اول ص ٩٢٧ . ط . القاهرة ١٣٥٨ هـ ليدن ، ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ م ، ط . دار القاموس الحديث بيروت بدون تاريخ .

(٢) ـ احمد شرف الدين : تاريخ اليمن الثقافي : ج ٣ ص ١٠١ ، ط . الكيلاني مصر ١٩٦٧م
محمد عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ١٦٩ .

(٣) ـ السهيلي : الروض الانف ، ج ١ ص ٢١٩ . ط . مكتبة دار العروبة مصر بدون تاريخ .
الهمداني : الاكليل ، ج ٢ ص ١٤٨ .

(٤) ـ السهيلي : مصدر سابق ج ١ ص ٢١٩

(٥) ـ محمد عبد القادر بافقيه : مرجع سابق ، ص ١٦٦

(٦) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٩٤ . ج ٨ ص ٥٢ احمد شرف الدين مرجع سابق ج ٣ ص ١٠٤

(٧) ـ الهمداني : (الاكليل ، ج ١ ص ٢٥ الاهدل : الدر المكنون ، ص ١١ طبعة اولى . مصر بدون تاريخ . مطهر بن طاهر المقدسي / البدء والتاريخ ، ج ٣ ص ١٨٦

وقد بدأ مقاومته في منطقة السحول حيث تستوطن قبيلته (١) .

ولما كانت الحملة الحبشية قد زادت من ارتباط اليمن بالصراع بين القوتين الرئيسيتين آنذاك ـ الدولة الساسانية والدولة البيزنطية ـ فقد استغل ذو يزن هذا الموقف ولجأ إلى الفرس بطلب المساعدة لطرد الأحباش من بلاده .

ومع ذلك فقد اختلفت الروايات عند الإخباريين فيمن استعان بالفرس بين سيف بن ذي يزن وغيره . لكن المرجح أن سيفاً هو الذي طلب المساعدة الفارسية لأنه في عهده تخبرنا المصادر وصول النجدة العسكرية الفارسية الى اليمن لطرد الأحباش (٢) . حيث تمكن التعاون الفارسي اليمني من تحقيق ذلك بعد معارك محدودة (٣) .

حقق سيف بن ذي يزن بمساعدة الفرس انتصاراً باهراً ضد الاحتلال الحبشي لبلاده وأصبح بعد طرد قوى الاحتلال حاكماً على اليمن مقابل جزية يدفعها للفرس وكانت خطوته التالية إعادة توحيد اليمن تحت سلطة مركزية كسابق عهدها غير أنه إصطدم ببعض منافسيه آل ذي مناخ وقبائل من حضرموت ومن الأشباء والصدف إلا أن سيفاً تمكن من التغلب عليهم في يوم غيمان (٤) .

مارس سيف بن ذي يزن ورجال إدارته سياسة قاسية على مواطنيه كي يجمع أطراف الدولة مما أزعج بعض القوى المحيطة به واتسع نطاق المعارضة ضده حتى نجحت أطراف متعددة في اغتياله .

وهنا يتساءل الباحث هل كانت قوى المعارضة الوطنية وراء هذا الاغتيال أم الأحباش الذين ألحقت بهم عملية الاغتيال انتقاماً منه لطرده لهم من بلاده . أو أن الفرس أرادوا الاستئثار بحكم اليمن بمفردها وإلحاقها بدولتهم بشكل مباشر وكان وجوده عائقاً فدبر أمر مقتله (٥) ؟ .

ربما تضافرت هذه الأمور جميعها ، والمهم في الأمر أن سيفاً قتل وعاد التفكك

---

(١) ـ نشوان الحميري : مصدر سابق ص ١٤٩ .

(٢) ـ مطهر طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ج ٣ ص ١٩٠ الهمداني : الاكليل ، ج ٢ ص ٢٥٨ .

المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٩ ، ط ، اولى : مصر ١٩٥٨ م

(٣) ـ المسعودي : مصدر سابق ج ٢ ص ٩ .

(٤) ـ الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ١١٨ .

(٥) ـ سيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٩٤ ، دار النهضة بيروت ١٩٧١ م

والانقسام إلى اليمن من جديد فقد وصف ابن قتيبة أذواء اليمن في هذه الفترة بملوك الطوائف حيث لم يحكم اليمن ملك بعد سيف ، إنما اتفق أهل كل ناحية على واحد من حمير نصبوه حاكما عليهم .(١) .

وفي هذه الفترة جاءت الحملة الفارسية الثانية الى اليمن لتضع حداً لاستقلالها وتحولها إلى إقليم تابع للدولة الساسانية يديره نائب عن الملك بمساعدة جيش من الأساورة(٢) .

انتشر الفرس في مدن عديدة من اليمن وتركزوا بشكل خاص في صنعاء وقد ساعد الفرس في تحقيق سياساتهم انقسامات سادات القبائل على أنفسهم وأصبحوا قوة أساسية من خلال وجود النجدة العسكرية التي دخلت اليمن . وبعد أن استتب الأمن أخذ هؤلاء يشجعون الهجرة الفارسية إلى اليمن فالتحق بهم بالجملة عدد كبير من الفرس انتشروا في المدن الرئيسية والمراكز الاقتصادية مثل مدينة عدن(٣) ، والجند(٤) ، ورداع وثات ، اللتين عرفتا بمدينتي الفرس في اليمن(٥) .

كما انتشروا في ذمار(٦) والبون في عفار وصبيحة وساك وبيت الفواقم وجوب(٧) ، وفي خمدة(٨) ، ونجران(٩) ، ومدن الرضراض(١٠) .

ويبدو أن الفرس حصروا نفوذهم في هذه المناطق التي سكنوها ، أما بقية الأماكن الأخرى فيظهر أنها احتفظت ببعض نفوذها السياسي كمنطقة حمير أما ما يتعلق بعلاقة الفرس مع الحميريين فإن المصادر لم تذكر شيئاً من هذا القبيل والراجح أن القبيلة الحميرية اعتمدت مبدأ

---

(١) ـ السهيلي : الروض الانف ، ج ١ ص ٢٢١ . ابن قتيبه : المعارف ص ٦٣٩ . ط . دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م .
(٢) ـ المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ١٥ .
(٣) ـ ابو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ص ٨٤ ، ط . القاهرة ١٩٣٩ م .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ ـ ٣٩٨ برلين اوفست مؤسسة النصر طهران .
(٥) ـ الهمداني : الصفه ، ص ٥٥ ، ٢٣٥ ، مطبعة السعادة بمصر ياقوت الحموي : المعجم ج ٢ ص ٧٧٢ ـ ط . لايبزيك ١٦٦٨ م .
(٦) ـ الهمداني : الصفه ، ص ٥٥ .
(٧) ـ المصدر السابق ص ٥٥ .
(٨) ـ المصدر السابق ، ص ٦٧ ، ١١٤ .
(٩) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ٢ ص ٣٦ .
(١٠) ـ الهمداني : الجوهرتين ، ص ١٤٣ ، ١٤٧ .

العزلة والإقرار بالأمر الواقع والاكتفاء بنفوذها في منطقتها لما أن الفرس لم يعترضوا على هـذا الواقع طالما أنه لم يهدد مصالحهم ، فقد أشـارت الروايات إلى وجود جاليات فارسيـة في منطقة حمير وإن كان زمن تواجدها غير مثبت بدقة . غير أن الذي يدقق في إجابة ذي الكلاع لقيس بن عبد يغوث المرادي عندما طلب منه موازرته لطرد الأبناء يلاحظ أن إجابته لا تكشـف عن مودة أو رضىً باتجاه الفرس فقد قال له : ((لسنا مما ها هنا في شيء ، أنت صاحبهم وهـم أصحابك (1))) .

والمتتبع في المصادر أخبار بقية القبائل اليمنية الأخرى فإنه يجد أن علاقتها ببعضهـا لم تكن جيدة . ففي حضرموت عادت كندة الى منازلها القديمة في أواخر القرن السادس الميلادي (2) ويبدو أنها لم تكن تحكم في حضرموت ولم تكن سوى قبيلة كبيرة وأن روساءها كانوا مجرد رؤسـاء قبائل (3) كما أن قيادتها تبدلت وانتقلت الزعامة لبني الحارث بن معاوية بدلاً من بني آكل المرار (4) .

أما القبائل البدوية فقد ظهرت قوة موثرة وكانت تضغط على اليمن من أطراف متعددة ، ومن أبرز الكتل التي شكلها الأعراب في اليمن هي الكتلة التي نشات عن تحالف القبائل المنتسبة الى (مذحج) مثل زبيد بقيادة عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، والحارث بن كعب بقيادة الحصين بن قنان بن يزيد الحارثي وبني عبد المدان بقيادة يزيد بن عبد المدان ، وخـولان بقيادة عنبسـه بن يزيد الخولاني وشهاب بن الحصين ، وكان اجتماعهم بمذاب في الجوف (5) .

اصطدمت هذه القوة بالسلطة الفارسية وخاصة في منطقة مأرب والجوف ونجران حيـث كانت معظم قبائل هذا الحلف ما تزال تحوم على التخوم الشمالية الشرقية وهي منطقة صحراويـة قليلة المياه ، فيها للفرس استثمارات في منطقـة سبأ والرضراض حيث مناجم الذهب والفضة (6) .

وقد وصلت هذه القوة القبلية الى الذروة في تهديدها للسلطة الفارسـية في زمن حكم باذان حيث كان الفرس يعانون من اضطراب الأوضاع الداخلية للدولة الساسـانية وظهـور

---

(1) ـ الطبري : ج 3 ، ص 323 . دار المعارف بمصر 1961 م .
(2) ـ الوليد ر : ملوك كندة من بني اكل المرار ص 206 .
(3) ـ المرجع السابق ، ص 207 .
(4) ـ ديوان الاعشى : قصيدة 4 ، البيت 15 .
(5) ـ الرازي : تاريخ صنعاء .
(6) ـ انظر ص ـ من الفصل ذاتـه .

تحركات معادية للفرس[1] . يضاف الى هذا أن قوة الأذواء الحميريين تطورت وازداد نفوذهم بدليل كثرة العبيد الذين كانوا يمتلكونهم وقد ذكرت الروايات أن ذا الكلاع وحده كان يملك ما بين (٤٠٠٠ ـ ١٢٫٠٠٠) عبد[2] ، كما أن سكان القرى اليمنية كانوا يعانون من كثرة الضرائب التي يدفعونها[3] ، لهذا فقد كانوا مستائين ومهيئين لإثارة المشاكل ومن المحتمل أن بعض القوى أفادت من أوضاعهم هذه ووجهتها ضد السيطرة الساسانية .

أدرك الفرس مقدار الخطر المحدق بهم بأرض اليمن لذا أخذوا يفتشون عن مخرج يقيهم مغبة هذا الوضع فبدأوا بالاتصال ببعض القبائل اليمنية بغية التحالف معها كحليف داخلي يعوض عن ضعف اتصالهم بالدولة الساسانية فكانت قبيلة همدان التي تذكر المصادر قبولها التحالف مع الفرس[4] .

ويبدو أن الظروف التي دفعت همدان للحلف غير واضحة ولعل همدان التي كانت تشكو من الانقسام والتفكك ارادت الافادة من هذا التحالف لتعزيز مكانتها وانتزاع مكاسب للقبيلة كما أن تحالف الفرس مع همدان يظهر أن الخطر الذي واجهه الفرس كان آتيا من المناطق اليمنية الشمالية[5] . مما يدل على أن تحالف (مذحج) كان يحظى بتأييد نجران التي تدين بالنصرانية وتستمد الدعم من بيزنطة ، ناهيك عن أن بعض أطراف الحلف (بني عبد المدان) كانوا متوطنين في نجران ، وقد يكون هدف الفرس من تحالفهم مع همدان إبراز قوة عربية داخلية موالية لهم بمواجهة القوى الوطنية المناوئة لهم كقوة حمير المتزايدة ، حيث إن توحيد همدان قد ينتزع من حمير من كان معها من قبائل همدان .

وقد ساد التوتر الشديد بين القبائل اليمنية المناوئة للفرس وبين قبيلة همدان المهادنة الى أن انضمت قبيلة (مراد) الى بطون مذحج حيث اشتبكت على الفور مع همدان بعد انضمامها الى الحلف المناوئ في يوم الرَّزم[6] ، التي انتصرت فيه همدان على مراد بعد

---

(١) ـ ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٩٦ . مؤسسة الخانجي مصر ١٩٥٨ م
(٢) ـ ابن حجر العسقلاني : الاصابة ، ج ٢ ص ٤٢٨ . القاهرة بدون تاريخ .
(٣) ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٣ ص ٢٢٩ . دار المعارف ١٩٦١ م
(٤) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١٤٣ .
(٥) ـ المصدر نفسه ج ١٠ ص ١٤٣ .
(٦) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٣ ص ١٣٤ ، ٣٢٦ الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٠٧ ، ١١٧ .

أن خذلتها قبيلة كندة مما دعا زعيم مراد فروة بن مسيك المرادي إلى هجر ملــــوك كندة بعد وقعة هذا اليوم[1] . ويظهر أن كندة لم تكن قادرة على مجابهة الفرس وحلفائهم اليمنييـــن من هنا ربما يفسر سر انسحابها .

أما تحالف مذحج وخولان فقد توسع وتطور وظهرت له قيادة جديدة تمثلت في عبهلة بن كعب بن عنس من مذحج وقد بقي مع عبهلة قادة الحلف السابقون وقبائله إلاّ أن مراد التي انضمت إلى الحلف لم تكن برئاســة فروة بن مسيك المرادي انما برئاسة قيس بن هبيرة الــذي يعرف أحياناً بقيس بن عبد يغوث وأحياناً قيس بن مكشوح المرادي[2] .

بالإضافة إلى ذلك فقد تطور مفهوم المعارضــة في تلك الفترة ضد الفرس وذلك بظهور تحالفات جديدة من القبائل اليمنية مع مذحج كحلف (جعفي) و (جزء) و (زبيد) و (أنس اللــه) الذي أشار له عمرو بن معد يكرب الزبيدي في شعره[3] ، ثم حلف (أود) (حكم)[4] .

وخلال هذه الفترة ظهرت تحولات جديدة قلبت معها المعايير والمفاهيم والاحداث بشكل جذري هذه التحولات تمثلت بسطوع نجم الاســلام الذي عم نوره القسم الشمالي لشبه الجزيرة وابتداء رسل ودعاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالقدوم إلى اليمن مبشرين بالدين الجديد .

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٦ ابن حجر العسقلاني : الاصابة ، ج ٥ ص ٣٦٨ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٩ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ٤٨٤ .
(٤) ـ ياقوت الحموي : المعجم ، ج ٢ ص ٣٨١ لايبزيك ، ١٩٦٨ م .

وضع اليمن عشية بدء الدعوة :

تبين لنا من خلال دراستنا لما سلف أن اليمن عاشت فترة طويلة من الصراع بين القوى الدولية المجاورة كان هدفها جميعاً السيطرة عليها والتحكم بمقدراتها .

ومن خلال البحث رأينا كيف تم الاحتلال الحبشي لليمن مع الظروف والتغيرات التي رافقت هذا الاحتلال ثم انتهائه كي تقع تحت سيطرة اجنبية اخرى (فارسية) بناء على طلب اليمنيين أنفسهم ليبدأ بعد ذلك عصر جديد من الانقسامات والاضطرابات والصراعات .

لكن ما يهمنا معرفته هنا هو رصد اوضاع اليمن التاريخية بتفاعلاتها عشية ظهور الدعوة الاسلامية .

من الملاحظ ان اليمن في هذه الفترة لم تكن كسابق عهدها تلك الدولة الثرية القوية الموحدة المتحكمة بالتجارة الدولية بل اصبحت دولة مقسمة الى مخاليف عديدة[1] عليها مقاول[2] كملوك الطوائف لا يدين بعضهم لبعض إلا ما كان من صنعاء التي كانت تحت حكم (الابناء) من الفرس[3] .

وبالطبع إن هذا الوضع لم يجلب الاستقرار السياسي بل على العكس رافقه احتدام الانقسامات والصراعات القبلية في المجتمع الى جانب ما كان عليه الوضع من الاحتلال الفارسي والتدخل البيزنطي . فقبيلة حمير التي كانت تحكم اليمن كله قبل الاحتلالين الحبشي والفارسي أصبحت بعد ذلك قبيلة ضعيفة منهكة الى حد انقسام ملكهم بين ثمانية بيوت حميرية كانت جميعها تتنازع على الملك بعد زوال حكم ملكهم سيف بن ذي يزن[4] .

ومع بدء ظهور الدعوة الاسلامية كان وضعها ممزقا الى وحدات وعشائر حمل زعماؤهم لقب الملوك حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما كتب اليهم يدعوهم الى الاسلام خاطبهم بقوله : ((الى ملوك حمير ...))[5] ، بينما كانوا في واقع الأمر لا يتعدون كونهم زعماء عشائر أو مالكين لبعض الوديان في مناطق وجودهم الجغرافية فسموا بالملوك .

---

(١) ـ المخلاف يشبه المحافظة او اللواء في الوقت الحاضر . ابن منظور : اللسان ، ج ٢ ص ١٢٣٥ . ط . دار المعارف بمصر .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ص ٣٧٧٩ .

(٣) ـ ابن قتيبه : المعارف ، ص ٦٣٩ السهيلي : الروض الانف ، ج ١ ص ٢٢١

(٤) ـ المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ، ص ٨٢ ، ابن منظور : اللسان ، ج ١ ص ٣٦٤

(٥) ـ الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ٢٩٤ .

اما ما يخص علاقة حمير بالفرس المحتلين فيبدو أنها تنوعت ما بين الرضى والتعاون والموازرة خلال المرحلة الأولى من دخولهم اليمن على اعتبار أن الفرس لم يدخلوا إلا بطلب من أحد ملوكهم فكان الفرس الحاكمون والحميريون المديرون والسائقون للخراج (١) . وبين الرافض لهم في المرحلة الثانية كما يذكر الطبري من خلال إجابة ذي الكلاع لقيس بن عبد يغوث المرادي عند ما طلب منه موازرته لطرد الابناء بقوله : (لسنا مما ها هنا في شيء ، أنت صاحبهم وهم اصحابك (٢)) .

أما قبيلة مذحج فإنها كانت تعد بحد ذاتها من القبائل اليمنية الكبيرة تفرعت منها بطون وأفخاذ كثيرة ، كان لها أثر واضح في السياسة اليمنية قبل الاسلام وعشية ظهوره وبعد انتشاره (٣) .

لكن على الرغم من ذلك يمكننا القول : إن ما أصاب قبيلة حمير من تفكك واستقلال وحداتها القبلية فيما يتعلق بالسلم والحرب أصاب بقية القبائل اليمنية كقبائل مذحج وكندة ومهرة وحضرموت وهمدان وخولان وقبائل السَّراة وتهامة وهي أهم قبائل اليمن في تلك الفترة محاولين التعرف على أوضاعهم التي سنبدأها كما أشرت بقبيلة مذحج :

فقد كان لقبائل مذحج استقلال في الرأي في مختلف المجالات مما يفسر عدم وجود سلطة مركزية للقبيلة . فمثلا كان لقبيلة (زبيد المذحجية) برئاسة سيدها عمرو بن معد يكرب الزبيدي نزاعات وغارات على قبيلة خثعم الكهلانية (٤) . كما كانت قبيلة مراد في صراع مستمر مع همدان حيث إنه في الفترة ما بين البعثة المحمدية وغزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة نشبت حوالي ست حروب بين مذحج وهمدان وكان آخرها موقعة (الرزم) التي وقعت في أيام بدر الكبرى (٥) .

وفي مجمل الأمر يمكن القول : إن مذحجاً كانت كسائر القبائل الأخرى في تلك الفترة بين قتال وتحالفات للقتال مع قبائل يمنية وغير يمنية . وقد ذكرت المصادر التاريخية مجموعة من المواقع

---

(١) ــ الجندي : (بهاء الدين محمد بن يعقوب الجندي ت ٧٣٢ هـ) كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك المعروف بتاريخ وطبقات . الجندي مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٠٤ ، ج ١ ص ١١٨ .

(٢) ــ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٣ .

(٣) ــ الاصفهاني : ابو الفرج ، الاغاني ج ١٥ ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩ . ط . اولى دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م .

(٤) ــ ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ، ج ١٥ ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩ .

(٥) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ١١ ص ١٦٧ ياقوت الحموي : المعجم ج ٣ ص ٤٢ . الطبري :

بين بطون مذحج وغيرهـا من القبائل (١) .

وما تذكره المصادر من جهة اخرى ، هو أنه إذا كانت مذحج تمثل رأس حلف معارضة الفرس من الأبناء في اليمن في تلك الآونـة ، فيد وأن هذا لم يكن بإجماع مذحجي ، حيث تشير بعض المصادر الى وجود نوع من التقارب في مدينة صنعاء بين أبرز زعيميـن من مذحج وبين (الأبناء) من الفرس هما عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح المرادي (٢) . كذلك كان لقيس موقـف التناصر بينه وبين (الأبناء) حينما ظهر الاسود العنسـي (٣) .

أما قبيلة كندة ، فقد كان لها مكانة رفيعة في تاريخ اليمن تفوق ما قامت به قبائل يمنيـة عديدة مجتمعـة كقبيلة مذحج وغيرها لكنها أصيبت بالوهن والانقسام كما كان حال اخوتهـا فقد كثر منهم الملوك مع بدء الدعوة مثل حمير وأصبح عددهم أربعة في وقت واحد (٤) .

ومن جانب آخر تشير مصادر تاريخيـة عديدة الى النزاعات المختلفة التي كانت تثيرها كندة مع جيرانها في تلك الفترة وبشكل خاص نزاعاتها مع مذحج حيث نشبت بينهم الغارات المتبادلـة الى حد أن ملك كندة قيس بن معد يكرب الكندي ــ والد الاشعث بن قيس ــ قتل في موقعة حربية مع قبيلة مراد وكان توقيت ذلك قبل البعثة بحوالي خمس سنوات (٥) . كما حاول ابن الاشعث الأخذ بثأره من مراد فوقع بالأسر وفدى نفسه بـ (٣٠٠٠) بعير (٦) .

ومن الجدير بالذكر أن كندة ــ كما يذكر اليعقوبي في تاريخه ــ كانت دائمة الحروب مـع حضرموت حتى كاد الفناء أن يعمهم (٧) .

أما قبيلة حضرموت : فإن المصادر التاريخية لم تحدد دورها السياسي في تلك الآونـة إلا أن الملاحظ من روايـة وفد حضرموت الى الرسول (ص) وعلى رأسهم وائل بن حجر الحضرمي أن الرسـول صلى اللـه عليه وسـلم في كتابـه الى حضرموت جعل وائل بن حجر رئيسـا علـى

---

(١) ــ الهمداني : قصيدة الدامغة وشرحها تحقيق محمد الاكوع ، ص ١٧٣ ، ٢٥٨ . القاهرة ١٩٧٨ م
ياقوت الحموي : المعجم ، ج ٤ ص ٤٧٣ ، ٢٨٥ ابو الفرج : الاغاني ، ج ١٠ ص ١٧ ، ١٩ ، ج ١٤ ص ٣١٥
(٢) ــ ابو الفرج (الاصفهاني) : الاغاني ، ج ١٥ ، ص ٢١٢ .
(٣) ــ الطبري : ج ٢ ص ٢٣١ ــ ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ــ ٢١١ .
(٤) ــ ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٤٢٨ .
(٥) ــ البغدادي : خزانة الادب ، ج ٢ ص ٢٣٩ . ط . ١٩٦٩ م
(٦) ــ ابن قتيبه : المعارف ، ص ٣٣٣ . ط . دار المعارف ١٩٦٩ م ابو علي القالي : الامالـي وذيله لابي عبيد البكري جزء الذيل ص ١٤٦ . ط . دار الفكر بيروت بدون تاريخ

(اقيال) حضرموت(١) .

يستنتج من هذه الروايــة أن قبيلة حضرموت كانت قبيل البعثة تحكم من قبل عدد مــن الاقيال) كل (قيل) كان يحكم فرعاً على ما يبدو من قبيلة حضرموت حتى جاء الاســلام فصار وائل اميراً عليهم جميعاً بعهد من رســول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ما يؤكد تفرقهـــا واستقلال فروعها .

أما قبيلة مهرة : تتحدث عنها مصادر عديدة وتذكر أن أهم مدنها (الشحر) وتصفهـا بأنها تقع على ساحل حضرموت ، وكان يقام فيها سوق الشحر الشهير في النصف من شــعبان من كل عام وكان يقصد هذا السوق التجار من البر والبحر من الحبشه والهند وفارس وما حولهم من العرب(٢) . ولم تقم قبيلة مهرة بفرض سلطانها على سوق الشحر فتأخذ العشور علـــى التجارة الداخلة اليها والخارجــة منها لانها ليست دولة ذات نظم ادارية ومالية كد ولتبـــي يمين وسبأ وتستطيع تنفيذها ، إلاّ أن التجار كانوا لا يستطيعون ممارســة البيع والشـــراء والوصول إلى الشحر إلاّ بحمايــة وكانت مهرة تقوم بها(٣) .

ومما تذكره المصادر عن قبيلة همدان أنها لم تكن في فترة بدء الدعوة قبيلة واحدة تحت قيادة زعيم واحد بل كانت تتنازعها انقسامات شتى بحسب البطون ، والصراعات مستمرة بيـــن فرعيها الكبيرين (حاشد وبكيل) وكان القتال يحدث بين البطون من الفرع الواحد(٤) .

اما موقف همدان من الاحتلال الفارسي فيبدو أنه يشبه إلى حد كبير موقف قبيلة حميـــر المتقلب ما بين فترة واخرى(٥) .

إلى جانب ذلك فقد ذكرت المصادر أن قبيلة خولان كانت كغيرها من القبائل في ذلك ــ العصر تتقاتل مع بعض القبائل تارة وتتصالح معهم تارة اخرى وحول هذا يذكر أن عمرو بـــن معد يكرب الزبيدي هاجم حقل خولان(٦) . وبعد مضي فترة نجده يتحالف معهم ضـــد همدان(٧) . هذا ولم يقتصر وضع التفكك والانقســام على القبائل اليمنية السابقة الذكر بـل ينتشر هذا الوضع بين قبائل بلاد السَّراة وتهامة . أما ما يتعلق بقبائل السراة فقد وصفهـــم

---

(١) ــ ابن سعد : الطبقات ، مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٤٩ . بيروت ١٩٧٨ م
(٢) ــ البغدادي : خزانة الادب ، ج ٤ ص ٣٦٠ . سعيد الافغاني : اسواق العرب ، ص ٢٣٠ دمشق ١٩٣٧ م .
(٣) ــ ابن حبيب : المحبر ، ص ٢٦٦ بيروت المكتب التجاري بدون تاريخ . اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ٢٧٠ .
(٤) ــ الهمداني : الاكليل ، ج ١٠ ص ٦٥.
(٥) ــ ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ٢٨ . الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٣٢ . ط ١ ١٩٨١ م

ابن حزم بـ (جمهرة انساب العرب) بأنهم كانوا قبائل متفرقة بهذه المنطقة لم يكن يجمعهم جامع ولاتضمهم رابطة كل قبيلة ضد الاخرى (فبجيلة) مثلا كانت ضد (خثعم) مع انهم اولاد اخوة [1] . ومما يدل بشكل قاطع على تمزق قبائل السراة ، كثرة وفود تلك القبائل الى المدينة معلنة إسلامها من جهة ومن كثرة السرايا التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم الى تلك المناطق للدعوة الى الاسلام .

اما قبائل تهامة فقد كانت موزعة في هذا الإقليم متناثرة لا يربط بينها رابطة . غير أن ما يعرف عن قبائل (الاشاعرة) و(عك) أنه كان بينهم نوع من حالة الاندماج والمصاهرة . فكانت أم (أبي موسى الأشعري) مثلا من قبيلة (عك) [2] . ولما هاجر أبو موسى الى المدينة كان في صحبته ستة من عك [3] . وحينما حصلت الردة انضم المرتدون من عك والأشعريين ووقفوا صفاً واحداً [4] .

ويبدو أن الوضع الديني لم يكن أفضل من الجوانب الأخرى السالفة الذكر في بلاد العرب الجنوبية ويظهر ذلك من خلال تنوع معتقداتهم واختلاف دياناتهم ابتداء من إيمانهم بالأصنام إلى اعتناقهم اليهودية ثم النصرانية والحنيفية . وقد ساهمت هذه المعتقدات مساهمة كبيرة في زيادة تفكك المجتمع اليمني على أثر الصراعات السياسية التي دارت على الساحة اليمنية تحت ستار ديني .

من هنا نصل الى نتيجة هامة هي أن المجتمع اليمني مع بدء ظهور الدعوة الإسلامية لم يكن مجتمعا قوياً مترابطاً بل كان على العكس من ذلك مجتمعاً قلقاً مضطرباً يسوده التمزق بمختلف جوانب حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وسنرى أن الإسلام بإشراقته على هذه الارض العربية كان السبب الرئيسي والعامل الأوحد في تبرئة جسم المجتمع اليمني من أمراضه التي كانت تنهش به وبعثه من جديد قوة ضاربة وحجراً مكينا في صرح بناء الدولة العربية الإسلامية .

---

(١) ـ ابن حزم : مصدر سابق ، ص ٣٨٧ .

(٢) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ٤ ص ٣٥٥ طبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ

(٣) ـ ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج ١٦ ص ٦٦ . القاهرة ١٩٧٨ .

(٤) ـ الطبرى : التاريخ ، ج ص ٣٢٠ .

الفصل الثاني

١ ـ دخول اليمن في الاسلام

٢ ـ ردة اهل اليمن وعهد ابي بكر ٠

٣ ـ الفتوحات وعصر عمر بن الخطاب

في وقت كان فيه اليمنيون يعيشون حالة من التفكك والتمزق السياسي والاجتماعي الى جانب التيه العقائدي ، في هذا الوقت كان يشع من بين شعاب مكة المكرمة نور ينبئ عن ظهور أمل جديد يضفي على الجزيرة العربية والعالم كله أملاً بحياة جديدة تختلف بشكل جذري عن حياتهم السابقة .

ففي يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من سنة ١٣ قبل الهجرة ٦١٠ م بُلّغ النبي الاعظم برسالة ربه (١) . ويكاد يجمع الإخباريون على أن أول ما نزل على النبي من القرآن الكريم سورة العلق ، فقد نزل عليه جبريل وهو في غار حراء وقال له : ((إقرأ)) فقال النبي : ((ما انا بقارئ)) فأخذه فضمّه اليه ضمة قوية ثم أطلقه وعاد يقول له ((إقرأ)) فكرر النبي قوله ((ما أنا بقارئ)) فاخذه وضمه اليه للمرة الثانية ثم أرسله ، وكرر ما طلبه منه للمرة الثالثة ، فرد عليه النبي بقوله : ((ما أنا بقارئ)) فضمه جبريل للمرة الثالثة ثم ارسله وقال : ((إقرأ)) قال النبي : ((وماذا أقرأ)) فقال : ((إقرأ بسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علمّ بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم (٢))) . فقرأها النبي فانصرف عنه .

وما ان صدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق حتى انتشر الخبر ، لا في مكة وحدها بل في جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية كلها ، حتى ان أبا سفيان بن حرب كان في تجارة ـ كعادته ـ باليمن إذ جاءه خبر الصدع بالامر برسالة جاءته من ابنه حنظلة بن أبي سفيان : ((إن محمداً قام بالأبطح غدوة فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله (٣))) .

غير أن زعامة قريش لم يَرُقْ لها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذت تحاربه وأتباعه بكل الوسائل ، كما بذلوا جهداً كبيراً في الحيلولة دون وصول الدعوة الى بقية العرب وخاصة في مواسم الحج وقد وصل بهم هذا الجهد الى حد أن النضر بن الحارث كان لا يظفر بأحد يريد الإسلام إلاّ انطلق به الى قينته (أي مغنيته) فيقول : أطعميه واسقيه وغنيه ويقول : هذا خير مما يدعوك إليه محمد (٤) .

---

(١) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٣ ص ١٢٩ ، ط . ليدن ١٣٢٢ هـ . و ط . بيروت ١٩٥٧ م
(٢) ـ القرآن الكريم : سورة العلق ، الاية ١ ـ ٥ .
(٣) ـ ابو فرج (الاصبهاني) : الاغاني ، ج ٦ ص ٣٥٠ . ط . القاهرة ١٩٥٠ م
(٤) ـ الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل ، ج ٣ ص ٢٢٩ . ط . القاهرة ١٩٦٥ م

ولم تكتف قريش بهذا بل بالغت في مناهضة الإسلام ومناوأة النبي وأتباعه[1] . بالفتن تارة وبالضرب والتعذيب والقتل تارة أخرى . فقد تعرض لايذائهم عدد كبير من أتباع النبي (ص) وعلى رأسهم بلال بن رباح وعمار بن ياسر وأبواه ، وقد استشهدت سمية أم عمار اذ طعنها أبو جهل بحربة في قلبها فكانت أول شهيدة في الإسلام .[2]

أمام هذا كله أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يخطط للخروج من مكة ، فبدأ يعرض نفسه على القبائل عله يجد من يحالفه فلم يجد تشجيعاً كبيراً من زعماء القبائل وأخفق في نيل نصره أهل الطائف من ثقيف لذلك تطلع الى يثرب وانصرف نحوها فاتصل بالقادمين منها الى مكة واستطاع أن يعقد معهم اتفاقاً كان له أثره العظيم على مستقبله (ص) والعرب والعالم قاطبة .

وفي هذه الفترة أكرم الله نفراً من أهل اليمن من قبيلة الخزرج بالإسلام وكان هؤلاء سبباً في إسلام الأوس والخزرج كلها فيما بعد . وقد ترتب على اسلامهم بيعتا العقبة الأول والثانية[3] لتتم بعد ذلك هجرة المسلمين والرسول (ص) .

تمت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ٦٢٢ م وكان هذا الحدث من الخطورة بمكان لذلك لاغرابة أن اتخذه المسلمون فيما بعد منطلقاً لتقويم خاص بهم ، وتم في المدينة صنع انجازات كبيرة كان أولها إيجاد التفاهم والانسجام بين المهاجرين من مكة والأنصار من عرب المدينة على شكل (مواخاة[4]) ، التي كانت منهجاً جديداً في حياة العرب وذلك أنها أحلت رابطة العقيدة محل رابطة الدم وعلى اساس العقيدة تم انشاء نواة أمة جديدة ستتطور لتصبح أمة عظمى[5] .

خلال تلك الفترة الزمنية من عمر الدعوة جابه الرسول صلى الله عليه وسلم أعداءه في عدة مواقع كانت نتائج معظمها لصالحه .

---

(١) ـ السهيلي : الروض الانف ، ج ٣ ص ١٤٥ .
(٢) ـ الطبري : التاريخ ج ٢ ص ٣٢٨ ابن كثير : مصدر سابق ، ص ٤٩٥ . البلاذري : انساب الاشراف ، ص ١٦٠ .
(٣) ـ البلاذري : مصدر سابق ، ص ٢٣٩ الطبري : ج ٢ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٣٨ . ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٣٢٤

وفي شوال من السنة الخامسة تجمّعت جموع المشركين وتألّبت أحزابهم التي تجمعت فيها قريش وغطفان وأحلافهم واليهود ومن استطاعوا جمعهم من الأعراب لمهاجمة المدينة فكانت غزوة الخندق التي انهزم بنتيجتها المشركون وكانت آخر سهم تلقيه قريش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أدرك النبي ذلك فأعلن للمسلمين قائلا : ((لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم[1])) .

ويبدو أن قريشاً بعد غزوة الخندق هذه فقدت قوتها وهيبتها بالنسبة للمسلمين لذلك لم يأبه بهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذه المعركة ولكنه التفت للقضاء على من يقف في طريق الدعوة من اليهود والأعراب ، وأخيراً خرج معتمراً فكان صُلح الحديبية بداية مرحلة جديدة وهو مقدمة لفتح مكة وإخضاع قريش بكاملها للإسلام وبهذا الفتح يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتهى من هزيمة الأرستقراطية المالية القرشية لفترة من الزمن حيث ما لبث أن ، تحينت الفرص لتركب تيار ثورة الإسلام فتحوله لخدمة مصالحها وقد نجحت في تحقيق ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ببضع سنوات[2] .

من جانب آخر ، تعارف كتاب سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على تسمية السنة التاسعة للهجرة بعام الوفود ، لكثرة ما وفد على الرسول (ص) فيها من رجالات القبائل العربية مبايعين على الإسلام والطاعة بعد أن فُتحت مكة ودخلت قريش في الإسلام وثبت لسائر العرب أن المسلمين قوة سياسية وحربية إلى جانب العقيدة الجديدة التي تنزلت على نبيهم وقد كان من أهم آثار انتشار الدعوة الاسلامية بالجزيرة العربية ، أن قامت فيها رابطة جديدة توحد بين قبائلها وأفكارها ، هذه الرابطة الجديدة هي رابطة الدين التي مهدت لقيام وحدة سياسية تجمع شمل العرب وتوحدهم هدفاً وعملاً . وقد ظهرت بوادر هذه الوحدة بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حيث أخذت القبائل العربية تفد إليه معلنة إسلامها طوعاً واختياراً .

بالإضافة الى ذلك إنه من المؤكد تاريخياً أن الحجاز كله أصبح موحداً بعد أن تم تحرير من الوثنية في نواة دولة جديدة لها عقيدة واحدة .

وقد كان لتحقيق وحدة الحجاز أثره الكبير في إيقاظ العرب وتنبيههم إلى أهمية القوة الجديدة خلال أعوام مضت ازدادت فيها الأحداث اتساعاً وانتشاراً وتفاقماً ، وفي هذه الأعوام توافد إلى

---

(١) ـ ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ص ١٧٨ ، ١٨٤

(٢) ـ سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٤٠ وما بعدها .

مكة العديد من الأفراد والجماعات من جميع بقاع الجزيرة العربية وما جاورها لأداء مناسك الحج أو لحضور الأسواق العربية التي تقام فيها .

وامام هذا كله يبرز أمامنا تساؤل هو : اذا كانت هذه الأحداث الخطيرة التي هزت مكة والطائف والحجاز بكامله ، ووصل خبرها إلى الحبشة ، ألم تكن وصلت إلى اليمن ؟ . وإذا كانت قد وصلت ـ وهذا أمر بدهي ـ فكيف دخلت أخبار ظهور هذا الدين الجديد بلاد العرب الجنوبية ؟ .

قبل الدخول في هذا الأمر لا بد لنا من الإشارة الى بعض الجوانب الهامة التي سبق ودرسناها في صفحات سابقة من هذا البحث توضح لنا الى حد كبير ما نريد معرفته عن اليمنيين والطرق التي سلكتها الدعوة الإسلامية إلى مسامعهم وعقولهم .

فكما علمنا أن اليمنيين هيمنوا على تجارة شبه الجزيرة وخارجها من خلال تحكمهم بطرقها البحرية والبرية وقد تأكد ذلك تاريخياً من خلال المصادر المختلفة سواء ما دونه الإخباريون في مؤلفاتهم أو ما عثر عليه من نقوش ومكتشفات في اليمن والحجاز والعراق ومصر واليونان وغيرها (1)

وفي مكان آخر ، أحصى صاحب كتاب أسواق العرب في الجاهلية (2) ، جميع أسواق العرب فذكر ستة وعشرين سوقاً تجارية لهم ، اختصت منها اليمن وحدها بست أسواق هي : سوق نجران (3) وسوق الجند (4) ، وصنعاء (5) ، وعدن (6) ، والشحر (7) ، والرابية (8) .

ونظراً لأهمية هذه الأسواق من الناحية الاقتصادية لذا كانت موئلا محتشداً لتجار مكة وغيرها خلال فصول السنة جميعها .

---

(1) ـ انظر الجانب الاقتصادي من الفصل الثالث من هذا البحث .
(2) ـ سعيد الافغاني : اسواق العرب في الجاهلية ط . الثالثة بيروت ١٩٧٤ م . والمكتبة الهاشمية دمشق ١٩٣٧ م .
(3) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٢ .
(4) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ،ص ٢٣٢ .
(5) ـ المرزوقي : الازمنة والامكنة ، ج ٢ ص ٢٣٤ . اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ٢٧٠.
(6) ـ المصدران السابقان نفسهما .
(7) ـ البغدادي : خزانة الادب ج ٤ ص ٤٧٤ . القاهرة . المرزوقي : الازمنة والامكنة ج ٢ ص ٢٣٣.
(8) ـ اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ٢٧٠.

بإضافة الى ذلك ، فإن اليمنيين كانوا يخرجون من بلادهم في قوافل للتجارة إلى الأسواق العربية الأخرى كسوق (ذى المجاز) عند عرفة وسوق (دومة الجندل) بين الشام والحجاز وسوق (عكاظ[1]) بين مكة والطائف الذى عُدَّ من أعظم أسواق العرب من الناحية الأدبية واللغوية إلى جانب أهميته الاقتصادية كان يأتيه العُماني واليامي والعراقي والحجازى والنجدى واليمني ... وغيرهم . فكان بذلك معرضاً لكثير من عادات العرب وأحوالهم وعقائدهم وأفكارهم وكان أيضا ندوة سياسية تُقضى فيه أمور كثيرة بين القبائل العربية المتنازعة[2].

وقد ذكرت معظم المصادر العربية القديمة حضور اليمنيين هذه الأسواق . منها ما ذكره الطبرى في تاريخه عن عفيف الكندى الذى كان تاجراً وصديقاً للعباس بن عبد المطلب ـ الذى كان يختلف الى اليمن يشترى العطر فيبيعه أيام الموسم ـ فقد حضر عفيف إلى مكة بقصد التجارة[3].

ومنها ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني عن يزيد بن عبد المدان من بني الديدان حيث جاء إلى موسم عكاظ[4] . ومنها ما ذكره ابو عبيد الله البكرى عن حادثة تعارف بين قيس بن مكشوح المرادي وسُليك بن السُلكه بسوق عكاظ[5] .

بالإضافة الى ذلك فان قريشاً نفسها كانت لها رحلات تجارية منتظمة الى اليمن والشام فكانت لطائمها تقصد اليمن شتاءً والشام صيفاً وفي كلا الرحلتين تبيع وتبتاع[6] .

وهكذا كان هذا الأمر بالنسبة للقرشيين دورياً فلا يمضي عام إلاّ وكان لها قافلة تجارية إلى اليمن .

من خلال كل هذا وذاك يتبين لنا أن الأسواق اليمنية وغيرها من أسواق العرب الاخرى كانت تُعدّ من أهم وسائل الاتصال في نقل المعلومات بين مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية وإن أبرز الامثلة على ذلك ، ان القصيدة الشعرية ، كانت إذا ألقيت وأُجيزت تناقلتها الألسن في البوادى والقرى والمدن بعد وقت قصير من القائها . وإذا خُلع واحد من قبيلته عرف ذلك الخاص والعام ، وإذا أُجير رجل في قبيلة أصبح أمراً ذائعاً لدى جميع القبائل .

---

(1) ـ السهيلي : الروض الانف ، ج ٤ ص ٢٤ اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ٢٧٠.
(٢) ـ سعيد الافغاني : اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ص ٢٤٢ وما بعدها .
(٣) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٢ ص ٣١١ ـ ٣١٢.
(٤) ـ أبو الفرج (الأصفهاني) : ، الاغاني ، ج ١٢ ص ٩ ـ ١١.
(٥) ـ البكرى : معجم ما استعجم ، ٢ ، ص ٤١١ ـ ٤١٢.
(٦) ـ ابن كثير : التفسير ، ج ٨ ص ٥١٢.

وإذا كانت هذه الأمور تنشر على محدوديتها في الجزيرة العربية كلها هذا الانتشار الواسع في وقت سريع وقصير فما بالنا بخبر ظهور الإسلام الذى اخضع خلال فترة زمنية محددة كل من المدينة ومكة وإقليم الحجاز بكامله تحت سلطته السياسية وعقيدته الدينية الواحدة بزعامة صاحب دعوة الإسلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

من هنا نقول بكل ثقة أن خبر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة وصل إلى اليمن في وقت كان الإسلام فيه في بداية انطلاقته الاولى . وقد أكد ذلك الطبرى في تاريخه من خلال حديث رواه البغوى وأبو يعلى والنسائي في الخصائص عن طريق أسد بن وادعة عن أبي يحيى بن عفيف(١) عن أبيه عن جده قال : ((جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي ، فأتيت العباس ، فأنا عنده جالس انظر الى الكعبة ، وقد حلقت الشمس في السماء إذ جاء شاب فاستقبل الكعبة ثم لم ألبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ثم سجدوا . فقلت : يا عباس . . . أمر عظيم قال : أجل . قلت : من هذا ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله بن أخي ، وهذا الغلام علي ابن اخي ، وهذه المرأة خديجة(٢) ، وقد أخبرني أن رب السموات والارض أمره بهذا الدين ولا والله وما على الارض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة(٣) .

وبعد أن أسلم عفيف ورسخ الإسلام في قلبه قال : فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت رابعاً(٤) .

فهذه الحادثة تدل دلالة واضحة على أن عفيفاً الكندى علم بظهور النبي صلى الله عليه وسلم في مبدأ أمره وقبل أن ينتشر بها وما زال مخفياً دعوته إلا بين أقرب الناس وأخلصهم إليه .

ومالا شك فيه أن عفيفاً لن يحتفظ بهذا الخبر بين حنايا صدره فهو لا بدّ أن يتحدث عنه حينما يصل الى قبيلته وفي طريقه إليها أيضاً .

وتوضح لنا روايات أهل الأخبار مرة أخرى دور التجارة وأسواقها في نقل أخبار ظهور الدعوة ، حيث يذكر (أبو الفرج) في (الأغاني)(٥) ، و (ابن كثير) في (البداية والنهاية)(٦) ، رواية واحدة تؤكد وصول أخبار انطلاقة الدعوة الى أهل اليمن وهي في

---

(١) ـ الطبرى : التاريخ ، ج ٢ ص ٣١٢ .
(٢) ـ الطبرى : للتاريخ ، ج ٢ ص ٣١٢ .
(٣) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ٢ ص ٤٨٧ .
(٤) ـ الطبرى : ج ٢ ص ، ٣١١ ـ ٣١٢ .
(٥) ـ ابو الفرج : الاغاني ، ج ٦ ص ٣١٥ .
(٦) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

مهدها الأول . فقد ذُكر أنه بينما كان العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب في تجارة بأرض اليمن قدمت الرسالة من حنظلة بن أبي سفيان إلى أبيه يخبره فيها : ((إن محمداً قام بـ (الأبطح) ـ أبطح مكة : مسيل واديها ـ غدوة فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله .)) فما كان بعد هذه الرسالة إلاَّ ليالٍ حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن .

وإذا كان دور التجارة عاملاً هاماً في الجزيرة العربية ، في نقل أخبارها وتبادل معلوماتها فإن الجانب العقائدي ـ الديني ـ لم يكن أقل أهمية عندهم في هذا المجال فإنه من الأمور المتفق عليها أن العرب جميعاً كانت تأتي الى الكعبة في مواسم الحج حاجّةً ، وقد عُرف اليمنيون في هذه المناسك بـ (الطُّلس) لقدومهم من أماكن بعيدة شعث الشعور مطليين بالغبار ، وكان تجمع اليمنيين وإخوانهم العرب في مواسم الحج أمراً بدهياً فالكعبة قبلتهم و (البيت) بيت أبيهم إبراهيم ، والحرم لديهم معظم ومكرم ، وقريش عندهم ذات هيبة دينية لأنها حامية للكعبة ، وهم سكان الحرم .

وكان من البدهي أن يعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على إيصال دعوته إلى الناس في تلك المواسم ، وحول هذا الأمر ذكر (ابن سعد) في (الطبقات) : ((أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث سنوات من أول نبوته مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة ، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم [1])) .

غير أن صاحب كتاب (الروض الأنف) يذكر لنا أكثر من ذلك بقوله : ((ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلاَّ تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده [2])) .

هذا وقد أكدت معظم المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على أكثر من قبيلة يمنية في هذه المواسم يدعوها إلى الإسلام إلى جانب دعوته القبائل العربية الأخرى ، فقد ذكر (السهيلي) رواية عن ابن إسحاق عن ربيعة بن عباد قال : ((إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يا بني فلان إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وإن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وإن تؤمنوا بي ، وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به [3])) .

---

(١) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٢) ـ السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٤ ص ٤٠ ، القاهرة ١٩٦٧ م . وقد وردت رواية قريبة من هذه في كتاب (أسد الغابة) . لابن الأثير ، ج ١ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ .وكذلك عند ابن حجر في الاصابة ج ١ ص ٢٧٥ .

فإذا جاءت روايــة ابن إسحاق هذه عامة بالنسبة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للقبائل العربيــة • فإن الحافظ أبا نعيم حدد لنا في (البدايــة والنهايــة) لابن كثير بعض هــذه القبائل التي دعاها الرسول (ص) للإســلام حيث كانت في مقدمتها قبائل يمانية كقبيلة كنــدة وغيرها [١] •

وحول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لقبيلة كندة اليمنية روى ابن إسحاق عن الزهــري : إن الرسول صلى اللــه عليه وسلم ((أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له (مليح) فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفســه • فأبوا عليه [٢])) •

هذه جميعها أدلة جلية واضحة لا تدع مجالاً للشك تدل على توافد اليمنيين إلى مكة وسماعهم بالإسلام وهم بلا شك ـ أخبروا أقوامهم من ورائهم بما سمعوا وأدركوا •

والمهم في الأمر هنا تبيان ردة فعل اليمنيين تجاه الدعوة بعد انتشار ذكرها في جميــــع أرجاء شبه الجزيرة العربية وخارجها •

ان المتتبع لمراحل تطور الدعوة الإسلامية يجد أن اليمنيين لم تكن ردات فعلهم متساويــــة حيالها في تلك الفترة • فبعضهم رفضها رفضاً قاطعاً وبعضهم قبلها مشترطاً وبعضهم الآخــــر رغب اعتناقها راضياً وداعياً بينما بقي (الأبناء) الفرس في مناطق انتشار نفوذهم ـ كمدينــــة صنعاء وعدن ـ متربصين ينتظرون نتائج تطورات الدعوة في الجزيرة العربية •

وحول من رفض دعوة الرســول • ذكر لنا ابن سعد في طبقاته ثلاث قبائل يمنية هي : قبيلة الحارث بن كعب • وعذرة والحضارمة [٣] •

بينما رفضت قبيلة كندة صاحبة العزّ والجاه والملك دعوة النبي في بادىء أمرها [٤] لكــــن موقفها هذا لم يدم طويلاً إذ تغير بعد فترة قصيرة من الزمن تحت تأثير حسها السياسي الخبيـــر على أثر شعورهم بنجاح الدعوة وانتشارها بشكل متسارع في منطقة الحجاز عندئذ قبلت دخــــول الإســـلام ولكن بشرط أن يورّثها الرسول (ص) الحكم من بعده • فكان جوابه عليه الصلاة والســــلام : ((إن الملك للــه يجعله حيث يشاء فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به [٥])) •

اما الذين لبّوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا بدعوته من بقية القبائل اليمنية • فقد تمثلوا بمجموعــة من الأفراد والجماعات المحدودة من قبائل يمنية مختلفة • لكن كي يستقيم القول : إن هؤلاء الأفراد لم يكونوا أفراداً عاديين في مجتمعهم بل كانوا من ساداته وأشرافه وفي ذلــك

---

(١) ـ ابن كثير : البدايــة والنهاية • ج ٣ ص ١٤٠ •
(٢) ـ السهيلي : الروض الانف في شرح السيرة • ج ٤ ص ٣٨ • ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ •
(٣) ـ ابن سعد : الطبقات • ج ١ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ •

كان لهم الأثر الفعّال والإيجابي بنصرة الإسلام وسرعة انتشاره في مجتمعاتهم .

وقد ذكرت لنا المصادر العربية عدداً من هؤلاء الرجال الذين لبّوا نداء الدعوة مع بداية ظهورها وكان لهم هذا الدور الريادي .

وحول هذا الأمر يذكر (السهيلي) في (الروض الأنف[1]) ، إن جماعة من نصارى نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ القرآن فأسلموا ، ثم دارت مشادة بينهم وبين رجالات من قريش ، فقالوا لهم بحسب ما جاء في القرآن الكريم (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين[2]) ، ثم عادوا الى بلادهم[3] .

وبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُحارب وأتباعه في مكة ضاق ذرعاً بهم فأخذ يعرض نفسه على رجالات القبائل طالباً المنعة والحماية كي يتاح له متابعة تبليغ رسالة ربه فلم يجبه أحد غير رجل من (همدان) دخل إلى الرسول (ص) فقال له : ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان . قال فهل عند قومك من منعة ؟ قال نعم ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل قال نعم ، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب[4] .

وقد حدد الهمداني في (الإكليل) وكذلك ابن حجر في (الإصابة) اسم ونسب هذا الرجل وذكرا أن اسمه قيس بن نمط بن قيس من بني سفيان الأرحبي الهمداني .

وقد رُوي عن هذا الرجل أنه قال في حينه للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ترك وراءه في قومه فارساً مطاعاً في قومه هو أبو يزيد عمر بن مالك بن عميرة وسيوافيه معه في عامه المقبل ، فبادرت على النبي (ص) الأنصار فقدم عليه ابن نمط وهو في المدينة فسماه رسول الله (ص) بـ (الوثي[5]) .

غير أن هذه الرواية مع ما أورده ابن سعد في الطبقات حول الأمر نفسه لا تذكر أن الرسول (ص) وافق أو امتنع من اصطحابه الهمداني إلى قومه بل اقتصرت على القول : إن النبي (ص) دعا له وكتب له عهده على قومه همدان أن يسمعوا له ويطيعوا وأن لهم ذمة الله

---

(١) ـ السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة ج ٣ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .
(٢) ـ سورة القصص ، الآية ٥٥ .
(٣) ـ السهيلي : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٧٣ .
(٤) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣ ص ١٤٦ .
(٥) ـ الهمداني : الإكليل ، ج ١٠ ص ٢٢٠ ، ٢٢٥ ـ ٢٢٦ . ابن حجر : الإصابة ج ٣ ص ٢٦٢ .

وذمة رسوله ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطعمه ثلاث مائة (فرق) ـ الفرق : مكيال لأهل اليمن [1] ، ـ من الزبيب والذرة والبر [2] .

ومما يُذكر في طبقات ابن سعد أن قيساً الأرحبي الهمداني لم يكن وحده الذي جاء الرسول (ص) مسلماً بل جاءه رجل آخر من قبيلة أرحب الهمدانية للغرض ذاته يسمى عبد الله بن قيس بن أم غزال استجاب للإسلام ووعد الرسول (ص) أن يوافيه في موسم الحج من العام المقبل ولكنه قتل وهو في طريقه إلى همدان على يد رجل من (زبيد) للثارات التي كانت محتدمة بينهم [3] .

ثم توافدت بعد ذلك رجالات من قبائل يمنية مختلفة الى مكة قادمة الى الرسول (ص) تعلن إسلامها كقدوم (ضماد بن ثعلبة الأزدي) من قبيلة (الأزد) .

(والطفيل بن عمرو الدوسي) من قبيلة (دوس) (وأبي موسى الأشعري) من الاشعريين (وذباب بن الحارث بن عمرو) من (سعد العشيرة) المذحجية .

ومما تذكره المصادر عن ضماد بن ثعلبة الأزدي ومناسبة إسلامه هو أن ضماداً كان طبيباً عالماً مشهوراً في تطوافه بين الأقاليم بغية الاستزادة في العلم والمعرفة . وبينما هو في مكة للغرض نفسه ، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم [4] ، تصدّى له سفهاء من قريش بالقول : إن محمداً مجنون : فأجابهم ((لو أني رأيت هذا الرجل لعلّ الله يشفيه على يدي [5] قيل : فلقيه النبي (ص) وتبادل معه الحديث فأعجب به ضماد ، وطلب من الرسول ((أن هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال فبايعه فقال رسول الله (ص) وعلى قومك ؟ قال : وعلى قومي [6] .

وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن ضماداً أسلم في أول الإسلام [7] .

وما ذكره (مسلم) عن ضماد بعد إسلامه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ . فقال رجل من القوم : أصبت منهم مطهرة ـ إناء يُتطهر به ـ فقال ردوها فان هؤلاء قوم ضماد [8] . وقد

---

(1) ـ أبو العباس نجم الدين بن الرفعة الأنصاري : كتاب الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ص ٦٩ ، تحقيق الدكتور محمد أحمد اسماعيل الخاروف ، ط . دار الفكر ، دمشق ١٩٨٠م .

(٢) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ١ ص ٣٤١ .

(٤) ـ ابن حجر : الاصابة ج ٢ ص ٢١٠ .

(٥) ـ النووي : شرح صحيح مسلم ج ٦ ص ١٥٧ .

(٦) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ١٥٦ ـ ١٥٨ .

(٧) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٢ ص ٢١٧ .

(٨) ـ النووي : شرح صحيح مسلم ج ٦ ص ١٥٨ .

قال مثله (البغوى) حسبما نقل ابن حجر في الإصابة [١] . وقد ذكرت المصادر روايات عن إسلام (الطفيل بن عمرو الدوسي) مشابهة إلى حد ما لقصة إسلام (ضماد بن ثعلبة الأزدي) ، فقد ذكر ابن الأثير في (أسد الغابة [٢]) وابن عبد البر في (الاستيعاب) [٣] وغيرهما [٤] . أن الطفيل بن عمرو الدوسي كان شريفاً في قومه وشاعراً لبيباً ، جاء بعض مشركي قريش ينهونه ملاقاة الرسول (ص) متهمينه بالسحر غير أن (الطفيل) أبى إلاّ أن يسمع كلام رسول الله فأعجبه حديثه وأسلم وطلب من الرسول قائلا ((يا رسول الله ، إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم الى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : اللهم اجعل له آية .

ثم قال : ثم دعوت (دوساً) فأبطأوا عن الإسلام فرجعت إلى رسول الله (ص) بمكة فقلت : يا رسول الله . انه قد غلبتي على (دوس) (الزنا) و (الربا) فادع الله عليهم فقال : اللهم اهد دوساً . ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم . قال : فرجعت فلم أزل بأرض قومي (دوس) أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقضى بدراً واحداً والخندق ثم قدمت على رسول الله (ص) بمن أسلم معي من قومي ورسول الله بخيبر [٥] . حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من (دوس) ثم لحقنا برسول الله بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين [٦] .

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن أبا موسى الأشعري كان من أوائل الذين أسلموا من الأشعريين مع مجموعة من قومه منهم إخوته [٧] .

وقد فُسِّر ذلك نظراً لمعرفته المبكرة بالدعوة وعلاقته المميزة بقريش فقد ذكر (ابن الأثير) في (أسد الغابة) أنه كان حليفاً لسعيد ابن العاص بن أمية القرشي [٨] .

وعن أبي موسى الأشعري روى البخاري ومسلم أنه قال : ((بلغنا مخرج النبي صلى الله

---

(١) ـ ابن حجر : الإصابة ج ٢ ص ٢١٠ .
(٢) ـ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٣ ص ٧٨ ـ ٨١ .
(٣) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٢ ص ٢٣٣ .
(٤) ـ انظر ايضا : السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة ، ج ٣ ص ٣٦٤ أبو الفرج : ـ الأغاني ، ج ١٣ ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ .
ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٥٣ .
(٥) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٢٢ . بغداد ١٩٣٨ م
(٦) ـ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٣ ص ٧٨ ـ ٨١ .
(٧) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٣ ص ٣٧١ .
(٨) ـ ابن الأثير : أسد الغابة ج ٣ ص ٣٦٧ .

عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لي أنا أصغرهم . أحدهما : أبو بردة ، والآخر أبو رهم ـ اما قال : بضعاً ، واما قال : في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً ـ من قومي فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً . فوافقنا النبي (ص) حين افتتح خيبر فأسهم لنا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلاّ لمن شهد معه إلاّ لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه وكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل سفينتنا ـ سبقناكم بالهجرة وقد وصل الأمر الى الرسول (ص) فقال : ((لو لكم أنتم أهل السفينة هجرتان)) (1) .

هذا الحديث يرشدنا الى نقاط هامة تتعلق بطريقة وزمن إسلام أبي موسى الأشعري وجماعته منها :

إنه يتبين لنا من خلال قوله : (بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن) أن دخوله في الإسلام كان في مكة منذ وقت طويل ثم عاد الى اليمن ينتظر مخرج الرسول (ص) وظهور دين الله . ومما يؤكد هذا أن الرسول (ص) إذا أسلم رجل من العرب أمره بالعودة إلى بلده حتى يظهر الله دينه (2) .

والملاحظ أن أبا موسى عمل على دعوة قومه إلى الإسلام حتى هاجر بأكثر من خمسين رجلاً .

ومن رجالات القبائل اليمنية الذين لبّوا نداء الإسلام في وقت مبكر (ذباب بن الحارث بن عمرو من سعد العشيرة المذحجية) . فقد روى ابن حجر (3) وغيره (4) قدومه إلى الرسول (ص) وإسلامه في كتابه (الإصابة) وملخص ما جاء في هذه الرواية أن ذباباً وفد على رسول الله (ص) يوم جمعة فقعد أسفل منبره وهو يخطب للجمعة وقد أخبر رسول الله (ص) المسلمين قبلا : ((بأنه قدم يريد الإسلام ولم أره قط ولن يرني إلاّ في ساعتي هذه)) . فلما انتهوا من الصلاة دعاه الرسول (ص) الى الإسلام وقرأ عليه القرآن فأسلم .

وذكر ابن حجر (5) ، أن ذباباً استأذن رسول الله (ص) في القدوم على قومه فأتاهم ورغبهم في الاسلام فأسلموا ، فقدم على النبي (ص) بعد ذلك .

هكذا كان إسلام بعض أشراف اليمنيين وساداتهم إثر سماعهم الدعوة في مكة بدافع الإيمان

---

(1) ـ النووي : شرح صحيح مسلم ، ج ١٦ ص ٦٤ ـ ٦٦ . ابن حجر : فتح الباري ج ١٦ ص ٦٦ ـ ٦٩ .
(2) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٣٤
(3) ـ ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٤٨١
(4) ـ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٢ ص ١٦٧ ، ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٤٢ .

والرغبة دون إكراه أو ترهيب • غير أن هذا الموقف لم يكن هو نفسه عند الأبناء من الفرس في مناطق انتشار نفوذهم فقد بقي هؤلاء متربصين يراقبون تطور مراحل قيام الدعوة ومن ثم يرسلون تقاريرهم إلى كسرى فارس في العاصمة الفارسية يطلعونه من خلالها على مستجدات موقف الدعوة •

وقد ذكر لنا (حمزة الاصفهاني) بعضها كتبه الحاكم الفارسي باليمن (باذان) الى كسرى أبرويز حول هذا الأمر بقوله : ((ظهر في جبال تهامة داعية خفي أمره ، قليل شيعته ، قد وترته العرب ، ونصبت له الحرب ، إلاّ اليسير ممن أجابه وأتبعه))

ولم تبين لنا المصادر ماهو رد كسرى ، وقد لا يكون رد عليه البتة لظنه أنه حدث عابر ولا يحتاج إلى اهتمام ، خاصة أن العرب وقفوا له بالمرصاد •

وهكذا نصل إلى ما بدأنا به ، من اختلاف في ردود فعل اليمنيين من الدعوة الإسلامية في انطلاقتها الأولى ما بين رافض لها ، وراغب في اعتناقها ، ومتربص ينتظر نتائجها •

وقبل البحث في كيفية دخول أهل اليمن جميعهم في الإسلام ، لا بدّ لنا من الإشارة إلى الحالة التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم قُبيل ذلك •

من الثبت تاريخياً ، أن قريشاً بعد غزوة الخندق استنفذت كل طاقاتها السياسية والاقتصادية في محاربة الرسول (ص) الى جانب تضحيتها بهيبتها وتجارتها بين العرب • وقد استغل الرسول (ص) انتصاره هذا على أكمل وجه فقام بغزوتين إحداهما كانت باتجاه بني لحيان والثانية لبني المصطلق حلفاء قريش وذلك في العام السادس للهجرة فهزمهم ووقع بينهم عهداً وتزوج منهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق ، وبذلك ضمن الرسول (ص) انضواءهم إلى المسلمين • ثم قصد مكة معتمراً في ذي القعدة من نفس العام السادس للهجرة فخرج ومعه الهدي وأحرم ليأمن الناس من حربه ولكي يعلم القرشيون أنه ما خرج إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً له •

ولما علمت قريش بذلك اعتبرت هذا أكبر إهانة لها وتحديا لمشاعرها فاعتزمت منع الرسول (ص) دخول مكة •

وربما كان الرسول (ص) على يقين من ممانعة قريش له وإنه أقدم إلى هذا كي يحقق أغراضاً أخرى على درجة كبيرة من الأهمية كإظهار قريش أمام القبائل العربية الأخرى بمظهر المعتدي ، الذي يرفض السلام ويصد عن بيت الله من جاء يعظمه ، كما هدف إلى الإفصاح عن احترام الإسلام للكعبة والبيت الحرام وتعظيمه للحج والعمرة أمام قبائل العرب جميعاً حتى يدركوا جوهر هذا الدين •

ينص أحد بنوده إلى وقف الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنين .

وقد استبشر الرسول (ص) بهذا الصلح بالرغم من تذمر بعض أصحابه من بعض بنوده ـ فآنس الله سبحانه وتعالى المؤمنين بنزول سورة (الفتح)[1] تطمينا لهم بتحقيق النصر على اعدائهم .

وفي واقع الأمر حقق رسول الله (ص) نصراً سياسياً كبيراً بهذه الاتفاقية إذ أصبح من حقه أن يدخل مكة في العام المقبل ، وبفضل فترة السلم الطويلة ، اصبح بامكانه القضاء نهائياً على قوة اليهود في الجزيرة العربية من الجهة الشمالية وبذلك يأمن مؤامراتهم ودسائسهم كما تهيأ له محاصرة مكة الذي انتهى هذا الحصار بفتحها فيما بعد .

لكن الأمر المهم في هذه الفترة هو أن الرسول (ص) اعتبر هذه الهدنة فرصة سانحة لنشر دعوة الإسلام في مناطق أخرى خارج حدود دولته في المدينة داخل الجزيرة العربية وخارجها . فجمع أصحابه بعد صلاة صبح يوم من الأيام وقال لهم : ((إني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم)) ثم قال لهم : ((انصحوا لله في عباده انطلقوا ولا تختلفوا كما اختلفت بنو اسرائيل[2])) . فخرج ستة نفر في يوم واحد من أيام شهر المحرم من السنة السابعة يحملون كتباً إلى الملوك والزعماء يدعونهم إلى الإسلام[3] : إلى النجاشي بالحبشة ، وقيصر الروم ، وكسرى فارس ، ومقوقس مصر ، ورئيس غسان في الشام ، ورئيس بني حنيفة في اليمامة[4] .

ورافق هذا العمل من قبل الرسول (ص) تنفيذ خطة حكيمة فاتجه بجيشه نحو خيبر ليقضي على أكبر تمركز لليهود في الجزيرة العربية ، ثم خرج لأداء عمرة القضاء التي أرهبت جميع العرب والتي كانت بمثابة هزيمة حقيقية لقريش حيث تركت البلد للمسلمين ثلاثة أيام يقيمون فيها ويسرحون[5] .

كما أنفذ جيشاً آخر بقيادة زيد بن حارثة لملاقاة الروم في (مؤته) وعلى الرغم من الهزيمة الظاهرة التي لحقت بالمسلمين في هذه الغزوة إلا أنها حققت الغرض المطلوب منها ، وهو

---

(1) ـ تفسير ابن كثير : ج ٧ ص ٢٠٧ ـ ٢١٠ .
(٢) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٦٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٦٨ .
(٣) ـ سيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٩٢ .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٢ . اليعقوبي : التاريخ ، ج ٢ ص ٦٢ . ابن الأثير : أسد الغابة ، ص ٤٠٦ المقريزي : امتاع الاسماع ، ج ١ ص ٢٤٥ .
(٥) ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٢١٦ ، ٢٢٧ . وما بعدها .

بإسقاط الوهم الذي كان مخيماً على عقول الروم بأن العرب لا يتجرأون على مواجهتهم ٠ ومن ناحية أخرى فقد أظهرت هذه الغزوة دلالة إيجابية لدى العرب الذين لم يستجيبوا للإسلام او وقفوا منه موقف المعادي بأن الإسلام لا ترهبه أو تحول دون انتشاره قوة مهما كانت ٠

لذلك نجد الرسول (ص) يبدأ بتوجيه دعوته بشكل مباشر إلى اليمنيين إلى جانب دعواته السابقة الى ملوك وزعماء المناطق المجاورة بعد أن وصلت إليهم بطرق شتى كما رأينا في صفحات سابقة (١) ٠ وقد اختار الرسول (ص) مراكز القوى البارزة على أرض اليمن في مخاطبته الأولى كـ (الأبناء) من الفرس ، وقبيلة حمير صاحبة ملك اليمن سابقاً بالاضافة الى جانب قبيلة كندة التي شغلت دوراً مشابهاً ثم قبيلة حضرموت ونصارى نجران ٠

في السنة السابعة للهجرة (٢) خرج عبدالله بن حذافة السهمي أحد رُسل رسول الله (ص) الستة حاملاً كتاب الرسول إلى كسرى فارس (أبرويز بن هرمز) يدعوه إلى الإسلام (٣) ، وهو يومئذ بالمدائن من أرض العراق (٤) ٠

فلما طالع كسرى كتاب النبي غضب غضباً شديداً وطرد عبدالله بن حذافة من المدائن ثم أرسل كتاباً إلى (باذان) الفارسي عامله على اليمن أنْ ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين جلدين فليأتياني به (٥) ٠

أرسل (باذان) قائدين من قواده على رأس وفد الى الرسول (ص) (٦) ولكن بتعليمات وتوجيهات مختلفة عمّا أراد (كسرى فارس أبرويز) فقد هدف (باذان) تحقيق هدفين من خلال وفده الهدف الأول تحقيق رغبة ملك الفرس والهدف الثاني استطلاع حقيقة أمر الرسول (ص) ودعوته ٠

فلما التقى رُسل (باذان) بالرسول (ص) سلموه كتابه الذي يخبره فيه غضب كسرى فما كان من الرسول (ص) إلاّ أن تبسم ثم توجه لوفد (باذان) فدعاهم إلى الإسلام (٧) وقد أخبرهم بعد استضافتهم في اليوم الثاني بأن كسرى فارس قد قتل على يد ابنه في تلك الليلة فانزعج الرسولان وقالا للرسول (ص) : ((أفنكتب هذا عنك ونخبر الملك (باذان) قال : نعم)) ثم قدّم لهما الهدايا ووجه دعوته إلى (باذان) نفسه يدعوه الى الإسلام

---

(١) ـ انظر ص (١٥٠) وما بعدها من هذا الفصل ٠
(٢) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٥٨ ٠
(٣) ـ الطبري : التاريخ ج ٢ ص ٦٥٤ ـ ٦٥٥ ٠
(٤) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٢٥ ٠
(٥) ـ الطبري : التاريخ ج ٢ ص ٦٥٥ ٠ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧١ ٠
(٦) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٢٥ ٠
(٧) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٦٠ ٠

ويثنيه ويرغبه فقال لهما : ((وقولا له : إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء [١])) .

عاد وفد (الأبناء من الفرس) إلى اليمن وأخبروا ملكهم (باذان) بما سمعوه ورأوه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويبدو أنه أُعجب بما سمع عن أخبار الدعوة لكنه لم يُسلم فوراً وآثر الانتظار كي يصل الى حقيقة هذا الأمر بالشكل الكامل [٢] .

ظل (باذان) يترقب وصول أنباء فارس التي لم تتأخر طويلاً فقد تلقى رسالة من (شيرويه بن كسرى أبرويز) يخبره فيها أنه قتل أباه غضبا لفارس وطالبه بأخذ الطاعة له من (الأبناء) في اليمن وأمره ألاَّ يتعرض للرسول (ص) ولا يحاول أن يستثيره حتى يأتيه أمره [٣] .

وتذكر لنا بعض المصادر أن (باذان) بدلاً من توجهه إلى قومه لأخذ السمع والطاعة لكسرى فارس الجديد (شيرويه) توجه نحو المدينة المنورة بوفد ضم فيه (فيروز الديلمي [٤]) زوده بكتاب إلى الرسول (ص) يعلن فيه إسلامه وإسلام من أسلم معه من الأبناء [٥] .

وبإسلام (الإدارة الفارسية) باليمن أصبح لها وضع جديد ، من عدة جوانب أولها : أنها أصبحت مقطوعة الصلة بدولة الفرس بعد أن كانت شرعيتها تُستمد منها قبل إسلامها . أما الأمر الثاني فيتحدد بكون الإدارة الفارسية هي القوة الوحيدة المنظمة التي أسلمت في اليمن في هذه الفترة بينما بقيت جميع القبائل اليمنية المحيطة بها على الحياد إذ لم يعلنوا بعضهم الدخول في الإسلام كما أنهم لم يظهروا رفضهم لاعتناق الدعوة ما عدا بعض الأفراد أو الجماعات التي لا تشكل وضعاً قبلياً كبيراً يُعتمد عليه كقوة سياسية مؤثرة في المنطقة .

ويبدو أن هذه المستجدات التي واجهتها الإدارة الفارسية باليمن بعد إسلامها كانت قد تمت مناقشتها مع الرسول (ص) من خلال وفد (باذان) وقد أيَّد هذا ما جاء في الحديث الذي ذكره (مسند أحمد) عندما طرح وفد (الأبناء) على الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بقولهم له : ((يا رسول الله نحن من قد عرفت ، وجئنا من حيث قد علمت وأسلمنا . فمن ولينا ؟ . قال الله ورسوله . قالوا حسبنا . رضينا [٦])) .

---

(١) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٢ ص ٦٥٦.
(٢) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٤ ص ٢٧٠.
(٣) ـ ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ١٦٩ ـ ١٧٠.
(٤) ـ محمد بن علي الاهدل : نشر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون ، ص ١١٢ ، مطبعة الزهران بمصر .
ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ص ٥٣٣ .
(٥) ـ السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة لابن هشام ، ج ٢ ص ٣١٧ ـ ٣٨٠ .
(٦) ـ مسند أحمد : ج ٤ ص ٢٣٢ ، المكتب الاسلامي ، ودار صادر بيروت .

بعد ذلك أوفد الرسول (ص) (وبرين يحنس الخزاعي [1]) ، الى أبناء فارس باليمن كي يقرئهم القرآن ويعلمهم تعاليم الإسلام ويذكر (الرازى) أنه كان أول من نزل في بيت (أم سعيد بنت بزرج [2]) ، فأسلمت وحسن إسلامها وقرأت القرآن وكان قد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني له مسجداً في بستان (باذان) .

وتنفيذاً لخطة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يختار شريف كل قوم فيوليه على قومه [3]. بالإضافة إلى وعده الذي قطعه (لباذان) بأن يوليه على ما تحت يده وأن يملكه على قومه من الأبناء شريطة أن يسلم [4]. أمام هذا كله نجد الرسول (ص) يفي بوعده ويعين (باذان) والياً على جميع المناطق التي تقع تحت نفوذه . وقد وصفته بعض المصادر أنه أول من أمّر في الإسلام على اليمن [5] .

وبدون شك كان لإسلام (الأبناء من الفرس) في اليمن أثر إيجابي في انتشار الدعوة بين القبائل اليمنية المتفككة باعتبارهم القوة الوحيدة المنظمة في اليمن وإن دخول هذه القوة في بوتقة الإسلام تعني سقوط آمال المترددين من أهل اليمن باعتناق الدعوة الإسلامية . ولهذا نجد كتب النبي (ص) تصل إلى ملوك وأقيال اليمن تدعوهم بشكل مباشر لاعتناق الإسلام . وسنحاول التعرف هنا على كيفية استقبال القبيلة الحميرية ـ صاحبة الملك ـ لدعوة رسول الله (ص) هذه .

تحدثت مصادر عديدة عن توجيه الدعوة الإسلامية إلى حمير ، ولكن رواياتها لم تكن متطابقة ، فبعضها تذكر ان الرسول (ص) وجه دعوته إلى حمير منذ السنة السابعة للهجرة بواسطة المهاجرين أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى يدعوه وقومه إلى الإسلام فأسلموا وقد ذكر ذلك (الأشرف الرسولي) في كتابه (فاكهة الزمن ومفاكهة ذوي الألباب والفطن في أخبار من ملك اليمن [6]) . وتوافقت روايته مع ما جاء عند ابن هشام في السيرة [7] ، ولكن بدون تحديد سنة الدعوة . .

أما (السهيلي) فقد ذكر في (الروض الأنف) عن دعوة المهاجرين أبي أمية للحارث ،

---

(1) ـ الرازى : تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين العمرى ، عبد الجبار زكار ، ص ٧٨ـ ٧٩ ، ١٤٠ ، ٢٩٤ ـ ٢٩٥ . ط . الثانية صنعاء ١٩٨١ م الاشرف الرسولي : فاكهة الزمن ص ١٠ ـ ١١ مخطوط .

(٢) ـ الرازى : ص ٧٩ ـ ١٤٠ ـ ٢٩٤ .

(٣) ـ الخزرجي : طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ج ١ ص ٩٩ . مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٦٥٧ ح

(٤) ـ الطبرى : التاريخ ج ٢ ص ٦٥٦.

(٥) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ١٧٠ .

(٦) ـ الأشرف الرسولي : (أبو العباس إسماعيل بن الأفضل) : فاكهة الزمن ومفاكهة ذوي الألباب والفطن

إلا أنه لم يذكر استجابته للدعوة ، بل توقف كي ينظر في أمره [1] .

بينما يذكر ابن سعد في الطبقات روايات مختلفة حول هذه القضية . ففي رواية يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي [2] إلى الحارث ومسروح ونعيم أبناء عبد كلال الحميري يدعوهم إلى الإسلام .

بينما يذكر في رواية أخرى [3] ، أن الرسول (ص) أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع الحميري وإلى ذي عمرو فأسلما ومات رسول الله (ص) وجرير عندهم

أما رواية ابن سعد [4] فتذكر أن الرسول (ص) أرسل مالك بن مرارة الرهاوي ـ يدعو أهل اليمن عامة وحمير خاصة إلى الإسلام .

ولكن على الرغم من هذا التباين في روايات المصادر غير إنها تلتقي جميعها تحت قاسم مشترك هو دعوة النبي حمير وملوكها الى الإسلام ، وإن هذه الدعوة لقيت قبولا عندهم ، إذ جاءت وفودهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة للهجرة تحمل بشرى إسلامهم ويذكر (الطبري) [5] في (تاريخه) وكذلك (المسعودي) [6] في (التنبيه) أن مالك بن مرارة الرهاوي هو الذي قدم على رسول الله (ص) بعد عودته من غزوة تبوك يحمل بشرى إسلام حمير وملوكها وهم : الحارث بن عبد كُلال ، وشريح بن عبد كُلال ، ونعمان (أو نعيم) بن عبد كُلال ، وكان هذا قيلاً على ذي رعين ومعافر وهمدان [7] . وقد أخبر الرسول ((ص)) أنهم قاتلوا المشركين الذين يلونهم ، وإن (زرعة ذا يزن) كان أول من أسلم من حمير وفارق المشركين [8] .

ثم أمر رسول الله (ص) (بلالاً) أن يُنزِلَ (مالكاً) منزلاً كريماً [9] .

ومما تجدر ملاحظته هنا أنّ ملوك حمير لم يفدوا على رسول الله (ص) بالرغم من أن معظم

---

(1) ـ السهيلي : الروض الأنف ج ٧ ص ٥٢٣ .
(2) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٨٢ .
(3) ـ المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٥ .
(4) ـ المصدر السابق ج ٦ ص ٣٣ .
(5) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٢٢ الطبعة الثالثة . دار المعارف .
(6) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٣٧ .
(7) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٥١ . ابو عبيد : الأموال ، ص ٢٠ .
(8) ـ السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة ، ج ٧ ص ٤١٤ . ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٥٣٠ .
(9) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٥٦ .

المؤرخين اليمنيين يؤكدون ذلك وعلى رأسهم الهمداني [١] ، ونشوان بن سعيد الحميري [٢] ، وابن سمرة الجعدي [٣] وقد دخل عليهم اللبس في هذا من صياغة نص ابن إسحاق [٤] حينما قال: ((قدم على رسول الله كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم – الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال .... وبعث اليه زرعة ذو يزن – مالك بن مرارة الرهاوي)) . فإن هذه الاسماء لم تذكر إلا للتعريف بأسماء ملوك حمير وهي جملة اعتراضية كما تبدو في النص .

ويبدو أن مالكاً الرهاوي لم يبق طويلاً عند الرسول (ص) إذ عاد الى قومه محملا بوصاياه وتعليماته – ودعواته لهم بالخير فاستقاموا على الطريقة ، واطاعوا الله ورسوله وآتوا حق الله ورسوله ، وبين لهم ما عليهم من الواجبات [٥] ، ثم نصحهم بقوله : ((وإني آمركم يا حمير خيراً ، فلاتخونوا ولا تخاذلوا ، وإن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهله ، وإنما هي زكاة تزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل)) .

ثم أمرهم بأن يجمعوا الصدقة والجزية ويسلموها إلى رسله وأوصاهم بهم خيراً وزكاهم بأنهم من ذوي الدين ، وأخبرهم أن أميرهم معاذ بن جبل وأنه من صالحي أهله وذوي دينه [٦] .

ومن البدهي أن يبعث رسول الله (ص) الى الحميريين من يعلمهم الإسلام ويفقههم به ويكون والياً عليهم ليحقق بذلك صيرورة هذا الجزء من اليمن عضوا في جسم الدولة الإسلامية .

ففي ذات يوم أقبل الرسول (ص) إلى أصحابه وقال لهم : ((يا معشر المهاجرين والأنصار من يغترب منكم الى اليمن ؟ فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : أنا لها يا رسول الله فداك أبي وأمي ، ثم عاد الثانية فقال مثل ما قال أولاً ، فقال عمر : كما قال أبو بكر أولاً ثم عاد رسول الله (ص) الثالثة فقام معاذ بن جبل وقال : أنا لها يارسول الله صلوات الله عليك فقال : نعم أنت لها وهي لك . ثم التفت وقال : يا بلال ائتني بعمامتي من عند فاطمة ، فاتاه بلال بعمامة فوضعها على رأس معاذ بيده ثم أقبل على معاذ

---

(١) – الهمداني : الاكليل ، ج ٢ ص ٢٤٠ ، ٢٦٤ .
(٢) – نشوان الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن ، ص ١٧٠ ط . صنعاء ، ١٩٧٨ م .
(٣) – ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٣ – ١٤ .
(٤) – السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة ج ٧ ص ٤١٤ .
(٥) – الطبري : التاريخ ج ٣ ص ١٢٠ – ١٢١ ط . ثالثة دار المعارف مصر .
(٦) – المصدر السابق ج ٣ ص ١٢١ . ابو عبيد : الأموال ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

يوصيه [1])) . فكانت وصايا رسول الله (ص) شاملة لجميع ما سيلاقيه . ويبدو أن رسول الله حرص على الإكثار من الوصايا والتعاليم لمعاذ لعدة أسباب أولها بعده عنه وثانيها وهو الأهم أنه كان يعلم أنهما لن يلتقيا بعد هذا اليوم ولذا قال له : ((يا معاذ إني لو أعلم أنا نلتقي لاقصرت عليك من الوصية ، ولكني لا أرى أنا نلتقي إلى يوم القيامة وخيركم عندي الذي يلقاني يوم القيامة على ما فارقني عليه [2] .

لذلك كان الوداع بين رسول الله ومعاذ وداعاً مؤثراً اختلط بدموع معاذ ودعوات الرسول له فكان آخر كلامه له هذا الدعاء : ((حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ، ومن فوقك ومن تحتك ، وأدرأ عنك شر الإنس والجن [3])) .

ويبدو أن معاذاً رضي الله عنه توجه إلى اليمن في أواخر السنة التاسعة للهجرة حيث دخلها من الشمال مروراً (بنجران) [4] و (صعدة) [5] ثم (صنعاء) [6] . وقرأ على أهلها كتاباً من رسول الله (ص) ثم بنى مسجد (سُمّارة) [7] وهو في طريقه بين صنعاء والجند .

وعندما وصل (الجند) كانت رئاستها (للسكاسك — من كندة) وقد نصح رسول الله (معاذاً) بالاقامة بين السكاسك والسكون [8] الذين طالبهم في كتابه أن يعينوا معاذاً على بناء مسجد (الجند) ويقوم هو بتعليمهم أصول الدين إلى جانب عمله على حانوته ليأكل من كسبها في مدينة صنعاء [9] .

وتذكر بعض المصادر أنه لم يأت شهر رجب من السنة العاشرة حتى كانت جميع المناطق التي سار بها معاذ بن جبل جزءاً من الدولة الإسلامية وعليها هو مربياً ومعلماً .

---

(1) ـ الوثائق السياسية اليمنية : محمد بن علي الاكوع الحوالي . ط . أولى بغداد ١٩٧٦م ص ١٢٦ وما بعدها . الخزرجي : الكفاية والاعلام الجزء الذي حققه راغب دعفوس تحت اسم اليمن في عهد الولاة منشورات الجامعة التونيسية وهذه الرواية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣١٢٤٥ ح) .

(٢) ـ الوثائق السياسية اليمنية : ص ١٢٧ .

(٣) ـ المصدر السابق : ص ١٢٨ .

(٤) ـ عمارة بن علي اليمني : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص ٧٢، ط . ثانية القاهرة ١٩٧٦م

(٥) ـ الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٦) ـ ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ص ١٧ ـ ١٨ .

(٧) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٤٤ .

(٨) ـ الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك المعروف ـ بتاريخ وطبقات الجندي ـ

وقد أضيفت الى المناطق السابقة قبائل (الصدف) و (تجيب) و (السناسك) و (السكون) حيث كانت منازلهم متداخلة ومتجاورة مع (حمير)[1] .

وحول اسلام قبيلة (الصدف) وتجيب) ذكر ابن سعد في الطبقات[2] أن (الصدف) بعثت بوفدها إلى الرسول (ص) لتأكيد إسلامها بينما أرسلت (تجيب) وفدها ومعه ما بقي من صدقاتهم بعد أن قسموا على فقرائهم ما كفاهم[3] ، وقد أسر رسول الله عليهم فقال عنهم ((تجيب أجابت الله[4])) .

وهكذا أصبحت حمير جزءاً من الدولة الإسلامية يديرها معاذ بن جبل من (الجند) يدعو إلى الإسلام كل من قابله ، وكان من ثمرات دعوته قدوم وفد (جيشان[5]) ، وكان منهم (مسلم بن هوشم بن سعد الجيشاني) وهو أول وفد مسلم قدم على النبي (ص) من اليمن من عند معاذ بن جبل . كذلك كان من ثمرات دعوة معاذ ما رواه ابن سعد أن وفداً من قبيلة (النخع[6]) ، كانوا قد أسلموا وبايعوا معاذ بن جبل باليمن ، فقدموا المدينة وهم مئتا رجل نزلوا في (دار الضيافة) وهي دار (رملة بنت الحارث) فاستقبلهم رسول الله (ص) وأجازهم وعادوا الى بلادهم[7] .

من هنا يتضح لنا أن معاذاً كان على صلة بالرسول (ص) سواء عن طريق الرسل والمكاتبات أو عن طريق الوفود التي كانت تأتي من عنده لرؤية رسول الله (ص) وأخذ العلم منه مباشرة[8] .

ومن جهة أخرى لم تخل مهمة معاذ بأرض اليمن من المتاعب فقد بقيت بعض الجماعات في المناطق التي دخلها على الشرك ولم تكتف بهذا بل وقفت في وجهه وقاتلته . وكان الرسول (ص) قد أوصاه بمقاتلة من عصاه بمن أطاعه[9] . وقد فعل ذلك حينما قاتل بعض المشركين ، ويتضح هذا من

---

(١) ـ الهمداني : الصفة ، ص ١٦٩ ، ١٧٦ . ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٤٢٩
(٢) ـ ابن سعد الطبقات ، ج ١ ص ٣٢٩ .
(٣) ـ المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٢٣ . ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ج ٢ ص ٢٤٦ ط. ثانية : بيروت ١٩٧٤ م .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٢٣ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٥) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨ . ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٩٥٩ .
(٦) ـ ابي عبيد الله البكري : معجم ما استعجم ج ١ ص ٦٣ .
(٧) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٧٩ . ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٤٦ .
(٨) ـ ابي عبيد بن سلام : الأموال ص ٣٥ ، من خلال كتب رسول الله (ص) إلى معاذ يعرفه ببعض فرائض الصدقة .
(٩) ـ مسند احمد بن حنبل : ج ٥ ص ٢٣٥ .

كتابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : ((لقد قاتلت من كفر من أهل اليمن بثلة من الأشعريين والسكاسك والأملوك : أملوك ردمان[1])) .

وفي مكان آخر ذكرت بعض المصادر أن معاذ بن جبل تعرض لمحاولة اغتيال من قبل رجل من (صعدة) واسمه (الأصبغ بن حجر الأكبر بن سعد من خولان) ، غير أنه لم يتمكن من تحقيق ذلك[2] .

أما قبيلة كندة : فإن الرسول (ص) وجه إليهم الدعوة وهو مازال بمكة[3] ، حينما قدموا المواسم ولكنهم أبوا ثم أرسل في السنة السابعة كتاباً يشبه كتابه الى بني (عبد كلال) من حمير) يدعوهم فيه إلى الإسلام .

وبالرغم من صمت المصادر عن ذكر الرسول الذى أوفده النبي إلى كندة والنتائج التي ترتبت عليه . إلاّ أن المؤرخين أمدونا بمعلومات عن قدوم وفد كندة في السنة العاشرة برئاسة (الأشعث بن قيس) من بني الحارث بن معاوية الى جانب الملوك الأربعة من بني (وليعة ابن معاوية[4]) ، وهم (مخوس ، ومشرح ، وجمد ، وابضعة[5]) ، وقد ثبت أنهم قدموا مع الأشعث بن قيس الكندى إلى الرسول (ص) خاصة أن قيساً كان متزوجاً ابنة (جمد) أحد الملوك الأربعة[6] .

ولربما تضافرت أسباب متعددة دفعت الكنديين إلى اعتناق الإسلام . كانتصار الدعوة وسقوط كل القوى المناوئة لها في الجزيرة العربية إلى جانب توجيه دعوة الرسول لهم ، بالاضافة إلى دور ربما شغله معاذ بن جبل في هذا المجال خاصة أنه كان ينزل في مكان قريب من مواطن بني معاوية من كندة عند السكاسك .

وقد جاءت الروايات بأن وفدهم كان مكونا من ستين راكباً[7] وقيل من ثمانين[8] ، ورواية ثالثة : بأنهم بضعة عشر[9] ، غير أن جميع الروايات تتفق على وجود الأشعث بن

---

(١) ــ الأكوع : الوثائق السياسية ، ص ١٢٢ .
(٢) ــ الهمداني : الاكليل ، ج ١ ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨ . ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ١٠٨ .
(٣) ــ ابن هشام : السيرة ، ج ٤ ص ٣٨ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٣ ص ١٤٠ .
(٤) ــ ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣ .
(٥) ــ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٢١ .
(٦) ــ مسند احمد : ج ٥ ص ٢١١ .
(٧) ــ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ١ ص ١١٨ .
(٨) ــ السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة ، ج ٧ ص ٤٠٩ .
(٩) ــ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٢٨ .

قيس على رأسهم . بالإضافة إلى ذلك فقد ذكرت المصادر أن وفد كندة قدم إلى المدينة في السنة العاشرة وكانوا على أحسن هيئة حتى أن الناس خرجوا ينظرون إليهم [1] ، وقد استقبلهم الرسول (ص) وصحابته بأحسن ثيابهم ، فكان يرتدي حلة يمانية ومثله أبو بكر وعمر [2] .

ومن خلال روايات أهل الأخبار يتبين لنا أن وفد كندة لم يأت الرسول (ص) وهو مسلم . والدليل على هذا أنه حصل بين الرسول وبينهم حوار حول صدق محمد وما يدعو له ثم أعلنوا إسلامهم [3] . ثم نبههم إلى ما يلبسونه من حرير بأنه حرام لبسه على الرجال فشقوه وألقوه [4] .

ومما يجب الإشارة إليه هنا أن قبيلة (جعفي) وهي بطن من (مذحج) التي كانت تنزل حضرموت بالقرب من مواطن (كندة) قد ضمهم وفد ولعله جاء مع وفد كندة لأنه حصل حوار بين الرسول (ص) وبين أحدهم وتدخل الأشعث بن قيس في ذلك الحوار [5] ، وبعد إسلامهم أقطع رسول الله بعضهم جزءاً من (وادي جردان) بحضرموت [6] ، ثم استعمل (قيس بن سلمة الجعفي) على قومه [7] .

أما كندة فقد استعمل عليها الرسول (ص) زياد بن لبيد البياضي الأنصاري [8] ثم على حضرموت كلها بعد أن مرض المهاجرين أبي أمية . ثم أمر الرسول (ص) (سيف بن قيس) أخا الأشعث بن قيس أن يكون مؤذن قومه فلم يزل يؤذنهم حتى مات [9] .

وبهذا أصبحت كندة صاحبة الملك والعز والجاه جزء من الدولة الإسلامية عليها وال من قبل الرسول (ص) مباشرة .

أما قبيلة حضرموت : التي كانت تشارك كندة في سكنها . فقد ذكرت المصادر أن وفدها إلى الرسول (ص) قدم مع وفد كندة فأسلموا . وورد في الرواية نفسها أن وائل بن حجر

---

(1) ـ ابن حجر : الاصابة ج ٣ ص ٦٤٩ .
(٢) ـ المتقي : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي . البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، ج ١٠ ص ٦١٢ . ط . بيروت ١٩٧٩ م
(٣) ـ الزرقاني : محمد بن عبد الباقي ابن علوان الزرقاني . مصدر سابق شرح المواهب . ط . ثانية بيروت ١٩٧٣ م . ج ٤ ص ٢٧ .
(٤) ـ السهيلي : الروض الانف في شرح السيرة ج ٧ ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
(٥) ـ النووي : شرح صحيح مسلم ، ج ١٢ ص ٢٢٥ .
(٦) ـ الهمداني : الصفة ص ١٤٧ ، ١٩٩ . ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(٧) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٢٥ .
(٨) ـ [illegible] ج ٢ ص ٢٧٠ .

الحضرمي وفد على النبي (ص) وقال له : ((جئت راغباً في الإسلام والهجرة [1])) .

لكن الشيء المهم الذي يجب الإشارة إليه هنا هو أن وفد كندة لم يسلم إلا بعد وصوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بينما جاء وفد حضرموت برئاسة وائل بن حجر الحضرمي إلى الرسول (ص) مسلماً وقد اتضح ذلك من حديث وائل عن نفسه عندما قال : ((بلغنا ظهور رسول الله (ص) وأنا بملك عظيم وطاعة عظيمة فرفضت ذلك ورغبت إلى الله ورسوله وفي دينه [2])) .

ومما يؤكد صحة هذا الأمر استقبال الرسول الحافل لوائل بن حجر الحضرمي معلناً للناس سروره واستبشاره ثم قدمه لاصحابه قائلا ((أيها الناس : هذا وائل بن حجر قد أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت ذطائعا غير مكره ، راغباً في الله ورسوله وفي دينه . بقية أبناء الملوك [3])) .

بينما لم يكن استقبال (الأشعث بن قيس) بهذه المواصفات ، بل كان استقباله عند الرسول (ص) مفعماً بالحوار والأخذ والرد ثم كان إسلامه بعد ذلك .

هذا وتدل الأحاديث الكثيرة التي رواها وائل بن حجر الحضرمي عن الرسول (ص) على أنه بقي في المدينة فترة طويلة [4] . كما تشير الروايات من جهة أخرى إلى إسلام بعض (أقيال) حضرموت وحضورهم معه إلى المدينة . مثل مسروق بن وائل الحضرمي ، وكليب بن أسد الحضرمي الذي حمل هدية أمه لرسول الله [5] .

ومما يجب ذكره عن وائل بن حجر الحضرمي ما رواه ابن سعد في الطبقات أن الرسول (ص) أقطعه أرضاً في (الحَرّة) من المدينة ليستقر فيها وأرسل إلى معاوية بن أبي سفيان ليحددها له ويسلمها إليه [6] .

وعندما عاد إلى حضرموت أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع أقيال حضرموت وأمرهم الرسول بالسمع والطاعة له [7] . بالإضافة إلى تمييز والي عام يكون المرجع الأعلى في إدارة البلاد كلها ابتداءً من الصلاة ومروراً بالحكم بين الناس وانتهاءً بقتال المشركين الذين يحاولون

---

(1) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج 1 ص 349 .
(2) ـ الاهدلي : نشر الدر المكنون ، ص 107 .
(3) ـ نفس المصدر السابق ، ص 108 .
(4) ـ مسند الامام أحمد : ج 4 ص 315 ـ 319 وج 6 ص 399 شرح صحيح مسلم : النووي ج 2 ص 157 وج 4 ص 114 وج 11 ص 172 وج 12 ص 235 . و ج 13 ص 152 وج 15 ص 5 .
(5) ـ ابن حجر : الاصابة ج 1 ص 63 ، 510 ، 511 ، ج 2 ص 142 . ابن سعد : ج 1 ص 266 .
ابن الاثير : اسد الغابة ج 5 ص 156 ، 165 ابن عبد البر : الاستيعاب ج 1 ص 105 ـ 107 ـ 515 .
(6) [illegible] مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص 399 .

ضدّ الدعوة . ولذلك عُيّن المهاجر بن أبي أمية على حضرموت ولكنه مرض فكتب رسول الله (ص) إلى زياد بن لبيد البياضي الأنصاري ان يقوم مكانه فيديركندة وحضرموت معاً [1] .

كما أقر الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أقيال حضرموت على بعضها يملكون كأقيال (شبوة) و (بني مرحب) من حضرموت [2] . وبهذا أصبحت قبيلة حضرموت في نطاق الدولة الإسلامية وجزءاً منها .

أما قبائل منطقة تهامة اليمن التي تشمل (عدن) و (لحج) وبلاد (الأشعريين) و (ربعك) وبلاد (حكم بن سعد العشيرة) فإن المصادر التاريخية لم تشر الى إرسال وفود من هذه القبائل الى المدينة كي تعلن إسلامها ولكن من الأمور المؤكدة أن هذه القبائل في هذه المنطقة أعلنت إسلامها واختار لها الرسول (ص) أبا موسى الأشعري والياً [3] ، كما اختار معاذ بن جبل على الجزء الجبلي منها ، وقد جاء هذا في حديث رواه البخاري ومسلم من أن رسول الله (ص) بعث أبا موسى إلى اليمن ثم اتبعه معاذاً [4] .

وقد ذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) وكذلك ابن حبيب في (المحبر) أن أبا موسى الأشعري تسلّم عملهُ في منطقة تهامة اليمن الممتدة من حدود تهامة الحجاز الى عدن [5] .

وبهذا دانت منطقة تهامة كلها للإسلام وأصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية .

أما نجران : مركز النصارى الرئيسي في اليمن فعلى الرغم من ارتباطهم الوثيق مع الروم ، فابن كثير [6]) وكذلك (أبا الفرج [7]) يذكرون توجيه الرسول (ص) إليهم كتابه يدعوهم فيه إلى الإسلام وذلك قبل ذهابه إلى تبوك مثله مثل كتابه الى حمير .

ويبدو أن نصارى نجران عندما وصلهم كتاب رسول الله (ص) أرسلوا وفداً منهم الى الرسول (ص) في المدينة مكوناً من ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم وعلى

---

(1) ـ ابن الديبع الشيباني : (ت ٩٤٤ هـ) ، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، ص ٢٢ ، صنعاء .
(2) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٦٦ ، ٢٨٧ .
(3) ـ ابن حجر : فتح الباري ج ١٦ ص ١٧٩ .
(4) ـ المصدر السابق ج ٢٦ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ . النووي : شرح صحيح مسلم : ج ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ .
(5) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٢ ص ٣٧٢ . ابن حبيب : المحبر ، ص ١٢٦ .
(6) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ص ٥٣ .
(7) ـ الأصفهاني (أبو الفرج) ، الأغاني ج ١٢ ص ٦ . عن علاقة أهل نجران بالروم ـ انظر ص ٦٤ ـ ٦٥ من الفصل الرابع من هذا البحث .

رأسهم رؤساؤهم الثلاثة (العاقب) و (السيد) و (الاسقف)(١) .

وعلى ما يظهر أن وفدهم توصل إلى الصلح (٢) مع الرسول عندما رفضوا قبول الدعوة وقد كتب لهم كتاباً ذكر فيه أنه صالحهم على ألفي حُلّة : ألف في رجب وألف في صفر من كل عام ، واشترط عليهم شروطاً كثيرة لهم وعليهم(٣) ، وقد دخل في الصلح اليهود الذين كانوا بنجران فكانوا كالأتباع لهم(٤) .

كما بعث معهم الرسول (ص) (أبا عبيده بن الجراح) كي يحكم بينهم(٥) ثم يقبض مال الصلح (٦) وهي الجزية التي فرضها عليهم ، وقد ذكر (البلاذري) أن أهل نجران كانوا أول من أعطوا الجزية(٧) .

ثم أوفد النبي (ص) بعد أبي عبيدة عدداً من أصحابه إلى نجران لاستلام مال الصلح والصدقة المكتوبة على المسلمين في كل موسم من مواسم العام فقد أرسل (المغيرة بن شعبة) ذات مرة(٨) . وأرسل أبا سفيان بن حرب مرة ثانية . كما كلف علي بن أبي طالب عند عودته من (اليمن) أن يمرّ على نجران فيأخذ ما استحق عليهم من الجزية ويأخذ من أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة(٩) فقدم في حجة الوداع . وأما بعدها فمين رسول الله (ص) عمرو بن حزم الأنصاري على نجران كلها والياً عليها حتى توفي عليه الصلاة والسلام(١٠) .

وبعد تسليم نجران نجد الرسول (ص) يسلك سياسة جديدة في اليمن وبقية أجزاء الجزيرة العربية إذ أخذت سراياه تنطلق بمختلف الاتجاهات لإعلاء كلمة الله ومقاتلة المشركين ونشر الدعوة .

وقد كان لبعض مناطق اليمن نصيب من هذه السريا كتلك التي بعث بها إلى بعض

---

(١) _ السهيلي : الروض الانف في شرح السيرة ج ٥ ص ٧ ، ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٥٧ .
(٢) _ السهيلي : الروض الانف في شرح السيرة ج ٥ ص ٢٠ _ ٢١ .
(٣) _ الزرقاني : مصدر سابق ج ٤ ص ٤٣ .
(٤) _ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٧٨ .
(٥) _ السهيلي : الروض ج ٥ ص ٢٠ _ ٢١ .
(٦) _ ابن حجر : فتح الباري ج ١٦ ص ٢١٩ .
(٧) _ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٨١ .
(٨) _ ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي) زاد المعاد في هدي خير العباد محمد (ص) خاتم النبيين وإمام المرسلين ج ٤ ص ٤١ . القاهرة بدون تاريخ .
(٩) _ ابن حجر : فتح الباري ، ج ١٦ ص ٢١٩ .
(١٠) _ الطبري : التاريخ ، ج ٣ ص ١٣٠ ابن حجر : الاصابة ، ج ٢ ص ٥٣٢ .

قبائل (السَّرَاة اليمنية) ، وإلى بعض مناطق نجران التي لم يشملها الصلح السابق كمنطقة (بني الحارث بن كعب) ، بالإضافة إلى بعض مناطق (همدان) ، (وخولان) ، و (سرو مذحج) .

سرايا الرسول (ص) إلى قبائل السَّرَاة اليمنية :

في السنة الثامنة للهجرة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (الطفيل بن عمرو الدوسي) بالتوجه إلى أرض قبيلة (دوس) ليهدم صنمهم (ذى الكفين) مع بعض المقاتلين المسلمين من قومه ثم يوافيه (بالطائف) .

وتذكر لنا المصادر أن (الطفيل بن عمرو الدوسي) نفّذ أمر رسول الله (ص) على أكمل وجه وعاد إلى الرسول وبصحبته أربع مائة من قومه وافوا الرسول جميعهم (بالطائف) وكان معهم دبابة ومنجنيق[1] .

ومما يستفاد من هذا أن (دوساً) لم تكن مسلمة جميعها وأن إسلام الطفيل مع ثمانين بيتاً من قومه[2] عندما قدم إلى المدينة لم يكن يشكل هذا رأى جميع قبيلة (دوس) ومما يؤيد هذا الرأى بقاء صنمهم حتى السنة الثامنة يتعبدون له ومن ثم تم هدمه بالطريقة الآنفة الذكر وإسلام بقية دوس وبالتالي تكون حملة الطفيل قد حققت الغرض المطلوب منها بجعل (دوس) جزءاً من الدولة الإسلامية .

وفي الثاني عشر من شهر ذى القعدة من السنة الثامنة[3] نفسها جهز الرسول (ص) عودته من (الجعرانة) جيشاً مكونا من أربعمائة من المسلمين بقيادة (قيس بن سعد ابن عبادة[4]) ، وأمر بالتوجه الى قبيلة (صداء)[5] ، في شمال اليمن .

ويبدو أن هدف هذا الجيش كان بالدرجة الأولى تنبيه اليمنيين القاطنين في أقصى الجزيرة العربية من الجنوب بأن الدور قادم عليهم ، بعدما كانت معظم تحركات رسول الله (ص) حتى ذلك الوقت في مواضع بعيدة عن اليمن . وقد أرهبت هذه الحملة وغيرها من الحملات التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن . ومعظم من جاء من اليمن

---

(١) ــ ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .
(٢) ــ ابن الاثير : اسد الغابة ، ج ٣ ص ٨٠ ــ ٨١ .
(٣) ــ الزرقاني : مصدر سابق شرح المواهب ج ٤ ص ٦٠ .
(٤) ــ ابن حجر : الاصابة ج ٣ ص ٢٤٩ .
(٥) ــ الزرقاني : مصدر سابق ج ٤ ص ٦٠ .

فيما بعد مثل ما عرفناه عن (ربيعة بن رواء العنسي) الذي قال : خُوِّفت فخفت وقيل لي آمِنْ فآمنت[٢] . وأمثاله من قبائل يمنية أخرى .

وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام ((نُصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر[٢])) .

وقد علم من بعض المصادر أن سبب عدم تقدم جيش الرسول (ص) إلى قبيلة (صداء) هو قدوم (زياد بن الحارث الصدائي[٣]) ، إلى الرسول (ص) مسلماً ومن ورائه من قومه .

ولم تأت حجة الوداع حتى قدم على الرسول (ص) مائة رجل من (صداء[٤]) يعلنون إسلامهم . وكان من البديهي أن يُعيِّن لهم من يعلمهم الدين ويتولى أمورهم أمام الرسول (ص) لذا نجد الرسول يولي (زياد بن الحارث الصدائي[٥]) ، على قومه وقد قبل زياد في بادئ أمره هذه المهمة غير أنه اعتذر عنها بعد ما سمع رسول الله (ص) وهو يقول ((لا خير في الأمرة لمسلم)) ، ثم دلَّ (زياد) إلى أحد القادمين معه ليكون أميراً عليهم[٦] . وبذلك أصبحت صداء جزءاً من الدولة الإسلامية .

ويذكر ابن حجر في (الاصابة[٧]) أنه في صفر من السنة التاسعة بعث الرسول (ص) سرية الى قبيلة (خثعم) بقيادة (قطبة بن عامر الأنصاري) قوامها عشرون رجلاً . فخرجوا واشتبكوا معهم في قتال شديد أسفر عن عدد من القتلى والجرحى من (الخثعميين) بالإضافة الى ما غنمه المسلمون من النعم والشاء والنساء[٨] .

وبالرغم من ذلك فقد بقيت خثعم على شركها ولم تسلم إلاَّ في مرحلة قادمة وبما أنها كانت تشترك مع قبيلة (بجيلة) في موطن واحد فقد اشتركت أيضاً معها في عبادة صنم (ذي الخلصة) الذي كان يتربع في بيت يشبه الكعبة[٩] .

وبعد مشاركة جرير بن عبد الله البجلي في حجة الوداع اقترب الرسول (ص) منه وقال :

---

(١) ــ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٤٢ .
(٢) ــ شرح صحيح مسلم : ج ٥ ص ٤٢٣ .
(٣) ــ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٢ ص ٢٦٩ . ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٦٦ .
(٤) ــ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٢٦ .
(٥) ــ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ج ١ ص ٩٩ مخطوط (بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٥٧ ح)
(٦) ــ المتقي . علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي . البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ) كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والافعال ج ١٣ ص ٤٠١ ــ ٤٠٢ . بيروت ١٩٧٩ م .
(٧) ــ ابن حجر : الاصابة ، ج ٣ ص ٢٣٧ .
(٨) ــ الزرقاني : شرح المواهب ، ج ٣ ص ٤٨ .
(٩) ــ ابن منظور : اللسان ، ج ٢ ص ١٢٢٩ .

((ألا تريحني من ذي الخلصة ياجرير؟)) فأجابه بالإيجاب ، وهي إشارة من الرسول (ص) بمثابة أمر لقتال قبيلة (خثعم) وتحطيم صنمهم .

عندئذ أمَّره على قومه وعلى جميع من جاء معه من (بجيلة) وطلب منه السير باتجاهها وأن يدعوها ثلاثة أيام ، فإن أجابوا إلى الإسلام قَبِل منهم وهدم صنمهم (ذا الخلصة) وإلاّ وضع فيهم السيف[1] .

ويبدو أن (خثعماً) قررت مواجهة المسلمين بالقتال الذي تصدى لهم جرير بن عبد الله البجلي بكل شجاعة وتمكن من سحقهم وحرق صنمهم[2] ونشر الدعوة بين صفوفهم وقد أوفد (جرير) من قومه رجلاً إلى الرسول (ص) يعلمه فيه بانتصاره[3] . فكتب الرسول (ص) لخثعم كتاباً لسكان الحضر والبادية بوضع دماء الجاهلية وبيّن لهم ما يدفعونه من الزكاة ، وأشهد على ذلك جرير بن عبد الله البجلي[4] .

وفي الوقت الذي وصل فيه رسول (جرير) إلى الرسول (ص) يخبره فيه بالنصر الذي تحقق على يده في (خثعم) ظهر (الأسود العنسي) في اليمن فأرسل رسول الله (ص) إلى (جرير) كتاباً يأمره فيه بالتوجه إليه والوقوف في وجهه كما سيأتي لاحقا .

ومما يجدر ذكره أن قبيلة (بجيلة) كانت قبل كل هذه الأحداث قد أسلمت وأرسلت إلى الرسول (ص) منها وفدين أحدهما بقيادة جرير بن عبد الله البجلي[5] ومعه مائة وخمسون رجلاً . والآخر بزعامة قيس بن عزرة الأحمسي[6] ومعه من (أحمس[7]) مئتان وخمسون رجلاً فأسلموا جميعاً وبايعوا وقد أخبر جرير رسول الله (ص) بهذه المناسبة أن الاسلام قد ظهر فيهم والآذان في مساجدهم ، وهدمت أصنامهم[8] .

وبخضوع (بجيلة) و (خثعم) للإسلام أصبحت جميع منطقة (السَّراة اليمنية) جزءاً من الدولة الإسلامية التي خضعت معظمها بقوة السيف وتحقيقاً لذلك فقد عين عليهم الرسول (ص) العمال والولاة . وكان قد عين (الطفيل بن عمرو الدوسي) على قومه واستعمل

---

(١) ـ ابن حجر : فتح الباري ج ١٦ ص ١٩٢ ـ ١٩٣
(٢) ـ نفس المصدر السابق والصفحة .
(٣) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٨٦ .
(٤) ـ نفس المصدر السابق والصفحة .
(٥) ـ ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٢٣٢ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٢٥٦ .
(٧) ـ ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٣٨٨ ـ ٤٧٤ .
(٨) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ . ابن حجر : فتح الباري ج ١٦ ص ١٩٠ ـ ١٩١

(صرد بن عبد الله الأزدي) على (جُرش) وما حولها و (جرير بن عبد الله البجلي) على قومه وأخيراً عين (سعد بن أبي ذباب[1]) والياً على أهل السَّراة كلها وقد استمر على ذلك حتى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] .

أما قبيلة (بني الحارث بن كعب) التي بقيت وحدها في منطقة نجران معاندة لم تسلم ولم تستسلم كان لا بد من إرسال سرية لها تضع حداً لصلفها وغرورها ، وقد اختار الرسول (ص) خالد بن الوليد قائداً لهذه السرية على رأس أربعمائة رجل فخرج إليهم في السنة العاشرة[3] . وكان قد أمره الرسول (ص) بأن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم (ثلاثة أيام) فإن استجابوا أمره بقبولهم والاقامة فيهم وتعليمهم القرآن ومعالم الإسلام ، وإن لم يفعلوا أمره بقتالهم[4] .

وفور وصول خالد بن الوليد إلى بني الحارث أرسل رجاله بين شعاب ووديان بلادهم يدعونهم إلى الإسلام ، فأسلموا جميعهم فأقام فيهم خالداً يعلمهم الإسلام وأرسل إلى الرسول (ص) يخبره بالنصر[5] . فأمره الرسول (ص) بالقدوم مع وفد بني الحارث بن كعب فأقبل خالد مع وفدهم وعلى رأسهم (قيس بن الحصين ذو الغصَّة) و (يزيد بن عبد المدان[6]) .

ويبدو أن الرسول (ص) قابلهم بشدة من خلال ما روى عنه قوله لهم : ((أنتم الذين إذا زجروا استقدموا[7])) .

ويذكر أن بني الحارث بن كعب أصبحوا بعد لقائهم رسول (ص) مسلمين خالصين لله ورسوله .

اما همدان : فقد ذكرنا عنها في صفحات[8] سابقة أن بعضاً منها قدموا مكة وأسلموا وعادوا إلى بلادهم ليدعوا قومهم إلى الإسلام ثم يرجعون لأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ولكن الأنصار سبقوهم بذلك الفضل[9] .

---

(١) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٢ ص ٥٠ ابن الأثير : أسد الغابة ج ٢ ص ٣٤٧ .
(٢) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٤ ص ٣٤١ .
(٣) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٣٨ . ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ١٦٩ .
(٤) ـ الطبري : التاريخ ج ٣ ص ١٢٦ وما بعدها .
(٥) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٣٩ .
(٦) ـ الطبري : التاريخ ج ٣ ص ١٢٧ ، ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٣٩ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٣ ص ٢٣٨ ، ٥٧٠ ، ابن حجر : الاصابة ج ٣ ص ٢٤٤ ، ٦٠٦ .
ابن الأثير : أسد الغابة ج ٤ ص ٤١٨ .
(٧) ـ اللسان : ج ٣ ص ١٨١٢ .
(٨) ـ ينظر ص ٢٧ من هذا الفصل .
(٩) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ٢٢٠ ، ٢٢٥ ـ ٢٢٦ . ابن حجر الاصابة ج ٣ ص ٢٦٢ .

وقد ذكرت المصادر أن (الأرحبيين الهمدانيين) هم الذين قدموا إلى الرسول (ص) وأسلموا ثم جعل النبي قيس بن مالك الأرحبي والياً على همدان [1] .

إلاَّ أن بعض المصادر العربية [2] ، تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى اليمن خالد بن الوليد على رأس سرية لنشر الدعوة وقتال كل من يقف حيال انتشارها. وقد ذكرت بعض هذه المصادر أن قدوم سرية خالد بن الوليد هذه إلى اليمن كان في السنة الثامنة [3] ، وقد مكث بها مدة ستة أشهر دون أن يرد ذكر لهمدان أو أي انتصار أو حدوث أي مجابهة قتالية بينه وبين اليمنيين . ولما تأخر كل هذه الفترة أرسل الرسول (ص) على أثره علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة التاسعة [4] وأمره بأن يحل محل خالد . وقد ذكرت المصادر أنه بعد مقدم علي إلى اليمن قرأ كتاب رسول الله (ص) على أهل اليمن فأسلمت (همدان) كلها في يوم واحد [5] .

وقد جعل الرسول (ص) (ذا الشعار) والياً على همدان . وهكذا أصبحت منطقتهم جزءاً من الدولة الاسلامية .

أما قبيلة خولان : فمن الأهمية أن نذكر ناحية هامة مرت معنا أثناء بحثنا لقدوم معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن . فقد ذكرت المصادر أن معاذاً عندما قدم إلى اليمن في أواخر السنة التاسعة للهجرة أنه مر في طريقه إلى منطقة حمير بمدينة (صعدة) ـ عاصمة (خولان) وبنى فيها مسجدا [6] .

فالذي يتبادر إلى الذهن من ذلك أن خولان كلها كانت مسلمة جميعها على يد معاذ ابن جبل . ولكن يبدو أن واقع أمر خولان كان مختلفاً ، فقد ذكر ابن الأثير [7] وكذلك ابن سعد [8] وغيره أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث (خالد بن سعيد بن العاص [9])

---

(1) ـ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٤ ص ٤٤٢ . ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٤١ .
(2) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٥ . ابن حجر : فتح الباري ج ١٦ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
(3) ـ ابن حجر : فتح الباري ، ج ١٦ ص ١٨٤ .
(4) ـ الزرقاني : شرح المواهب ج ٣ ص ٥٢ .
(5) ـ المصدر السابق نفسه .
(6) ـ الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
(7) ـ ابن الاثير : أسد الغابة ، ج ٢ ص ٩٧ ـ ٩٨ .
(8) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ . ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ص ١٤ .
(9) ـ ابن الأثير : أسد الغابة ج ٢ ص ٩٧ ـ ٩٨ .

مع (فروه بن مسيك المرادى) إلى (مذحج)[1] وكلفه بأن يدعو (خولان) إلى الإسلام نظراً لتداخل أرضها مع مذحج[2] ، فدعاهم إلى الإسلام لكنهم أبوا فاضطر لمقاتلتهم فقتل منهم وسبى[3] .

وقد اكد حدوث هذا القتال الهمداني في الاكليل[4] إذ ذكر أن واحدة من زوجات النبي (ص) ـ عائشة أو أم سلمة ـ نذرت أن تعتق عبداً من أبناء اسماعيل فجاء سبي اليمن من خولان فأرادت أن تعتق منهم فنهاها رسول الله (ص) لانهم من أبناء قحطان فلما جاء سبي من أبناء (مضر) أمرها أن تعتق منهم[5] .

ومما ذكره الاخباريون أن وفداً من (خولان) مكوناً من عشرة نفر قدموا على رسول الله (ص) في شعبان من السنة العاشرة مسلمين ، لانهم قالوا : يا رسول الله نحن مؤمنون بالله ، مصدقون برسوله ، ونحن على من وراءنا من قومنا . فسألهم رسول الله (ص) عن صنمهم (عميانس) فقالوا : بشر أبدلنا الله به ما جئت به . ولو قد رجعنا إليه لهدمناه[6] وهكذا أصبحت خولان جزءاً من الدولة الاسلامية .

أما قبائل (سعد العشيرة) : مثل (مراد) و (عنس) و (زبيد) . فقد تحدثت المصادر عن إسلام بعضها دون قتال في اسلام بعضها الآخر .

فقبيلة (مراد) بعد هزيمتها في يوم (الرزم) على يد (همدان) وخيانة كندة لها خرج زعيمها (فروة بن مسيك) المرادى) الى المدينة قاصداً الرسول صلى الله عليه وسلم فأعلن إسلامه وبقي فترة يتردد على مجالسه يتعلم منه القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه[7] .

بعد ذلك أمّره رسول الله (ص) على من أسلم من قومه وأمره بالعودة إلى بلاده يدعو بقية قومه إلى الإسلام ومقاتلة من عصاه بمن أطاعه وأوصاه أن ((لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام ، فإذا رأيت غفلة فاغتنمها واغز[8])) .

ويبدو أن زعامة (فروة) لقومه جعلت مهمته سهلة وكان قد ضمن قومه أمام رسول الله (ص) ووعد بأن يطلب البيعة ممن آمن ويطلب الإيمان ممن لم يكن آمن[9] . اذ لم تحدثنا

---

(١) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ ابن سمرة الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ص ١٤ .
(٢) ـ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٦ ـ ١١٧
(٣) ـ الرازى : تاريخ مدينة صنعاء ، ص ١٤١
(٤) ـ الهمداني : الاكليل : ج ١ ص ٢٣٧ .
(٥) ـ أبو عبيد : الأموال ، ص ١٥٩
(٦) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٢٤ .
(٧) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٢٤ .
(٨) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ٣ ص ٢٠٥ ابن كثير : التفسير ، ج ٦ ص ٤٩٢

المصادر عن قتال تم مع مراد .

ومن المرجح أن الرسول (ص) وسع له سهام عمله بعد هذا فولاه قبيلة (عنس) و (زبيد[1]) بالإضافة إلى مراد ومما يؤيد صحة هذا أنه كان من أسباب ردة (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) تولي (فروة) على قومه لأن عمراً قدم من المدينة فوجد فروة أميراً على زبيد) وجعل معه (خالد بن سعيد بن العاص) وأمره بأن يقاتل أي قرية لا يسمع فيها الآذان[2] ولم يبعث معه بقوة من المسلمين بل جعله على الأعراب الذين ينضمون اليه في طريقه إلى اليمن[3].

بالإضافة إلى ذلك فقد جعله أميراً على صدقات قبيلة (مذحج) كلها وكتب له الرسول (ص) كتاباً بين له فيه فرائض الصدقات[4] .

وبينما كان الإسلام يعم بنوره معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية إلى جانب اثبات وجوده وقوته من خلال تلك الغزوات التي شنها على أعدائه في داخل الجزيرة وعلى حدودها مع القوى الأجنبية . أخذت البقية الباقية من القبائل العربية تفد إلى المدينة تعلن اسلامها ومن بين هذه القبائل بعض قبائل اليمن ك (قبيلة بارق[5]) و (غافق[6]) و (نهد[7]) و(غامد[8]) و (مأرب[9]) (ومهرة)[10] ، و (الرهاويين[11]) . دون أن تذكر المصادر أحداً من الدعاة وجه لهم الدعوة أو أن سرية أرسلت اليهم .

كما أننا نجهل الدافع الذي دعاهم إلى اعتناق الإسلام طواعية هل كان بدافع الرغبة أم بدافع الرهبة ؟ .

---

(١) ـ الطبري : التاريخ ج ٣ ص١٣٦ ، ٣٢٦ . ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص٥٢٢ .
(٢) ـ المتقي : كنز العمال ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ٤٨٣ .
(٣) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٢ ص٥٢٢ .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص٣٢٧ ، ج ٥ ص٥٢٤ . ابن عبد البر : الاستيعاب ج ١ ص٤٠٠ .
(٥) ـ بارق من بطون الازد : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٧٣ كحالة : معجم القبائل العربية ج ١ ص٥٧ .
(٦) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص٣٥٢ .
(٧) ـ المصدر السابق نفسه .
(٨) ـ غامد . بطن من الازد معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ج ٢ ص ٨٤٥ . ابن حزم : جمهرة ص ٤٧٣ .
(٩) ـ الهمداني : الاكليل ج ٨ ص٩٥ البكري : معجم ما استعجم ، ج ٤ ص ١١٧٠ـ١١٧١
(١٠) ـ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ص٣٧٤ . ابن سعد : الطبقات ج ١ ص٣٥٥ ، ٣٦٦ .
(١١) ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص٤١٢ . الهمداني : الصفة ، ص١٨١ـ١٨٢ .

ومن الأمور المثبتة تاريخياً أن بعض القبائل اليمنية اعتنقت الإسلام بدافع الرغبة الشديدة الصادقة العامرة بالإيمان بينما القسم الأكبر منهم أرهبته قيام دولة الإسلام فكان لا بدّ من الخضوع لأمرها فجاء إسلامهم بألسنتهم دون قلوبهم ، وقد ثبتت صحة هذا القول بعد وفاة الرسول (ص) إذ أعلنوا ردتهم مباشرة فما كان من (الصديق) الخليفة الأول (أبي بكر) إلاّ التصدي لهم ولمّ شملهم في نطاق دولة الإسلام مرة أخرى .

وفي ختام هذا الفصل نجد أنفسنا أمام عدة نتائج هامة توصل إليها اليمنيون من خلال دخولهم الاسلام . أهم هذه النتائج توحيدهم في ظل نظام دولة واحدة من الناحية السياسية بعد ما كانوا شعوباً وقبائل بعضهم التمزق وتنهشهم الفرقة والحروب والانقسامات الى وحدات قبلية هزيلة . وقد تجلّى انقسامهم هذا من خلال عدة ظواهر شهدها مجتمعهم ككثرة تعدد وفودهم الى المدينة نتيجة فقدهم الوحدة السياسية . ثم تعدد ألقابهم (الملكية) التي كشفت عن زيف ذلك الادعاء إذ ما كان أصحاب هذه الألقاب إلاّ مجموعة من الزعماء يمتلكون بعض الوديان الزراعية فاصبح كل واحد منهم يطلق عليه لقب (ملك) الملكية ذلك الوادي . وبعضهم الاخر كانوا من ذراري الملوك الاقدمين فبقيت لهم الصفة وضاع منهم الملك الحقيقي .

والأمر الآخر الذي نتج عن دخول اليمنيين الإسلام هو وحدتهم الدينية إلى جانب وحدتهم السياسية . بعد ما كان لكل قبيلة صنمها ، تقام الحروب فيما بينهم بسببها لأن بعض قبائلهم كانت تريد الإستئثار بصنم دون الأخرى . فأصبح لهم الآن دين واحد وشريعة واحدة من خلال عبادة ربّ واحد هو إله العالمين جميعاً .

أما الأمر المهم الذي استجدّ في مجتمع اليمن الإسلامي الجديد هو أنه لم يعد هناك مكان للحروب القبلية والثارات القديمة التي كانت تسود مجتمعهم قبل اعتناقهم الدين الحنيف .

بالإضافة الى ذلك نقول إن ما عددناه من مستجدات في مجتمع اليمن في ظل الإسلام ليس هو كل حديثنا فالى جانب ذلك هناك أمور اجتماعية أخرى واقتصادية وإدارية سنبحثها في فصول قادمة .

وبعد انتهائنا من تبيان الكيفية التي تم بموجبها دخول اليمنيين الإسلام والتي تمت كما رأينا ـ بطرق مختلفة سواء برغبتهم أم برهبتهم أو عن طريق البعوث والسرايا .

ننتقل بعد ذلك إلى بحث جانب آخر على قدر كبير من الأهمية هو تاريخ اليمن في عصر الخلفاء الراشدين . هذا العصر الذي ظهر فيه تاريخهم بأعظم مظاهره ، وأبرز أحداثه وأدق مراحله السياسية والعسكرية ، ابتداءً من اليوم الأول في هذا العصر ـ يوم

سقيفة بني ساعدة ـ مروراً بأحداث الردة والفتوحات والاستقرار في الأمصار المفتوحة في عهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأحداث الفتنة في زمن عثمان وانتهاءً بآخر يوم في خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصراعه مع معاوية الذي انتهى الموقف كسائر المواقف الأخرى كما أراد اليمنيون ورغبوا هم أنفسهم .

أهل اليمن والردة :

قبل الدخول في تفاصيل أحداث ردة اليمن ومفهومها في المصادر العربية ، إلى جانب تصنيفها وكيفية معالجتها لا بد لنا من معرفة معنى الردة والمقصود بها في الإسلام من خلال معاجم اللغة ومؤلفات الفقهاء والإخباريين .

جاء في لسان العرب لابن منظور ، الردة في اللغة مأخوذة من فعل ردّه ردّاً وردّة ، والرِّدة الاسم من الارتداد وهو التحول والرجوع (١) .

أما فقهاء الشريعة الإسلامية فقد حددوا معناها بالرجوع عن دين الإسلام إلى دائرة الكفر (٢) .

بيد أن المتتبع لمفهوم الردة في المصادر العربية يجد أن ليس هناك رأي واحد متفق عليه يحددها بشكل ثابت . فقد ورد عن ابن إسحاق رواية ذكرها (خليفة بن خياط) في تاريخه (٣) . إن القبائل العربية ارتدت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ما عدا أهل المسجدين مكة والمدينة . وقد ورد الشيء ذاته في تاريخ ابن عساكر (٤) ، وعند ابن كثير في البداية والنهاية (٥) .

بينما روى سيف بن عمر : ((أن القبائل ارتدت عامة أو خاصة ما عدا ثقيف ولفها وعوام جديلة والاعجاز (٦))) .

ومما يجدر ذكره أن بعض الاخباريين حددوا مفهوم الردة عند القبائل ولكنهم أهملوا نطاق انتشارها (٧) ، وقد نقل الطبري عن المدائني إلى ((وفود العرب إلى أبي بكر يقرّون الصلاة ويمنعون الزكاة (٨))) .

---

(١) ـ ابن منظور : اللسان ، ج ٣ ص ١٦٢١ .
(٢) ـ ابن قدامة (موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة) كتاب المغني على مختصر الامام أبي قاسم الخرقي ، ج ١ ص ٧٤ ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
(٣) ـ خليفة بن خياط : التاريخ ج ١ ص ٨٦ ـ ٨٨ ، ٩٧ ـ ٩٨ تحقيق الدكتور سهيل زكار طبع وزارة الثقافة ، ١٩٦٧ م .
(٤) ـ ابن عساكر : التاريخ ج ٣ ص ٦٦ . ابن جيش : الغزوات الضامنه ص ١٨ تحقيق الدكتور سهيل زكار بيروت ١٩٨٨ م .
(٥) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١١ ـ ٣١٢ .
(٦) ـ الطبرى : التاريخ ج ٣ ص ٢٤٢ .
(٧) ـ ابن جيش : الغزوات الضامنه ، ص ١٤ وما بعدها تحقيق الدكتور سهيل زكار بيروت ١٩٨٨ م .
(٨) ـ الطبرى : ج ٣ ص ٢٤١ .

غير أن هناك طائفة من الإخباريين ممن تبلور عندهم مفهوم الردة وتحديد نطاقها ولكن ليس بالشكل الكامل وقد مثل هذا الجانب (وثيمة بن الفرات) في كتاب الردة الذي لم يصلنا بل جاء مقتطفات منه عند ابن حجر في كتابه الإصابة ، من بين سائر الاخباريين [1] . إذ أورد أسماء بعض الأفراد كانوا مخلصين للإسلام أثناء ردة قبائلهم ، وهذا تحديد دقيق لنطاق الردة انفرد به (وثيمة) عن سائر الاخباريين .

بالإضافة إلى ذلك فقد بين (خليفة بن خياط) في تاريخه أن العرب ارتدت ومنعت الزكاة [2] . ولكنه دون أن يشير بشكل أو بآخر إلى تحديد نطاق الردة .

أما البلاذري فقد أشار في كتابه فتوح البلدان [3] إلى عدة طوائف من العرب رضيت بإقامة الصلاة وامتنعت عن أداء الزكاة . وتبدو الدقة واضحة في هذه الرواية لحصرها الردة بين مجموعة من القبائل العربية كونه لم يعمم انتشارها بين القبائل كلها عامة أو خاصة . غير أن البلاذري أشار من جهة أخرى إلى حركات طليحة بن خويلد الأسدي وسجاح بنت الحارث أثناء حديثه عن المرتدين ولكنه لم يسمّ واحداً منهم مرتداً ، كذلك الأمر عن بني تميم في البطاح . أما بنو وليعة والأشعث بن قيس الكندي في حضرموت ، والأزد في عُمان فقد اعتبرهم مرتدين [4] .

وقد بين اليعقوبي في تاريخه أوضاع القبائل العربية بعد وفاة الرسول (ص) بقوله : ((تنبأت جماعة ، وهم طليحة الاسدي والأسود العنسي ، ومسيلمة بن حبيب وسجاح بنت الحارث ، وامتنعت جماعة عن دفع الزكاة إلى أبي بكر ، وهم مالك بن نويرة اليربوعي والأشعث ابن قيس الكندي ، وارتدت جماعة عن الإسلام وهم النعمان بن المنذر بالبحرين ولقيط ابن مالك بعمان [5] .

لقد حاول اليعقوبي تصنيف الحركات التي قامت بين القبائل ، بعد وفاة الرسول (ص) واعتبر المرتدين منهم مجموعتين : النعمان بن المنذر في البحرين ولقيط بن مالك في عمان ، ولكن النعمان لم يكن مسلماً وهذا يصدق على لقيط بن مالك ، بل كان كل منهما

---

(١) ـ وثيمة : كتاب الردة الموجود في الاصابة عند ابن حجر ، ص ٢ ـ ٥ ، ٦ ، ٨ ـ ٨ ـ ١٠ ، ١٠ ـ ٢٢ ـ ٣٨ .
(٢) ـ خليفة بن خياط : التاريخ ج ١ ص ٦٥ ـ ٦٦ .
(٣) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٧٦ ، ٩٥ ـ ١٠١ .
(٤) ـ المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٩٥ ـ ١٠١ .
(٥) ـ اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ١٢٨ ـ ١٢٢ .

من أصحاب الطموح السياسي الذي اصطدموا بالمسلمين في منطقتهم .

أما ابن أعثم الكوفي فقد اعتبر قبائل أسد وغطفان وتميم وبكر بن وائل وكندة مرتدة (١) ، في حين لم يصنف حركة مسيلمة مع حركات الردة ، واكتفى بالإشارة إلى رغبته في تكوين كيان سياسي شابه لقريش (٢) . وقد ذكر الشيء نفسه الألوسي في بلوغ الأرب (٣) .

أما المسعودي فقد بين في كتاب التنبيه والإشراف (٤) أن أكثر العرب ارتدّ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا بين كافر ومانع الزكاة والصدقة . فالمسعودي ميز بين من كان وبقي كافرا وبين مانعي الزكاة إلا أنه لم يحدد نطاق الردة شأنه في ذلك شأن خليفة بن خياط كما ذكرنا سابقاً .

اما ابن الاثير (٥) فقد أشار إلى حركة الأسود العنسي بشكل منفصل عن الردة ثم أشار إلى انتشارها بين القبائل العربية خاصة أو عامة إلاّ قريشاً وثقيفاً (٦) .

بعد هذا كله ، يلاحظ من المعلومات التي أوردتها هذه المصادر عن الردة أنه لا يوجد بينها مفهوم مشترك للردة ، فقد وردت لابن إسحاق مقتطفات عن الردة في بعض المصادر الأولية كـ (وثيمة (٧)) و (خليفة بن خياط (٨)) ، ولكن لا تكفي لإعطاء فكرة عن مفهوم ابن إسحاق للردة .

أما سيف بن عمر فقد استعمل تعبير الردة استعمالاً عاماً ، ولكنه قصد بالمرتدين الجماعات التي امتنعت عن أداء الزكاة (٩) ، والجماعات التي اصطدمت بالمسلمين في مناطقهم (١٠) ، والمتنبئين (١١) . وشبيه ذلك موقف (وثيمة) إلاّ أنه لم يوضح معنى الردة ، وقصد بالمرتدين عدداً من القبائل من بينها طيء (١٢) ، وأزد عمان (١٣) ومذحج (١٤) وكندة (١٥) .

---

(١) ـ ابن اعثم الكوفي : كتاب الفتوح ، ج ١ ص ٧ ـ ١٥ ، ٤٥ ـ ٥٠ ، ٥٥ ـ ٦٧ ط . اولى الهند ، ١٩٦٨ م .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ١ ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٣) ـ الالوسي : بلوغ الأرب ، ج ١ ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٤) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٤١ .

(٥) ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٣٣٦ ـ ٣٤٠ .

(٦) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٢ . ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٨٥٧ . دار الكتاب ١٩٥٦ م .

(٧) ـ وثيمة : ص ٣ ، ٦ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ـ ٣٤ .

(٨) ـ خليفة بن خياط : ج ١ ص ٨٦ ـ ٨٨ .

(٩) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٤٤ .

(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤ .

(١١) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(١٢) ـ وثيمة : ص ٥ .

وتشير أغلبية المصادر وأهل الأخبار (المدائني[1]) و (خليفة بن خياط[2]) و(البلاذري) مع بعض الإضافات ــ الذي عدّ كل من اصطدم بالمسلمين وهو غير مسلم مرتداً[3] وابن أعثم الكوفي[4] ، والمسعودي[5] ، وابن أبي الحديد[6] ، إلى تعبير منع الزكاة أثناء حديثهم عن القبائل المرتدة ، أي أن مانعي الزكاة هم المرتدون في نظر هؤلاء الاخباريين.

أما اليعقوبي[7] فقد عدّ أصحاب الطموح السياسي في عُمان والبحرين والذين اصطدموا بالمسلمين هناك مرتدين مع أنهم غير مسلمين ، وميز بينهم وبين مانعي الزكاة والمتنبئين .

ثم استعمل ابن الأثير تعبير الردة استعمالاً عاماً وطبقه على جميع الحركات التي قامت بين قبائل الجزيرة العربية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته إلاَّ أنه استثنى من ذلك حركة الأسود العنسي في اليمن وعالجها بشكل منفصل عن موضوع الردة وهذا يعني أن ابن الأثير لا يعدّ الأسود العنسي وإن اصطدم بالخط الإسلامي مرتداً .

والمتتبع لانتشار الدعوة الإسلامية يجد أن انتشارها كان بشكل أساسي وفعّال بين القبائل العربية الموجودة في غرب مكة والمدينة وإلى حد ما في شرقها . وقد أخلصت هاتان المجموعتان للدعوة الإسلامية فلم تظهر أية محاولة للخروج على سلطان المدينة . أما القبائل في شمال مكة والمدينة ومعهم بعض قبائل اليمن ، فلم ينتشر الإسلام بينهم ، إلاَّ أنهم أقروا بسلطان المدينة عليهم[8] .

وهذا يبدو طبيعيا على اعتبار أن علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم مع القبائل اليمنية لم تتم بشكل أساسي إلاّ خلال السنتين الاخيرتين من حياته ، وقد استخدم خلالهما عدداً من القادة المحليين لنشر العقيدة الإسلامية بينهم ، كان من أبرزهم جرير بن عبد

---

(١) ــ الطبري : ج ٣ ص ٢٤١ .
(٢) ــ خليفة بن خياط : ج ١ ص ٦٥ ــ ٦٦ .
(٣) ــ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٩٥ ــ ١٠١ .
(٤) ــ ابن اعثم الكوفي : الفتوح ، ج ١ ص ٧ ــ ١٥ .
(٥) ــ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٤١ .
(٦) ــ ابن ابي الحديد : نهج البلاغة ، ج ٤ ص ٢٥٢ .
(٧) ــ اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ١٢٨ ــ ١٣٢ .
(٨) ــ غيداء خزنة كاتبي : الردة ، ص ١٢٦ بدون تاريخ .

الله البجلي الذي عهد إليه الرسول (ص) بدعوة اثنين من ملوك حمير إلى الإسلام هما ذو الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك ابن حسان بن تبع ، وذو عمرو الذي كان يهوديا[1] فنجح في مهمته التي استغرقت وقتا طويلاً امتد حتى وفاة الرسول (ص)[2] .

وهناك أمر آخر ذكرته المصادر في هذه المرحلة هو أن الرسول (ص) تساهل مع نصارى بلاد العرب الجنوبية اذ كان على استعداد لعقد اتفاقيات معهم تحدد العلاقة بين الطرفين ، فسمح لهم بحرية العبادة شريطة دفع الجزية ، وقد ظهر هذا واضحاً في علاقته مع نصارى نجران وملوك حمير وبني معاوية الكنديين . وقد أكد هذا كتاب رسول الله (ص) الى بني معاوية الكنديين بجمع الجزية والصدقة ممن استحقت عليهم ودفعها إلى المسؤولين عنها[3] .

أما قبيلة مهرة فقد بدأت علاقتها بالإسلام في وقت متأخر جداً وأول إشارة إلى قبيلة مهرة تتصل بوفدهم الذي جاء المدينة في سنة ٩ هـ ولكن لا يوجد ما يشير إلى عدد الوفد وأسماء أعضائه باستثناء واحد منهم هو (مهري بن الابيض) ، فكتب له الرسول (ص) كتاباً بين فيه حقوقهم وواجباتهم[4] . ثم جاء وفد آخر من (الشَّحر) إلى الرسول (ص) معلناً إسلامه[5] . ويمكن القول أن مسلمي مهرة كانوا قلائل جداً ، قد لا يتعدون المجموعتين اللتين أتتا إلى الرسول (ص) بصفة وفد ، ولم يتجاوز عددهم بضعة أشخاص فقط .

وبعد فتح مكة وجَّه الرسول (ص) عمرو بن العاص إلى ملك الأزد (جيفر الجلندي) وأخيه (عبد) في ذي القعدة سنة ٨ هـ يدعوهما إلى الإسلام . فتردد الملك خوفاً على ملكه ، ثم اقتنع وأخوه بالدعوة خاصة وأن الرسول (ص) لم يفرض عليهما شروطاً خاصة بل وعدهما بتثبيت ملكهما والمحافظة عليه إن قبلا الدعوة[6] . ويؤكد ابن حبيب في روايته أن (آل الجلندي) استفادوا من الاسلام بتقوية مركزهم[7] ، مما أثار قوى المعارضة حولهما بزعامة لقيط بن مالك الأزدي في دبا[8] .

---

(١) ـ ابن حبيب : المحبر ، ص ٧٥ .
(٢) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٠ .
(٣) ـ المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٠ .
(٤) ـ الشامي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف السيرة النبوية سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ثمانية أجزاء مركز الوثائق في الجامعة الاردنية رقم ٥٩١ . ج ٦ ص ٤٩ .
محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ص ١٧٣ . بيروت ١٩٦٩ م .
(٥) ـ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٨٣ .
(٦) ـ البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٢ ، المسعودي التنبيه والاشراف ص ٢٤٠ .
(٧) ـ ابن حبيب : المحبر ص ٧٧ .

وهكذا كان عدم تشرب اليمنيين لروح الإسلام وبعدهم عن عاصمته (المدينة) إلى جانب النزعات القبلية والعصبية الجاهلية التي كانت متأصلة في سلوكهم والتي لم تستطع الدعوة استئصالها نظرا لحداثتها بين صفوفهم .

كل هذا الى جانب عوامل اخرى كان من الأسباب التي دفعت اليمنيين إلى الانتقاض على الدعوة الإسلامية والارتداد عن الدين الحنيف بجميع مظاهر الردة .

ويبدو أنه من الأهمية بمكان الاشارة إلى ناحية هامة تتعلق بتاريخ اليمن في هذه الفترة هي أنه على الرغم من وقوع اليمن بمظاهر الردة المختلفة إلا أن اليمن لم تكن مرتدة بجميع قبائلها بشكل مطلق ، فقد بقي قسم منها محافظا على الإسلام لم ترهبه قوة المرتد بين المحيطة به من أبناء شعبه بل ظل ثابتاً مدافعاً عن الدين الحنيف منذ اللحظة الأولى التي طلب منه نصرة الدعوة وحتى تحقيق النصر النهائي .

وحول هذا الأمر ذكر الكلاعي في كتابه (تاريخ الردة[1]) وكذلك (الجندي) في (السلوك[2]) أن مناطق كثيرة من أرض اليمن انقسمت إلى قسمين ، قسم انتقض إسلامه وارتد عنه وعاد الى أمور جاهلية الأولى ، وقسم آخر التزم بإسلامه وثبت عليه ودافع عنه كما كان حال الأمر في (همدان[3]) الذين ثبتوا وتمسكوا بإسلامهم وقد أبلغوا أبا بكر رضي الله عنه بموقفهم هذا من خلال وفد أوفدوه منهم إلى المدينة للغاية نفسها .

ولم تكن (همدان) هي القبيلة الوحيدة التي اتجهت هذا الاتجاه بل تبعتها قبائل أخرى على درجة كبيرة من الأهمية كقبيلة (حمير[4]) و (بجيلة) و (دوس) و (أهل السَّراة) و (تجيب) و (قتيرة[5]) و (خثعم) - إلا اليسير منها - إلى جانب مدينته (صنعاء[6]) و (الجند[7]) وجزء من حضرموت على رأسهم وائل بن حجر الحضرمي وبعض أقيال حضرموت .

وقد بقي بنو الحارث بن كعب في منطقة نجران مترددين لأنهم تابعوا الاسود

---

(١) - الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ٠٨
(٢) - الجندي : السلوك ، ج ١ ص ٦١ مخطوط .
(٣) - الهمداني : الاكليل ، ج ١٠ ص ٣٢ ، ابن حجر : الاصابة ، ج ٣ ص ٤٩٣ .
(٤) - ابن حجر : الاصابة ، ج ١٠ ص ٥٧٨ .
(٥) - الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ٧ - ٨ ، ١٦٦ .
(٦) - الجندي : السلوك ، ج ١ ص ٦١ .
(٧) - المصدر السابق نفسه الجزء والصفحة .

العنسي ثم لما قتل تحيروا في أمرهم حتى جاءهم (مسعود العكي) فعادوا إلى الإسلام كما بعث نصارى نجران وفداً إلى أبي بكر طالبين تجديد عهدهم معه فكتب لهم كتابـــا بذلك (١) .

وهكذا انحصرت الردة في قبيلة (عنس) ومن تابعها تحت قيادة الأسود العنســـي وفي بعض (حضرموت) و (كندة) و (مهرة) ومجموعات من شذاذ القبائل اليمنية فـــي منطقـة (تهامة (٢)) .

وقد عزا بعض المؤرخين أسباب ردة اليمن هذه إلى عدة عوامل منها عدم ترسخ الإسلام في نفوس اليمنيين وتشربهم لروحه وأصالته وفهمه الفهم الصحيح ، إلى جانب بعدهم عـــن عاصمته (المدينة) ، بالإضافة إلى بقاء العصبيات القبلية والنزعات الجاهلية التي كانت متجذرة في سلوكهم والتي لم تستطع الدعوة استئصالها من نفوسهم نظراً لحداثتها بين صفوفهم إلى جانب دوافع أخرى كاستغلال الغرض لجلب مغنم أو كسب زعامة (٣) .

والمطلوب هنا بعد هذا كله هو معرفة تطور مراحل ردة أهل اليمن عن الإســـلام التي لم تبخل علينا مؤلفات الاخباريين بذكر تفاصيل أحداثها .

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

(٢) ـ الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ٨ .

(٣) ـ مثّل هذا الجانب (قيس بن مكشوح المرادي) و (عمرو بن معد يكرب الزبيـــدي) والأشعث بن قيس الكندي) .
حول طموحات قيس بن مكشوح المرادي في الزعامة ينظر ، الطبري : ج ٣ ص ٢٣١ ، ٢٢٣ ، الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ١٢٣ . ابن كثير البداية والنهاية ، ج ٦ ص ٣٣١ . وحول طموح (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) : ينظر ، الطبري : ج ٣ ص ٣٢٦ الكلاعي : تاريخ الردة ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .
أما مطامع الأشعث بن قيس الكندي فقد ذكرها البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

الردة في اليمن :

تذكر لنا مصادر عديدة أن الرسول (ص) بعد حجته الأخيرة المسماة حجة الوداع وتبليغه أصحابه كل ما يريد قوله لهم من خلال خطبته المشهورة بتلك المناسبة ، انصرف الى منزله بالمدينة فأقام بها ما بقي من ذي الحجة والمحرم والصفر ثم دخلت سنة إحدى عشرة حيث ضرب في المحرم من السنة نفسها على الناس بعثا إلى الشام وأمّر عليهم مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد بن حارثة وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتجهز الناس وبينما هم على ذلك ابتدى الرسول (ص) شكواه التي قبضه الله عز وجل فيها إلى ما أراد به من رحمته فطارت الأخبار بين جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية تحمل خبر مرضه حيث برزت على الفور ردود فعل عديدة عند بعض سكان مناطق الجزيرة العربية (1) .

غير أن أبرز رد فعل على نتيجة هذا الحدث جاء من اليمن اذ سرعان ما أعلن الأسود العنسي إدعاء النبوة ومشاركة الرسول (ص) قبل وفاته بأمر الدعوة . فكان إدعاؤه الكاذب هذا أول ردة عن الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (2) .

والأسود العنسي هذا هو : عبهلة بن كعب ، يكنى بذي الخمار لأنه كان دائماً معتماً متخمراً بخمار (3) ، ويعرف بـ (الأسود) لا سوداد في وجهه. أطلق على نفسه (رحمان اليمن (4)) وكان يزعم أن ملكين يأتيانه بالوحي وهما : سحيق وشقيق ـ أو شريق ـ (5) .

ويبدو أن عبهلة كان يحدّث نفسه لهذا الأمر بالسر وينتظر الوقت المناسب لاظهاره فكان مرض الرسول (ص) هو المناسبة التي فاجأ الناس بادعائه هذا (6) .

وكان أول من تبعه أبناء قبيلته (عنس (7)) ، ثم قبيلة (مذحج) التي كان يرأسها قيس بن عبد يغوث المرادي ، وعملت على إخراج ممثل الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(1) ـ الطبري : التاريخ ، ج 3 ص 183 ـ 184 وما بعدها .
(2) ـ نفس المصدر السابق ج 3 ص 185 . ابن حبيش : مصدر سابق ص 124 ، وما بعدها
(3) ـ قيل : كان يكنى بذي الحمار ـ بالحاء المهملة ـ لحمار له كان قد دربه وعلمه حتى كان يقول له اسجد فيسجد . انظر البلاذري : فتوح البلدان ج 1 ص 125 .
المسعودي : التنبيه والاشراف ص 240 .
(4) ـ البلاذري : فتوح البلدان ج 1 ص 125 .
(5) ـ السهيلي : الروض الانف ج 7 ص 445 ـ 446 . المقدسي : (مطهر بن طاهر) ، البدء والتاريخ ج 5 ص 154 .
(6) ـ الطبري : ج 3 ص 240 .
(7) ـ البلاذري : فتوح البلدان ج 1 ص 125 . ابن حبيش : مصدر سابق ، ص 124 وما بعدها .

فروة بن مسيك المرادي إلى (الاحسية[1]) ، التي أصبحت مركزاً جديداً للمسلمين في اليمن ، وعينت مكانه (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) ثم راسله بنو الحارث بن كعب من أهل نجران وهم يومئذ مسلمون فطلبوا منه أن يأتيهم في بلادهم فجاءهم فاتبعوه ، وارتدوا عن الإسلام وكان أحد قواده واحد منهم هو يزيد بن محرم بن حصن الحارثي[2] ، ولم يكتف أهل نجران بهذا بل أقدموا على اخراج عاملي الرسول (ص) وهما : (عمرو بن حزم) و (خالد بن سعيد بن العاص[3]) .

بالإضافة إلى ذلك فقد لحق به اناس من (زبيد) و (اود) و (مسلية) و (حكم ابن سعد العشيرة[4]) ، ثم أقام بنجران بعض الوقت ، وحين رأى في نفسه القوة بعد أن انضم إليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح المرادي المعروفين عند جميع قبائل اليمن بشدة بأسهما وشجاعتهما استهوته فكرة السيطرة على مدينة (صنعاء) مركز حكم (الابناء) باليمن فخرج اليها بستمائة او سبعمائة فارساً معظمهم من بني الحارث بن كعب وعنس[5] لمواجهة عامل الرسول (ص) فيها ، واستناداً لرواية سيف بن عمر ، فإن المصادفة تمت بين (شهر بن باذان) و (الاسود) ، وانتصار الاسود فيها يعني انتصاره على (الانباء) لأن (شهر) تولى زعامة الابناء بعد وفاة والده[6] . أما ابن إسحاق فقد ذكر أن الاسود خرج على المهاجر بن أبي أمية في صنعاء[7] . وقد ذكر هشام بن الكلبي والهيثم بن عدي أن الرسول (ص) ولى المهاجر كندة والصدف ، فلما توفي الرسول (ص) كتب الخليفة الى زياد بن لبيد البياضي بولاية كندة والصدف بالإضافة إلى عمله في حضرموت وولى المهاجر صنعاء[8] .

---

(1) ـ الطبري : ج ٣ ص ١٨٥ . والاحسية موضع باليمن . ياقوت الحموى : المعجم ج ١ ص ١١٢ .
(٢) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٦ ص ٣٠٧ .
(٣) ـ الطبرى : ج ٣ ص ١٨٥ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ص ٣٣٧ . الكلاعي : الاكتفاء ج ٣ ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٤) ـ الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
(٥) ـ نفس المصدر السابق الجزء والصفحة ، ابن حبيش : مصدر سابق ، ص ١٢٤ وما بعدها
(٦) ـ الطبرى : ج ٣ ، ص ٢٢٩ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ص ٣٣٧ . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٦ .
(٧) ـ المقريزى : (تقي الدين احمد بن علي) ، امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع ، ج ١ ص ٥٠٩ . طبع القاهرة ١٩٤١ . السهيلي الروض ج ٧ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .
(٨) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٩

في حين بيّن الواقدي أن الرسول (ص) عيّن خالد بن سعيد عاملاً له في صنعاء ، ـ وهذا يعني أن الأسود خرج عليه وهو في صنعاء[1] . وتبدو رواية سيف أقرب إلى القبول من الروايات الأخرى التي حصل فيها نوع من الخلط بين عمال الرسول وعمال أبي بكر في اليمن وخاصة صنعاء ، كما أنها أقرب إلى روايتي هشام بن الكلبي والهيثم ابن عدي بالنسبة لوضع المهاجر ومركزه في اليمن . إذ اتفقت الروايتان على أن الرسول (ص) ولّى المهاجر كندة والصدف إلا أنه لم يتوجه إلى عمله بسبب لم تذكره الرواية ، في حين بيّن سيف أن المرض هو الذي منع المهاجر من القيام بمهمته فتولاها نيابة عنه زياد بن لبيد الأنصاري[2] . ويلاحظ أيضاً أن رواية سيف أقرب إلى رواية ابن إسحاق عن تعيين خالد ابن سعيد إذ أشار سيف أن الرسول (ص) عيّن خالد بن سعيد على المنطقة الواقعة ما بين نجران وزمع وزبيد[3] . هذا قريب من رواية ابن إسحاق التي أشار فيها إلى أن الرسول (ص) وجه خالد بن سعيد مع فروة بن مسيك المرادي إلى مراد وزبيد ومذحج عاملاً له على صدقاتها ، فبقي بينهم حتى توفي الرسول (ص)[4] . فالمصادفة تمت بين ظهور الأسود في منطقة شعوب ، وانتهت بمقتل شهر وسيطرة الأسود على صنعاء حيث نزل قصر (غمدان) بعد خمسة وعشرين يوماً من ظهوره[5] .

وقد ذكرت المصادر أن الأسود كانت له مواقف بشعة في تعذيب المتمسكين بالإسلام فقد روى ابن سعد أن الأسود أخذ أحد المسلمين ويسمى (النعمان) فقطّعه عضواً عضواً[6] . ولهذا تعامل معه المسلمون الذين كانوا في المناطق التي يديرها (بالتقية[7]) .

أما المسلمون خارج نطاق سيطرته ، فقد حاولوا التجمع وإعادة الانتظام إلى صفوفهم فنجد فروة بن مسيك المرادي قد انحاز إلى (الأحسية) وانضم إليه من انضم من المسلمين وكتب إلى الرسول (ص) بخبر الأسود العنسي فكان أول من أبلغ الرسول (ص) بذلك[8] .

وأما ازدياد توسع نفوذ الأسود ، شمر عمال الرسول (ص) في مأرب بالخطر المحيط

---

(1) ـ ابن حبيب : المحبر ص ، ١٢٦ . البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٩ .
(2) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .
(3) ـ المصدر السابق نفسه الجزء والصفحة .
(4) ـ المصدر السابق ٣ ص ١٣٦ .
(5) ـ المقدسي : البدء والتاريخ ، ج ٥ ص ٢٢٩ . ابن حبيب : مصدر سابق ، ص ١٢٤ . وما بعدها .
(6) ـ ابن سعد : الطبقات ٥ ، ص ٥٣٥ .
(7) ـ مجهول المؤلف : تاريخ في المغازي والفتوح . مخطوط ورقة (٣٢ ب) دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨٩ تاريخ في ٢٢٠ ورقة
(8) ـ الطبري : ج ٣ ص ١٨٥ .

بهم ، واضطروا إلى ترك مراكزهم ، فالتجأ أبو موسى الأشعري إلى السكاسك وعامر بن شهر إلى عك . أما معاذ بن جبل فقد التجأ الى السّكون وتزوج منهم [1] .

كان أول إجراء قام به الرسول (ص) بعد وصول تقرير عامله فروة بن مسيك حول دخول الأسود العنسي صنعاء وقتل (شهر) عامل الرسول عليها أن عيَّن بدلاً من شهر على الأبناء رجلين منهم هما فيروز وداذويه [2] . ثم كتب عليه الصلاة والسلام إلى الأبناء كتاباً آخر وجهه مع (وبر بن يحنس الأزدي) ، دعاهم فيه إلى المحافظة على الدين ومواجهة الأسود تبعاً للظروف المناسبة إما غيلة أو مصادمة [3] . وأرسل كتباً أخرى إلى أمراء حمير وهمدان و زود وذو مران وذو الكلاع وذو ظليم ، وإلى أهل نجران جميعاً [4] والى عبد الرحمن بن ذي الأجره اليماني وأخيه يزيد بن ذي الأجرة اليماني [5] . دعاهم فيها للعمل على مواجهة الأسود . فبادر الأبناء إلى الاتصال بقيس بن مكشوح المرادي للوقوف إلى جانبهم بعد أن علموا بتغير الأسود عليه ، فأجابهم إلى ذلك [6] .

أحسَّ الأسود بالخطر المحيط به من اجتماع قيس والأبناء رغم حذرهم الشديد وتحفظهم في العمل ، مما دفعهم إلى الإسراع في تنفيذ مخططهم والقضاء على الأسود في ربيع أول سنة ١١ هـ [7] .

ويبدو أن الأوضاع في اليمن لم تستقر بمقتل الأسود العنسي بل استمرت مضطربة إثر المنافسات التي حصلت بشأن الإمارة ولكن لا توضح الرواية التي جاءت في الطبري اسم هذه الإمارة أو الأشخاص المتنافسين عليها [8] .

والاحتمال المقبول ان المنافسة حصلت على إمارة صنعاء ، وهي الإمارة الوحيدة التي بقيت بدون عامل إثر مقتل شهر بن باذان عامل الرسول (ص) فيها وانتهاء سيطرة

---

(١) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣٠.

(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٩ . ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٣٧ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٩ .

(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٣١ . ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٤) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ . الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٥) ـ وثيمة ابن الفرات : ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٦) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٣١ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٣٣٨ . أبو الفداء : المختصر ج ١ ص ١٥٥ .

(٧) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٣٢ ، ٢٣٥ . ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٤١ . ابن حبيش ص ١٢٥ .

(٨) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٣٥ .

الأسود عليها . وإنها كانت بين الأبناء وقيس بن مكشوح المرادي باعتبارهما أصحاب الفضل في القضاء على الأسود . وقد حاول الطرفان إيقاف القتال بتعيين معاذ بن جبل مسؤولاً على صنعاء ريثما يعين الرسول (ص) عاملاً عليها [1] . إلاّ أن وفاة الرسول (ص) ساهمت في عودة الاضطرابات مرة ثانية إلى اليمن وعادت القوتان المتنافستان الأبناء من جهة وقيس ابن مكشوح المرادي من جهة أخرى إلى الظهور ، إلاّ أن القوة الأولى كانت مدعومة من المدينة بعد أن عين أبو بكر فيروز الديلمي والياً على صنعاء ، وكتب إلى عمر ذي مران وسعيد ذي زود وحوشب ذي ظليم وشهر ذي يناف والى ذي الكلاع يأمرهم بمساعدة الأبناء على من ناوأهم والطاعة لفيروز [2] . أثار هذا الأمر قيس بن مكشوح المرادي وقرر التخلص من الأبناء فكتب إلى ملوك حمير يحرضهم على الأبناء ويحذرهم من الخطر الناجم عن وجود الغرباء في البلاد بقوله : ((ان الابناء نزاع في بلادكم ، ونقلاء فيكم وأن تتركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى من الرأي أن أقتل رؤسهم واخرجهم من بلادنا [3])) . ولكن دعوته لم تلق قبولاً عندهم بعد أن قرروا انتهاج الحياد في هذا النزاع . أما الأبناء فقد تفرق أمرهم ولم يعودوا قادرين على المقاومة بعد أن فقدوا رؤساءهم الثلاثة داذويه وفيروز وجشيش بتدبير من قيس بن مكشوح إذ أقدم على قتل داذويه وأجبر فيروز وجشيش على الهرب واللجوء الى (خولان) أخوال فيروز طالبا للحماية [4] . وبذلك نجح قيس في السيطرة على صنعاء وبدأ في تنفيذ مخططه للقضاء على أتباعهم ، فأخرج من صنعاء أولاد من لحق بفيروز وقرر ترحيلهم عن طريق البر والبحر [5] . ولما علم فيروز بالأمر كتب إلى أبي بكر يخبره حقيقة ما حدث ، ثم بدأ العمل باستنفار بعض القبائل ، كبني عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وعك لمواجهة قيس واستعادة الأبناء المطرودين ، فساعدته القبيلتان أولاً على استرجاع الأبناء ، ثم أمدّته برجال ساعدوه على استعادة صنعاء وأخرجوا قيساً ومن معه إلى نجران [6] .

أما المدينة فقد نجحت في القضاء على ثورة قيس بن مكشوح نهائيا ، إذ توجه عكرمة بن أبي جهل باتجاهه وكان في مهرة إلى أبين في اليمن ومعه أعداد كثيرة من المسلمين ، فالتجأ

---

(1) ـ نفس المصدر السابق الجزء والصفحة .
(2) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٣ .
(3) ـ نفس المصدر السابق الجزء والصفحة . ابن حبيش : مصدر سابق ، ص ١٢٦ وما بعدها .
(4) ـ نفس المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢٤ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ص ٣٧٦ .
ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ص ٨٦٠
(5) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٤ . الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص ٣٢٣ .
(6) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٦ . ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٧٧ . ابن خلدون : ج ٢ ص ٨٦١ .

قيس إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي لتدعيم موقفه [1] ، وكتب أبو بكر إلى طاهر بن أبي هالة عامله في عك ، وأمره بالتوجه إلى صنعاء لمساعدة الابناء ، كما كتب إلى عبد الله ابن ثور بأن يجمع اليه العرب ومن استجاب من أهل تهامة على أن يقيم في تهامة حتى تأتيه أوامر منه جديدة [2] ، ثم وجه المهاجر بن أبي أمية وكان في المدينة إلى اليمن فانضم إليه وهو في الطريق ، خالد بن سعيد وعبد الرحمن بن أبي العاص وجرير بن عبد الله البجلي وعبد الله ابن ثور ، فاتجهوا جميعاً إلى نجران حيث انضم اليهم فروة بن مسيك المرادي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ونجحوا في القضاء على حركة قيس بن مكشوح المرادي [3] .

من خلال كل ما تقدم عن حركة العنسي يمكن للباحث أن يستنتج أن حركته لم تكن فقط بدافع العصبية القبلية وتحقيق مكسب الزعامة في اليمن ، بل ربما تجاوزت هذه الحدود الى دائرة أكثر اتساعاً من الطموح هو تخليص اليمن من حكم (الابناء) من الفرس الذي ينظر اليهم نظرة الغرباء عن المجتمع اليمني فتطلع إلى التخلص منهم ومن كل القوى التي تساندهم عربية كانت أم غير عربية ، ويتضح هذا الأمر من خلال الانذار الذي وجهه عبهلة العنسي إلى عمال الرسول صلى الله عليه وسلم في اليمن ينذرهم فيه بترك البلاد وحيراتها الى اهلها بقوله لهم : ((أيها المتوردون علينا ، امسكوا علينا ما اخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه [4])) .

والشيء ذاته يمكن أن يقال عن موقف قيس بن مكشوح المرادي ، ولهذا يمكن اعتبار حركتهما محاولة للتحرر من الحكم الأجنبي المتمثل (بالأبناء) من الفرس واستلام مقاليد الأمور . في الوقت الذي اصطدما فيه بالخط الاسلامي من خلال مناهضة ممثليه في اليمن عمال الرسول (ص) ـ وبالتالي خروجهم عن الاسلام والسلطة الاسلامية المتمركزة في المدينة .

ويبدو أن اليمن لم تقف اضطراباتها في وجه السلطة الاسلامية بالقضاء على حركة عبهلة العنسي أو (ردته) كما يطلق عليها البعض ، بل انتشرت الى قبائل يمنية عديدة

---

(١) ـ الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص ٣٢٣ . الطبري : ج ٣ ص ٣٢٧ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٨ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٩ . الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه الطبري : ج ٣ ص ٢٢٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٧ محمد حميد الله : الوثائق السياسية ص ٢٨٥ .

حيث ذكر الإخباريون في مؤلفاتهم ارتداد ثورات قبائل (عك) و (الأشعريين [1]) ، في حكم [2]) وبعض قبائل (خثعم ، وبجيلة [3] وخولان [4]) ومجموعة من (الأزد [5]) إلى جانب بعض (السّكاسك والسّكون [6]) و (بنو وليعة [7]) وقسم من حضرموت [8] ، وبطون من (كندة [9]) ، و (مهرة [10]) ، وإلى أن همّت همدان بالثورة [11] .

ومما يذكره الإخباريون عن ردة (عك والاشعريين) ، أنه خرج قسم منهم إلى مكان على الساحل يسمى (الأعلاب) بدون رئيس أو قائد وأعلنوا ردتهم عن الإسلام [12] .

وعلى الرغم من أن (خثعم) و (بجيلة) ممن ثبتوا على الإسلام إلا أن بعضاً منهم خطط لهدم صنمهم (ذي الخلصة) فأراد إعادته منتهزاً فرصة وفاة الرسول (ص) [13]

أما خولان فقد ذكر أنها كانت تعبد صنماً يسمى (عميانس) وقد ظل فيهم إلى قبيل حجة الوداع ، وكان منهم من يتمسك به خاصة كبار السن فحصلت فيهم ردة لا يبعد أن تكون ناتجة عن ذلك [14] .

---

(1) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٠ .
(2) ـ نزار الحديثي : مرجع سابق ره ص ١٢٠ .
(3) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٠ .
(4) ـ البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ١١٩ .
(5) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣١٤ .
(6) ـ الحديثي : مرجع سابق ص ١٢٠ .
(7) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٣١ وما بعدها .
(8) ـ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٣٣٠ وما بعدها . ابن حبيش : مصدر سابق ص ١٣١ وما بعدها .
(9) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٣٣١ . ابن حبيش : ص ١٣١ .
(10) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ .
(11) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ١٢٥ وردت الإشارة الى ذلك في شعر لعبد الله ابن مالك الارحبي قال فيه :

لعمري لئن مات النبي محمد ... لما مات بابن القيل رب محمد

(12) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٠ .
(13) ـ المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٢٢ .
(14) ـ البلاذري فتوح البلدان ج ١ ص ١١٩ .

أما (أزد دبا)(١) فقد ذكر قدومهم إلى المدينة مقرين بالإسلام ، فكتب لهم الرسول (ص) فرائض الصدقات وبعث عليهم حذيفة بن محصن البارقي ، فكان يأخذ من صدقات أغنيائهم ويردها إلى فقرائهم (٢) . فلما توفي الرسول (ص) امتنعوا عن دفع الصدقات ، وانحازوا إلى لقيط بن مالك الأزدي الذي تزعم حركة للخروج على آل الجلندي في عُمان . وكان لقيط ولقبه ذو التاج ، صاحب مركز رفيع في الجاهلية يشابه مركز الجلندي والد جيفر وعباد (٣) ، وربما كان زعيماً لمجموعة من الأزد لم تحدد الروايات وضعهم الاجتماعي ، إلا أنهم أقرب إلى البدو منهم إلى الحضر حيث أورد البلاذري في رواية له أن الرسول (ص) وجه إلى عمان مبعوثين اثنين هما أبو زيد الأنصاري إلى أهل البادية وعمرو بن العاص إلى آل الجلندي في عمان لدعوتهم للإسلام ، فانضم جيفر وعباد إلى الدعوة وامتنع أهل البادية عن قبولها (٤) . ويبدو أن آل الجلندي استفادوا من دخولهم في الإسلام ربما كان على حساب أهل البادية . الذين لم يفعلوا شيئا آنذاك بغير عن معارضتهم خوفا من الرسول (ص) . إلا أن وفاته أثارت المعارضة ضد آل الجلندي وأدت إلى اضعاف مركزهم السياسي لدرجة أنهم أصبحوا غير قادرين على حماية مبعوث الرسول (ص) فاضطر للعودة إلى المدينة (٥) ، وأرسلوا إلى الخليفة يخبرونه بالأمر ويطلبون منه المساعدة .

وجه الخليفة إلى أزد عُمان ثلاثة من قوادهم هم حذيفة بن محصن ، وعكرمة بن أبي جهل (٦) ، وعرفجة بن هرثمة البارقي (٧) ، وأمرهم بالانضمام إلى جيفر وعباد في (صحار) ومحاربة معارضي الدعوة . فلما تم ذلك توجهوا جميعاً لمواجهة لقيط بن مالك حيث تمكن المسلمون من القضاء عليه (٨) .

غير أن الأمر المهم الممكن استنتاجه من حركة لقيط بن مالك في أزد عمان هو أنها

---

(١) ـ ياقوت الحموي : المعجم ج ٢ ص ٤٣٥ . ابن حبيش : ص ١٢٠ .
(٢) ـ الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص ٣١٩ ، ياقوت : المعجم ج ٢ ص ٥٤٣ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣١٤ .
(٤) ـ البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٧٦ .
(٥) ـ وثيمة بن الفرات : ص ٢٦ ـ ٢٧ . الطبري : ج ١ ص ٣٠٢ .
(٦) ـ خليفة بن خياط : التاريخ ج ١ ص ٩٨ . البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٧٦ .
(٧) ـ وثيمة بن الفرات : ص ٢٨ .
(٨) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣١٤ . ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ . ابن خلدون ج ٢ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

لم تكن حركة ردة عن الإسلام لأن لقيط لم يكن مسلماً بالأصل بل كان من أصحاب الطموح السياسي يريد الوصول إلى السلطة لهذا فقد وقف في وجه المسلمين في منطقته لأنه كان صاحب القوة والنفوذ فيها . غير أن مساندة (المدينة) للمجموعات الإسلامية من الأزد أدت إلى القضاء على لقيط وسائر المتمردين معه .

أما حضرموت : فقد تنوعت مظاهر الردة في منطقتهم . وكان الرسول (ص) قد عين قبل وفاته مجموعة من العمال على بلاد حضرموت فكان عكاشة بن محصن على السكاسك والسكون ، وزياد بن لبيد الأنصاري على حضرموت ، والمهاجر بن أبي أمية على كندة ، إلا أنه كان مريضاً ، فاستلم مكانه زياد بن لبيد الأنصاري بالإضافة إلى عمله في حضرموت[(١)].

وكان الرسول (ص) قد أمر بأن توزع بعض صدقات حضرموت في كندة وبعض صدقات كندة في حضرموت ، كما توزع صدقات حضرموت في السكون وبعض صدقات السكون في حضرموت واقترحت بنو وليعة من كندة على حضرموت أن ترسل صدقاتها إلى بلادهم على ظهر رواحل حضرمية لعدم توفرها عندهم ، فوافقت حضرموت مبدئياً على هذا الاقتراح ريثما تتحقق حاجتهم للرواحل . فلما توفي الرسول (ص) واستحقت الصدقات على القبائل طلبت بنو وليعة من حضرموت تنفيذ اقتراحهم السابق ، فرفضت حضرموت وطلبت منهم أن يحملوا الصدقات على رواحلهم لتوفرها لديهم ، ولكن بني وليعة أبوا ذلك وعادوا الى بلادهم وبيتهم النية لمنع الصدقات[(٢)] .

من جانب آخر ، قرر بنو معاوية من كندة بعد وفاة الرسول (ص) إنهاء سيطرة (المدينة) عليهم وذلك بالامتناع عن بيعة أبي بكر ، وقد ظهر هذا واضحاً من خلال المحادثات التي دارت بين الأشعث بن قيس الكندي وزياد بن لبيد الأنصاري عندما دعاهم إلى الاعتراف بخلافة أبي بكر[(٣)] . وقرروا أيضاً الامتناع عن دفع الصدقات[(٤)] . وبدأ ذلك باعتراض غلام من بني عمرو بن معاوية على زياد بن لبيد وطلب منه إعادة ناقة له كان قد وسمها بميسم الصدقة . على أن يأخذ غيرها . فرفض زياد وأصر على إرسالها إلى المدينة ، مما أثار الغلام فاستنجد حارثة بن سراقة وكان من سادات كندة لإعادتها إليه فتوجه حارثة إلى زياد وأمره باطلاق الناقة على أن يأخذ غيرها ، فرفض زياد عندما توجه الحارث إلى الناقة وحل عقالها تحدياً منه لزياد . فانقسمت كندة إثر هذا الحادث الى فئتين[(٥)] : فئة التزمت العهد وانحازت إلى جانب زياد وفئة نقضت

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣١ ، السهيلي : الروض الأنف ج ٧ ص ٣٤٩ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٣١ ابن حبيش : ص ١٣١
(٣) ـ الكلاعي : الاكتفاء ج ٣ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .
(٤) ـ ابن عساكر : التاريخ ج ٣ ص ٦٦ . ابن أعثم الكوفي : الفتوح . ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٧ .
(٥) ـ حول هذا الامر ينظر النسخة المخطوطة من كتاب ذكر الغزوات الضامنة لابن حبيش

العهد الذي كان بين الرسول (ص) وبينهم وهم بنو عمرو وبن معاوية وقد واجههم زياد فأوقع برؤسائهم وهم الأخوة مخوس ومشرح وجمد وأبضعه (١) ، وكتب إلى الخليفة يخبره بذلك (٢) ، كما أوقع بقبائل أخرى من كندة كقبيلة بني هند وحجر وغيرهم (٣) ، إلاّ أنه أخفق في مواجهة التجمع القبلي الذي تزعمه الأشعث بن قيس الكندي في محاولته للانتقام منه لمقتل أبناء عمومته (٤) .

وكتب زياد بن لبيد إلى أبي بكر رضي الله عنه يستمده ، فأمده بالمهاجر بن أبي أمية وكان في صنعاء حيث أوقعا بالأشعث في محجر الزرقان وألجأوهم إلى حصن النجير (٥) فحاصروهم حصاراً شديداً ، مما حمل الأشعث على طلب الأمان لأهل بيته ووجوه أصحابه فأجابوه إلى ذلك (٦) . وكان الخليفة قد أمدّ زياداً والمهاجر بعكرمة بن أبي جهل فانطلق من (أبين) إلاّ أنه وصل بعد فتح الحصن بأربعة أيام ، فأمر أبو بكر بأن يشركوا بالغنائم أسوة بالآخرين (٧) .

وقبل ختام هذا الأمر لا بدّ من الإشارة إلى أن المصادر التي بين أيدينا تجعل سبب ردة (بني وليعة الكندية) هو ما قام به زياد بن لبيد الأنصاري من أخذ (بكرة) الصدقة . ولكنني أرى أن هذا لم يكن السبب الأساسي في ردتهم بل هي الوسيلة الأساسية التي اتخذوها لتحقيق غرضهم .

أما السبب الرئيسي الذي دفعهم لردتهم فهو يكمن وراء رغبتهم الحقيقية في الزعامة والملك ، فقد ظنوا الإسلام طريقا سهلا لتحقيق غرضهم فتابعوه ولكنهم فوجئوا بالرسول (ص) يولي عليهم "(زياد بن لبيد) فعملوا على نقض الأمر والتخلص من زياد ومن الإسلام كله ولهذا ما أن سمعوا بظهور الأسود العنسي حتى أيدوه لا لشيء إلاّ لكي تكون لهم الزعامة في قبيلتهم ، وحينما توفي رسول الله (ص) وجدوا الفرصة مواتية تماما

---

(١) ـ خليفة بن خياط : ج ١ ص ٩٨ . إليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ١٣٢ الطبري : ج ٣ ص ٣٣٤ . ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، ص ٦٤ ـ ٦٥ . ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٦٧ . .

(٢) ـ الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص ٣٢٧ .

(٣) ـ ابن أعثم الكوفي : الاكتفاء ج ١ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٤) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٣٥ . ابن أعثم الكوفي : ج ١ ص ٦٦ . ابن حبيش : ص ١٣٥ .

(٥) ـ خليفة بن خياط : ج ١ ص ٩٨ . البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ١٠١ . الطبري : ج ٣ ص ٣٣٥ . ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٨١ .

(٦) ـ ابن عساكر : ج ٣ ص ٦٧ ـ ٦٨ الكلاعي : الاكتفاء ج ٣ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(٧) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٣٧ الكلاعي : الاكتفاء ج ٣ ص ٣٣٢ .

لإبراز أغراضهم ، فاتخذوا من حادث (الناقة) ، سبباً مباشراً خاصة أنه لم يحدث إلاّ بعد وفاة الرسول (ص) وقد حصل تأييدهم للأسود قبل ذلك ولهذا لعن رسول الله (ص) ملوك بني وليعة قبل وفاته لمتابعتهم الأسود العنسي (١) .

بالإضافة إلى ذلك ، فان كثيراً من كندة نفسها كانوا يؤكدون أن الناقة أُخذت بحق وأن ارتجاعها باطل ، وهذا يبطل دعواهم (٢) .

غير أننا لو سلمنا بما ذكرته المصادر عن سبب ردتها لوجدنا أن كندة لم ترجع عن الإسلام ، ولكنها امتنعت عن دفع الزكاة بعد وفاة الرسول (ص) باعتبارها إتاوة تأباها نفوسهم ، واتخذت منها ذريعة للانفصال عن المدينة والخروج على الخليفة ، ومن هذا المنطلق اعتبرتهم الروايات الواردة في المصادر مرتدين عن الإسلام .

اما قبيلة مهرة فكان لها وضع خاص ومميز من بين سائر القبائل اليمنية التي شغلت دوراً بأحداث ردة اليمن . حيث ذكرت المصادر أنه كان بها فئتين متصارعتين تتنافسان للوصول إلى السلطة الأولى ظهرت في منطقة (جيروت) بقيادة (الشخريت) والثانية في منطقة النجد وعليها (المصبح (٣)) .

ويبدو أن (المصبح) نجح في استقطاب غالبية مهرة ما عدا أعداد قليلة كانت تحت قيادة (الشخريت) . وقد لاحظ عكرمة بن أبي جهل هذا الوضع ، فحاول استمالة الشخريت إلى جانبه بدعوته الى الإسلام فاستجاب له وانضم إلى القوات الإسلامية ، في حين امتنع (المصبح) عن قبولها معتمداً على كثرة أتباعه فسار إليه عكرمة ومعه الشخريت واقتتلوا قتالاً عنيفاً انتهى بمقتل المصبح واستسلام أتباعه مقرين بالإسلام وهم أهل النجد ورياض الروضة وأهل السر واللبان وجيروت والشحر والصبرات وينعب ونبات الخيم والساحل (٤) .

---

(١) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٦ ص ٣٤٢ ـ مسند أحمد : ج ٤ ص ٣٨٧ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٣١ ، ٣٣٤ . ابن حجر : ((الاصابة ، ج ٣ ص ٩٠ ، ٩٥٦ ،
البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ١٢٠ ، ١٢٢ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣١٦ وما بعدها . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .
(٤) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٧ . ابن خلدون : ج ٢ ص ٢٨٧ .

من خلال هذا الأمر تبدو لنا حركة مهرة حركة محلية ، دفعها إلى الظهور الفراغ السياسي الذي ظهر في المنطقة . إذ تبين أن عكرمة توجه إلى مهرة لإخضاعها وضمها إلى الإسلام دون أن يعلم بأمر الفئتين المتنازعتين كما أن موقف الزعيمين (المصبح والشخريت) من السلطة الإسلامية في المدينة كان واحداً باعتبار أنهما غير مسلمين تتحكم بهما الرغبة في السيطرة والسيادة على مهرة . إلا أن الشخريت شعر بعجزه عن مواجهة المصبح وجموعه فانحاز إلى عكرمة طمعاً في الحصول على قوة تساعده على تحقيق غايته . ولكن لم ترد أي إشارات تحدد موقف المدينة من (الشخريت) بعد انتهاء حروب الردة .

ومن كل ما تقدم عن الرّدة في اليمن نصل إلى نتيجة هامة هي أن الحروب التي قادتها المدينة لإخضاع المرتدين عن الإسلام لم تكن حروباً دينية جميعها ، ويتضح ذلك من خلال المعارك التي قادتها السلطة الإسلامية ضد معظم القبائل اليمنية . إذ تبيّن أن سبب حربها لم يكن دينيا محضاً بل لحمل تلك القبائل لواء المعارضة ضد سلطة المدينة وخلافة أبي بكر .

بالإضافة إلى ذلك ظهرت جموعات قبلية أخرى باليمن لم يكن لها صلات دينية أو سياسية بالمدينة فواجههم الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه وضمهم إلى الإسلام وبالتالي أعاد توحيد اليمن تحت رايته إلى جانب جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية لتشغل دوراً إيجابياً بارزاً في قيام صرح الدولة الإسلامية فيما بعد على مختلف الصعد السياسية منها والعسكرية والحضارية .

لكن قبل الدخول في بحث تفاصيل هذا الدور الذي شغلوه ، لا بدّ لنا من معرفة الكيفية التي واجهت بها دولة الإسلام مرتدي اليمن .

اعتمد الرسول (ص) في معالجة ردة اليمن ـ عبهلة العنسي ـ على طريقتين الأولى تمثلت بإرساله الرسل والكتب إلى بعض زعماء اليمن طالباً منهم التصدي بأنفسهم للمرتدين . أما الثانية فكانت عن طريق إرسال الجيوش والسرايا لمواجهة المرتدين بالقوة وقد سار خليفته الأول رضي الله عنه على نهجه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في قمع جميع مظاهر الردة في الجزيرة العربية .

وجه الرسول (ص) كتبه ورسله إلى بعض زعماء (حمير) و (همدان) بأن يتكاتفوا ويتوحدوا ويساعدوا الأبناء ضد الأسود العنسي ، فأرسل (وبر بن يحنس) إلى فيروز الديلمي وجشيش الديلمي ، وداذويه الاصطخري ، وبعث جرير بن عبد الله

البجلي الى ذي الكلاع ، وذي ظليم الحميريين ، وبعث الأقرع بن عبدالله الحميرى إلى ذي زود ، وذي مران الهمدانيين كذلك كتب إلى أهل نجران من الأعراب وساكني الأرض من غيرهم [1] .

وأرسل (الحارث بن عبد الله الجهني) إلى اليمن قبيل وفاته فبلغه وفاة الرسول (ص) وهو في اليمن [2] . كما تلقى أبو موسى الأشعرى والطاهر بن أبي هالة كتباً من رسول الله ((ص)) كي يواجهوا الأسود العنسي بالغيلة أو المصادمة [3] .

استجيب على الفور نداء الرسول صلى الله عليه وسلم عند الحميريين والهمدانيين وكاتبوا الأبناء) يعلموهم بمساعدتهم في الصراع ضد الأسود العنسي ، وفي الوقت نفسه تجمع أهل نجران في مكان واحد للتصدي لأى حركة من جانب الأسود .

من جهة أخرى استمر نشاط الاتصالات عن طريق المراسله بين الحميريين ، والهمدانيين ومعاذ بن جبل ، وفروة بن مسيك المرادى ، فقد ذكر الهمداني أنه كان (لفروة) دور في قتل الأسود العنسي [4] بينما يذكر الطبرى في تاريخه أن عامر بن شهر الهمداني كان أول من اعترض على (العنسي [5]) .

وهكذا تكتلت كل القوى اليمنية الموالية للرسول (ص) واجتمعت على رأى واحد هو قتل الأسود العنسي والتخلص منه . لهذا اتفقوا على خطة (الأبناء) بأن لا يقوموا بأي عمل حتى يبرموا الأمر من داخلهم [6] .

اتفق الأبناء مع قيس بن مكشوح المرادي ـ وكان قائد جند العنسي ـ الذى وافقهم على التخلص منه ، لأنه كان على خلاف معه ويخشى أن يتغير عليه [7] . وقد ضموا إلى صفهم زوجة (الأسود العنسي [8]) التي مهدت لهم السبيل لقتله على فراشه [9] .

وحينما قتل (العنسي) ألقي برأسه بين أصحابه فانتابتهم الرهبة وعمهم الخوف ،

---

(1) ـ الطبرى : ج ٣ ص ١٨٧ ، ٢٣٢ .
(2) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ٢٨٢ .
(3) ـ تاريخ في المغازى والفتوح ، مجهول مؤلفه ، ورقة ٣٣ (آ) مخطوط . دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨٩ .
(4) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ٨ ص ٢١ .
(٥) ـ الطبرى : التاريخ ، ج ٣ ص ٢٢٩ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٢٣٢ .
(٧) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣١ .
(٨) ـ السهيلي : الروض الانف ، ج ٧ ص ٤٤٦ . الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ١٥١ .
(٩) ـ الطبرى : ج ٣ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

فغروا هاربيـن باتجاه نجران ولحج [1] ، وقد بعث المسلمون بنهايـة (العنسي) إلـى المدينـة فبشـر الرسول (ص) أصحابـه بمقتله قبل قدوم الخبر وأوصاهم برسـول الأبناء خيراً [2] .

وظل أمر مدينة صنعاء مشتركاً بين فيروز ، وداذويه ، وقيس بن مكشوح ، الـذي كان صاحب الكلمة فيهم حتى جاء معاذ بن جبل إلى صنعاء فارتضوا أن يكون هو الأمير عليهم ولكنـه لم يلبث إلا ثلاثـة أيام يصلي بهم حتى بلغهم خبر وفاة رسول الله صلى اللـه وسلم [3] .

وهكذا كان للكتب والمراسـلات التي أرسلها رسول الله (ص) هذا الأثر الفعـال في القضاء على الأسود العنسـي .

أما في عهد أبي بكر ، فبعد أن استتب أمر (صنعاء) على أثر مقتل الأسود العنسي فوجئ القوم بوفاة الرسول (ص) وفي الوقت نفسه كانت اخبار مقتل العنسي قد خرجـت الى المدينة ، وكان الرسول (ص) قد بشـر المسلمين بمقتله يوم وفاته [4] . وكان هذا أول فتح أتى أبا بكر وهو في المديـنـة [5] .

في هذه الظروف تولى أبو بكر منصب الخلافة وكان عليه أن يواجه هذه المشاكل بكـل قوة ورباطة جأش فأصدر أمرا بتوليه (فيروز الديلمي) على صنعاء [6] . فكان ذلك سـبباً لنقمة قيس بن مكشوح المرادي ، ولم يول أبو بكر قيسـاً لأنه كان ممن مالأ الأسود العنسي وكان من مبدأ أبي بكر عدم الاستعانة بمن ارتـد [7] .

وعلى ما يبدو أن تصرف الخليفـة هذا لم يكن ليرضي (قيساً) لذا نجده ينتقـض عهده ويسيطر على صنعاء ثم توجه بجهوده لتصفية الأبناء من الفرس فعمد الى الاتصال بذي الكلاع الحميري وأصحابـه بقولـه : ((ان الأبناء نزاع في بلادكم ونقلاء فيكم ، وان تتركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى من الرأي أن أقتل رؤوسهم وأخرجهم من بلادنا [8])) .

وغير واضح لماذا توجه (قيس) بطلبه إلى حمير بالذات غير أنه من الممكن القول : انه أدرك قيمة حمير في أحداث اليمن بالإضافة إلى احتمال أن تكون العلاقـة بين حمير والأبناء

---

(1) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٣ . الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ١٥٣ ، ١٥٧ .
(٢) ـ الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ص ٧٣ . ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٥٧٨ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٢٣٦ .
(٤) ـ الرازي : مصدر سابق ، ص ٧٣ . ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ٥٧٨ .
(٥) ـ البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ١٢٧ .
(٦) ـ الطبري : ج ٣ ، ص ٣٢٣ .
(٧) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ٣٤١ . ج ٤ ص ٢٥ . ابن حبيش : مصدر سابق ،

غير جيدة وأنه في مفاتحة حمير بأمر تصفية الابناء قد يكسب قوة ايجابية غير أن ذا الكلاع لم يستجب له واكتفى بالرد عليه بقوله : ((لسنا مما ها هنا في شيء ، أنت صاحبهم وهم أصحابك (١) .

وما ان علم أبو بكر بأمر (قيس بن مكشوح المرادي) حتى بادر بالكتابة إلى الزعماء اليمنيين الذين كتب إليهم الرسول (ص) سابقاً وكانت صيغة الكتاب واضحة وصريحة وهي ((أعينوا الابناء على من ناوأهم وحوطوهم واسمعوا من فيروز ، وجدوا معه فاني قد وليته (٢))) .

وقد ذكرت المصادر أن فيروز الديلمي قام من ناحية بالاتصال ببعض القبائل يستمدهم ويستنصرهم وعلى رأس هؤلاء (بنو عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ، ثم أرسل الى قبيلة (عك) للغرض نفسه ، وكان أبو بكر قد أرسل الى الطاهر بن أبي هالة (٣) ،والى مسروق العكي أن يمدا (الابناء) بالمعونة ، فخرج كل من جهته وعلوا جميعاً للحيلولة دون تنفيذ مخطط قيس وهو طرد (الابناء) واخراجهم من اليمن فأنقذوهم ثم تكتلوا وتوجهوا نحو صنعاء فاصطدموا به حتى اضطر إلى ترك صنعاء ، إلّا أنه انضم إلى عمر بن معد يكرب الزبيدي الذي بقي على مراده منذ أن تابع الاسود العنسي (٤) .

وما يذكر أن أبا بكر رضي الله عنه في هذه الفترة بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وأخذ يتبع سياسة ((ركوب من ارتد بمن لم يرتد وثبت على الاسلام (٥) .

ففي ردة (تهامة اليمن) تم القضاء عليها بدون مجهود كبير من قبل الخليفة وقد تولاها المسلمون من ابناء تهامة مثل (مسروق العكي) الذي قاتل المرتدين بقومه من (عك) ، وكان على رأس من قضى على ردة تهامة الطاهر بن أبي هالة الذي كان والياً للرسول (ص) على جزء من تهامة وهي موطن (عك والاشعريين (٦)) .

أما (بجيلة وخثعم) فقد أرسل اليهما أبو بكر (جرير بن عبد الله البجلي يدعو

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٣ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ينظر كتاب ابن حبيش عن ردة قيس بن مكشوح ص ١٢٦ وما بعدها .
(٣) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٢٤٩ .
(٤) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢٤ و ٣٢٨ .
(٥) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٤ ، ابن حبيش : ص ١٦ .
(٦) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢٠ .

قومه ويثبتهم على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد من (خثعم) .

كما خرج مسروق العكي بالى بعض (الحارث بن كعب) بنجران يريد قتالهم فدعاهم الى الإسلام فأسلموا من غير قتال (1) .

وهكذا قضي على كثير من تجمعات أهل الردة باليمن عن طريق سياسية ((ركوب من ارتد بمن لم يرتد)) . في الوقت نفسه كان أبو بكر يعمل على تجميع قواته تحت قيادات واعية من اليمن مثل : جرير بن عبد الله البجلي ، وعكاشة بن ثور ، ومسعود العكي فنتظرا قدوم أسامة بن زيد من الشام .

وعند ما عاد أسامة من غزوته الى المدينة ، انتهج أبو بكر نهجا جديداً في التعامل مع المرتدين عامة ، إذ تخلى عن سياسية مجابهة المرتدين بطريقة الرسل والكتب وانتقل إلى مرحلة إعداد الجيوش المنظمة لمواجهة هذا الأمر بشكل جذري . لذلك سرعان ما نجده يخرج إلى مكان خارج المدينة يقال له (ذو القصة (2)) متخذاً إياه قاعدة انطلاق جيوشه الإحدى عشرة .

ولما كان وضع اليمن هو الذي يعنينا فان ما يخصنا من هذه الجيوش هو جيش (المهاجر بن أبي أمية) و (جيش سويد بن مقرن) و (جيش عكرمة بن أبي جهل)

أ - المهاجر بن أبي أمية :

خرج المهاجر على رأس سرية من المهاجرين والأنصار من المدينة قاصداً اليمن من الجهة الشمالية حسب خطة أبي بكر فمر على (مكة) فانضم إليه (خالد بن أسيد) ومر على الطائف فلحقه عبد الرحمن بن أبي العاص) ومن معه . ولما وصل نجران انضم اليه (جرير بن عبد الله البجلي) ثم (عكاشة بن ثور) مع بعض أهل تهامة و (فروة بن مسيك المرادي) مع بعض أفراد من مذحج و (مسروق العكي) مع بعض بني الحارث بن كعب (3) .

وبعد أن استكمل تجهيز جيشه في نجران أمر بقسمه إلى فرقتين فرقة بقيادته

---

(1) _ الكلاعي : تاريخ الردة ص 156 .

(2) _ ذو القصة : موضع على (بريد) من المدينة من جهة نجد (البريد حوالي 22,5 كم) ، الطبري : ج 3 ص 248 .

(3) _ الكلاعي : تاريخ الردة ، ص 156 _ 157 . عن مسير جيش المهاجر ينظر ابن حبيش : ص 128 وما بعدها .

مهمتها تطهير المرتدين المتواجدين بين نجران وصنعاء • وفرقة بقيادة أخوه (عبد الله ابن أبي أمية) مهمتها تطهير منطقة (تهامة اليمن[1]) ، على أن يجتمعا في النهاية بمدينة صنعاء • وتقدم زحف الفرقتين وقبل دخول المهاجر صنعاء اصطدم بـ (قيس بن مكشوح المرادي) في موضع يقال له ((عجيب[2])) وانتصر عليه فاستسلم قيس واستسلم معه عمر بن معد يكرب الزبيدي فأوثقهما المهاجر وبعث بهما إلى أبي بكر ، وبعد أن اعتذر كل واحد منهما عن فعله فاطلقهما ورجعا بعد أن تابا وأصلحا[3] .

وهناك من الاخباريين من يعدّ (عكرمة) هو الذي بعث بقيس إلى أبي بكر وأن عمرو ابن معد يكرب الزبيدي استسلم (لخالد بن سعيد بن العاص ثم أسلم ، وبعد أن عاد الى المدينة أهداه سيفه المعروف باسم (الصمصامة[4]) ، ولكن هذا غير ثابت لأن خالد ابن سعيد عاد مع عمرو بن حزم إلى المدينة فور ظهور الأسود العنسي فقدما ها بعد وفاة رسول الله (ص) فوجه أبو بكر رضي الله عنه خالداً إلى مشارق الشام[5] .

وحين استقر المهاجر في صنعاء كتب الى أبي بكر بما قام به وبقي ينتظر الرد منه كما كتب في الوقت ذاته معاذ بن جبل وبقية عمال الرسول (ص) إلى أبي بكر ــ ما عدا زياد بن لبيد ــ يستأذنونه بالعودة إلى المدينة • فجاءت كتب أبي بكر مطلقة حق الاختيار لمعاذ ومن معه من العمال بالبقاء أو العودة والاستخلاف على عمل كل من رجع ، فرجعوا جميعاً[6] .

أما المهاجر فقد تلقى أمراً بالتوجه لملاقاة (عكرمة بن أبي جهل) وأن يسيرا معاً إلى حضرموت لمساعدة (زياد بن لبيد) كما أمره أن يأذن لمن معه من الذين قاتلوا بين مكة واليمن في العودة إلا أن يؤثر قوم الجهاد[7] .

ففي حضرموت كانت كندة قد ثارت تحت زعامة الأشعث بن قيس الكندي بعد أن تمكن زياد بن لبيد من قتل زعمائهم من بني وليعة في محاقلهم •

---

(1) ــ ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣٦ ، ابن حبيش : ص ١٢٨ •
(2) ــ الطبري : ج ٣ ص ٣٢٩ •
(3) ــ ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٥٣٤ ــ ٥٣٥ ، الطبري : ج ٣ ص ٣٢٦ ــ ٣٣٠ •
(٤) ــ الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ١٥٤ ــ ١٥٨ ، ابن حبيش : ص ١٢٩ •
(٥) ــ الطبري : ج ٣ ص ٢٤٩ • ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٣٤٦ •
(٦) ــ ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ص ٣٦ •
(٧) ــ الطبري : ج ٣ ص ٣٣١ ، ابن حبيش : ص ١٣٦ •

ويبدو أن قوة المسلمين في حضرموت بقيادة زياد بن لبيد لم تكن كافية للسيطرة على الأوضاع هناك فقد منيت هذه القوة بهزائم متعددة[1] ، كان أبرزها حصار (زياد) من قبل الكنديين في مدينة (تريم[2]) . مما دفع بزيادة استعجال النجدة[3] من (المهاجر) و (عكرمة) وكانا قد التقيا في مأرب بعد أن سلك عكرمة الطريق الشرقي من جهة عُمان ومهرة ومفازة صيهد باتجاه حضرموت فلما وصلا إلى زياد بن لبيد انقلبت الأوضاع لصالح المسلمين وانحاز المعارضون من كندة إلى حصن النجير حيث استسلم الأشعث ابن قيس وانتهت أحداث حضرموت[4] .

أما جيش عكرمة بن أبي جهل :ـ

فقد رأينا ما قام به إلى جانب المهاجر بن أبي أمية وزياد بن لبيد في حضرموت وكان قبلها في اليمامة بناء على أمر الخليفة أبي بكر لمحاربة (مسيلمة) وقد اتبعه الخليفة بـ (شرحبيل بن حسنة) على رأس سرية ليشتركا معاً ضد مسيلمة . لكن على ما يبدو أن عكرمة لم يلتزم بهذا الأمر فسارع لقتال مسيلمة منفرداً فانهزم أمامه عند ذلك أمره أبو بكر بالتوجه إلى (عُمان) ثم إلى (مهرة) فاليمن .

وكان أبو بكر قد أمر (عرفجة بن هرثمة) أن يساعد (حذيفة بن محصن) على أهل (دبا) ثم يتوجه إلى (مهرة) ، ولكن بعد أن تولى الأمر (عكرمة) عاد (عرفجة) بالسبايا والمغانم إلى المدينة ، فتولى قيادة الجيش عكرمة بن أبي جهل[5] .

أما جيش سويد بن مقرن :ـ

فقد كلّف بمحاربة من ارتد بتهامة اليمن ، ولكن المصادر لم تذكر له أي دور في تهامة ولعله تولى أمرها ، ولهذا لم نتوقف عنده .

في ختام ذلك نقول من خلال هذه الجيوش التي سيرها ابو بكر رضي الله عنه إلى اليمن إلى جانب ما قام به عن طريق الكتب والرسل أعاد اليمن إلى حظيرة الإسلام قوة موحدة تؤمن بعقيدة واحدة استلهم ابناؤها منها القوة والمنعة والعزيمة والجهاد في نشر الدعوة والزود عنها بكل ما يملكون أمام كل قوى المعارضة مهما كبرت ومهما عظُمت .

---

(١) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣٧ .
(٢) ـ ابن اعثم الكوفي : الفتوح ، ج ١ ص ٧٠ .
(٣) ـ الاشرف الرسولي : مصدر سابق فاكهة الزمن ص ٣٣ .
(٤) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٣٧ . ابن حبيش : ص ١٣٧ وما بعدها .
(٥) ـ ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٧٢ .
ابن حبيش : ص ١٢٧ وما بعدها .

ويبدو أنه من الأمور الهامة التي افرزتها حروب الردة في اليمن هو ظهور قيـــادات يمنية إســـلامية كان لها شأن عظيم في شغل أدوار بارزة في بناء الدولة الإســـلامية علـــى الصعيد السياســـي والعسكري والحضاري .

نذكر من هؤلاء القياديين ، شرحبيل بن السمط الكندي ، السمط بن شرحبيل ، جرير بن عبدالله البجلي ، ذو الكلاع الحميري ، مسعود العكي ، عبدالله بن مسعود ، حذيفة بن محصن الغلفاني الحميري ، عرفجة البارقي الأزدي ، عبد بن عوف الحميري ، فيروز بـــن سيلع المرادي وغيرهم .

ليبيون والفتوحات الإسلامية على جبهتي اليرموك والقادسية :

تمكن الخليفة أبو بكر (رضي) من القضاء على الردة وحركات المعارضة المحلية لدعوة الإسلامية وساد الإسلام في اليمن وبقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وأصبحت بلاد العرب دولة موحدة من الناحية السياسية تحت سلطة عليا واحدة هي سلطة الخليفة القائدة للدولة والمجتمع ٠

وقد أدرك أبو بكر في وقت مبكر جداً أهمية هذه الوحدة الخيّرة فاستغلها برؤية واضحة بعين ثاقبة من خلال قوله : ((فالعرب بنو أم وأب وقد أردت أن استنفرهم [1])) ٠

فأخذ في استنفار العرب للجهاد وقد وجه اهتمامه إلى بلاد الشام متابعاً بذلك سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تمثلت بالسرايا والغزوات التي أنفذها حالما تأكد من زوال خطر تهديد قريش ٠

وقبل أي إجراء عملي دعا الخليفة أبو بكر كبار صحابة رسول الله (ص) إلى اجتماع خاص وأطلعهم على هذا الاتجاه بقوله : ((واعلموا ان رسول الله (ص) كان عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه واختار له ما لديه ، ألا وإني عازم ان أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم فرسول الله (ص) انبأني بذلك قبل موته [2])) ٠

وعلى الفور أمر أبو بكر خالد بن سعيد بن العاص بالإقامة بتيماء على رأس قوة متربصاً يجمع من حوله الناس بانتظار أمر الخليفة [3] ٠ ثم انتدب أبو بكر الناس إلى الجهاد ٠

وقد اختلفت أهل الأخبار في من وجه الخليفة دعوته أولاً بين العرب ٠ فقد ذكر البلاذرى في كتاب (فتوح البلدان) ان الخليفة انتدب أهل المدينة أولاً : إلاّ أنه لم يرض كثرتهم إلى الروم فاستقر رأيه على الكتابة لأهل اليمن وغيرهم [4] ٠ بينما يرى الازدى في كتاب (فتوح الشام) ان الخليفة كتب إلى أهل اليمن والحجاز ونجد بعد اجتماعه بالصحابة واطلاعه اياهم على سياسته بالتوجه نحو الشام [5] ٠

---

(1) ــ الازدى : فتوح الشام ، ص ١٢٨ ، ط ٠ كلكتا ، ١٨٥٤م ابن حبيش ، ص ١٤٤٠

(٢) ــ ابن حبيش : ص ١٤٣ ٠ الواقدي فتوح الشام ، ج ١ ص ٢٠

(٣) ــ الطبري : التاريخ ، ج ٣ ص ٣٨٧ وما بعدها ، ط ٠ دار المعارف ٠ ابن حبيش : ص ١٤٦٠

(٤) ــ ابن حبيش : ص ١٤٨ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٨ ٠ الأكوع : الوثائق السياسية ، ص ١٦٢ ٠

(٥) ــ الازدى : مصدر سابق ، ص ٥ ــ ٦٠

ويبدو أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه لاحظ وقدّر ما قدمه أهل المدينة من تضحيات في حروب الردة وبشكل خاص بعد معركة (عقرباء) في اليمامة [1] ، حيث استشهد عدد كبير من الصحابة وحفاظ القرآن لذا بات من الضروري بالنسبة للخليفة الحفاظ عليهم لأنهم المجتمع الحقيقي للدولة الجديدة ، واشراك العرب الآخرين في الجهاد بغية تحرير الأرض .

غير أن أبا بكر كان دقيقاً في توجيه دعوته للجهاد إذ حدّد بدعوته المسلمين الذين ثبتوا على الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقاتلوا المرتدين وطلب من قادته عدم إشراك مسلم سبق له أن ارتد حتى يرى رأيه [2] .

وما دام بحثنا يقتصر على دراسة أوضاع اليمن تحديداً لذا سنحدد مجال دراستنا في كيفية استنفار أبي بكر لأهل اليمن للقيام بواجبهم في عمليات الفتوح .

وجه الخليفة أبو بكر كتاب دعوة الجهاد إلى أهل اليمن مع أنس بن مالك رضي الله عنه ، ضمّنه عبارات محددة منتقاة تبين غاية ما يريد وحقيقة ما يهدف .

فقد خاطب الخليفة المؤمنين المسلمين الثابتين من أهل اليمن وطلب منهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً لجهاد الروم بالشام بأموالهم وانفسهم وذكرهم بأن الجهاد فريضة مفروضة على كل ... والثواب عند الله عظيم . وطلب منهم السرعة وحسن النية بغية حصولهم إلى احدى الحسنيين إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة وأكد لهم أن الله تعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل وختم كتابه بالدعاء لهم [3] .

استجاب اليمنيون لنداء الخليفة استجابة سريعة وأعداد كبيرة من جميع قبائلهم التي دعاها أبو بكر طواعية دون إكراه فأقبلت إليه جموعهم بنسائهم وأولادهم وأموالهم [4] .

وقد عبر عن هذا الموقف أنس بن مالك الذي حمل كتاب أبي بكر إلى أهل اليمن والذي

---

(1) _ الطبري : ج ٣ ص ٢٩٦ _ ٢٩٧ .

(2) _ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ٣٤٢ ، ٣٤٧ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ص ٢٨٥ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٦ ص ٣٤٢ .

(3) _ ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ١ ص ١٢٨ . ابن حبيش : مصدر سابق ١٤٨ .
البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٢٨ . الازدي : مصدر سابق ، ص ٥ .

(4) _ ابن حبيش : مصدر سابق ، ص ١٥٠ يحي بن الحسين ، مصدر سابق ، ص ٩٤ .

تنقل بين أحيائهم قبيلة قبيلة وجناحاً جناحاً يقرأ عليهم كتاب أبي بكر ويحثهم على الاسراع فقال : ((فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع من هذا القول يحسن الرد علي ، ويقول : نحن سائرون وكأنا قد فعلنا ، حتى انتهيت إلى ذي الكلاع فلما قرأت عليه الكتاب وقلت هذا المقال دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك وأمر بالمعسكر فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن ، وقد قام فيهم خطيبا فقال فيما قاله : ((... ثم قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم فلينفر من أراد النفير معي الساعة [1])) .

فعاد أنس بن مالك وبشر أبا بكر بقدوم القوم فقال : ((قد أتوك شعثاً غبراً أبطال اليمن وشجعانها ، وفرسانها وقد ساروا إليك بالذراري والحرم والأموال [2])) . وما لبث إلا أيام حتى قدم ذو الكلاع الحميري في قومه حمير ، وقيس بن هبيرة المرادي على مذحج ثم قبائل الأزد [3] . وهمدان على رأسها حمزة بن مالك الهمداني [4] .

وقد صورت الروايات قدومهم في شبه كتائب يتلو بعضها بعضاً . وأن أهل المدينة أظهروا زينتهم وخرجوا لاستقبال كتائب أهل اليمن فأشرفت تلك الكتائب قوم في إثر قوم وقبيلة في إثر قبيلة .

بالإضافة إلى ذلك فقد أجمعت معظم المصادر على أن أول من وصل من قبائل اليمن إلى المدينة كانت حمير بقيادة ذي الكلاع [5] ، وربما كان سبب دعوته من قبل الخليفة هو ثباته على الإسلام ومحاربة المرتدين والمعارضين للإسلام في اليمن وبشكل خاص وقوفه في وجه عبهلة (الأسود العنسي) إضافة الى مكانة حمير بوصفها قبيلة كانت في السلطة إلى وقت قريب إذ على الرغم من أن الدولة الحميرية سقطت إثر غزو الأحباش لليمن ، إلا أن نظمها وتقاليدها وكثير من مظاهر قوتها كانت قائمة وقد عرف الحميريون بتقاليدهم في الحرب وصناعة السلاح [6] . ثم إن كتلة ذي الكلاع القبلية ارتبطت بالنقوش القديمة بالحروب [7] . كما

---

(1) ـ ابن عساكر : مصدر سابق ج 1 ص ١٢٨ . ط . روضة الشام ١٣٢٩ هـ . ابن حبيش ص ١٤٩ وما بعدها .
الازدي : مصدر سابق ، ص ٩ ـ ١٠ محمد بن علي الاكوع : الوثائق السياسية ص ١٦٢ وما بعدها .
(٢) ـ يحيي بن الحسين : مصدر سابق ، ص ٩ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٨٩ ، ٣٩١ . ابن حبيش : ص ١٥٣ . الازدي : مصدر سابق ص ٦ ـ ٧ ، ١١ ـ ١٢ .
(٤) ـ ابن حبيش : مصدر سابق ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ الازدي : مصدر سابق ، ص ٣٩ .
(٥) ـ ابن حبيش : مصدر سابق ، ص ١٥٣ .
(٦) ـ انظر الفصل الثالث من البحث ص ٣١ جواد علي : المفصل : ج ٧ ص ٥١٧ .

ن ذا الكلاع نفسه كان يتمتع بمكانة مهمة ونفوذ كبير بين أفراد قبيلته . فقد ذكرت بعض المصادر أنه يمتلك عدد كبيراً من العبيد اختلف أهل الأخبار في تقديره فقيل : أربعة آلاف ، وقيل : اثنا عشر ألفاً ، كانوا معه عند خروجه من اليمن (1).

ولم تكن هذه الاستجابة بهذه الكثرة خاصة بأهل حمير بل كل من جاء من اليمن كان على نفس المستوى وعلى سبيل المثال فقد قدم من همدان أكثر من ألفي رجل كما يذكر الازدي (2).

لقد استمر اندفاع أهل اليمن للجهاد طيلة خلافة أبي بكر ولم يتأثر قدومهم إلى ميادين القتال في عهد عمر بل تطور ذلك بشكل ملحوظ على اعتبار أن الخليفة الثاني (رضي) كان قد تخلى عن سياسة سلفه إذ أخذ يدعو المسلمين عامة لضرورات فرضتها سياسة الأمر الواقع في عمليات الفتوح . بالإضافة إلى ذلك تولى قادة مسلمون سبق لهم وارتدوا قيادات (3) محدودة في جيش المسلمين وهذا أمر لم يكن مسموح به زمن الخليفة الأول (4).

كما تذكره المصادر أن المسلمين اليمنيين لبّوا نداء الخليفة الثاني كتلبيتهم نداء أبي بكر من قبل يُذكر أكثر من ذلك بحيث أن الخليفة عمر (رضي) بقي سنة كاملة لا يذكر العراق بعد انكسار المسلمين في موقعة (الجسر) ولم يشجعه على معاودة الكرة إلا قدوم سبعمائة من الأزد اليمنيين يسألونه الإذن بالجهاد فوجههم إلى العراق ثم تلاهم جرير بن عبد الله البجلي بعد أن جمع بجيلة تحت قيادته فوجههم على إثرهم (5).

---

(1) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ٢ ص ٤٢٨ .

(2) ـ الازدي : فتوح الشام ، ص ٣٩ . ابن حبيش : ص ١٥٣ ، ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ١٥٩ .

(3) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٤٨ ، ٤٨٩ . الدينوري : الأخبار الطوال ، ١٢٠ ـ ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٥ .

(4) ـ ان ما يؤيد التزام أبي بكر عدم دعوة من سبق له ان ارتد عن الإسلام إلى ميدان القتال من ان الأشعث بن قيس الكندي (زوج اخته) أي زوج أخت الخليفة أبي بكر بقي في المدينة مقيما طيلة ولاية أبي بكر ولم يشترك في القتال حتى تولى الخلافة عمر حيث أشركه مع سعد بن أبي وقاص في القادسية .

الكلاعي : تاريخ الردة ، ص ١٧٠ .

انظر الطبري : ج ٣ ص ٥٦٢ ، ٥٧٥ . حيث ترى مهام بعض قادة المرتدين في الجيش العربي الاسلامي في معارك الفتوح .

(5) ـ حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض ص ١٢٤ . الطبري : ج ٣ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٧ ، ٤٧١ ـ ٤٧٢ .

اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ١٤٢ الدينوري : الاخبار الطوال ص ١١٤ ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٩٣ .

وإذا كان عمر قد سمح لمن ارتد بالمشاركة في القتال غير أن تعليماته إلى الو
لجيوش الإسلامية كانت تقضي جميعهما بعدم إعطاء القيادات الخطيرة لمن س
دة . وقد أثبتت الوقائع بعد ذلك خطأ هذا التصور إذ برهن معظم القادة الذين ارتدوا ،
عادوا انهم بمستوى الاسلام فحسن إسلامهم وبرهنوا على ذلك في المعارك التي خاضوها
لذلك تولوا قيادة بعض الفرق العسكرية للاستطلاع أو قيادة أحد أجنحة الجيوش في
لمواقع الحربية ـ كما سنرى ـ وعلى رأس هؤلاء عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس
ن مكشوح المرادي ، والأشعث بن قيس الكندي [1].

غير أن الأمور المثبتة في المصادر هي أن اليمنيين شاركوا في معارك الفتح في وقت مبكر
جداً إذ تشير المصادر إلى اشتراك ذي الكلاع الحميري على رأس قومه في أول معركة
مع الروم سنة (١٣ هـ) بين ((وابل وزيزاء)) بقيادة خالد بن سعيد [2] . ومن المحتمل
أن جيشه كان من الخيالة إضافة إلى مشاة يرمون النبل [3] ولكننا في رواية للطبري نجد
ذا الكلاع في جيش يزيد بن أبي سفيان [4] . والظاهر أن هذا الانتقال حدث بعد إخفاق
قائد الجيش خالد بن سعيد أمام الروم واستبداله من قبل الخليفة بيزيد بن أبي سفيان
وقد خرجت قبائل أخرى من حمير إلى جبهة الشام بالإضافة إلى كتلة ذي الكلاع مثل قبيلة
خثعم بقيادة ابن ذي السهم الخثعمي التحقوا بجيش يزيد بن أبي سفيان [5] بالإضافة
لجموع من قبائل همدان ومراد والأزد وقبائل يمنية أخرى ، التحقوا بجيش أبي عبيدة
بن الجراح [6] .

ويرى الأزدي أن هذه الإمدادات كانت فيما بين خروج أمراء الجيوش الإسلامية الثلاثة [7]
وخروج عمرو بن العاص والذي اعتبره من الامداد التي أرسلها الخليفة عندما وصلت إليه
أنباء من أبي عبيدة عن حشود الروم [8] .

وفي رواية الواقدي أن أوسع خروج للامدادات كان بعد معركة أجنادين ووصول أنباء

---

(١) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٠٨ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٥ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٨٩ . ابن عساكر : التاريخ الكبير مصدر سابق ص ٤٥٢ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٠٤ . الازدي : فتوح الشام ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٤) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٨٩ .
(٥) ـ الازدي : فتوح الشام ، ص ٢٠ .
(٦) ـ المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٧) ـ امراء جيوش الخليفة الثلاثة هم : يزيد بن أبي سفيان ، أبو عبيدة بن الجراح ، شرحبيل بن حسنه . الطبري : ج ٣ ص ٣٩٤ .
(٨) ـ الأزدي : مصدر سابق ص ٣٠ .

الانتصار الكبير للجيش العربي الاسلامي حيث تسابق الناس بالخروج إلى الشام[1] ، فخرج أهل مكة ثم جاءت جموع اليمن من مذحج والنخع ويورد الواقدي اسم عمرو بن معد يكرب الزبيدي مع مذحج . وأصبح عدد الجمع تسعة آلاف مقاتل معهم أهل مكة[2] . ثم اجتمع ستة آلاف من اليمن من صدوان وأرض سبأ وحضرموت فسيّرهم الخليفة إلى الشام فوصلوا اليرموك في آخر معاركها[3] .

ويبدو أن تأثير الانتصار الذي حققه المسلمون في اجنادين اقتصر على أهل مكة الذين تخلفوا عن الخروج إلى الجبهة أما اليمن فالراجح أن أهلها كانوا قد خرجوا في بداية المعارك . وفي معركتي اليرموك ودمشق وردت أوسع الاشارات عنهم . فالأزدي يذكرهم في معركة اليرموك بقوله : ((وفيها الأزد وهم ثلث الناس ، وفيها حمير وهم عظم الناس ، وفيها همدان وخولان ومذحج وخثعم ... وكندة وحضرموت ومعهم جماعة من كنانة ولكن عظم الناس أهل اليمن[4])) . وهي اشارة إلى سعة شاركة هذه القبائل في الجيش . إلاّ أن حجم هذه القبائل وزمن خروجها غير معروفين بالإضافة إلى ذلك فقد تتالت قدوم القبائل اليمنية إلى ميادين القتال حتى أصبحوا عنصرًا أساسيًا في جيش الخلافة بالشام .

وبدون أدنى شك أن معلومات الرواة عن معارك الفتوح لا تمثل واقع مشاركة اليمنيين تمثيلًا دقيقاً ، لأنّ الروايات التي تتحدث عن خطط الشام أو خطط الفسطاط توجد بها اشارات إلى قبائل يمنية شاركت في معارك الفتوح باحجام كبيرة . وقدمت واقع أوسع مما قدمته الروايات عن تشكيلات الجيوش . فذكرت كتلا قبلية يمنية لم يرد لها ذكر في عمليات الفتوح مثل الأوزاع من حمير في الشام وهي كتلة قبلية شبيهة بذي الكلاع ، ثم قبيلة رعين والمعافر وهما أيضا كتلتان من قبائل يمنية متعددة فيها من همدان والأشعريين والسكاسك وكانت تقيم هذه الكتلة قبل خروجها إلى الشام في المعافر من منطقة حمير ، ثم آل ابرهة بن الصباح من ذي أصبح والذين خرجوا في عهد عمر بقيادة أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة ويقال أنه كان إذا سار سار خلفه خمسمائة وقيل خمسة آلاف رجل من حمير تحت ركابه[5] . ثم

---

(١) ـ الواقدي : فتوح الشام ج ١ ص ٣٨ .
(٢) ـ المصدر السابق ج ١ ص ٣٧ .
(٣) ـ المصدر السابق ج ١ ص ١١٠ ، ١١٢ .
(٤) ـ الأزدي : ص ١٢ ، ١١٥ محمد بن علي الاهدل الحسني : الدر المكنون في أخبار اليمن الميمون ط ١ ، مصر بدون تاريخ ص ٤١ . ابن عساكر : التاريخ الكبير ج ١ ص ١٦٢ .
(٥) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٦ . ليدن ١٩٢٠ م ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٣ ص ٣٧٢ ، ج ٤ ص ٢١ . الحازمي : أبو بكر محمد بن أبي عثمان : عجالة المبتدأ ، ص ١١٦ ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

بيلة خولان وتجيب وهما قبيلتان نزلتا الفسطاط وكانت لهما خطط كبيرة دلالة على حجمهما لكبير في جيش الفتح لم تذكرهما المصادر بحجم مشاركتهما في عمليات القتال .

لأن معلومات مؤرخي الخطط قيمة وأساسية في تقدير دور أهل اليمن في تحرير صر حيث شكلوا غالبية كبيرة في الجيش العربي الإسلامي ولا بدّ أنهم شاركوا في حروب لشام أولاً لأنّ جيش عمرو بن العاص الذي انتقل إلى مصر هو جيشه نفسه الذي كان معه في لشام بالإضافة إلى الامداد التي وصلت إليه من الخليفة والتي اعتمدت فيما يبدو على القبائل ليمنية .

وعلى الرغم من ذلك نجد أنه من الضروري بمكان الإشارة الى تشكيل القبائل اليمنية في عمليات الفتوح كي تتضح صورة مشاركتهم بشكل أوضح بالنسبة لحجم القبائل المشتركة بالاضافة لى من شارك من ساداتهم في تلك المعارك وذلك كما يذكر أهل الأخبار في مصنفاتهم على جبهتي الشام والعراق وفتح مصر .

١ - على جبهة الشام :-

ذكرت مصادر عديدة أن أول من وصل إلى المدينة من قبائل اليمن كانت حمير بقيادة زعيمها ذي الكلاع الحميري (١) ، مع ألف عبد من عبيده الى جانب من جاء معه من قومه . حيث ذكرت المصادر قدوم عدد من بطون حمير بزعامة عدد من ساداتهم مثل أبرهة بن الصباح وحوشب ذو ظليم وجرير بن عبد الله الحميري (٢) ، سيّرها جميعاً الخليفة إلى جبهة الشام تحت قيادة خالد بن سعيد ثم يزيد بن أبي سفيان .

ثم جاءت همدان تحت قيادة ضمرة بن ملك الهمداني (٣) ، بألفي رجل برز من قادة بطونها سعيد بن قيس الهمداني التحق بجيش أبي عبيدة بن الجراح في الشام .

---

(١) - الطبري : ج ٣ ص ٣٨٩ . الواقدي : فتوح الشام ص ٧ . الأزدي : فتوح الشام ص ١٦ . الكلاعي : الاكتفاء في مغازي المصطفى ، ج ٣ ص ٣٣٩ .
ابن حبيش : ص ٢١٣ .

(٢) - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦ . ابن ماكولا : ج ٣ ص ٣٧٢ ، ج ٤ ص ٢١ .
الحازمي : ابو بكر محمد بن أبي عثمان ، عجالة المبتدأ ، ص ١١٦ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
الطبري : ج ٣ ص ٤٥٥ .

(٣) - الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ . الأزدي : ص ٣٩ - ٤١ . محمد ابن علي .
الاهدل : الدر المكنون ، ص ٤١ . ابن عساكر : التاريخ ج ١ ص ١٦٢ .

أما مذحج فقد ذكر أقل عدد لها في المصادر ألف وثلاثمائة ممن شارك في معارك الفتوح كان عليها عدد من الرؤساء كـ (عمرو بن معد يكرب الزبيدي[1]) ، وأبو سبرة بن ذؤيب الجعفي ، ويزيد بن الحارث الصُّدائي وقيس بن مكشوح المرادي[2] . والحجاج بن عبد يغوث الزبيدي[3] ، التحقوا جميعاً بجيش أبي عبيدة بالشام .

وجاء حابس بن سعد الطائي ومعه أعداد كثيرة من طيء وأزد الدوس وكان عليهم عمرو بن جندب بن حمافة الدوسي وأبو هريرة وبني كنانة وعبس[4] .

أما بجيله فقد جاءت تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي إلى أبي بكر فسيَّرها إلى الشام مع خالد بن سعيد بن العاص، وكان جرير قد طلب من الخليفة أن يجمع له قبيلته حيث كانت موزعة في العرب غير أن أبا بكر لم يكن مهيأ للقيام بهذا العمل فرفض طلب جرير[5] ، وبقيت أمور بجيله على حالها حتى جاء عمر بن الخطاب (رضي) حيث أعاد جرير الطلب فلبّى له وأمر الخليفة بجمع بجيله وما أن تحقق ذلك حتى جعل عرفجة بن الأزدي على جموع بجيله التي كانت مقيمة على قبيلة جديلة ، واستعمل جريراً على من كان من بني عامر[6] .

ويبدو أن جريراً لم يرق له تولية عرفجة الأزدي على قومه فأثار هذه القضية مع أبناء قومه حيث تم الاتفاق الطلب من الخليفة عمر بإعفاء عرفجه فتحققت لهم ذلك وجُمعت بجيلة كلها تحت قيادة جرير[7] ، ثم أرسلهم إلى جبهة العراق مدداً للمثنى بن حارثة بعد ما

---

(١) ــ الأزدي : فتوح الشام ص١٢ ، ١١٥ ، الاهدل : الدر المكنون ص٤١ .
(٢) ــ قدوم قيس بن مكشوح المرادي إلى المدينة للمشاركة في عمليات الفتوح ينفي كونه مرتداً الطبري : ج ٣ ص٥٧٢ .
(٣) ــ الواقدي : فتوح الشام ص ٣ ، الأزدي : فتوح الشام ص ١٦ الكلاعي : الاكتفاء ، ج ٣ ص٣٣٩ .
فقد ذكر : بأن عمرا كان على قبيلة بني منبه وابو سبرة على قبيلة جعفي ويزيد على صداء ومن في حلفهم اما قيس فكان على مراد . الطبري : ج ٣ ص ٤٨٤ .
(٤) ــ الواقدي : فتوح الشام ص٣ ، الأزدي : فتوح الشام ص١٦ .
(٥) ــ الطبري : ج ٣ ص٣٦٥ ، ٤٦٠ .
(٦) ــ المصدر السابق ج ٣ ص٤٦٣ .
(٧) ــ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٤٦٣ ، ٤٧١ .

فخصص لهم الخليفة عمر (رضي) ربع خمس الفيء إلى جانب نصيبهم منه (١) . وذكر الطبري في تاريخه أن عدد من التحق من بجيلة بجيش الفتح في هذه الدفعة كان ألفان (٢) . غير الأهل من النساء والأطفال والزراري فقد روى أنه كان مع قبيلة النخع سبع مائة امرأة بارغة وفي قبيلة بجيلة ألف ، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب وهؤلاء سبع مائة (٣) .

أما كندة فقد التحق منها بجيش الفتوح ألف وسبع مائة رجل بقيادة الأشعث بن قيس الكندي . وجاء من السكون من بطون كندة أربع مائة رجل بقيادة حصين بن نمير السكوني ومعاوية بن حديج (٤) .

وجاء من حضرموت ست مائة رجل بقيادة شداد بن ضمعج الحضرمي كما التحق من قبيلة خولان عدد غير معروف بقيادة سفيان بن وهب الخولاني بجبهة الشام ثم انتقلوا إلى مصر كذلك جاءت الصدف بعدد لم تذكره المصادر بقيادة وائل بن حجر .

أما قبيلة الأزد فقد التحق منها بجيش يزيد بن أبي سفيان بعدد قدر بأقل من ألف بقيادة عبدالله بن ذي السهمين (٥) .

وجاءت خثعم بقيادة ابن ذي السهم الخثعمي بتسعمائة رجل أمرهم الخليفة بالالتحاق بجيش يزيد بن أبي سفيان .

أما قبيلة بارق فقد قدر عدد من جاء منها بأربعة آلاف مع النساء والأطفال منهم سبع مائة رجل من السروات بقيادة حميضة بن النعمان البارقي التي تضم كل من قبيلة بارق وألمع وغامد . وكان عرفجه بن هرثمة البارقي على قومه . وجه الخليفة بعضهم إلى جبهة الشام وبعضهم الآخر إلى جبهة العراق .

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٦٢ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٦ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٥٨١ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٤٨٥ .
(٥) ـ من أجل التعرف على من جاء من قبيلة الأزد وما يليها من القبائل اليمنية ينظر إلى المصادر التالية :
الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١١٥ ، الأزدي : فتوح الشام ص ١٠ ـ ١١ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٩٢ . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٠٥ . ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ١٣٢ . الطبري : ج ٣ ص ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ . ج ٤ ص ١٠٨ ، ١٢٩ . اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ، ١٤٨ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ١١٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٢٦ ، ٥٤ ، ١٠٩ . ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٤٠٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ ـ ٤٥٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢ . ابن حجر ... ص ٢٦٩ ، ٢٧٦ .

ثم جاءت دوس بقيادة عبد الله بن الطفيل وجندب بن عمرو بن حممة حيث التحقت بجبهة الشام وتم استشهاد هذين القائدين في معركة اليرموك .

أما قبيلة عك فقد التحق منها بجيش فتح مصر أربعة آلاف رجل بقيادة سيدها مسروق ابن بلال العكي .

بالإضافة الى ذلك فقد لحق بهذه الكتل القبلية اليمنية أعداد أخرى من قبائل اليمن جاءت متأخرة بعض الشيء كان الخليفة عمر (رضي) يجمعهم ويجعل عليهم أميراً ثم يبعث بهم إلى جبهات القتال كما تقتضي الضرورة ذلك وقد ذكرت المصادر بعض هذه القبائل مثل طيء التي جاءت منها في وقت لاحق عدد بقيادة ملحان بن زياد الطائي ، بالإضافة إلى جماعات من بني سليم ، وكعب وأسلم وغفار ومزينه [1] .

٢ ـ اليمنيون وجبهة العراق :

حقق المسلمون انتصاراً كبيراً في معركة اليرموك واستطاعوا تدمير الجيش البيزنطي وبدأ البيزنطيون إثر ذلك بالتراجع من بلاد الشام وتحولت المعارك بين المسلمين والبيزنطيين إلى عمليات مطاردة ، ولم تعد جيوش الفتوح في الشام بحاجة الى تعزيزات قتالية كبيرة .

ونتيجة هذا الانتصار الكبير الذي حققه جيش الإسلام على جبهة الشام نجد الخليفة عمر (رضي) يتحول باهتمامه إلى جبهة العراق اذ بدأ بتعزيزها وحشد المقاتلين لها بقصد انتزاع النصر الحاسم على الفرس كما حدث على جبهة الشام مع الروم .

وحول اهتمام الخليفة عمر (رضي) الكبير بجبهة العراق روى الطبري أن عمراً قال : ((والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيسا ولا ذا رأي ، ولا ذا شرف ولا ذا سطة ، ولا خطيبا ، ولا شاعراً إلا رماهم به [2])) .

ويبدو أن هذا الاهتمام الكبير الذي كان قد وجهه الخليفة عمر إلى جبهة العراق كان ناتجاً عما لاقاه المسلمون من هزيمة في معركة الجسر سنة [3] ١٣ هـ الى جانب اهتمامه بنشر الدعوة وتحرير الأرض .

---

(١) ـ الازدي : فتوح الشام ص ٤٢ ـ ٤٣ . الكلاعي : الاكتفاء ج ٣ ص ٣٥٥ . ابن حبيش : ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ . ستجد في هذا المصدر عدد القبائل اليمنية في اليرموك واهميتهم بالنسبة لباقي القبائل الاخرى .

(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٧ .

من هذا المنطلق نجد الخليفة أنه كلما وصل إليه المتطوعون للقتال من أهل اليمن وغيرهم بعث عليهم قائداً ويلحقهم بجبهة العراق على اعتبار أن وصول المجموعات القبلية اليمنية ظل مستمراً إلى المدينة .

ويبدو أن جبهة العراق لم تكن محببة للعرب اليمنيين كجبهة الشام وقد أكد ذلك رواية أوردها الطبري في تاريخه حيث جاء فيها : ((وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم [1])) .

وقد حصل هذا مع جرير بن عبد الله البجلي وقومه من بجيلة حيث أصرّ جرير على الشام فأكرهه عمر بن الخطاب على العراق ، لأن أهل الشام قد قووا على عدوهم ، وقد عمل الخليفة على إرضاء قوم جرير بأن أعطاهم خمس ما أفاء الله في غزواتهم تأليفاً واصطلاحاً لهم ، لأنهم جُمعوا من قبائل متفرقة تحت قيادة جرير الجديدة [2] . وتكرر نفس الحدث مع ثلاثة آلاف من أهل اليمن والسّراة . حيث كان عمر قد أرادهم إلى العراق فأبوا إلاّ الشام ، فقسمهم قسمين : قسم إلى الشام وقسم إلى العراق . وكانت قبائل النخع [3] والأزد وكنانة [4] قد رغبت في الأمر نفسه .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : لماذا رفض أهل اليمن التوجه إلى العراق على الرغم من اندفاعهم في الخروج من اليمن بدون أي تأخير ؟ .

ويبدو أن جل الدفعات الأولى من القبائل اليمنية أُرسلت إلى جبهة الشام وأصبح ملحوظاً بأن أهل اليمن كوّنوا عظم الجيش العربي الإسلامي هناك سواء بالقبائل التي لبّت نداء الخليفة للجهاد مثل (حمير ، والأزد ، وهمدان ، وخولان ، ومذحج ، وكندة ، وحضرموت) ، أو بالقبائل اليمنية التي كانت مستقرة على مشارق الشام مثل : (لخم ، وجذام ، وغسان) ، ولذلك لم تشترك (ربيعة ، ولا أسد ، ولا تميم) في فتح الشام [5] لأن منازلهم كانت بالعراق فتولواهم مقاتلة فارس هناك [6] . بينما كان لليمنيين شرف فتح الشام إلى جانب بعض إخوانهم من عرب الشمال .

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .
(٢) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٤٦٠ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ص ٤٤١ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٤ .
(٤) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٤٦٣ .
(٥) ـ اليعقوبي : التاريخ ، ج ٢ ص ١٤٢ البلاذري : ج ٢ ص ١٦٢ .
(٦) ـ الازدي : فتوح الشام ، ٢١٨ .

فلما جاءت الدفعات المتأخرة من القبائل اليمنية إلى الخليفة لم يخطر ببالهم أنه سيوجههم إلى العراق لمواجهة الفرس بل لعلهم رفضوا ذلك لا لخوفهم من منازلة الفرس بل ليكونوا إلى جانب إخوانهم في الشام للاستئناس بهم .

ومهما يكن من أمر فقد استمر تدفق اليمنيين إلى جبهة العراق بأمر من الخليفة ولحق (جرير) وقبيلته (بجيلة) وسبعمائة رجل من كنانه والأزد برئاسة غالب بن عبد الله وعرفجة بن هرثمة (١) . إلى جانب أعداد من قبيلة (خثعم) بقيادة عبد الله بن ذي السهمين . ثم قبيلة (بارق) ، وألمع وغامد في سبعمائة مقاتل والنخع في ألفين وخمسمائة مقاتل وجه الخليفة عمر رضي الله عنه نصفهم الى العراق ونصفهم الآخر إلى الشام (٢) . وقد ذكرت بعض المصادر عدد من قدم إلى الخليفة من النخع أربعة آلاف مع نسائهم وذراريهم (٣) . ثم التحقت بجيش سعد كل من قبيلة حضرموت والصدف بستمائة مقاتل عليهم شداد بن ضمعج (٤) ، وقبيلة مذحج بألف وثلاثمائة على ثلاث رؤساء عمرو بن معد يكرب الزبيدي على بني منبه وأبو سبرة بن ذؤيب على (جُعفى) ومن في حلفهم من اخوة (جزء) و (انس الله) ومن لفهم ، ويزيد بن الحارث الصدائي على (صداء) و (جنب) و (مسلية) في ثلاث مائة (٥) . ثم جاءت بطون كندة من السكون في أربع مائة رجل عليهم حصين بن نمير السكوني ومعاوية بن حديج (٦) . وجاءت كندة في ألف وسبعمائة رجل عليهم الأشعث بن قيس (٧) ، ثم همدان في ألفي مقاتل مع سعيد بن قيس الذي كان مقيما في المدينة بسبب الخلاف بينه وبين آل ذي لعوة في اليمن فأمره الخليفة أن يستنفر قبيلته إلى العراق (٨) . كما قدم سبعمائة من مراد من الشام مع هاشم

---

(١) ــ الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١١٤ . الطبري : ج ٣ ص ٤٦٣ .
(٢) ــ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٤ الاصفهاني (أبو الفرج) : الأغاني ج ٩ ص ٩٣ .
ابن عبد البر : الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق شوقي ضيف ، ص ١٠٠ القاهرة ١٩٦٠ القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١ ص ٣٢٩ .
(٣) ــ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٥ .
(٤) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ٤٨٤ ــ ٤٨٥ .
(٥) ــ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٤ ــ ٤٨٥ . ج ٣ ص ٥١٣ ــ ٥١٥
(٦) ــ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٤٨٥ .
(٧) ــ المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٤٨٧ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٤٧١ .
(٨) ــ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١١٥ .

بن عتبة[1] الى جانب قيس بن المكشوح المرادي[2] .

وهكذا برز قادة حركات الردة في اليمن للانفصال عن عاصمة الاسلام (المدينة) مثل الأشعث بن قيس الكندي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقيس بن مكشوح المرادي قادة لى قبائلهم في جيش الفتوحات الإسلامية على جبهة العراق وقد وُصف جهادهم بأنه كان لى درجة كبيرة من الاقدام والشجاعة .

والشيء الملفت للنظر عند الإخباريين أنهم اختلفوا في تقدير حجم الجيش العربي في القادسية كما اختلفوا في عدد رجال القبيلة الواحدة .

وعلى سبيل المثال قدر عدد من شارك من قبيلة بجيلة في القادسية عند بعض الاخباريين منهم اسماعيل بن أبي خالد مولى بجيلة عن قيس بن أبي حازم البجلي أن عدد بجيلة كان (٦ أو ٧) الآف من المقاتلة بقيادة جرير وأن بجيلة كانت ربع الناس وفي رواية أخرى ذكر عددها ألفان[3] . بينما ذكر الكوفي مسير جرير إلى العراق بعد معركة الجسر في سبع مائة رجل[4] ، وقدرهم الاهدل مع كندة بخمسة آلاف[5] .

بينما قدر البلاذري الجيش كله ما بين (٩ ـ ١٠) آلاف مقاتل[6] . وذكر قيس بن أبي حازم البجلي الذي شهد القادسية أن الجيش كان ستة آلاف أو سبعة الآف[7] . بينما قدره الطبري بـ (بضعة وثلاثين ألفاً[8]) .

ومهما يكن من أمر فقد انتصر الجيش العربي الاسلامي في القادسية كما انتصر في اليرموك وفتح أمامه أبواب الجبهة الشرقية على مصراعيها . وقد كان لليمنيين دور مشرف في فتح مناطق عديدة منها . كما كان لهم الأمر ذاته على جبهة بلاد الشام .

أمام هذا كله يبقي علينا التعرف على دور اليمنيين في ميادين القتال وانتزاع النصر :

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٤٠ ، ٥١٣ ـ ٥١٥ ، .
(٢) ـ المصدر السابق ج ٣ ، ص ٥٥٢ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ، ٤٨٦ .
(٤) ـ الكوفي : كتاب الفتوح ، ج ١ ص ١٧١ .
(٥) ـ الاهدل : الدر المكنون ، ص ٢٠ رواية الالوسي والبغوي عن ابن الكلبي .
(٦) ـ البلاذري فتوح البلدان ص ٣١٤ .
(٧) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٧٦ .
(٨) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٤٨٧ .

إن المتتبع لسير المعارك الفاصلة التي خاضها الجيش العربي الإسلامي على جبهتي الشام والعراق يجد أن هناك عناصر أساسية كانت متوفرة لهذا الجيش تشبه إلى حد كبير متطلبات المعركة الحديثة في عصرنا الحاضر .

وكان هناك قيادة عامة عليا لجيش الفتوح متمركزة في المدينة على رأسها الخليفة يساعده مجموعة من الصحابة . وكان إلى جانب ذلك قادة جيوش الفتوح في أرض المعارك (الأمراء) يعاونهم عدد من قادة الاجنحة في القلب والميمنة والميسرة تشبه اصطلاح ما يسمى في وقتنا الحاضر (الفرق) أو (الالوية المستقلة) إلى جانب وحدات أصغر أطلق عليها اسم (الكراديس) أو في مصطلح اليوم (الكتائب) إلى جانب وجود وحدات خفيفة مدربة تدريباً عالياً على القتال السريع والمدمر ، يمثل هذا النوع من القوات في وقتنا الحاضر ما يسمى بقوات (التدخل السريع) أو (وحدات الكوماندوس الخاصة) . يرافق هذه القوات مجموعة (استطلاعية) تراقب العدو وتقدم معلوماتها إلى القيادة الخاصة بها ، الى جانب تأمين الاتصال بين قيادة الجيش العليا وقادة الجيوش في الميدان . ويسبق هذا الوضع وضع مخططات لمعارك مع مراعاة كيفية ايصال الامدادات في أوقات الضرورة . .

بالاضافة الى ذلك فقد كان جيش الإسلام لا يُسمح له بالقتال إلاّ بعد ثلاث : الإسلام أو الجزية أو القتال .

فما هو الدور الذي شغله اليمنيون في هذه التنظيمات كلها في المعارك الحاسمة الساخنة ؟

إن البحث في الدور الذي قام به اليمنيون في تنظيمات جيوش الفتوحات يتطلب الوقوف الى ظروفهم الحضارية السابقة للإسلام ، ومساهماتهم الكبيرة في تشكيل القوات الإسلامية التي جاءت إلى المدينة ملبية نداء الخليفة لجهاد الروم والفرس على شكل كتل قبلية تقودها زعامات لها خبرتها الواسعة في ميادين القتال وتاريخ حافل تزخر به صفحات كتب أهل الاخبار على اختلاف مشاربهم .

في معركة اليرموك ذكر أن الذي شغل ميمنة جيش المسلمين هم اليمنيون من الأزد ، ومذحج ، وحضرموت ، وحمير ، وخولان (1) .

---

(1) ـ الأزدي : فتوح الشام ، ص٢٢٢ . ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق : ج ١ ص ١٦٦ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ص ١١ .

ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١١ .

أما في القادسية فقد شغلت قبيلة بجيلة ، الميمنة [1] وقيل الميسرة ومعها إلى جوارها النخع ، وكندة ، ومراد ، وهمدان ، وخثعم ، والأزد [2] .

وكانت بجيلة صاحبة قصب السبق في معركة (البويب) مع الفرس [3] .

وكان لكل وحدة من الوحدات العسكرية القبلية رئيس منهم : فجرير بن عبد الله البجلي كان على قومه ، والأشعث بن قيس الكندي كان على كندة .

بالإضافة إلى ذلك فقد شغل اليمنيون مناصب في القيادات التي لا ترتبط بالوحدات القبلية ، ففي (القيادة العامة) لجيوش الفتوح تولى أبو موسى الأشعري - وهو والي البصرة - قيادة الجيش الإسلامي لفتح العديد من المناطق الفارسية والتركية - مثل اصطخر ، ونصيبين) و (الأهواز) التي تم فيها أسر (الهرمزان) أحد قواد الفرس [4] .

أما في قيادة أقسام الجيش الإسلامي كـ (المقدمة ، والميمنة ، والميسرة) فقد شغل عدد من اليمنيين هذه المناصب كان أبرزهم شرحبيل بن السمط الكندي الذي أرسله أبو بكر على رأس سرية لقتال مسيلمة في اليمامة ثم التحق بقواته تحت لواء خالد بن الوليد وشهد معه معارك كانت في العراق خلال سنة ١٢ هـ [5] . وينسب إليه فتح الأردن بعد أن أمده الخليفة أبو بكر بـ (٧٠٠٠) آلاف مقاتل ، وكان قد انتخبه خالد بن الوليد في اليرموك رئيساً للميمنة (فدائي) في ابتداء قتال الروم ، كما وينسب إليه مشاركته في فتح دمشق وجميع المناطق المحيطة بها [6] .

إضافة إلى ذلك فقد شغل قيس بن مكشوح المرادي منصب قائد أحد أجنحة جيش القعقاع بن عمرو الذي جاء من الشام بعد معركة اليرموك لمساعدة سعد بن أبي وقاص في القادسية [7] . وكان قد ولاه خالد بن الوليد ثلث خيله في الشام [8] . وحينما التقى سعد بن أبي وقاص بجيش الفرس كان قيس بن مكشوح على ميسرته في قتال رستم [9] .

---

(١) ـ الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٢٢ .

(٢) ـ أحمد عادل كمال : القادسية ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ . ط . الاولى ٩٧٣ ام بيروت .

(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٦٩ .

(٤) ـ المصدر السابق : ج ٤ ص ٥٠ ، ٥٣ ، ٨٤ ـ ٨٥ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٣٢ .

(٥) ـ الطبري : ج ٢ ص ٥٧٧ مطبعة الاستقامة مصر ، ١٣٥٧ هـ

(٦) ـ المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٢ ـ ٤٤٤ .

(٧) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٧٢ ـ ٥٧٣ .

(٨) ـ الأزدي : فتوح الشام ص ١٣٢ ، ١٩١ .

(٩) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٧٥ .

أما في قيادة السرايا فقد تولى اليمنيون العديد من هذه القيادات وعلى سبيل المثال فقد كان مسروق بن بلال العكي على رأس سرية لقتال أهل (ايلياء) في الشام[1] أبرهة بن الصباح على رأس قوة أرسلها عمرو بن العاص ليعسكر في (الفرما) مفتاح مصر[2] .

وكُلِّف السِّمط الكندي ـ والد شرحبيل ـ بقيادة سرية لفتح (قنسرين) بعد أن نقضوا وغدروا[3] .

وفي قيادة طلائع جيش الفتوح أو القوات الفدائية ذات المهام الخاصة التي تمتاز بخفة الحركة وقوة التدبير وصلابة المراس والنجدة فقد شغل هذا الدور عدد من اليمنيين أبرزهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقيس بن مكشوح المرادي[4] ، وشرحبيل بن حسنة[5] .

وكان لأهل اليمن نصيب في قيادة (المسالح) ونذكر على سبيل المثال أن جرير بن عبد الله الحميري كان على بعض مسالح العراق[6] .

إلى جانب ذلك ، فقد شغل اليمنيون مناصب وافرة في قيادة مجموعات (التربص والكمائن) وقد برز في هذا الدور ذو الكلاع الحميري الذي بعثه أبو عبيدة بن الجراح أمير جيش فتوح الشام ليكون بين حمص ودمشق كي يشغل الروم عن إمداد أهل دمشق[7] .

أما في قوات (الدعم والامداد) فقد تولى قيس بن مكشوح المرادي قيادة سبعمائة مقاتل لدعم سعد بن أبي وقاص على جبهة العراق بعد انتهاء معركة اليرموك[8] .

وكان أبو بكر (رضي) قد أمد عياض بن غنم المتوجه إلى العراق بعبد بن غوث ـ عوف ـ الحميري[9] .

---

(١) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٥٤ .
(٢) ـ الطبري : ج ٤ ص ١٠٨ .
(٣) ـ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٤٩٤ .
(٤) ـ الهرثمي (أبو سعيد الشعراني الهرثمي) ، مختصر سياسة الحروب ، ص ٤٨ ـ ٤٩ القاهرة بدون تاريخ .
(٥) ـ الواقدي : فتوح الشام ج ١ ص ١٢٠ . طبع دار العهد مصر ط ١٠ ، ١٣٧٤ هـ
(٦) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٦٩ ، ٣٧٢
(٧) ـ ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ١٥٥ (طبعة ١٣٤٦ هـ ثم طبعة بيروت ١٩٧٩ م
(٨) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٧٢ .
(٩) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٤٧ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٣٨٥ .

وفي قتال الفرس أرسل سعد بن أبي وقاص مدداً إلى (زهرة بن حوية) وكان في ذلك المدد عدد من أبرز قادة اليمن كـ (عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقيس بن مكشوح المرادي ، وحجر بن عدي الكندي[1]) .

أما في قيادة (كراديس) جيوش الفتوح فقد تولّى اليمنيون مناصب عديدة فيها (وهي القطع الكبيرة من الجيش) مثل ذو الكلاع الحميري ، الذي تولى كردوساً في معركة اليرموك وكذلك شرجبيل بن حسنه ، والسمط بن الأسود الكندي ، ومعاوية بن حديج وحوشب ذو ظليم[2] ، وعبدالله بن قيس الهمداني[3] .

وفي معركة القادسية تولّى عبدالله بن ذي السهمين الخثعمي قيادة (الركبان[4]) أما في فتح (تكريت) فكان على الخيل في جيش سعد بن أبي وقاص عرفجة بن هرثمة البارقي[5] .

بالاضافة إلى هذا كله فقد شغل اليمنيون مناصب وأدواراً دقيقة وخطيرة جداً في التخطيط لخوض معارك الفتوح وربما استعان بهم القرشيون من قادة أهل المدينة نظراً لخبرة اليمنيين الواسعة في هذا المجال ، إلى جانب الأخذ بمبدأ الشورى في المجتمع الاسلامي اذ كان من البدهي واليمنيون يتولون قيادة أعمال قتالية كالتي أشرنا اليها أن يقوموا بالتخطيط والاعداد لخوضها .

إلى جانب ذلك فقد ذكر (الأزدي) أن قيس بن مكشوح المرادي كان يشارك خالد ابن الوليد في وضع خطط حروبه في الشام[6] وقام بالدور نفسه عند أبي عبيدة ابن الجراح بعض زعماء خولان ، كـ (قيس بن عبادة ابن عبيد الخولاني[7]) .

كما شارك اليمنيون في مهام لا تقل خطورتها ودقتها في ساحات قتال جيوش المسلمين عن المهام السابقة التي شغلوها ، فقد تولوا عملية الاتصال بين القيادة العليا في المدينة وبين قيادات الجيوش الإسلامية العامة على جبهات القتال .

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٦٩ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .
(٣) ـ ابن حجر : الاصابة ج ٣ ص ٩٣ .
(٤) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٢ .
(٥) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٧١ ، ابن الاثير : ج ٢ ص ٥٢٣ .
(٦) ـ الأزدي : فتوح الشام ص ١٨٨ .
(٧) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ٣ ص ٢٥٤ .

فحينما خرج خالد بن الوليد من العراق إلى الشام منجداً لأبي عبيدة بن الجراح خرج من طريق غير معروف ليفاجىء الروم فلا ينتبهوا له وكان لا بدَّ من إبلاغ أبي عبيدة مسيره وطريقه والجهة التي سيأتي منها ، فبعث بذلك مع عمرو بن الطفيل الدوسي[1] .

وكان الذي حمل بشارة نصر موقعة اليرموك إلى الخليفة بالمدينة جرير بن عبد الله الحميري[2] . كما كان على بريد الخليفة عمر (رضي) بفتح دمشق عقبة بن عامر الجهني الحميري[3] .

وهذه مهام لا يتولاها إلاَّ من تميز بالأمانة ومن حاز ثقة القيادة .

وفي ساحات القتال كان هناك مبدأ انتهجه الرسول (ص) قبل القتال وهو الدعوة إلى إحدى ثلاثة (الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال) وقد أصبح هذا المبدأ سنَّة سار على هديها الصحابة والمسلمون عامة من بعده في سير معاركهم كلها وكان لأهل اليمن دور موفقاً بهذا الجانب .

فقد روى الطبري في تاريخه وكذلك ابن الاثير أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن يستعين بالله على الفرس ويبعث إلى ملكهم (يزدجرد) رجالاً من أهل المناظرة والرأي والجلد يدعونه . فأرسل سعد وفداً مكونا من أربعة عشر رجلاً من وجهاء المسلمين كان منهم من أهل اليمن الأشعث بن قيس الكندي ، وعمر بن معديكرب الزبيدي[4] ، وعرفجة بن هرثمة البارقي[5] ، وغيرهم ، أرسلهم سعد قبل موقعة القادسية إلى (رستم) قائد الفرس يدعونه إلى الإسلام كما دعوا كسرى فارس[6] .

كما أرسل عمرو بن العاص عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي في مهمة مشابهة الى المقوقس[7] .

وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) بحسه القيادي أهمية ما نسميه في

---

(1) ـ الازدي : فتوح الشام ص ٧١ .
(2) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٥٥ .
(3) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٧ ص ٤٩٨ ط . دار بيروت ، ١٣٧٦ هـ محمود شيت خطاب : قادة فتح الشام ومصر ، ص ٢٥٠ . دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ
(٤) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٩٦ ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ص ٤٥٦ .
(٥) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥١٨ .
(٦) ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٨ . الطبري : ج ٣ ص ٥١٧ ـ ٥٢٤ .
(٧) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٩٨ ـ ١٠٣ . ط . لجنة البيان مصر بدون تاريخ . محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، ج ٢ ص ١١٤ ـ ١١٦ .

وقتنا الحاضر (الإعلام بوسائله المختلفة) وكان يمثله وقت ذاك الشعراء والخطباء فأمر بند بهم إلى ميادين الجهاد كي يثيروا نخوة المقاتلين وحميتهم في الذود عن الدين والأرض والعرض (١) فبرز في هذا المجال أعلام من اليمن (رجال ونساء) في ساحات معارك جيوش المسلمين نذكر منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي (٢) ، والأشعث بن قيس الكندي (٣) ، وقيس بن مكشوح المرادي (٤) ، وابن ذي السهمين الخثعمي (٥) .

أما النساء فقد برز من هنّ بعض نساء (النّخع) ممن كن يُثرن حميــة المقاتلين روى ذلك الطبري في تاريخــه روايــة عن السري عن أهل الأخبار (٦) .

وقد ذُكرت روايات عديدة عند أهل الأخبار تصف جميعها مواقف أهل اليمن الشجاعـــة في ساحات المعارك ، المجموعات القبلية منها أو الأفراد .

وحول هذا الأمر ذكر الطبري في تاريخــه أنــه في معركة القادســية كادت قبيلة بجيلة أن تهلك لأن الفرس وجهوا إليها بضعة عشر فيلاً . فأمدهم سعد بن أبي وقاص ببني أسد حتى أزاحوا الفرس عنهم (٧) .

وفي معركة اليرموك تولىَّ أهل اليمن من الأزد ، ومذحج ، وحضرموت ، وحمير ، وخولان ميمنة جيش المسلمين وحاربوا الروم بكل قوة غير أن الروم ضغطوا عليهم حتى كادت تختلط الميمنة بالقلب ولكنهم تجلدوا وخاصة (زبيد) حتى كشفوا الروم عنهم (٨) .

أما مواقف اليمنيين الفرديــة ، فقد روى عن عمرو بن معد يكرب الزبيدي أنه كان بارعــاً في قتاله حتى أنه كان يعتنق الفارسي فيذبحــه ذبحاً ، وكان حينما يحضّ الناس على القتال يقول :

((ان الفارسي إذا فقد قوســه فانما هو تيس (٩) ...))

وفي فتح مصر كان أول من طلع الحصن مع الزبير بن العوام هو شرحبيل بن حجيــــة المرادي (١٠) .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٣ ص ٤٨٧ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه : ج ٣، ص ٥٣٣ ، ٥٣٧ ، ٥٦٣ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٤٥٦ .

(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٣٩ ، ٥٦٣ .

(٤) ـ المصدر السابق : ج ٣ ص ٥٥٤ ، ٥٦٣ . الازدي : فتوح الشام ، ص ١٧٣ .

(٥) ـ المصدر السابق : ج ٣ ص ٥٦٣ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٤٧٠ ـ ٤٧٧ .

(٦) ـ المصدر السابق : ج ٣ ص ٥٤٤ .

(٧) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٣٨ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٤٧١ .

(٨) ـ الأزدي : فتوح الشام ، ص ٢٢٢ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١١ . ابن عساكر :

وهكذا كان لأهل اليمن مواقفهم المشرفة الفعّالة في ساحات الجهاد قيادةً وتخطيطاً ودعوةً وقتالاً وهو الوسيلة الأخيرة في حركة الفتوحات الإسلامية التي شارك أهل اليمن في سيرها ابتداءً من وقت رفع راية الجهاد مروراً بتشكيلاتهم الحربية وخروجهم بنسائهم وأولادهم وختاماً بمواقفهم في ساحات المعارك .

وبدهي أن يكون هناك نتائج لمعارك الفتوحات بالنسبة لليمنيين وقد كان أبرزها ما يلي :—

١ — خروج اليمنيين من أرضهم بأعداد كبيرة في وقت مبكر بعد نداء الخليفة للجهاد ، فكانوا بذلك عظم الجيش العربي الإسلامي دون أن يعودوا ثانية بعد انتهاء المعارك البتة (١) حيث تم استقرارهم في مناطق متعددة من الأرض التي شاركوا بتحريرها ، وخططوا لأنفسهم مدناً بتلك المناطق كي تكون مستقراً لهم كمدينة الكوفة في العراق ، والفسطاط في مصر وحمص في الشام بالاضافة إلى بعض القرى المجاورة لمدينة دمشق . ونتج عن هذا الاستقرار ظاهرتين : الأولى ، هي تفرق القبيلة اليمنية الواحدة ببطونها وأفخاذها في جميع الأقطار المفتوحة (٢) . والظاهرة الثانية هي اندماج القبائل اليمنية في بعضها البعض على الرغم من عداواتها في الجاهلية (٣) . فالكوفة مثلاً قُسّمت إلى سبعة أقسام على كل سبع أمير يضم السبع الواحد عدة قبائل يمنية ، وعلى سبيل المثال كانت بجيلة

---

(١) — هذا لا ينطبق على عودة بعض الأفراد ولكن من الثبت في المصادر التاريخية ان بعض اليمنيين باعوا ما يخصهم من مال في اليمن بأموال أخرى في الامصار المفتوحة كما فعل الأشعث بن قيس الكندي وان كان قد فعل ذلك وهو أحد ملوك كندة فلا يُستبعد ان يكون غيره حذا حذوه (الطبرى : ج ٤ ص ٢٨٠) .

(٢) — مثال ذلك ، قبيلة همدان ، فقد وُجد منها فروع في العراق برئاسة سعيد بن قيس الهمداني ، انظر الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١١٥ . الطبرى : ج ٤ ص ٤٨ . وفروع في الشام ، وعلى رأسهم حمزة بن مالك بن سعيد الهمداني : انظر — الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ٦١ . الأزدي : فتوح الشام ، ص ٣٩ ، ٤١ ، . بالإضافة إلى فروعهم في مصر . انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٨ — ١٢٩ . ليدن ١٩٢٠ م وما يقال عن همدان في هذا الأمر يقال عن بقية القبائل اليمنية الأخرى التي شاركت بعمليات الفتوح ، مثل كندة ، ومذحج ، حمير والأزد ، وخولان ، وبجيلة وغيرها .

(٣) — الطبرى : ج ٤ ص ٤٨ ، ٥٠٠ . نصر بن مُزاحم المنقري : وقعة صفين ، ص ١١٧ — ١١٨ ط ٣ . القاهرة ، ١٩٨١ م

وخثعم ، والازد ، في سبع ومذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم في سبع وكندة وحضرموت ومهرة وقضاعة في سبع . حيث ساهم هذا الاندماج الى حد كبير في ذوبان الروح العصبية القبلية وصهرها في بوتقة الاسلام مع ابقاء التنظيم الاجتماعي والوحدات القبلية كوحدات اجتماعية وعسكرية لسهولة الاتصال ودقة توزيع العطاء .

٢ ـ إن أهل اليمن خرجوا ومعهم أطفالهم ونساؤهم أي أنهم كانوا مطمئنين مسبقاً الى نتائج خروجهم وأنهم كانوا مطمئنين على تحرير الأراضي العربية والاستقرار فيها وهذا يعبّر عن الإيمان بهدف خروجهم وشدة تعلقهم بتحرير الأرض المحتلة . وكانت بعض قبائلهم تحوى أعداداً كبيرة من النساء فبجيلة كانت فيها ألف امرأة والنخع أقل بقليل ولكثرة من صاهرهم من المسلمين عُرفوا ((بأصهار المهاجرين [١])) .

٣ ـ يبدو أن الخليفة عمر (رضي) أدرك القيمة الحقيقية لأهل اليمن من حيث عددهم وتدريبهم وقوتهم واندفاعهم ، وقد رغب الخليفة (رضي) استخدام هذه الطاقات في عمليات الفتوح ، فاليمن كانت لها دولة الى ما قبل الإسلام بقليل ولا زالت تحتفظ بتقاليد ونظم تلك الدولة التي من ضمنها التقاليد والنظم العسكرية كصناعة السيوف والرماح والقسي والعرادات والمجانيق والدبابات وغيرها .

٤ ـ بالرغم من وجود فوارق في سياسة الخليفتين الاول والثاني حول موضوع استخدام من ارتد في الجيش الإسلامي لتحقيق الهدف الاسمى ـ إلاّ أن ذلك لا يمنع من وجود سمات مشتركة في سياستهما حول الهدف ذاته ، مع الاخذ بعين الاعتبار ، أن طابع التنظيم الشامل والتصور المتكامل لدور هذه الجيوش يبدو واضحاً في الروايات التي تذكرها المصادر عن حروب التحرير زمن الخليفة الثاني أكثر منها عندما تتحدث عن تلك الحروب زمن الخليفة الأول ومن هذه السمات :

تهيئة مجموعات قبلية بشرية قوية وكبيرة لها تقاليدها في المجال العسكرى والتنظيمي ودفعها الى جبهة القتال مثل ذي الكلاع في الشام وبجيلة في العراق . وقد أشارت الروايات الى جهود الخليفة أبي بكر في إرسال ذى الكلاع الى الشام ولو أن روايات أخرى نسبت تلك الجهود الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي)[٢] . أما بجيلة فقد أشارت الروايات صراحة الى جهود الخليفة عمر .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٣ ص ٥٨١ .
(٢) ـ ابن حجر : الاصابة ؟ : ج ٤ ص ٤٢٨ .

والراجح أن سياسة الخلافة في هذا المجال راعت اعتبارات قبلية بحتة إضافة إلى اعتبارات تتعلق بالدولة كانت وراء هذه السياسة في مقدمتها حاجة الخلافة إلى قوة عسكرية لها تقاليد ونظم وخبرات وتمتلك الروح القتالية المتمرسة وتعتاد النظم وتُحسن استخدام السلاح . ومن هنا جاء استخدام هذه المجموعات القبلية والتوجه إلى أهل اليمن عموما .

هذه هي أبرز نتائج مشاركة أهل اليمن في عمليات الفتوحات الاسلامية ، غير أن هناك نتيجة بارزة مميزة لهم بعد احراز النصر في المعارك الفاصلة ألا وهي استقرارهم في الامصار المفتوحة .

ونظراً لاهمية هذه النتيجة فقد رأينا أنه من الاهمية بمكان بحثها بشكل أوسع وأكثر دقة في محاولة التعرف إلى تاريخ أهل اليمن في أماكن استقرارهم الجديدة والأدوار التي شغلتها قبائلهم في التاريخ العربي الإسلامي كله . لذا سيكون هذا مجال بحثنا في المرحلة التالية :ـ

الفصل الثالث

استقرار أهل اليمن في الأمصار المفتوحة ( ) .

أ ـ استقرارهم في بلاد الشام .

ب ـ استقرارهم في العراق (الكوفة) .

جـ ـ استقرارهم في مصر (الفسطاط) .

١ ـ استقرار أهل اليمن في الشام :

يبدو أن قادة الجيوش العربية الإسلامية انتقلوا الى مرحلة جديدة من العمل بعد انتصارهم في المعارك الفاصلة التي خاضوها ضد عدوهم الجاثم على أرضهم .

تجلّى هذا العمل بتنظيم إدارة البلاد المحررة وإقامة القواعد المناسبة لجندهم بشكل يُكفل فيه للجيش قوته وتأمين احتياجاته من الأمور التي تتطلبها المواجهات القتالية .

وقد برز إلى حيز الوجود عدد من هذه القواعد بعد الانتهاء من ... المعارك مباشرة في الشام والعراق ومصر ، .

وقد ذكرت لنا مؤلفات الإخباريين روايات عديدة تدل بشكل صريح على مساهمات اليمنيين بشكل خاص في تخطيطها وبنائها وسكنها بإضافة إلى الأحداث التاريخية الهامة التي صنعوها هم بأنفسهم والتي ملأت صفحات مؤلفات المؤرخين الاسلاميين على اختلاف أهوائهم ومشاربهم في العصور القديمة والحديثة على حد سواء .

وسنبدأ التعرف هنا دور اليمنيين في بلاد الشام باعتبار أن الجيش العربي الإسلامي الذي شكل اليمنيون جُلّه ـ انتصر على هذه الجبهة في أول معركة خاضها مع عدو خارجي وبالتالي بدأت أول مساهماتهم الحضارية بها كي تكون حصناً منيعاً في وجه الروم ذلك أن الجيش العربي الإسلامي لم يستطع القضاء على الدولة البيزنطية بعد تحرير بلاد الشام ولذلك ظل الخطر يهدد المسلمين من الشمال عند جبال طوروس وهي منطقة ليست بعيدة عن دمشق المدينة الرئيسة في بلاد الشام . وقد حمل هذا الوضع المسلمين على الاحتفاظ ، بأعداد كبيرة من المقاتلين لكي يقيموا في قواعد عسكرية لمواجهة الخطر الرومي وعلى توزيع قواتهم في أربعة (أجناد[1]) لكل منها قاعدة رئيسة ترتبط بها القواعد الموزعة على مختلف القواعد الأخرى . وقد انحصر وجود سجلات الجند في مراكز الأجناد هذه حيث كان يتم توزيع اعطيات المقاتلين وأرزاقهم واستلزم أن تكون هذه الاجناد مراكز تجمع فيها جبايات المنطقة وما يتبع ذلك من تركز دواوين الخراج فيها أيضاً .

لكن الشيء الملاحظ لهذه الأجناد أنها لم تكن بنفس القوة الموجودة في أجناد العراق المتمركزة في الكوفة والبصرة . والسبب في ذلك ربما يعود لتعدد هذه القواعد

---

(١) ـ ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ١٠٦ . ليدن ١٨٨١ م .

في هذه المنطقة إلى جانب ضعف وارداته وتعرضه لتهديد الروم .

وقد ذكرت لنا المصادر العربية أن المقاتلين اليمنيين وعائلاتهم سكنوا في حواضر وقرى بلاد الشام وقد اقتضت الظروف المناخية التي سادت هذه المنطقة من أمطار غزيرة وبرد قارس إقامة هؤلاء في بيوت محكمة البناء .

والأمر الملفت للنظر عنهم في هذه المنطقة أنهم لم يبنوا مدناً كما فعلوا في العراق ومصر بل كانت منازلهم في أماكن مبنية ومأهولة منذ أزمنة بعيدة بجانب من بقي من أهلها وكانوا سكناهم إما في داخلها أو في أطرافها . غير أن المعلومات عن نزولهم الحواضر وأطرافها قليلة ومضطربة فتذكر بعض المصادر أن المسلمين صالحوا أهل الشام على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، أي أن المسلمين نزلوا أنصاف المدن والقرى كدمشق وحمص وطبرية وبعلبك وبيسان [1] . وتذكر روايات أخرى إن المسلمين لم يصالحوا على المقاسمة بل إنما أعطوا تعهدا للسكان الصالحين بأن لا يُسكن شيء من دورهم [2] . والرجح أن هذا هو الصحيح بدليل وجود إشارات متعددة إلى أن المسلمين نزلوا الخيام إلى أن ابتنوا القرى في دمشق وحمص وغيرها [3] . ولكن بعد التحرير لحق بشر كثير من أهل الشام بـ (هرقل) فخلت دورهم فنزلها المسلمون . أي أنهم نزلوا فيما جلا عنه أهله من الدور [4] . وقد أشرف السمط بن الأسود الكندي على إنزالهم في حمص حيث قسمها خططا بين المسلمين يسكنون في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة [5] .

وفي مقدمة الأماكن التي نزلها اليمنيون مدينة دمشق حيث استقروا أول الأمر في خيام بقرى الغوطة إلى أن ابتنوا القرى فيها . ففي قبلة دمشق ابتنوا قرى سكنت كل منها عشيرة واحدة مثل الأوزاع والصدف ومقرى وشعبان والأشعريين ، وفي جهة الغرب ابتنوا قرى صنعاء والحميريين ورعين [6] . إضافة إلى أنهم سكنوا في القرى التي كانت قائمة قديما ايضا [7] .

---

(1) ــ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٤٦ . الطبري : ج ٣ ص ٤٣٧ ، ٤٤٤ ، ٦٠٠ .
(2) ــ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٤٤ .
(3) ــ ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ص ٥٠٢ طبعة روضة دمشق ، ١٣٢٩ هـ .
(4) ــ المصدر السابق نفسه . البلاذري : ص ١٤٤ ، ١٥٥ .
(5) ــ المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٥ .
(6) ــ ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ص ١٤٤ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١١ ص ٣٤٢ .
(7) ــ ابن عساكر : التاريخ الكبير ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .

أما فيما يتعلق بنزولهم في دور دمشق التي داخل السور فيفهم من روايات ابن عساكر عن خطط دمشق أن الذين نزلوها كانوا من الشخصيات البارزة في أهل الحجاز فقط[1]، حيث لم تذكر في دمشق خطة لعشيرة ما أو محلة مسماة باسم قبيلة ، ولم تذكر إلا دور الأفراد وليس بينها دار لأحد من غير أهل الحجاز ، سوى دار جرير بن عبد الله البجلي التي امتلكها بعد انتقاله إلى الشام في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إذ يقول ابن عساكر : ((فهذا ذكر الدور التي لها ذكر واصحابها صحابة لهم منزلة وقدر دون ما عداها من دور بني أمية ومن سواهم من الرعية[2])) . كما نزل المسلمون حمص وبعلبك وطبرية ومدنا وقرى أخرى في بلاد الشام .

ومن قبائل اليمن التي استقرت في بلاد الشام :

١ ـ قبيلة حمير : تذكر المصادر أن أعظم قبائل حمير في بلاد الشام قبيلة ذي الكلاع أقدم القبائل اليمنية المشاركة في عمليات الفتوح ، خرجت من اليمن بقيادة رئيسها ذي الكلاع السميفع بن ناكور الذي كان معه عدد كبير من العبيد قدرتهم بعض المصادر بأربعة آلاف وادعى بعضها أنهم اثنا عشر ألفاً[3] ، سكنوا جميعاً في مدينة حمص .

ويبدو أن قوة ذي الكلاع البشرية إلى جانب قدم مشاركته في معارك الجهاد أكسبته مكانة مهمة في مدينة حمص جعلته موضع إهتمام الدولة واعتمادها حيث احتفظت القبيلة بمكانتها وظل رؤساؤها مقدمين عند الخليفة ، بيد أنهم لم يحملوا لقب ذي الكلاع انما عرفوا بلقب سيد الكلاع[4] .

بالإضافة إلى ذلك فقد سكن إلى جانب ذي الكلاع من حمير في مدينة حمص ، آل ذي يزن ، والأحموس ، والشراعب ، وحضرموت[5] .

كما استقرت قبائل الأوزاع الحميرية في المنطقة الواقعة بين دمشق وبعلبك وبيروت[6] .

---

(١) ـ المصدر السابق ص ١٣١ ـ ١٤١ .

(٢) ـ المصدر السابق ص ١٤١ .

(٣) ـ الاصابة : ابن حجر ، ج ٢ ص ٤٢٨ . الديار بكرى : تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٤٥ . ط ١ ، ١٣٠٢ هـ

(٤) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .

(٥) ـ الهمداني : الاكليل ٢ ص ٢٤٠ . الحازمي : عجالة المبتدئ ، ص ٢٥ ، ٧٨ . القاهرة ، ١٩٦٥ م .

(٦) ـ الهمداني : الاكليل : ج ٢ ص ٢٥٣ . ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ص ١٤٤ . الحموى المعجم ج ١ ص ٣٤٢ .

وقد دخل في الأوزاع بعض خولان[1] . ومن بطونهم بنو عنس بن مالك وبنو مرة والثوجسم ومقرى والبهان .

بالإضافة إلى ذلك فقد نزلت قبيلة يرسم[2] مع قبيلة الاوزاع الحميرية في دمشق غير أننا لا نعرف عن حجم تواجدها ، وفيما عدا ذلك نزلت بطون من حمير في مواضع متباعدة كقبيلة (يحصب[3]) في اللاذقية ، وقبيلة (فيه) في الاردن[4] .

٢ ـ قبيلة خولان : استقرت قبيلة خولان في حمص وقد اشتهر من بطونها في هذه المدينة بنو الأصهب (رحال والحريث[5]) كما نزلت بعض بطونها في داريا قرب دمشق[6] .

ومما يذكر عن خولان مشاركتها المبكرة في حروب الشام كما يذكر تقرب سيدها قيس ابن هانية بن عبد الله بن الحرث من أبي عبيدة بن الجراح أمير جيش المسلمين بالشام كما برز منها في هذه المرحلة رجلان عرفا بمكانتهما العالية في مجتمع بلاد الشام هما أبو مسلم عبد الله بن ثوب رئيس قراء أهل الشام وأبو إدريس الخولاني .

٣ ـ قبيلة همدان : يذكر عن قبيلة همدان استقرارها في الاردن برئاسة سيدها حمزة بن مالك بن سعيد الهمداني ، كما تذكر اصطحابه لأربع مائة من عبيده غير أهله[7] .

بالإضافة إلى ذلك فقد انتشرت في مناطق متفرقة من الاردن بطون عديدة من فرعي همدان الكبيرين (حاشد[8]) و (بكيل) كبني وادعة والحارث بن أصبى وحجور ابن أسلم حيث ذكروا بأعداد كبيرة وكلهم من حاشد . كما ذكر آل ذو لعوة وأرحب وبني مرهبة وجميعهم من بكيل[9] .

---

(١) ـ الهمداني : الاكليل : ج ٢ ص ٢٥٣ ، ٢٨٢ . ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ص ١٤٤ .
(٢) ـ الحازمي : عجالة المبتدي ، ص ٤٩ . البلاذري : فتوح البلدان ص ١٨٢ . ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٢٩٣ .
(٣) ـ الحازمي : عجالة المبتدي ص ١٢٤ . الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ٢٠٦ .
(٤) ـ المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٩ . الحازمي : مصدر سابق ص ١٢٤ .
(٥) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ١٢٥ . الاكليل ج ١ ص ٣٤٥ . ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٤١٤ .
(٦) ـ ابن حجر : الاصابة ج ٤ ص ٢٧٠ .
(٧) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١٦ . نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٤٧ ، ٢٠٥ . ابن سعد : ج ١ ص ٤٠ .
(٨) ـ الهمداني : الاكليل ج ١ ص ٦٦ ، ٨١ ، ٩٢ ، ١٠٠ .
(٩) ـ المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٨ . ابن مزاحم : صفين ص ٥٥٨ .

٤ ـ قبيلة كندة : من الأمور الملفتة للنظر أنه لم يترد د ذكر كندة في بلاد الشام إنما ترد د ذكر قبائلها كالسّكون والسّكاسك والصدف وغيرها[١] ، أما السّكون فقد ذكرت المصادر أسماء وأعمال عدد من رجالاتها وأشارت إلى مكانتهم حيث اشتهر منهم السمط بن الأسود الكندي وابنه شرجيل الذي انتقل إلى والده من حروب العراق بعد المدائن[٢] ، كما شغل السمط مع الأشعث بن مئناس السكوني دوراً في تحرير حمص من الروم[٣] . وقد شارك الأخير في عملية الإشراف على خطط حمص . حيث نزلت قبيلته ، كما احتل شرجيل بن السمط مكانة عالية في مجتمع الشام عموما وأهل اليمن خصوصا حتى أن وجوه أهل اليمن لما اجتمعوا بمعاوية بعد مقتل عثمان لم يصدروا رأياً قبل استشارته فلما وافق شرجيل اعتبر معاوية أهل الشام كلهم مؤيدين له[٤] .

هذا وقد استقر مع السكون في حمص من بطون كندة كل من السكاسك[٥] ، وبنو الحارث ابن معاوية[٦] ، وبنو ملمقة[٧] ، وبنو العدا[٨] ، أما بقية السكون والسكاسك فقد نزلت في الجابية وبيت لهيا ، وداريا حوالي مدينة دمشق[٩] .

٥ ـ قبيلة مذحج :ـ تشبه قبيلة مذحج كندة من حيث عدم ورود ذكرها في المصادر بشكل مباشر ، بل ترد د ذكر القبائل التي يعدها النسابون من مذحج ، وتأتي المعلومات عنها من خلال الأخبار عن مساهمتها في صفين أو عن سكناها بلاد الشام . فقد ذكر أنها كانت مجتمعة بقيادة سيدها مخارق ابن الحارث الزبيدي في معركة صفين وقد استقر عدد من قبائلها في بلاد الشام مثل قبيلة عنس التي استقرت في منطقة كيسان وحمص خاصة بني الصحيم ابن قرة بن عزيز ومنهم أيضا بنو أبي الجون بينما سكن بعضهم في داريا من دمشق[١٠] .

---

(١) ـ محسن يونس : كندة في الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، ص ٢٠١ .
(٢) ـ المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٦٠٠ ـ ٦٠١ .
(٤) ـ ابن مزاحم (نصر) ، وقعة صفين ، ص ٤٧ .
(٥) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٥ .
(٦) ـ ابن الكلبي : جمهرة النسب ، مخطوط نسخة مصورة عن نسخة الاسكوريال ، ص ١١٣ .
(٧) ـ المصدر السابق والصفحة .
(٨) ـ المصدر السابق ص ١١٩ .
(٩) ـ المصدر السابق ص ٨٨ ، ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٩٣ ، ج ٣ ص ١٥٥ ، ٤٥٧ .
السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٢٧ .

ا قبيلة زبيد فقد نزلت غالبيتهم في مدينة اللاذقية[1] ومن زبيد بطون أخرى
صغيرة سكنت مناطق أخرى فيذكر بنو زبيد الأصغر في حوران وبنو الحريث وآل محسن
في غوطة دمشق . ويرد ذكر مراد ورهاء دون تحديد مكانهما[2] .

د قبيلة الأزد : ـ يذكر عن قبيلة الأزد أنها شاركت في معركة اليرموك بأعداد كبيرة
ن أبنائها وبشكل خاص من قبيلة (عك) التي استقرت حول منطقة دمشق ومن كثرة عددهم
طلق عليهم (حي أهل الشام) ولكن يبدو أنهم التحقوا بالقبيلة في وقت متأخر فلم
كونوا في العطاء إلى أن ادخلهم معاوية[3] .

كما سكن بلاد الشام عدد من قبائل (أزد السَّرَاة) مثل قبيلة غامد وشمامة ودوس
الغطريف بن نصر[4] . ومن قبائل الأزد الاخرى التي سكنت بلاد الشام قبيلة خثعم التي
ستقرت في فلسطين وذكر من بطونها بنو الأقيصر[5] . بالإضافة إلى ذلك فقد سكنت
بائل من الأزد في مدينة حمص ودمشق[6] غير أن معظمهم كما يبدو استوطن (الرملة)
لتي كانت قاعدة جند فلسطين[7] .

١ ـ الأشاعرة : سكن الأشاعرة في منطقة (طبرية[8]) من الشام
بعد مشاركتهم في معركة اليرموك ، وكانوا الغالبين عليها ، وسكن بعض منهم في دمشق
واقطعهم معاوية البثنية وحوران[9] .

---

(١) ـ الحازمي : عجالة المبتدئ ، ص ٦٨ .
(٢) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ١٩٤ ، ج ٥ ص ٨٤ ، ١٥٩ ، ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٢ ص ١٣١ .
(٣) ـ ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ١٠٣ ، نصر بن مزاحم : موقعة صفين ، ص ٤٣٧ .
(٤) ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .
(٥) ـ البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٢٧ .
(٦) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ٥١٤ ج ٥ ص ٩٠ .
(٧) ـ المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٠٩ ، ٢٢٠ نصر بن مزاحم : صفين ص ١٧٤ .
(٨) ـ اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٢٧ .
(٩) ـ كتاب الفتوح : ج ٣ ص ٢٣١ .

٢ ـ استقرار أهل اليمن (بالكوفة) في العراق :

ظلت جبهة العراق ،زمن الخليفة أبي بكر جبهة أدنى مكانة من الجبهة في بلاد الشام التي أرسل اليها أعظم المقاتلين العرب بما فيهم أهل اليمن . فلما ولي عمر ابن الخطاب (رض) الخلافة لم يهمل جبهة الشام ولكنه اهتم أيضا بجبهة العراق .

ويذكر الطبري في تاريخه أن من أبرز المشاكل التي واجهتها جهود الخليفة عمر في جبهة العراق ، هو تخوف العرب من الفرس حيث ((كان وجه فارس من أكثر الوجوه كرهاً اليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم (١))) .

ويبدو أن هذا التسويغ لا ينطوي على كثير من الصحة ولكنه يظهر حقيقة واضحة وهي أن العرب لم ينضموا بأعداد كبيرة إلى جبهة العراق قبل خلافة عمر بن الخطاب وأن أول قبيلة عربية استجابت إلى نداء عمر في الذهاب إلى جبهة العراق هي قبيلة (بجيلة) ، اليمانية ، حيث بلغ عدد رجالها الذين ساروا إلى العراق سبعمائة شاركوا جميعهم في معركة (البويب) التي انتصر فيها العرب على الفرس وغسلوا بنصرهم هذا هزيمتهم في موقعة (الجسر) ثم تتابع خروج اهل اليمن بأعداد كبيرة ومن قبائل متعددة إلى العراق .

وما يذكر أن سعد بن أبي وقاص خرج من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف مقاتل ، ثلاثة آلاف ممن سار تحت قيادته من اليمن والسَّراة . ومن حضرموت والصدف ستمائة ، انضم اليهم أربع مائة من المكون (٢) .

وبعد أن حرر العرب المدائن نزلوا فيها ، ولكن عوامل متعددة أهمها الضرورات العسكرية فرضت عليهم تغييرها . فبالرغم من انكسار الجيش الفارسي في معركة القادسية وإخلائهم المدائن بعد هزيمتهم بها فإن القوة الفارسية لم يتم القضاء عليها بشكل حاسم ، وان الفرس كانوا يعملون على جمع قواتهم لاسترداد الأراضي التي فقدوها ، لذلك لم يكن من المأمون أن تقيم المقاتلة العرب في قاعدة فارسية السكان إذ إن ذلك يهدد العرب ، لذلك بدأ سعد بن أبي وقاص يبحث عن قاعدة جديدة ملائمة

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٤٤.
(٢) ـ المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

لحاجة العرب ، ثم استقر رأيه على اختيار (الكوفة) المجاورة للحيرة لتكون قاعدة عسكرية . وكانت الضرورات العسكرية من أهم العوامل المؤثرة ليس في اختيار موقعها بل في تخطيطها وبنائها ، فقد كانت أبنيتها بسيطة وكان هذا واضحاً في قول الخليفة عمر (رضي) ((المعسكر أجد لحربكم وأذكى لكم[1])) . فلما دمر العرب الجيش الفارسي في موقعة (نهاوند) وقضوا على كل خطر منه ، بدأت تزدهر الحياة المدنية في الكوفة وأخذ يغلب عليها الطابع الحضري ، فابتنى الناس الدور وأول دار بنيت باللبن كانت في خطة قدة[2] اليمنية .

أما عن عدد أهل اليمن في الكوفة فقد قال الشعبي : ((كنا أهل اليمن إثني عشر ألفا ، وكانت نزار ثمانية آلاف ، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة[3] ؟)) .

أما بشر بن عبد الوهاب القرشي فيذكر أنه كان في الكوفة خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر ، وستة وثلاثون ألف دار لليمن ، وأربعة عشر ألف دار لسائر العرب[4] .

والواقع أن هذه الأرقام تعبر عن تفوق أهل اليمن في الكوفة بدليل أن لهم أربعة أسباع نظمت فيها عشائر الكوفة[5] .

ومهما يكن من أمر فقد توزعت القبائل اليمنية في الكوفة كما يلي :

<u>همدان</u> : استقرت همدان بعد معركة القادسية في الكوفة بين قبيلة بجيلة والميدان من جهة الشمال بينما استقر الصائديون من همدان بين كندة غربا وكسر شرقا[6] . ويذكر اليعقوبي[7] تفرقها في الكوفة ويعزز الطبري هذا الاتجاه[8] بتركيزه على عشائر همدان دون القبيلة ويدو أن همدان كانت بأعداد كبيرة في الكوفة حتى انها عرفت بـ (حي أهل العراق) و (حي الكوفة[9]) .

---

(١) ــ الطبري : ج ٤ ص ٤٣.

(٢) ــ الحموي : (ياقوت) معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٢٢.

(٣) ــ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٥.

(٤) ــ ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٣ ص ٢٢٤.

(٥) ــ الطبري : ج ٤ ص ٤٨ ، ٥٠٠ . نصر بن مزاحم : صفين ص ١٣٢ . نهج البلاغة : ج ١ ص ٢٨٩ .

ــ البلاذري : انساب الاشراف ورقة ٤٧٥.

(٦) ــ ماسينيون (لويس) : خطط الكوفة ، الخارطة رقم (١) ، ط ، الأولى صيدا لبنان بدون تاريخ .

(٧) ــ اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣١١.

(٨) ــ الطبري : مصدر سابق ، ص ٢٢٦.

ومن أبرز بطون همدان في الكوفة (السبيع) وكانت خططهم من أوسع خطط همدان وكانت جبانتها أحد اماكن تحشد القبائل في الفتن والأحداث التي شهدتها الكوفة ، كذلك كان الأمر ذاته بالنسبة للصائدين (١) .

ومن المرجح أن قبيلة همدان وصلت الى العراق في آخر مرحلة من معركة القادسية حيث شاركت فيها وبرز منها بعض فرسانها (٢) .

ومما ينسب عن همدان مساهمتها في أحداث الكوفة وشغلها الأدوار البارزة فيها وكانوا من أبرز انصار علي ، غير أن بعض بطونها كانوا عثمانيين مثل آل ذي مران كما أنهم لم يشاركوا مع الخوارج (٣) ومن بطون همدان بالكوفة :ـ

بطون حاشد :ـ منها قبيلة ناعط ، ومنهم آل ذي مران ، وجُلّ ناعط عثمانيون وخططهم الى جانب الشباميين أقرب الى قصر الإمارة (٤) ، ثم وادعة (٥) ، وشعب (٦) وهم حمير محالفون لهمدان ويام (٧) ، وخارف (٨) ، وصائد (٩) ، وخارق (١٠) ، وشبام (١١) خططهم الى جانب الغائشين ، والسبيع وخططهم أوسع خطط همدان ومنهم حوث (١٢) . ثم ... (١٣) ، ونهم (١٤) ، وقادم (١٥) ، وحجور (١٦) ، يرسم (١٧) ، ودالان (١٨) ،

---

(١) ـ الطبرى : مصدر سابق ، ص ٦١٤ ، ٧٢٣ .
(٢) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ١٠ ، ص ٢٤٣ .
(٣) ـ الطبرى : مصدر سابق ص ٦٥٩ ، ٩٠٧ .
(٤) ـ الهمداني : الاكليل : ج ١٠ ص ١٥ ، ٢٧ ، ٣٢ الحازمي : عجالة المبتدى ، ص ١١٦ . الطبرى : ج ٥ ص ٦٢ .
(٥) ـ الهمداني : الاكليل : ج ١٠ ص ٧٧ ، ٨٧ . البلاذرى : انساب الاشراف ج ١ ص ٢٣٤ . الحازمي عجالة ص ١٢٠ .
(٦) ـ الهمداني : الاكليل : ج ١٠ ص ٨٩ . ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ١٧١ .
(٧) ـ الحازمي : عجالة المبتدى ، ص ١٢٤ . الهمداني : ج ١٠ ص ٧٤ . ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ٢٣٠ .
(٨) ـ ابن ماكولا : الاكمال ج ٣ ص ٢٣ . الحازمي مصدر سابق ص ٥٣ . ابن سعد مصدر سابق ج ٦ ص ٨٩ .
(٩) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ٩٧ . ابن سعد : ج ٦ ص ١٠٠ . الحازمي : عجالة المبتدى ، ص ٨٠ .
(١٠) ـ ابن ماكولا : الاكمال ج ٣ ص ٢٣ . الحازمي : عجالة المبتدى ، ص ٥٣ . طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٨٩ .
(١١) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ٢٩ . الحازمي : مصدر سابق ص ٧٨ . ابن سعد : ج ٦ ص ١١٨ .
(١٢) ـ الحازمي : مصدر سابق ص ٧٢ . الحموى : المعجم ج ٢ ص ٢٩٤ . البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٤٤ .
(١٣) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١٣١ .
(١٤) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ١٦٠ .
(١٥) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١٠٣ .
(١٦) ـ المصدر السابق ج ١٠ ص ٩٧ .

المشرقي ، منهم معدي كرب[1] .

ب ـ بطون بكيل : أشهر بطون بكيل التي استقرت بالكوفة بعد القادسية قبيلة مرهبة[2] ، والثوريون ، وهم في طرف خطة همدان من ظهر الكوفة من جهة النخيلة[3] ، ثم فايش التي كانت خطتهم إلى جانب الثوريين[4] . وآل ذي لعوة[5] وأرحب ، منهم يزيد بن قيس كان على شرطة علي (رض) وأصبح فيما بعد قطباً من أقطاب الخوارج ثم استماله علي بتعيينه والياً على أصبهان ، وشارك أبناؤها في صفين إلى جانب علي[6] ، ثم قبيلة شاكر التي شغلت الديرذات في صفين إلى جانب علي ويرد ذكرها مقترنة بشبام أو أرحب وشبام[7] .

٢ ـ بجيلة : كانت قبيلة بجيلة اليمنية قوة كبيرة في معركة القادسية بدليل إعطائها بعض الامتيازات من قبل الخليفة عمر بن الخطاب[8] ، وقد تميزت بجيلة عن غيرها من القبائل اليمنية التي التحقت بجيش الفتوح باصطحابها أعداداً كبيرة من نسائها قدرتهم الروايات بألف امرأة جلبن للقبيلة مصاهرات كثيرة حتى سميت القبيلة بأصهار المهاجرين[9] .

وقد ذكر عن هذه القبيلة استقرارها في الكوفة بين همدان من الشمال وتميم من الجنوب إلا أنها أقرب إلى الصحراء منها الى النهر[10] .

وعند تنظيم الكوفة إلى أسباع كانت بجيلة مع خثعم والأزد[11] ، وبقيت كذلك الى سنة ٥٠هـ حيث أعاد زياد بن أبيه تنظيم الكوفة وتقسيمها إلى أرباع حيث أصبح

---

(١) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ١١٥ .
(٢) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ٣٧ ، الطبري : ج ٣ ص ٤٧٠ .
(٣) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١٣١ ، ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ٢٠٩ .
(٤) ـ الحازمي : عجالة المبتدئ ، ص ١٠٠ ، ابن سعد الطبقات ج ٦ ص ١٤٩ .
(٥) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١١٢ .
(٦) ـ جمهرة انساب العرب (ابن حزم) ، ص ٣٧٢ ، الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٥ .
ابن مزاحم (نصر) : وقعة صفين ، ص ٤٩٧ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ٦ ص ١١٨ .
(٧) ـ الهمداني : الاكليل ج ١٠ ص ٢٢٠ ، ٢٤٢ ابن مزاحم : صفين ، ٢١٠ ، ٤٨٥ .
(٨) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٦٢ يذكر ان الخليفة عمر اعطاهم خمس في المسلمين بالإضافة إلى نصيبهم من سائر الغنائم .
(٩) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٥٨١ .
(١٠) ـ ماسينيون : خطط الكوفة الخارطة رقم (١)
(١١) ـ الطبري : ج ٥ ص ١٤ .

سبع بجيلة ومن معها مع سبع أهل العالية ، ويبدو أن عامل التشتت التي كانت عليه هذه القبيلة قبل جمعها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب وإسناد قيادتها إلى سيدها جرير بن عبد الله البجلي قد أثر هذا الوضع على استقلالية بعض بطونها كما حدث لقبيلة (أحمس) التي انفصلت عن بجيلة وارتحلت عن خطتها ونزلت عند الجبانة [1] .

بالإضافة إلى ذلك لم يذكر لبجيلة مشاركتها في قتال صفين إلى جانب علي بعد اعتزال سيدها جرير القتال ثم رحيله من الكوفة إلى الرقة غير أن الخليفة علي هدّم داره [2] .

فيما يذكر عن قبيلة (أحمس) البجلية غير ما تذكره المصادر عن بجيلة نفسها حول مشاركتها في موقعة صفين إذ تذكر بعض المصادر مشاركتها هذه المعركة إلى جانب علي (٧٠٠) مقاتل [3] .

ومن بطون بجيلة في الكوفة تذكر المصادر القبائل التالية : ـ
قبيلة جزيمة [4] ، قتبان [5] ، عرينة [6] ، أحمس [7] ، العلقي [8] ، أفرك [9] .

٣ ـ كندة : ـ استقرت كندة في الكوفة بين قبيلة جهينة وأود [10] وتذكر المصادر أن عدد من شارك منها في معركة القادسية سبع مائة مقاتل برز منها قادة معروفون مثل شرجيل بن السمط الكندي من السكون والأشعث بن قيس [11] . كما توزعت بطونها في الكوفة التي كان أشهرها القبائل التالية : ـ
آل [12] ، رهط الأشعث [13] ، بنو جبلة [14] ، شجرة [15] طمح [16]

---

(١) ـ اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣١١ .
(٢) ـ شرح نهج البلاغة : ج ١٩ ص ٢٦١ ، ٣٦٤ .
(٣) ـ نصر بن مزاحم ، صفين ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .
(٤) ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٧ ، الحازمي : عجالة المبتدئ ص ١٠٠ ، ابن دريد : الاشتقاق ص ٥١٦ .
(٥) ـ الحازمي : مصدر سابق ص ١٠٠ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٣٦٧ .
(٦) ـ المارستان : ص ٥١٨ .
(٧) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ١٩ ، ٢٣ .
(٨) ـ المصدر السابق ج ٦ ص ٢٢ .
(٩) ـ المصدر السابق .
(١٠) ـ الطبري : ج ٦ ص ٦٦ .
(١١) ـ المصدر السابق ج ٣ ص ٥٦٣ .
(١٢) ـ الحازمي : عجالة المبتدئ ، ص ٢٤ .
(١٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٦٦ ، اليعقوبي : البلدان ، ص ١٣٠ ، ٣١١ .
(١٤) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٣ ص ٢٣ .

لأرقم (١) ، بنو هند (٢) ، الرائش (٣) ، وقد ظهر من كندة في الكوفة رجال عظام مثل القاضي شريح ، وحجر بن الأشعث ، وعمر بن أبي قرة ، وحسين بن حسن الحجري (٤) .
دخلت حضرموت في الكوفة مع كندة (٥) ، وكانت سبعاً مع بجيلة والأزد وخثعم (٦) . وقد مددت ولاءات كندة السياسية في التاريخ الاسلامي .

ـ مذحج :ـ شاركت قبيلة مذحج اليمنية في جيش الفتوح ، ومما يذكر عنها أن الخليفة عمر بن الخطاب سيّر بنصفها إلى القادسية ونصفها إلى اليرموك (٧) . وكان عدد من شارك منها في القتال (١٣٠٠) مقاتل على ثلاثة قوادهم : عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وأبو سبرة بن ذؤيب ، ويزيد بن حارث الصدائي (٨) .

وقد تذبذبت مواقف مذحج بالكوفة فمنهم من خرج مع الخوارج مثل قبيلة مراد (٩) ومنهم من شايع علي وشاركه في قتاله في صفين ، وقد تزوج منهم الحسن بن علي لكنهم حاربوا أخوه الحسين (١٠) . كما عرفت قبيلة (أود (١١)) وقبيلة جعفي بعدائها لعلي (١٢) .

ويبدو أن مذحج لم يكن لها أثر بارز على الصعيد السياسي في الفترة ما بين القادسية وخلافة علي . أما بعد ذلك فإننا نجدها في أغلب الأحداث التي شهدتها الكوفة وقد

---

(١) ـ ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٦٥ ، ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٢ ص ١٥ .
(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ٢٥٨ .
(٣) ـ ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٥ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٩ .
(٤) ـ ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٢ ص ١٥ . ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٦٥ . ابن حزم : ص ٣٩٩ .
(٥) ـ نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ١٢٢ .
(٦) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٨ .
(٧) ـ الطبري : ج ٣ ص ٤٨٤ .
(٨) ـ المصدر السابق الجزء والصفحة
(٩) ـ الطبري : مصدر سابق ص ١٨ .
(١٠) ـ نصر بن مزاحم : وقعة صفين ٢ ص ٢٤٧ .
(١١) ـ الحازمي : عجالة المبتدئ ، ص ٤١ .
(١٢) ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٥ ، ٢٢٤ .

اســتقر بالكوفــة عدد من بطونها اهمهــا :

أ ـ ســعد العشيرة : استقر عدد كبير من بطون قبيلة سعد العشيرة المذحجية بالكوفــة نذكر أهمها : زبيـد (١) ، وزخر (٢) ، وحريم (٣) ، وأود (٤) ، والحدأ (٥) والزعافر (٦) ، وعائذ اللـه (٧) ، وجعفي (٨) ، ومن بطونها الأصهب .

ب ـ قبيلة مراد : من بطونها التي سكنت الكوفــة ، قبيلة الربض (٩) ، وسلمان (١٠) ، حدأ ، وزاخر (١١) ، وغطيــف (١٢) ، وقرن (١٣) ، منهـــم أويس بن عامر القرني . وجمل (١٤)

ه ـ قبيلة النخــع : ـ عندما جاءت قبيلة النخع إلى الخليفــة عمر بن الخطاب (رضي) رغبا أن تكون على جبهة العراق ورغبوا هم بجبهة الشام فسيَّر نصفهم إلى العراق ونصفهم إلــى الشام .

---

(١) ـ المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .
(٢) ـ المصدر السابق ، ص ٣٨٣ .
(٣) ـ المصدر السابق ص ٣٨٤ .
(٤) ـ طبقات ابن سعد : ج ٦ ص ٨٠ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٣٨٦ .
(٥) ـ ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٢ ص ٤٠٧ ، الحازمي : عجالة المبتدي ، ص ٤٧ .
(٦) ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٨٦ .
(٧) ـ المصدر السابق نفسه ص ٣٨٣ .
(٨) ـ المصدر السابق نفسه ص ٣٨٣ .
(٩) ـ الحازمي : عجالة المبتدي ، ص ٦٥ .
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ص ٧٤ .
(١١) ـ المصدر السابق نفسه ص ٣٨٢ . ابن حجر : الاصابة ج ٥ ص ٥٣٨ . ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٤٠٧ .
(١٢) ـ ابن حزم : مصدر سابق ، ص ٣٨٢ .
(١٣) ـ ابن حجر : الاصابــة ج ١ ص ٢٩٩ .
(١٤) ـ الحازمي : مصدر سابق ص ٤١ .

وقد شاركت في معركة القادسية (١) تحت قيادة رئيسها ارطأة بن كعب الذي بقي يقاتل في أرض المعركة حتى استشهد (٢) فيها . وعرفت النخع كما عرفت بجيلة بكثر نسائها وقد حملت وبجيلة لقب أصهار المهاجرين لكثرة من تزوج منهم من مسلمي الكوفة (٣) .

وفي خطتهم بالكوفة دخل معهم بنو أبرهة بن الصباح من حمير (٤) ، وبرز رجالها في القضاء (٥) ، كما برزوا في المجال العسكري كا (الأشتر النخعي) الذي شارك في صفين مع علي . وإلى جانب بروز عدد من القراء من النخع (٦) .

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٧٦ . ابن حزم : مصدر سابق ص ٣٨٩ .
(٢) ـ المصدر السابق ص ٣٨٩ .
(٣) ـ الطبري : ج ٣ ص ٥٨١ .
(٤) ـ الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ١٥٠ . ابن عبد الحكم : الفتوح ج ٢ ص ١٧٤ .
(٥) ـ ابن حزم : مصدر سابق ص ٣٩٠ .
(٦) ـ ابن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٢١١ .

استقرار أهل اليمن في الفسطاط :

بعد انتهاء العرب المسلمين من تحرير بلاد الشام ، اتجهوا الى تحرير مصر فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) سنة تسع عشرة جيش عمرو بن العاص مع أربعة آلاف مقاتل ممن كان قد شارك في المعارك الأولى في تحرير بلاد الشام [١] . وقد نجحت هذه الحملة بعد تلقيها النجدات في التغلب على الحامية التي كانت في حصن بابليون وبذلك أمنت السيطرة على المركز الاستراتيجي والحضاري الهام الذي أقامت الدولة في مصر منذ قدم الأزمنة عاصمتها فيه . وقد أرسل العرب بعد ذلك حملات لتحرير الاسكندرية لقيت مقاومة عنيفة في تحريرها ، كما وجهوا حملات لتحرير الصعيد وصلت حتى أسوان دون مقاومة تذكر [٢] .

كان لمصر أوضاع خاصة ، فالصحارى الشاسعة في غربها وجنوبها أمنت حكم العرب فيها ، وانحصر الخطر الذي يهددهم بالساحل الشمالي حيث كان الأسطول البيزنطي ما يزال ذا قوة مهددة ، غير أن هذا الخطر يمكن مواجهته بتعزيز الدفاع عن الساحل وإقامة قوات في النقاط المحددة التي يمكن أن ينزل فيها الأسطول البيزنطي ، مما يبقي الداخل آمناً . وقد أصبحت مصر قاعدة واصلت منها الجيوش العربية تقدمها لتحرير المغرب العربي . وعندما عاد جيش عمرو بن العاص من الاسكندرية سنة ٢١ هـ [٣] ، اختير موقع الفسطاط في المنطقة نفسها التي اتخذت معظم الدول السابقة ـ منذ الفراعنة ـ عاصمتها فيها واتخذها العرب المسلمون قاعدة لهم على غرار الكوفة والبصرة تتجمع فيها جيوشهم ولتصبح فيما بعد منطلقهم لمواصلة تحرير المغرب العربي لذلك من الطبيعي أن يكون الذين اختطوا في الفسطاط عند إنشائها هم أنفسهم الذين شاركوا في تحرير مصر . وقد روعي في تنظيم خطط الفسطاط أن تستوعب العشائر كافة التي يتكون منها الجيش المحرر ، وأن يتوزع التنظيم على الأسس التي يقوم عليها ذلك الجيش .

كان المركز الرئيسي والمحور الذي نظمت عليه الفسطاط ، شأنه شأن بقية الأمصار الإسلامية هو المسجد الجامع الكبير والوحيد في مصر ، وبلصقه كانت دار الإمارة وبيت المال . وبذلك كان المسجد وما حوله هو قلب المدينة .

---

(١) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٨ .

(٢) ـ ينظر إلى تفاصيل ذلك في كتاب (فتوح العرب لمصر) تأليف محمد فريد ابو حديد وكتاب عمرو بن العاص لحسن ابراهيم حسن .

(٣) ـ السيوطي : كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ١ ص ٢٥٧ .
ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٩ ، ١٢٣ .

لقد أنزل عمرو بن العاص حول الجامع عشائر أهل الحجاز وأسكنهم في قلب المصر بالقرب من دار الإمارة حيث يقيم الأمير وربما يعود ذلك بسبب أسبقيتهم في الإسلام وأن جمعهم حول مركز المصر إنما يعبر عن روح السياسة الإسلامية التي تعتمد إستشارة المسلمين الأوائل في شؤون الادارة واطلق على منطقتهم اسم منطقة أهل الراية (١) .

أما قبائل اليمن التي شاركت في فتح مصر فقد نزلت خلف أهل الراية ، وامتدوا في خططهم في الصحراء . وأطلق عليهم أهل الظاهر ، ويعلل نزولهم في ظاهر الفسطاط بمواشيهم المتأخرة من الاسكندرية حيث وجدوا الناس قد اختطوا خططهم أعني اهل الراية الحجازيين (٢) .

أسند عمرو بن العاص مهمة اسكان قبائل اليمن (أهل الظواهر) الى أربعة من رجال أهل اليمن هم : معاوية بن حديج التجيبي الكندي ثم شريك ابن سمي الغطيفي المرادي ، وعمرو بن مخزوم الخولاني ، وحيويل بن ناشرة المعافري ، فأنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل (٣) .

فكأن عمرو بن العاص لم يشأ أن يزج نفسه في شؤون هذه القبائل ، أو أنه أراد لهم الاستقرار في خططهم وفق رغباتهم وأن هؤلاء أشد فهماً لأمور الإسكان وذلك نتيجة خبرتهم الحضارية في هذا المجال دون غيرهم .

ويظهر من دراسة خطط أهل اليمن في الفسطاط ، أن العرب احتفظوا بتكتلاتهم القبلية ، فكانت لكل عشيرة خطة تسمى بها ويسكن فيها أفراد تلك العشائر . وفيما يلي سنتناول التعرف على القبائل اليمنية التي استقرت في مصر بعد الفتح .

١ ـ الأزد :

شارك عدد كبير من قبائل الازد في فتح مصر منذ البداية وكان أكثر قبائلهم عدداً في جيش عمرو بن العاص قبيلة (عك) و (غافق) فقد ذكرهما ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر ((أنهم كانوا في جيش عمرو بن العاص أربعة آلاف رجل من عك ، ويقال لا بل

---

(١) ـ محسن يونس : كندة في الاسلام ، ص ٢٠٤ .
(٢) ـ المقريزي : الخطط ، ج ٢ ص ٧٨ .
(٣) ـ المصدر السابق : ج ٢ ص ٧١ . السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٣١ .

ثلاثة آلاف وخمسمائة ٠٠٠٠ للشهم غافق[1])) ٠

وخطتهم من أوسع الخطط ـ أي الأزد ـ وبخاصة غافق ومع أن ابن عبد الحكم أفرد صفحتين للحديث عنها إلاّ أنه ختم بحثه بقوله ((ولغافق من الخطة أكثر مما ذكرنا غير أن هذه جملتها[2])) ، وكذلك كان مرتبعها واسعاً وشمل بوصير وشوف واتريب[3] . وفيما عدا بني بحر من الأزد ـ كانوا مع لخم ودوس التي كانت مع أهل الراية ـ فان بطون الأزد نزلت متجاورة بين بلي جنوبا ولخم شمالا[4] ، وبرز من رجالها العديد في المناصب العالية والوظائف العامة ، وهي وحضرموت من القبائل التي أوصى معاوية ، باستخدامها للولاية[5] . فكانوا قادة ومفكرين[6] . وقد تحدثت المصادر عن استقرار بطون عديدة للأزد في مصر أهمها :

قبيلة غسان : حيث التحق قسم منهم بقيادة عمرو بن حبالة الأزدي أثناء فتح الاسكندرية[7] ثم الأنصار (قبائل الأوس والخزرج) الذين شهدوا الفتح ، وكانوا في خطتهم مع أهل الراية[8] . وذكرت المصادر منهم عدد كبير ممن شارك في غزوة بإفريقية سنة ٣٤هـ ، بقيادة معاوية بن حديج[9] .

كما برز منهم بمصر محمد بن مسلمة الذي قاسم عمرو بن العاص ماله بأمر من الخليفة عمر (رض)[10] ، وقيس بن سعد (ت ٥٩ هـ) الذي حكم مصر سنة (٣٧هـ[11]) ، ومسلمة بن مخلد أمير مصر (٤٧ ـ ٦٢ هـ)[12] . وكان محمد بن بشير ممن اختط بالفسطاط من الأنصار كذلك[13] . وهكذا كانوا رجال الأنصار في مصر ما بين أمراء وفقهاء

---

(١) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٢٢.
(٢) ـ المصدر السابق : ص ١٢٢.
(٣) ـ المصدر السابق : ص ١٤٢.
(٤) ـ المصدر السابق : ص ١١٦ ـ ١١٧ ، ١٢٠ ـ ١٢٢.
(٥) ـ المصدر السابق : ص ١٢٥.
(٦) ـ السيوطي : (جلال الدين بن عبد الرحمن) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ١ ص ٨٩ ، ٢٠٥ ، ط ١ اولى ، مصر البابي الحلبي ١٩٦٧ م .
(٧) ـ ابن دقماق (ابراهيم بن محمد ايدمر العلائي) ، كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٤ ص ٣ ـ ٤ ، ط ١ بولاق ١٨٩٣ م
(٨) ـ المصدر السابق : ج ٤ ص ٣.
(٩) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٩٢.
(١٠) ـ المصدر السابق : ص ٩٣ ، ١٤٦.
(١١) ـ الكندي (ابو عمر محمد بن يوسف) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق كست ، ص ٢٠ ـ (٢) السيوطي

وقد أوصى بهم عمر وصيته المشهورة التي جاء فيها ((وأوصى الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوءا الدار والايمان أن يحسن إلى محسنهم وأن يعفوا عن مسيئهم[1])) .

ومن قبائل الأزد في مصر قبيلة (خزاعة) التي شاركت في فتح مصر[2] وقد ذكر عنها أنه كان لها داران بالفسطاط ، ولكنها كانت من أهل الراية[3] .

وكان لخزاعة موقف سياسي في مصر معاد لعثمان ، فقد ساعد عمرو بن الحمق من رجالها على قتل الخليفة الثالث في داره[4] . ثم ابن ورقاء الذي كان على رأس مائة مقاتل في الجيش الذي سيره بن أبي حذيفة الى عثمان سنة ٣٥ هـ[5] .

وكانت قبيلة (أسلم) بطن من خزاعة التي شهدت فتح مصر واختطت بالفسطاط حول عمرو بن العاص والمسجد مع أهل الراية مما يلي دار أبي ذر وكانوا يرتبعون هم وغفار مع وائل من جزام ... وطرابيبة[6] .

ثم استقر بالفسطاط من بطون الأزد قبيلة (العتيك) التي اشتهرت بمصر منها اسرتان هما : المهالبة ، وبنو المغيرة . فكانت الأولى رهط المهلب بن أبي صفرة (ت ٨٣هـ) الذي كان أمير خرسان[7] ، أما الثانية فيذكر عن عبيدها زياد بن المغيرة بناء جامع في بروط بلهاسة (محافظة المنيا الحالية[8] .

ثم قبيلة (الحجر) التي شهدت فتح مصر وكانوا من اللفيف[9] ، وقد اختطوا بالفسطاط خطة بيد وأنها كانت كبيرة[10] ، وكانوا من القبائل التي جعلها عمرو بن العاص تعسكر في الجيزة خوفاً من عدو يغشاهم من تلك الناحية[11] ، وقد عرف بمصر من بطون

---

(١) ـ ابن دقماق ، ج ٣ ص ٢٦٤ .
(٢) ـ
(٣) ـ ابن دقماق : مصدر سابق ج ٤ ص ٣
(٤) ـ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٩٣ ـ ٩٤ .
(٥) ـ الكندي : الولاة ، ص١٧ ، ٢٧ .
(٦) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٨ ، ١١٥ ، ١٤٢ . ابن دقماق : مصدر سابق ج ٤ ص ٣ .
(٧) ـ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ص ٢٤٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧١ .
(٨) ـ الدليل الجغرافي : ص٣٠٢ . المساحة المصرية .
(٩) ـ ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٣
(١٠) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١١٧ .
(١١) ـ ابن دقماق : الانتصار ، مصدر سابق ، ج ٤ ص١٢٦ .

قبيلة (حجر) قبيلة (بني كعب بن مالك) الذي اشتهر منهم الصحابي ، علقمة بن جنادة الذي شهد فتح مصر وولي البحر لمعاوية بن أبي سفيان المتوفي سنة ٥٩ هـ[١] .

ثم قبيلة (دوس) الأزدية ، التي شهدت الفتح أيضاً وسكنت مع أهل الراية[٢] ، وقبيلة (هناءة) و (عك) التي تعد من أهم قبائل الأزد التي شاركت في فتح مصر ،وقد كان ارتباع جندها في أماكن كثيرة من مصر ك (بوصير ، ومنوف ، ودسبندس (من قرى مصر القديمة[٣]) ، ومما يذكر عن (عك) الأزدية مكانتها العالية في مصر لكثرتها العددية من جهة ولضخامة نصيبها من عمليات الفتح من جهة أخرى ، الى جانب ذلك فقد كان لها أدوار سياسية مميزة ، ففي فتنة عثمان كان القائد العام للجيش الذي وجهه ابن أبي حذيفة سنة ٣٥ هـ إلى عثمان (الغافقي) بن حرب) من عك . وهو الذي حكم المدينة بعد مصرع الخليفة عثمان[٤] .

غير أن موقف (عك) هذا لا يتفق وموقفها في الشام ، فقد ذكر عنها مشاركتها الفعالة في موقعة صفين إلى جانب معاوية فاستحقت ثناءه .

ومن بطون الأزد الشهيرة في مصر قبيلة (غافق) .

يذكر ابن عبد الحكم عن (غافق) بأنها كانت ((ثلث الناس مدخل عمرو بن العاص مصر[٥])) .

ويبدو ان ميول (غافق) السياسية كان شبيهاً (بعك) من حيث معاداتها لعثمان ويعتقد انها حاربت مع محمد بن ابي بكر سنة ٣٨ هـ ضد جيوش معاوية بن ابي سفيان حينما حاول انتزاع مصر من سلطان علي . ولما هزم محمد بن ابي بكر في هذه الحرب هرب إلى خطط غافق واختفى في دار احد افرادها[٦] .

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ١ ص ٩٣ . ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٩ .
(٢) ـ ابن دقماق : مصدر سابق ج ٤ ص ٣
(٣) ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٨ .
(٤) ـ الطبري : ج ٣ ص ٣٨٥ ، ٤٢١ ، ٤٥٤ .
(٥) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢١ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٢ . الكندي : الولاة ، ص ٢٨ .

وظلت غافق محتفظة بميولها تلك التي جعلتها تتخذ موقفاً عدائياً من الأمويين ولذلك اختار العراقيون الذين نفاهم زياد بن أبيه (٤٥ - ٥٣ هـ) الى مصر لميولهم المعادية للأمويين أن يكونوا جيران غافق بالفسطاط وأطلق المصريون عليهم اسم العراقيين لمجيئهم من العراق[١] .

ولما ولي ابن جحدم مصر سنة ٦٤ هـ من قبل ابن الزبير انضمن غافق إليه استمراراً منها في عدائها للأمويين وتحملت معه أهوال القتال ضد مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ[٢] . وقد برز من هذه القبيلة رجال لهم أهميتهم مثل مؤذن عمرو بن العاص (أبو مسلم الصحابي[٣]) وابن هجالة الذي اختفى محمد بن ابي بكر عنده بعد هزيمته[٤] . وقد حضر مع علي في صفين منهم اياس بن عامر من مشاهير تابعي مصر[٥] ، وعبد الله بن زرير (ت ٨٠ هـ) من مشاهير التابعيين أيضاً[٦] .

ونظراً لكبر قبيلة غافق في مصر فقد عرف استقرار عدد من بطونها في هذا المصر مثل قبيلة (حي) حيث كان لهم زقاق باسمهم في الفسطاط[٧] ، ثم (حذران) كان لهم مسجد بالفسطاط[٨] . و (دهنة[٩]) ، والحرقة[١٠]) و (تيم) و (قيانه) و (أحدب) و (بنو عبد الجبار[١١]) (والربانيون[١٢]) .

ومن بطون الأزد المعروفة في مصر قبيلة (سلامان)[١٣] وقد شهد الفتح منهم معاذ بن مالك ، الذي أصبح من شيعة عثمان واعتزل ابن ابي حذيفة عند ما ثار بمصر ولما استولى ابن جحدم على السلطة بمصر سنة ٦٤ هـ تظاهر بموالاته . وقد برز منهم

---

(١) - ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٣٤ .
(٢) - الكندي : الولاة ، ص ٤٤ .
(٣) - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩٢
(٤) - المصدر السابق نفسه ص ، ١٢٢ .
(٥) - السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٠٥ . السمعاني : الانساب ، ص ٤٠٥ ب
(٦) - السيوطي : مصدر سابق ج ١ ص ١٠٥ .
(٧) - ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٢١ .
(٨) - المصدر السابق ، ص ١٢١ .
(٩) - المصدر السابق ، ص ١٢٢ .
(١٠) - من مواليهم عثمان بن العتيق أول من رجل من أهل مصر الى العراق في طلب الحديث . انظر الانساب : للسمعاني ، ص ١٦٤ ب .
(١١) - ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٢٠ .
(١٢) - المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٢ .
(١٣) - السمعاني : الانساب ص ٣٢٠ .

شخص آخر هو عياض بن عبيد الله الذي تولى قضاء مصر مرتين ما بين (٩٣ـ ٩٧ و ٩٩ ـ ١٠٠ هـ) [١] .

ثم قبيلة (غنث الأزدية [٢]) ، التي يذكر عنها مشاركتها بـ (سبع مائة رجل) في غزوة افريقية سنة ٢٧ هـ . وقد اختطوا بالفسطاط [٣] . وقبيلة (ميدعان) التي يذكر عنها أيضاً مشاركتها بسبعمائة رجل في غزوة افريقية من العام السابق نفسه وكان على رأسها شريك بن سمي [٤] . و (بنو الحارث بن زهران) حضر منهم فتح مصر ناشر الأزدي [٥] . و (بنو بحر) كانت خطتهم بالحمراوات الثلاث [٦] . ثم (... [٧]) و (بنو شبابة الأزد [٨]) و (خيثم [٩]) و (مازن [١٠]) التي هي ختام معرفتنا في بطون الأزد وقبائلها في مصر في هذه الفترة .

بعد ذلك ننتقل لدراسة قبيلة يمنية أخرى هي (همدان) التي لا تقل أهمية عن قبيلة الأزد السابق ذكرها .

٢ همـــدان :

شهدت همدان فتح مصر ، ويبدو أنها بذلت في الهجوم على حصن بابليون جهداً ملحوظاً سجله عمرو بن العاص في رجزه :

يوم لهمدان ويوم للصدف   والمنجنيق في بلى تختلف
عمرو يرقل ارقال الشيخ الخرف [١١]

كما شاركت في فتح الاسكندرية وبعد عودتها منها أمرها عمرو بن العاص أن تعسكر في الجيزة [١٢] مع بعض قبائل يمنية اخرى من الازد ، وحمير ، مثل يافع ، وذي أصبح والحجر ، والأفروع [١٣] . كما كانت معهم بعض خولان [١٤] ، وقد ذكرت المصادر وجود فرعي

---

(١) ـ السمعاني : الأنساب ص ٢٦ .
(٢) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه والصفحة .
(٤) ـ المصدر السابق ، ص ١٨٤ .
(٥) ـ الكندي : الولاة ، ص ١٣٠ .
(٦) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٦ ، ابن دقماق : الانتصار ، ط ٤ ، ص ٥ .
(٧) ـ النويري : نهاية الأرب ، ص ٢٦٢ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣ م ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٥ .
(٨) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٠ .
(٩) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١١٩ .
(١٠) ـ المصدر السابق والصفحة .
(١١) ـ = = = ، ص ٦٢ .

همدان الرئيسيين في مصر مع بعض بطونهما وهما قبيلة (بكيل) و (حاشد) .

أما بكيل : فيذكر عنها أنها شهدت فتح مصر ، وعسكرت بالجيزة ثم أقامت بها واختطت في جنوبها الشرقي[1] . كما ذُكر من بطونها في مصر قبيلة (أرحب) شهد منهم فتح مصر (بنو عوف) أو (بنو حجر) الذين عسكروا بالجيزة ثم اختطوا في القسم الجنوبي منها[2] ثم قبيلة (الحياوية) التي شهدت فتح مصر أيضاً وعسكروا بالجيزة وبنو خطتهم إلى جانب شقيقتها السابقة[3] .

أما الفرع الثاني لهمدان حاشد : فيُذكر عنها مشاركتها في فتح مصر ثم بناء خطتها في القسم الشمالي الغربي من الجيزة[4] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد انتشرت من همدان بطون أخرى في مصر مثل قبيلة (حمران) و (الأخروج[5]) .

٣ قبيلة كندة :

شهدت كندة فتح مصر في عدد كبير من أبنائها وقد ظلت قبيلة مهرة ـ من قضاعة من حمير ـ تتبعها في الديوان حتى سنة ١٠٢ هـ[6] ويبدو أنه كان لها مع قبيلة غافق مقابر خاصة هي التي دفن فيها الكندي ، صاحب كتاب الولاة والقضاة (٢٨٣ ـ ٣٥٠ هـ)[7] . ورجل من كندة يبرز في مصر هو (غرفة بن الحارث) الصحابي ، شهد فتح مصر وسكنها وحدَّث بها[8] . وكان حجر بن عدي الكندي رسول محمد بن أبي بكر أمير مصر سنة ٣٧ هـ إلى الثوار في فتنة عثمان الذين اعتصموا في (خربتا)[9] . وكانت ليلى أم عبد العزيز بن مروان كندية[10] . وكذلك جعفر بن ربيعة (ت ١٣٦ هـ) زميل يزيد بن أبي حبيب في النظر في الفتوى بمصر[11] .

---

(١) ـ ابن دقماق : الانتصار ، مصدر سابق ج ٤ ص ١٢٦
(٢) ـ المصدر السابق ج ٤ ص ١٢٦
(٣) ـ المصدر السابق نفسه والصفحة
(٤) ـ المصدر السابق نفسه والصفحة
(٥) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ١٦١ (أوب) ثم ص ٢٠ (؟) .
(٦) ـ الكندي : الولاة ، ص ٧٠ ـ ٧١ ط بيروت ١٩٠٨ م
(٧) ـ نفس المصدر السابق نفسه ص ٥ .
(٨) ـ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٩٤ .
(٩) ـ الكندي : الولاة ، ص ٢٨ .
(١٠) ـ المقريزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٨ ط بولاق والنيل ، ١٣٢٥ هـ .
(١١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ١٤٣٥ السيوطي : مصدر سابق ، ج ١ ص ١١٠ ، [illegible] تكملة كتاب الولاة ، ص ٢٥ .

وهكذا كان الكنديون في مصر بعد مشاركتهم الفعّالة في فتحها ما بين تائب وفقيه وقاض ومحدّث . وقد استقر في مصر إلى جانبها بطون عديدة منها .

أهمها :

قبيلة تجيب :- شاركت بشكل فعّال في الجيش العربي الإسلامي في معركة القادسية ثم تابعت (تجيب) سيرها من هناك تحت قيادة عمرو بن العاص [1] لفتح مصر . ويبدو أنها قامت بدور كبير في فتح مصر وفي الاستيلاء على حصن بابليون ما دعا شاعرهم إلى الفخر بقومه إذ قال :

وبابليون قد سعدنا بفتحها ... وحزنا لعمر الله فيئا ومغنما [2]

ولم تكتفِ تجيب الإقامة في الفسطاط فقد اتجهت نحو الغرب فكان منها قوم في جبل برقة الغربي مع غيرهم من بطون العرب اليمنيين [3] . ثم ساروا إلى اسبانيا حيث أصبح لهم نفوذ كبير في فترة ملوك الطوائف وفي عهد الخلفاء الامويين سواء بسواء [4] .

كانت تجيب من أولى القبائل العربية التي أقامت بمصر واختلطت بها [5] . ولما كانوا أخذوا الحضارة فقد أقام هؤلاء معهم أول الأمر [6] ، ونظرا لكثرة عدد التجيبين كان لهم مرتبعان : الأول - وكان لمعظمهم - في (تهي الاصيد) ، مركز السنبلاويين ، محافظة الدقهلية حالياً وسطة ووسيم [7] . والثاني : - لطائفة منهم مع مراد - في البدقون [8] وهذه الكورة تقع في محافظة البحيرة الحالية شاملة جزءاً من جميع والجزء الشمالي من مركزي ايتاي البارود والجزء الجنوبي من مركز شبرا خيت [9] .

---

(1) - الكندي : كتاب الولاة ، ص ٥ . مقدمة كست.
(2) - المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ٥٠ .
(3) - اليعقوبي : البلدان ، ص ١٣٢ - ط . بريل ١٨٦٠ م .
(4) - Encyclopaed of Islam, 11. P. 1019.
(5) - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٢ .
Encyclopaed of Islam, 11. P. 101.
(6) - ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٣ .
(7) - المساحة المصرية : الدليل الجغرافي ، ص ١٤٨ .
(8) - ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٤٢ .
(9) - المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ٥٠ .

ومن الطبيعي أن تبرز رجالات عظام من تجيب الكندية منذ اللحظات الأولى ، فهناك أبو قيان الشاعر(١) ، وعمار بن سعيد التابعي (ت ١٠٥ هـ(٢)) وجاد الذى تولى إحراق محمد بن أبي بكر سنة ٢٨ هـ(٣) وسليم بن عتر قاضي مصر (ت ٧٥ هـ(٤)) وهؤلاء جميعا من شخصيات تجيب التي شاركت بالفتح . بالإضافة إلى عياض بن غنم أمير الاسكندرية سنة ٨٤ هـ(٥) وابن أبي ارطأة أحد شراة الاسكندرية الذين حاولوا اغتيال قرة بن شريك سنة ٩١ هـ(٦) ، وشريح بن صفوان الذى قاد القراء في ثورتهم على أمير مصر سنة ١١٧ هـ(٧) .

بالإضافة إلى ذلك ، فقد كان لتجيب الكندية عدة بطون في مصر وأنه من المعروف أن قبيلة تجيب تتكون من أبناء سعد وعدى ابني أشرس(٨) ، وليس بطون تجيب في الواقع سوى الأسر التي تفرعت اليها ذرية سعد وعدى هذين وسوف نحاول التعرف عليهما الآن .

آ ـ بنو سعد : شهدوا فتح مصر واختطوا بها(٩) ، وكانت لهم مرحلة باسمهم في الطريق إلى الفسطاط وبهذه المرحلة نزل سعد بن أبي وقاص عندما قدم إلى مصر سنة ٣٥ هـ رسولاً من عثمان إلى الثوار المصريين . وذهب ابن أبي حذيفة زعيم الثوار بصحبة مائة منهم فقابله مقابلة عنيفة أرغمت ابن أبي وقاص على العودة إلى المدينة ساخطاً(١٠) . وكان بنو عتاهية أهمهم وأظهرهم بمصر . منهم مالك بن عتاهية الصحابي شهد فتح مصر(١١) ، وحفيده حسان بن عتاهية الصغير الذي ولي مصر سنة ١٢٧ هـ(١٢) .

ب ـ آل ايدعان بن سعد : بطن من تجيب شهدوا فتح مصر واختطوا بها(١٣) ، أهم

---

(١) ـ المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ٥ .
(٢) ـ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٠٦ .
(٣) ـ الكندى : الولاة ، ص ٢٩ .
(٤) ـ الكندى : القضاة ، ص ٣٠٢ ـ ٣١١ . السيوطي : مصدر سابق ، ج ١ ص ١١٨ .
(٥) ـ ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٠٨ .
(٦) ـ الكندي : الولاة ، ص ٦٤ .
(٧) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٧٨ .
(٨) ـ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ص ٢٤٨ .
(٩) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٢٢ .
(١٠) ـ الكندي : الولاة ص ١٢ .

من ظهر منهم بمصر كنانة بن بشر (ت ٣٦ هـ) كانت له خطة وكان يملك (المقلد)
أحد سيفي تجيب وكان من أبرز الثائرين على عثمان في مصر ، فقد كان رأس الشيعة الأولى
كما كان أحد القواد الستة للجيش المصري الذي سيره ابن أبي حذيفة إلى عثمان سنة ٣٥ هـ (١)

جـ ـ خلاوة : من بني سعد (٢) ، ظهر منهم بمصر زياد بن حناطة ، كان من شيعة بني أمية واحد الاشراف الذين قاموا بالصلح بين اهل مصر وبين مروان في ثورة ابن جحدم سنة ٦٥ هـ كما كان من كبار موظفي عبد العزيز بن مروان (٣) إلى جانب ذلك ، كان ابن أخيه سعد بن مالك المحدث (٤) وقيس بن الأشعث (ت ١٢٤ هـ) من كبار الموظفين بمصر (٥) .

د ـ بنو الأعجم : من بني سعد ، وقد شهدوا فتح مصر واختلطوا بالفسطاط (٦) كان من مواليهم أبو المهاجر البلهيي عريف موالي تجيب زمن معاوية (٧) .

هـ ـ بنو سوم : من بني عدي العرع الآخر لتجيب (٨) ، شهدوا فتح مصر واختطوا بها أشهر رجالهم ، قيسبة بن كلثوم الذي شهد الفتح ثم تنازل بلا مقابل عن المكان الذي احتله بجوار الحصن ليبني فيه المسلمون مسجدهم الجامع . وكان هذا الصنع سخاء استحق لأجله هو وابنه مدح الشعراء (٩) .

وقد ذكر عنهم معاداتهم لمروان بن الحكم ووقوفهم إلى جانب ابن جحدم سنة ٦٥ هـ (١٠) .

و ـ بنو أندى : من بني عدي ، منهم أبو سويد بن قيس ، كانت له منزلة رفيعة عند عبد العزيز بن مروان (١١) . أما مواليهم ، فكان منهم عبد الرحمن بن يحنس

---

(١) ـ الكندي : الولاة ، ص ١٧ ـ ٢٠ المقريزي : الخطط ج ٤ ص ١٤٨ .
(٢) ـ السمعاني : الانساب ص ١٨٢ آ ، ٢١٣ ب
(٣) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٤ الكندي الولاة ، ص ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١
(٤) ـ السمعاني : الانساب ، ص ١٨٢ آ ، ٢١٣ ب
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٣ ب الكندي : الولاة ، ص ٨١
(٦) ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٨٢ السمعاني : الانساب ، ص ٤٤ آ .
(٧) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٨٤ . ياقوت الحموي : المعجم ج ٢ ص ٢٨٢
(٨) ـ السمعاني : الانساب ، ص ٣١٨ آ الكندي : الولاة ، ص ١٣٠
(٩) ـ المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ٥
(١٠) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٥
(١١) ـ السمعاني : الانساب ، ص ٥٠ آ .

الذي قتل عبدالله بن الزبير سنة ٧٣ هـ فكافأه عبد العزيز بن مروان بسخاء (١) .

ع ـ بنو فهم : بطن من عدي كذلك ، منهم قيس بن سلامة من أعوان محمد بن أبي بكر والمهاجر بن أبي المثنى زعيم الشراة الذين تعاقدوا بالاسكندرية على قتل قرة بن شريك سنة ٩١ هـ (٢) .

غ ـ بنو عامر : من بني عدي شهدوا فتح مصر واختطوا شرقي الحصن بمصر (٣) .

ف ـ زميلة : بطن من تجيب ، كانوا من شيعة عثمان ، ثم الأمويون من بعده كان من أعظم رجالهم عبدالله بن قيس الذي استخلفه عتبة بن أبي سفيان على مصر سنة ٤٤ هـ ، وكان فيه شدة على بعض أهلها (٤) ، وكان سعيد بن سلمة بن مخرمة من محدثي مصر (٥) .

أما موالي زميلة فأهمهم اسرة حرملة بن عمران المحدث المصري (٦) ومنهم حفيد حرملة يحيى بن عبدالله صاحب مسائل العمرى قاضي مصر (٧) أما حرملة بن يحيى الفقيه الكبير ، فلم يكن أهم أفراد هذه الاسرة فقط بل كان أهم الشخصيات العلمية بمصر كلها (٨) .

ق ـ قتيرة : بطن من تجيب أشهر رجالهم في مصر مقسم بن بجرة كان من أنصار عثمان بمصر سنة ٣٥ هـ ثم بني أمية من بعده سنة ٦٤ هـ (٩) . ومنهم كذلك حبيب بن الشهيد من أيمة مصر المجتهدين وفقيه طرابلس والمغرب (١٠) .

ك ـ عباد : بطن من تجيب نزل مصر (١١) .

ل ـ بنو القرناء : بطن من تجيب أيضاً منهم شريك بن سويد شهد فتح مصر (١٢) .

---

(١) ـ الكندي : الولاة ، ص ٥١ ، القضاة ، ص ٣٢١ ، السمعاني : الأنساب ، ص ٥٠ آ .
(٢) ـ الكندي : الولاة ، ص ٦٤ .
(٣) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٩ . الكندي : الولاة ، ص ١١٩ .
(٤) ـ الكندي : الولاة ، ص ٣٥ .
(٥) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ٢٧٨ آ .
(٦) ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ١٦٠ ، السيوطي : مصدر سابق ج ١ ص ١١٠ .
(٧) ـ الكندي : القضاة ، ص ٣٩٥ ، ٤١٨ .
(٨) ـ ابن خلكان : مصدر سابق ، ج ١ ص ١٥٩ ، السيوطي : مصدر سابق ، ج ١ ص ١٢٣ .
(٩) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ٤٤٣ آ .
(١٠) ـ السيوطي : مصدر سابق ، ج ١ ص ١١٩ ، السمعاني : مصدر سابق ص ٤٤٣ .
(١١) ـ السمعاني : مصدر سابق ، ص ٣٨٠ آ .
(١٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٤٤٨ ب

ى ـ بنو الفصال[1] : بطن من تجيب وكذلك بنو (فرد م)[2] .

من خلال هذا كله نستطيع أن نقول عن تجيب من خلال كثرة عدد بطونها أنه دليل واضح على ضخامة عدد من جاء منها إلى مصر .

وان امتلاكها (المقلد) و (عريض بني حديج) ، وهما من أشهر سيوف العرب دليل على تفوقها العسكري . وكان إعفاء سلمة بن مخلد إياها من الأمر الذي أصدره سنة ٣٠هـ إلى القبائل بابتناء منار المساجد كلها آية أخرى من آيات تميزها[3] .

كما برز من تجيب في تلك الفترة ومن مواليها حشداً كبيراً من الصحابة والتابعين والأمراء والموظفين الكبار والقادة والقضاة والفقهاء والرواة والشعراء والثوار .

وقد طرقت تجيب أبواب الشهرة بمصر حتى أنها كانت قريبة من ألسنة الشعراء حين يتحدثون عن مصر وقد ذكرها عمران بن حطان يذكرها وهو يرحب بالخوارج من أهل العراق ـ الأزد ـ الذين نفاهم زياد بن أبيه إلى مصر ما بين سنة) (٤٥ ـ ٥٣هـ)[4] .

وذكرها جميل وهو يتحدث عن بثينة حين سكنت مصر بقوله :

مجاورة بمسكنها تجيبـــــا   وما هي حين تسأل من مجيب[5]

كما ذكرها عبد الرحمن بن الحكم وهو يصف هول المعارك بين أخيه وبين ابن جحدم سنة ٦٥هـ بقولـــه :

وجاشت لنا الأرض من نحوهــم   بحيي تجيب ومن غافـــــق[6]

بالإضافة إلى ذلك ، كان لتجيب في المجال العلمي باع طويل في مصر فأسرتان من مواليها ، أسرة حرملة بن عمران ، وأسرة سليمان بن برد حفلتا بالفقهاء .

ومن بطون كندة التي شهدت فتح مصر واختطت بها قبيلة (السكاسك)[7] ثم قبيلة (تجيب) من بني الحارث بن معاويــة[8] وقبيلة (السكون) التي اشـــترك قســم

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٤٤٨ ب
(٢) ـ الكندي : القضاة ، ص٢٩٧ . السمعاني : الأنساب ، ص٤٢٣ آ .
(٣) ـ الكندي : الولاة ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .
(٤) ـ عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية بمصر ، ص ١٢٢ .
(٥) ـ ياقوت الحموي : المعجم ، ج ٨ ص ٧٦ ـ ٧٧ .
(٦) ـ الكندي : الولاة ، ص ٤٤ .
(٧) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٦ ـ ١٢٨ .
(٨) ـ السمعاني : الانساب ، ص ٧٢ آ .

كبير منها في فتح مصر (١) وقد اشتهر منهم بشكل جلي هناك الحديجيون ذرية معاوية ابن حديج السكوني (ت ٥٢ هـ) الذي شغل دوراً بارزاً في فتنة عثمان دوراً غير بموجبه مجرى التاريخ في مصر ان لم يكن في العالم الإسلامي كله . فبحنكته السياسية والعسكرية خرجت مصر من سلطان علي إلى سلطان معاوية (٢) .

بمراجعة تاريخ الحديجيين في مصر يتضح لنا ، إن أسرتهم كانت من أهم أسر الأشراف أو الطبقة الأرستقراطية في المجتمع المصري في تلك الفترة . فقد ظهر بعد عبد هم معاوية بن حديج ابن عبد الرحمن (ت ٩٥ هـ) الذي كان من كبار رجال الدولة إلى جانب كونه من أئمة مصر المجتهدين (٣) .

ولعل عبد الواحد بن عبد الرحمن هذا الذي ولي قضاء مصر ما بين (٧٩ـ ٩٠هـ) من أندر القضاة الذين عرفهم التاريخ الإسلامي ، فقد ولي القضاء وعمره خمس وعشرون سنة فلم تعلق عليه بشيء (٤) .

وتولى أخوه عبد الله بن عبد الرحمن مناصب الشرطة ابتداء من عام ١١٩ هـ (٥) .

هذا العرض لشخصيات الحديجيين يظهر أهمية هذه الأسرة في مصر ، فقد حفلت بعدد كبير من رجال الدولة والحرب والعلم وأثرت في مختلف نواحي الحياة المصرية .

ـ قبيلة لخم : ـ

يذكر أهل الأخبار عن قبيلة لخم انها خرجت مع عمرو بن العاص لفتح مصر أثناء مروره في منطقة تجمعهم في منطقة جبل الحلال الواقع دون العريش من ناحية الشام (٦) .

ويبدو أن لخماً كانت كثيرة العدد في مصر ويظهر هذا من خطتها التي يقول عنها ابن عبد الحكم أنها كبيرة جداً . والواقع أنها كانت ثلاث خطط لا واحدة (٧) . بالإضافة إلى ذلك فإن من آيات كثرتها ارتباعها في كور ثلاث : الفيوم : وطرابية ، وقربيط (٨) .

---

(١) ـ ينظر مقدمة كست لكتاب الكندي الولاة ، ص ٥ .
(٢) ـ الكندي : الولاة ، ص ١٥ ـ ١٨ ـ (٢ ، ٢٧ ـ ٣٠ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٤ . القضاة ، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦ .
(٤) ـ الكندي : القضاة ، ص ٣٢٨ ، ٣٣٠ .
(٥) ـ الكندي : الولاة ، ص ٨١ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ .
(٦) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٥٨ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٠٩ .
(٧) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٩ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٣ .
(٨) ـ فتوح مصر : ابن عبد الحكم ، ص ١٤٢ .

وان قبيلة خشين — من قضاعة ، من حمير — ظلت تتبعها في الديوان حتى سنة ١٠٢هـ[١]

ويذكر عن لخم ان معظم قبائلها اختطت في منطقة جبل يشكر ، كما اقام قسم كبير منهم بالاسكندرية حيث شغلوا دورا تاريخيا مميزا بالنسبة لتاريخهم وتاريخ مصر عامة[٢] كما أقام منهم بصعيد مصر بالبر الشرقي[٣] ، ثم زحفوا غربا حيث أقاموا في جبل برقة الشرقي مع آخرين من اهل اليمن[٤] .

وقد ظهرت شخصيات من لخم على مسرح الحياة بمصر منذ اللحظة الاولى لدخولهم اياها فكان هناك لقيط بن عدي الصحابي من قواد عمرو بن العاص[٥] والقائد عمرو بن قيس الذي قتل في جمع كبير من الناس لما نزلت الروم (البرلس) سنة ٥٣ هـ[٦] .

ويبدو ان اتجاهها السياسي كان معاديا للخليفة الثالث عثمان (رضي) فكان منهم تميم بن حرمل من قادة ابن ابي حذيفة[٧] ، وحمام بن عامر الذي حضر الدار ، وحكم مصر نيابة عن الاشتر النخعي سنة ٣٧هـ[٨] ، أما الاكدر ابنه سيد لخم وشيخها فقد حضر الدار مع ابيه وقاوم مروان بن الحكم مقاومة عنيفة جعلت مروان يبدا بالتخلص منه بمجرد فراغه من امر ابن جحدم سنة ٦٥ هـ[٩] .

ولما فتح مروان بن الحكم مصرا استسلمت قبيلة لخم وأصبحت — ولا سيما مواليها النصيريون (أولاد موسى بن نصير) — من أنصار الأمويين فلما بدأت الدعوة العباسية تهز اركان الدولة الأموية شاركت لخم في إسقاط الأخيرة فكان أيوب بن برغوث من رؤساء فتنة خلع مروان بمصر سنة (١٢٧ — ١٢٨ هـ)[١٠] ووالوا العباسيين ، فكان الضحاك بن محمد — أحد أشراف أهل مصر — من أعوان العباسيين وقادتهم ما بين (١٣٦ — ١٣٧ هـ)[١١] .

---

(١) — الكندي : الولاة ص ٧١.
(٢) — المصدر السابق ، ص ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٢ — ١٦٣.
(٣) — اليعقوبي : البلدان ، ص ١٣٢.
(٤) — القلقشندي : نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، ص ٣٣٢.
(٥) — السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٩٦.
(٦) — ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٤ ، الكندي : الولاة ، ص ٣٨.
(٧) — الكندي : الولاة ص ١٩.
(٨) — المصدر نفسه ، ص ٢٦.
(٩) — المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦ ، ٤٣ — ٤٦ ، السيوطي : مصدر سابق ، ج ١ ص ٧٤ — ٧٥.
(١٠) — الكندي : الولاة ص ٩٠.
(١١) — المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٢ — ١٠٣.

وقبل أن ننهي حديثنا عن لخم وتاريخ استقرارها في مصر لا بدّ لنا من الإشـــارة إلى المركز الهام الذي شغله مواليهم من أولاد موسى بن نصير في تاريخ قبيلة لخـــم وتاريخ مصر عامــة .

فقد ذكر عن موسى بن نصير نفسه (ت ٩٢ هـ) إقامته بمصر زمنا مع عبد العزيز ابن مروان وزيراً له ومشيراً ثم انطلق الى المغرب يفتتحه[١] ، حتى بلغ الأندلس فيما بعد بينما ظل أحفاده بمصر يشغلون بها أهم الأدوار ، فولي عبد الملك بن مروان خراج مصر ثم ولي صلاتها سنة ١٣٢ هـ[٢] في تلك الفترة الدقيقة عندما كانت الأمور تتسرب من أيدي الأمويين إلى العباسيين وولى أخاه معاوية الشرطة[٣] . كما استعان بموسى ابن المهند القائد لاخماد ثورة القيسية في الحوف الشرقي سنة ١٣٢ هـ ضد الأمويين[٤] كما كان لموالي لخم النصير بين زقاق باسمهم في الفسطاط[٥] .

وقد اشتهرت عدد من بطون لخم اليمنية بمصر مثل قبيلة (راشدة) التي شهدت فتح مصر مع عمرو بن العاص واستقرت بظاهر الفسطاط[٦] . كما مثلت بطونها القسم الأكبر من قبيلة لخم في صعيد مصر بالبر الشرقي ، وهي المنطقة التي كان الأمويون يكثرون من التردد عليها[٧] . وانضمت راشدة إلى علي وحاربت مع محمد بن أبي بكر ضد جيوش معاوية العثمانية . فلما انهزم المصريون في (المسناة) سنة ٣٨ هـ لجأوا الى حصن بابليون وولوا أمرهم (قيس بن عدي من راشدة)[٨] . ثم (بنو التشيب) من بطون لخم التي استقرت في (بركوت) من شرقية أرض مصر[٩] وظهر منهم رجال عظام[١٠] ، وقبيلة (يشكر) التي شهدت فتح مصر واليها ينسب جبل يشكر الذي بني عليه جامع أحمد بن طولون فيما بعد (٢٦٣ هـ) لأنهم اختطوا عليه وكانت خطتهم

---

(١) _ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٠٣ _ ٢٠٤ الكندي : الولاة ، ص ٤٧ ، ٥٢ _ ٥٣ .
(٢) _ الكندي : الولاة ، ص ٩٣ _ ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠١ .
(٣) _ المصدر السابق نفسه ، ص ٩٢ .
(٤) _ المصدر السابق نفسه ، ص ٩٤ .
(٥) _ ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ١٩ .
(٦) _ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٨ .
(٧) _ عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية في مصر ، ص ٧١ .
(٨) _ الكندي : القضاة ، ص ٢٩ _ ٣٠ .
(٩) _ السمعاني : الانساب ، ص ٧٥ ، ب
(١٠) _ ياقوت الحموي : المعجم ، ج ٢ ص ١٥١ . السمعاني : الأنساب ، ص ٧٥ ، ب ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٨ . الكندي : الولاة ، ص ٥٤ . السيوطي حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩ .

تلك تقع عند ذلك في الحمراوات الثلاث وهي خطط القبائل من غير الجنس العربي (١) .
بالاضافة الى (بني حدير)(٢) و (بني عدي)(٣) .

٥ ـ قبيلة جذام : ـ

قدمت مع عمرو بن العاص إلى مصر وشهدت الفتح (٤) ، وهم يتفقون مع لخم في أمور كثيرة بحكم الصلة القديمة القوية بينهما فقد كان نفر منهم معها في خطتها (٥) وكان نفر منهم في اللفيف مثلها (٦) . وكانوا يرتبعون في طرابية وتربيط (٧) وهما جزء من مرتبع لخم . كما تحرك قسم منهم نحو الغرب فأقام بعضهم في جبلي برقة الشرقي والغربي وسكن قسم منهم العريش (٨) .

ومن مواقف جذام السياسية في مصر في تلك الفترة معاداتها لعثمان حيث اشتركت في التخلص منه وقاومت الأمويين حتى عاد مروان ففتح مصر سنة ٦٥ هـ ومن المهم أن نلحظ روح بن زنباع زعيم جذام بفلسطين والشام وأحد كبار رجال الدولة الأموية ، كان في جيش مروان الذي غزا به مصر وقتذاك (٩) . ويبدو أن روحاً هذا خلف عدداً من بنيه بمصر كانوا يؤيدون السياسية الأموية بها .

وكانت الصلة قائمة وقوية بين من بفلسطين ومن بمصر من جذام فلما ثار ابن نعيم الجذامي على مروان ـ الملقب بالحمار لشدة صبره ـ بفلسطين سنة ١٢٧ هـ دعا المصريين الى مشاركتهم وأرسل اليهم رسولاً حرضهم على خلع مروان . فلما فشلت حركته أراد الالتجاء الى مصر (١٠) .

وبالرغم من الطابع العنيف الذي وسم حياة جذام بمصر ظهر فيها بكر ابن سوادة (ت ١٢٨ هـ)(١١) وعثمان بن الحكم (ت ١٦٣هـ) من أئمة مصر المجتهدين (١٢) .

---

(١) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢١ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ، ص ٥ .
(٢) ـ القلقشندي : مصدر سابق ، ص ١٩٢ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٩١ .
(٤) ـ الجاحظ : البيان والتبيين ، ص ٢٧ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ص ١٧٤ .
(٥) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٩ .
(٦) ـ ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٤ .
(٧) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٨) ـ اليعقوبي : البلدان ، ص ١١٨ ، ١٣٢ .
(٩) ـ الكندي : الولاة ، ص ٤٣ .
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٨٥ ـ ٨٧ .
(١١) ـ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١١٩ ، السمعاني : الانساب ، ص ١٢٥ .
(١٢) ـ السيوطي : مصدر سابق ، ج ١ ص ١٢١ .

وقد اشتهر من مواليهم ابن سندر الخصي الذى اقطعه عمر بن الخطاب دارًا وأرضا واسعة (١) . وقد عاش في مصر من جذام عدة بطون اهمها :

قبيلة جرى : التي استقرت بالغرما والبقارة والورادة (٢) . ومن أهم شخصيات جرى عبد السلام بن أبي الماضي الذى ظل يتزعم ثورات اليمانية من أهل الحوف (٣) ، بمصر لمدة طويلة .

ثم قبيلة سعد : التي شهدت الفتح وشاركت لخم في مرتبعها في بسطة وغربيط وطرابية (٤) . وكذلك قبيلة وائل التي اختطت بمصر (٥) وجاورت الفرس بناحيتهم (٦) وكانوا يرتبعون مع قبيلة سعد في مرتبعها (٧) .

وفي ختام حديثنا عن جذام يذكر المؤرخون أن قبيلة لخم وجذام كانتا في صف معاوية بما هما من قبائل الشام (٨) . وفي مصر لا يستقيم هذا القول ، فقد رأينا أن لخما ظلت معادية لعثمان والأمويين حتى مجئ مروان ابن الحكم . ثم رأينا القبيلتين كليتهما تعملان على إسقاط الدولة الأموية وإن كان يبدو أنهما آثرتا الهدوء طوال العهد المرواني .

ب- قبيلة المعافر :

من القبائل اليمنية الهامة التي شاركت في فتح مصر تحت قيادة عمرو بن العاص واختطوا إلى جانبه حول الجامع بعد الفتح ، غير أن عمرًا نقلهم الى مكان آخر لم يكن أقل أهمية من موقعهم الأول ، هو الجبل المشرف على البركة التي اطلق اسمهم عليها وشاركهم في موقعهم هذا بعض قبائل من حمير (٩) .

كما كان مرتبعهم في اتريب ، وسنحا (بكفر الشيخ الحالية (١٠)) ، ومنوف (١١) ويبدو أن قسمًا منهم أقام بالاسكندرية (١٢) .

---

(١) _ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص١٢٧_١٢٨؛ المقريزى : الخطط : ج ٢ ص٢٢٢_ ٢٢٣ .

(٢) _ السمعاني : الأنساب ، ص ١٢٨ ب .

(٣) _ الكندى : الولاة ، ص ١٨٦ _ ١٨٩ .

(٤) _ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

(٥) _ المصدر السابق نفسه ، ص١٢٨؛ ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٦) _ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٩.

(٧) _ المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٢.

(٨) _ Encyclopaed of Islam Ibid, 1, P. 1059 &111.P11.

(٩) _ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ١٢٦ _ ١٢٧ .

(١٠) _ Amé. P410 & Tourroun. P. 32 .

(١١) _ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٤٢.

وليس تعدد مرتبعات قبيلة المعافر هو الدليل الوحيد على كبر عددها ، فقد ذكر القضاعي أنها كانت في حرب ابن جحدم ضد مروان (٦٤ ـ ٦٥ هـ) ((اكثر قبائل أهل مصر عدداً ، كانوا عشرين ألفاً (١))) .

ويبدو أن المعافر لم تظهر بشكل فعلي في الحياة العامة حتى جاءت حركة ابن جحدم التي اشتركوا فيها اشتراكاً يدلّ على أهميته الرقم الذى ذكرناه سابقاً الى جانب الصورة القوية التي سجلها عبد الرحمن بن الحكم في قوله :

وسدت معافر أفق البلاد بجرعد جيش لها مبرق (٢)

وهذا الاشتراك دليل ميولهم المعادية للأمويين ، وقد حملوا نصيباً كبيراً من هذا الصراع وقتل منهم نتيجة لذلك اعداد كبيرة . ويبدو من غرائب الامور أن يكون أحدهم (عبد الرحمن بن موهب) من بين الأشراف الذين قاموا في الصلح بين أهل مصر وبين مروان (٣) .

ولكن جزءاً من القبيلة رفض ذلك الصلح ، فقد اضطر مروان إلى قتل ثمانين رجلاً منهم أبوا أن يخلعوا بيعة ابن الزبير ليبايعوه هو (٤) .

وكما لفتت المعافر الانظار بهذه الحوادث في القرن الأول عادت فلفتتها في القرن الثاني (سنة ١١٧ هـ) عندما تحدت الخليفة نفسه إذ رفضت استعمال (المدى) الذى أراد توحيد الكيال به في بلاد خلافته ، مؤثرة عليه الكيال المحلي من (المصرية) و (الأردب) (٥) .

هذه الأحداث جميعها التي شغلتها قبيلة المعافر فإنها ان دلت على شيء فانها تدل على معاداتها للبيت الاموى إلاّ ما خرج منهم عن هذه السياسية مثل عبد الرحمن ابن موهب الذى سبق ذكره ، ويزيد بن أبي أمية الرجل الوحيد الذى خالف إجماع أهل مصر على خلع مروان ابن محمد لما دعاهم إلى ذلك الثوار اليمانيون سنة ١٢٧ هـ (٦) ، وعبد الرحمن بن عتبة الذى أخمد ثورة يحنس القبطي (بسمنود) سنة

---

(١) ـ المقريزى : الخطط ، ج ٤ ص ٣٤٠ .
(٢) ـ الكندى : الولاة ، ص ٤٤ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٤٥ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه والصفحة .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .
(٦) ـ المصدر السابق ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ .

١٢١ هـ[1] .

إلى جانب ذلك فقد اشتهر بمصر بطون عديد من المعافر أهمها : (بنو كاسر المدى) . وكاسر المدى هو عبد الرحمن بن حيويل بن ناشرة ، أطلق عليه هذا اللقب لما كسر مدى هشام سنة ١١٧ هـ وصار نسباً لبنيه أمّا والده حيويل ، كان من وكل إليهم عمرو بن العاص تقسيم خطط الفسطاط سنة ٢١ هـ[2] . ثم قبيلة (شعبان) التي اشتهر منهم سعيد بن يعقوب حيث ولي الحرس والأعوان لعبد العزيز بن مروان[3] . (والأعوق) منهم عقبة بن نافع المحدث ... المتوفي بالاسكندرية[4] . و(بنو خلف) و (بنو موهب) الذين اختطوا في المعافر[5] ، وقبيلة (بشر) و (القرافة[6]) و (بنو سريع) و (الأخمور) (والأهجور[7]) ، و (توجم) و (بنو كمونسه) و (فوتى[8]) و (خليفة)[9] ، و (ناشرة[10]) و (الجلي[11]) و (الجيزا)[12] .

٧ـ قبيلة خولان : ـ

شاركت قبيلة خولان في فتح مصر واختطت بالفسطاط وكانت ترتبع في قرى اهناس والبهنسا ، والقيس[13] .

---

(١) ـ المصدر نفسه ، ص ٩٤ ، ١٠٢ .
(٢) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٨٨ . الكندى : الولاة ص ٣٤ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٣ .
(٣) ـ الكندى : الولاة ، ص ٥٣ . السمعاني : الأنساب ، ص ٣٣٤ آ .
(٤) ـ الانساب : للسمعاني ، ص ٤٥ آ ، ٤٩٤ أ .
(٥) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٨ .
(٦) ـ اطلق اسمهم على موضعين نزلا بهما . الأول بالاسكندرية . والثاني بمصر المقريزى : الخطط : ج ٤ ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ . السمعاني : الانساب ٤٤٥ ب
(٧) ـ اشتهر منهم أبو الفرج بهد بن منصور كان محدث في جامع الأهجور : السمعاني : الانساب ب ، ص ٥٣ ب
(٨) ـ منهم سحبان بن هانئ بن خير الشهير بهذا البطن : السمعاني : الانساب ، ص ٤٣٤ أ .
(٩) ـ ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٤ ص ١٩٦ الحازمي : عجالة المبتدى ، ص ٤٢ .
(١٠) ـ الحازمي : مصدر سابق ، ص ١٠٣ .
(١١) ـ ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٣ ص ٢٣٩ .
(١٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ١٢٩ .
(١٣) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٥ ، ١٤٢ .

وكان عمرو بن قحزم وذريتـه ممن اشتهر من الخولانيين في مصر . أما عمرو نفسه فكان واحد ممن أشرف على تخطيط الفسطاط من بين البمنيين الأربعة[1] ، الذين كلفهم عمرو بن العاص لهذه المهمة . بالإضافة إلى ذلك فقد كان عمرو بن قحزم نفسه من وجوه شيعة عثمان الذين اعتزلوا ابن أبي حذيفة سنة ٣٥ هـ[2] .

وكان ابنه عبد الرحمن من رجال الدولة في العهد المرواني[3] . ومن غير آل عمرو ابن قحزم نجد من خولان في مصر أروى بنت راشد احدى زوجتي مسلمة بن مخلد أمير مصر (٤٧ ـ ٦٢ هـ) وقد شفعت في قومها عنده لما أمر القبائل ببناء المنار في جميع المساجد سنة ٥٣ هـ فاستثناهم مسلمة[4] .

وكان عبد الرحمن بن حجيرة (٦٩ ـ ٨٣ هـ) من أفقه الناس ، جمع له القضاء بالقصص وبيت المال[5] . وكان ابنه عبد الله قاضيا لمصر كأبيه (٩٠ ـ ٩٨ هـ)[6] ، وكان مالك بن شراحيل (ت ٨٥ هـ) من أهم رجال الدولة بمصر ، فكان يقود بعث البحر الذي سيره عبد العزيز بن مروان من مصر إلى الكوفة سنة ٧٢ هـ لقتال ابن الزبير ، ثم ولي القضاء سنة ٨٣ هـ وكان الحجاج ابن يوسف الثقفي يبعث في كل سنة إليه بحلة وثلاثة آلاف درهم[7] .

وهكذا حفلت خولان بالقادة والقضاة ورجال الدولة .
وكان لخولان بطون في مصر هي :

بنو عبد الله ، وبنو جمل[8] ، والأديم ، والجديدة[9] ، وسعد[10] وحدس الحيا[11] .

---

(١) ـ المكلفون بتخطيط الفسطاط : معاوية بن حديج الكندي ، شريك بن سمي القطيفي المرادي ، عمرو بن قحزوم الخولاني ، وحيويل بن ناشرة المعافري ينظر المقريزي : الخطط ، ج ٢ ص ٧١ .
(٢) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ الكندي : الولاة ، ص ١٥ ، ابن دقماق الانتصار ج ٤ ص ٣ .
(٣) ـ الكندي : الولاة ، ص ٥٩ . القضاة ، ص ٣٢٦ .
(٤) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٣١ ، الكندي : الولاة ، ص ٣٨ ، ٥٤ .
(٥) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٣٥ الكندي : القضاة ، ص ٣١٤ ـ ٣١٩ .
(٦) ـ الكندي : القضاة ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٣ .
(٧) ـ المصدر السابق : القضاة ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢ الولاة ، ص ٥١ .
(٨) ـ ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٣٥ .
(٩) ـ قاموس المحيط : مادة (رزح) . السمعاني : الانساب ، ص ١٢٣ ب
(١٠) ـ السمعاني : الانساب ، ص ٢٩٨ أ .

٨ ـ قبيلة مذحج : ـ

شهدت مذحج فتح مصر واختطت بالفسطاط ما بين خولان وتجيب[١] ، وكان لها شأن خطير في السياسة المصرية واشتركت مع علي في حرب معاوية ، برز من رجالها الأشتر النخعي أمير مصر لعلي الذى سم عند جسر القلزم في أول رجب سنة ٣٧ هـ قبل أن يدخل مصر[٢] .

وقد مثلت مذحج في مصر قبائل عدة هي :

مراد : كان مرتبعها في منف الفيوم . كما كانت طائفة منهم ترتبع مع تجيب بالبدقون (في محافظة البحيرة حالياً) [٣] ثم في اتريب[٤] .

وقد ذكر عدد من أهل الاخبار بطون عدة من مراد في مصر بعد الفتح مثل قبيلة رضا[٥] ، وعبس[٦] ، وزوف[٧] . وغطيف الذين نزلوا مصر[٨] ، واختطوا هم وعلان في مراد[٩] ، وظهر منهم عدد من الشخصيات المهمة مثل شريك بن سمي الذى كان على مقدمة جيش عمرو بن العاص يوم فتح مصر وهو الذى سمي كوم شريك باسمه[١٠] . وعلقمة بن يزيد أحد كبار قواد الجيش طوال عهد الفتح[١١] .

وعابس بن سعيد الذى ظل منذ سنة ٤٩ هـ حتى وفاته سنة ٦٨ هـ يتقلب في مناصب الشرطة والقضاء وكان من شيعة بني أمية بمصر[١٢] .

قبيلة بنو جمل : وقد اشتهر من مواليها (عامر جمل) الذى بشر معاوية ابن أبي سفيان بقتل محمد بن ابي بكر . ومما يدل على أهميته أنه كان عريف

---

(١) ـ ابن عبد الحكم ، مصدر سابق ، ص١٢٦ . ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٤.
(٢) ـ الكندي : الولاة ، ص ٢٢ ـ ٢٥.
(٣) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٦ ، ١٤٢.
(٤) ـ الكندي : القضاة ص ٢٦٥.
(٥) ـ ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٣٥.
(٦) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٢٦ ، ١٤٢.
(٧) ـ ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٢٥. ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص١٢٦ ، ١٤٢.
(٨) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٢٥. ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ١٢٥.
(٩) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٦.
(١٠) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٣ ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٠٣.
(١١) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٩٠ ـ ١٩٢ الكندى : الولاة ص ٣٦.
(١٢) ـ الكندى : الولاة ، ص ٣٨ ـ ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٨ القضاة ، ص ٣١٠ ـ ٣١٣ .

موالي مذحج جميعاً [1] . بالاضافة إلى قبيلة وعلان [2] ، وسلمهم [3] ، وكعب [4] ونبسة ، وتدؤل الذي كان لهذا البطن من مراد شهرة تاريخية لكون عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب منه [5] .

وكان من مذحج بالاضافة إلى مراد وبطونها قبيلة سعد العشيرة حيث ذكر بطن واحد منها فقط في مصر هو قبيلة (زبيد) الذي برز من رجالهم (حومل) قاتل البطريق الرومي [6] . وقبيلة جلد الذي ظهر من بطونها بمصر بنو الحارث بن كعب ، وقبيلة النخع التي اشتهر من رجالها كما ذكرنا سابقا الأشتر النخعي والي على مصر سنة ٣٧ هـ والذي قتل قبل أن يدخلها .

ثم قبيلة جنب وهم الأخوة الستة الذين جانبوا اخاهم وحالفوا سعد العشيرة [7] . وقبيلة بديعة [8] .

٩ـ الاشعريون : ـ

شهد الاشعريون فتح مصر . وكانت خطتهم جزءاً من خطة المعافر [9] ، وكانت منهم ضد البيت الاموي فقد اشتركوا مع ابن جحدم في حربه ضد مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ وقد سجل عبد الرحمن بن الحكم لها ذلك في قوله :

وأحياء مذحج والاشعرين وحمير كاللهب المحرق [10]

وقد عرف منهم في مصر بطنان هما : بشرسنم [11] ، والاكثوع [12] .

---

(١) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ٣٢٥ ب
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٥٨٥ آ . ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص١٢٥ ـ ١٢٦ .
(٣) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٣ . السمعاني : الأنساب ، ص ٣٠٤ آ .
(٤) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ٤٨٤ ب
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٤ آ .
(٦) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .
(٧) ـ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٤ ص ٢٤٩ . ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٢٦ .
(٨) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٢٦ .
(٩) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٦ .
(١٠) ـ الكندي : الولاة ، ص ٤٤ .
(١١) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ٣٥٥ ب
(١٢) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٦ .

١٠ ـ قبيلة حميـــــــر :ـ

شاركت العديد من قبائل حمير في معارك فتح مصر واستوطنت بعد الفتح فـــــي مكانيـــن رئيســـيين • فقد نزل بعضها في الفسطاط إلى الجنوب من مذحج وخولان ،بينما نزل القســم الباقي في الجيزة • والملاحظة البارزة على خططهم في كلا المكانيين أن ، القبائل التي ذكرتها الروايات مع حمير في منطقتها باليمن رافقتها إلى الفسطاط فقد نــزل معها بنو موهب من الأشعريين ، والسكاسك ،وسبأ ،وعبس عن زرق • وقد حافظت حميــــر على وحدتها في الفسطاط وظهر هذا واضحاً عندما انتقلت المعافر من خطتها مع أهـــل الراية ونزلت مع حمير [١] • ومن بطون حمير في الفسطاط القبائل التالية :

سبأ بن حمير • استقروا بمصر [٢] ، ومنهم السحول [٣] ،وكانوا مع رعين ثم ابـــن ذي هجران [٤] ، وآل ذي خليل [٥] ، والصنعاني [٦] واليس [٧] • ثم آل ذي يزن [٨] ،وبنو عبس [٩] • من زوف (وزوف من مراد فالراجح أنهـــم محالفين لذي رعين) •

قبيلة ذي الكلاع : التي استقرت مع عشائر من حمير في القسم الغربي من خطتهـــم وكان من بطون العشيرة في الفسطاط بنو نخلان والزيادي والخبائر وتميمـــة والســـلف •

ذو رعيـــن : من عشائر حمير الكبيرة سكن بعضها في الفسطاط ، وسكن البعض في الجيزة مع قبائل حمير هناك • وظهر في العشيرة عدد كبير من العلماء [١٠] ومـــن بطونهـــا ميتم [١١] ، والقبض [١٢] ،وناشرة من قتبان [١٣] ،والعبل [١٤]

---

(١) ـ الحازمي : عجالة المبتدي ، ص٦٨•
(٢) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٦٤•
(٣) ـ ابن ماكولا : الاكمال ،ج ١ ص ٩٠ ،ج ٤ ص ٥٣٣• الحازمي : مصدر سابق ص ٧٢•
(٤) ـ الحازمي : مصدر سابق ، ص ٧٢•
(٥) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ،ص ١٢٦•
(٦) ـ ابن ماكولا : الاكمال ج ٤ ص ٥٣٤•
(٧) ـ الحازمي : مصدر سابق ، ص ٧٢•
(٨) ـ المصدر السابق نفسه ،ص ٣، ١٢٤• ابن ماكولا : الاكمال ج ١ ،ص ١٤٦، ٤١٧•
(٩) ـ السيوطي : مصدر سابق ،ج ١ ص ٢٩٦•
(١٠) ـ الحازمي : مصدر سابق ص ٥٣، ٦٨ ، ٧٥، ١١٥ ، ١١٧• ابن ماكولا : الاكمال ج ٢ ص ١١٣•
(١١) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٢٥ ـ ١٢٦• الحازمي : مصدر سابق ،ص ٦٦•
(١٢) ـ الحازمي : مصدر سابق ص ١١٥•
(١٣) ـ ابن ماكولا : الاكمال ... [illegible]

وصبح[1]، وعبد كلال[2]، وبحر ووائل[3]، وكحلان[4]، والأملوك[5] وبدر[6] بنو عمرو بن قيس ومنهم الأشعوبي[7]، وبنو يحصب[8].

١١ـ قضاعـــــة :ـ

شهدت قضاعة فتح مصر واختطت بها إلاّ أنها كانت قليلة العدد إلى حد أنها لم تكن صاحبة دعوة مفردة في الديوان ، أي لم تكن ذات سجل خاص يشتمل على أسماء الأفراد الموجودين منها في مصر وإنما كانت موزعــة في القبائل الأخرى وقد ظلت على هذا الوضع حتى حكم مصر أحد أبنائهـا (بشـر بن صفوان الكلبي) فأعاد تنظيم الديوان بـأن استخرج بطون قضاعة من القبائل الملحقة بها وجعلهم دعوة مفردة وكان هذا هـو التدويـن الرابع للعرب المقيميـن في مصر ، وقد تم في سـنة ١٠٢ هـ[9].

١٢ـ مهـــــرة :

ظهرت قبيلة مهرة في معارك فتح مصر ، ويبدو أنها امتازت بالبراعة في القتـال امتيازاً جعل عمرو بن العاص يصفهم بأنهم ((قوم يقتلون ولا يقتلون))[10]، وقد اختطت على سفح جبل يشكر بعد الفتح ، ثم نقلهم عمرو بن العاص إلى جانبه[11]. وكانـوا يرتبعون في تناوتمس[12].

---

(١) ـ ابن ماكولا : الاكمال ج ٤ ص ٨٥ ، الاصابة : ج ٤ ص ١٢٨ ، الحازمي : عجالة المبتدئ ص ٩٠ .
(٢) ـ ابن ماكولا : الاكمال ، ج ٥ ص ٩٥.
(٣) ـ المصدر السابق ج ١ ص ٢٤١ ، ٢٧٦ ج ٢ ص ٥٠ ، السيوطي : مصدر سابق ج ١ ص ١٩١ .
(٤) ـ الحازمي : مصدر سابق ص ١٠٦.
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ص ٣٤.
(٦) ـ الاكمال : ج ٤ ص ٩٣.
(٧) ـ المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٦.
(٨) ـ المصدر السابق ج ١ ص ١٤٦ ، ٤١٧ .
(٩) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١١٦.
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٧٦ ـ ٧٧.
(١١) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١١٨ ـ ١١٩ ، ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ص ٣.
(١٢) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

وظلت مهرة مضمومة إلى كندة في الديوان شأنها شأن كل قبائل قضاعة حتى استخرجت سنة ١٠٢ هـ في التدوين الرابع(١) . ويذكر ابن عبد الحكم أنه اشترك من مهرة ستمائة مقاتل في غزو افريقية سنة ٢٧ هـ بقيادة عبد الله ابن سعد(٢) .

وقد برز من شخصيات مهرة في مصر (برح بن حسكل) الذى اعترض على خروج مال مصر الى معاوية(٣) . وشريح بن ميمون كان من قادة الأسطول المصرى سنة ٩٨ هـ(٤) وكان ابنه محمد من رؤساء فتنة خلع مروان بن محمد بمصر (١٢٢ ـ ١٢٨ هـ)(٥)

٤ ـ بلي :ـ

شاركت بلي في عملية فتح مصر . ويبدو أنهم تولوا عملية ضرب حصن بابليون بالمنجنيق ، فسجل عمرو بن العاص لهم ذلك في رجزه :

يوم لهمدان ويوم للصدف والمنجنيق في بلى تختلف(٦)

اختطت بلى بالفسطاط خطة كبيرة(٧) . وكانت هذه الخطة في الحمراوات الثلاث(٨) .

ويبدو أن عمرو بن العاص كان يحابي بلياً لأن أمه منهم فكانت تقف في المعارك على رايته(٩) . بل ذكر بعض الأخباريين وقوف عمرو تحت رايتهم هم(١٠) ، وكان يمدحهم في شعر وطرابيه(١١) .

ولا شك أن بليا كانت معادية للأمويين ، فقد قام أحد رجالها عبد الرحمن بن يسر بالدور الرئيس في مصرع عثمان(١٢) . كما برز منهم ابن الجثما من رجال ابن أبي

---

(١) ـ الكندى : الولاة ، ص ٧٠ ـ ٧١.
(٢) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٧٧ ، ١٨٤.
(٣) ـ المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٦٣.
(٤) ـ المصدر السابق ، ص ١١٨ ـ ١١٩.
(٥) ـ الكندى : الولاة ، ص ٩٠.
(٦) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ٦٢.
(٧) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٦.
(٨) ـ ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٥.
(٩) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٦.
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٦٢.
(١١) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٢ .
(١٢) ـ الطبرى : ج ٤ ص ٣٤٨ ، الكندي : الولاة ، ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، السمعاني : الانساب : ص ٩١ .

حذيفة سنة ٣٦ هـ (١) ، وعبد اللـــه بن أبي حرملة صاحب الشرطـة لمحمد بن أبـــي بكر (٢) ، وزهير بن قيس من قواد ابن جحدم في حربة ضد مروان سنة ٦٥ هـ (٣) .

وذكر الاخباريون من بلى في مصر البطون التالية : قاران ، وبلى جزاء (٤) ، وبلـــى أهل الرايـة (٥) ، الوحاوحـة ، عترة التي كانت تمثل قمة المعارضة لعثمان في مصر (٦) .

١٤ ـ قبيلـــة كلـــب : ـ

من القبائل اليمنيـة الهامة التي صاهرها معاويـــة وتحالف معها وقد سما بهـــم هذا التحالف إلى مرتبـة عالية في البلاط والجيش الأموي وقد غلوا إلى جانب الأمويـيـــن يمدونهم بالمساعدات الحربيـة الفعالـة في المناسبات المختلفـة حتى أصبح اسم الكلبـــي مرادفا للمتعصب للأموي ، وكانوا في أثناء ذلك كله يناصبون قبيلة قيس العداء التقليـــدي المستحكم (٧) .

غير أن كلبا لم تظهر في مصر إلا في وقت متأخر إذ برز منها بشر بن صفوان والي مصر (١٠١ ـ ١٠٢ هـ) وصاحب التدوين الرابع (٨) .

وقد تولى أخاه حنظلة الشرطة سنة (١٠١ هـ) ثم حكم مصر نفسها مرتين (١٠٢ ـ ١٠٥ هـ و ١١٩ ـ ١٢٤ هـ) (٩) ، وقد ذكر من بطون كلب في مصر بنو عامر ، وتنوخ (١٠) ، ـــــين (١١) .

---

(١) ـ الكندي : الولاة ، ص ١٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧ .
(٣) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ . الكندي : الولاة ، ص ٤٣ .
(٤) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص ١١٦ .
(٥) ـ نفس المصدر والصفحة .
(٦) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ٣٨٣ ب . الطبري : ج ٤ ص ٣٤٨ . الكندي : الولاة ص ١٧ .
(٧) ـ Encyclopaed of Islam. 11. P688.
(٨) ـ الكندي : الولاة ، ص ٧٠ ، ٧١ .
(٩) ـ الكندي : الولاة ، ص ٧٠ ـ ٧٢ ، ٨٠ ـ ٨٢ .
(١٠) ـ ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٥١ .
(١١) ـ المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤ . الكندي : الولاة ، ص ٧٠ ـ ٧١ .

١٥ ـ أســـــلم :

وقد اشتهرت في مصر قبيلة (جهينة) احدى بطونها ، التي يذكرها الاخباريـــون أنها كانت مع أهل الرايـــة عند الفتح وقد اختطت منهم حول عمرو بن العاص والمسجد (١). كما اشتركت مع أهل الرايـــة بالديوان وظلت كذلك حتى التدوين الرابع سنة ١٠٢ هـ (٢) . وقد انضم اليها اعداد كبيرة من أبنائها بعد الفتح ، وانتشروا في أماكن جديدة عديدة (٣) .

١٦ ـ حضرمـــــــوت : ـ

شارك قسم من حضرموت بفتح مصر واختلطوا بعد الفتح مع إخوانهم التجيبيين. وفـــي آخر خلافـــة عثمان ركب منهم مائـــة إليه واستأذنوه في المسير إلى مصر فأذن لهم وبذلـــك أصبح عددهم يستحق خطة مستقلة فاختطوا شرقي سلهم والصدف حتى أصحروا وتحول إليهم من أراد التحول ممن كان منهم بتجيب (٤) ، وصاروا يرتبعون في ببـــا (من كورة البهنسا (٥)) وبين شمس وأتريب (٦) .

وقد عرف الحضارمة مع الأزد بأمانتهم وخبرتهم في شؤون الحكم ، لذا نجد معاويـــة ينصح واليه على مصر ويأمره ـ (مسلمة بن مخلد) ـ بأن يختار موظفين من الأزد أو الحضارمة ((فانهم أهل الأمانـــة (٧))) .

وقد اشتهر الحضارمة بكثرة من تولى منهم القضاء حيث ضربوا رقماً قياسياً في تولـــي هذا المنصب من بين القبائل العربيـــة الأخرى فابتداء من سنة ٨٤ هـ وما بعدها بحوالـــي قرن من الزمن ولي القضاء منهم بمصر وحدها تسعة من رجال حضرموت ، عدا من ولي منهـــم هذا المنصب في الأندلس وبرقـــة وفلسطين وحمص ودمشق . وقد هنأ الشاعر الصدفي حضرموت في ذلك (٨) .

---

(١) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٨ . ابن دقماق : مصدر سابق ج ٤ ص٢.

(٢) ـ الكندي : الولاة ، ص ٧١.

(٣) ـ Encyclopaed of Islam, P. 1060. اليعقوبي : البلدان ، ص١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣١ . الجاحظ : البيان والتبين ، ص ٢١.

(٤) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٣.

(٥) ـ معجم البلدان : ج ٢ ص ٥٣.

(٦) ـ ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ١٤٢ .

(٧) ـ الكندي : القضاة ، ص٤٢٦ .

(٨) ـ الشاعر هو يزيد بن مقسم الصدفي . انظر الكندي : كتاب القضاة ، ص ٤٢٥ـ٤٢٦.

بالإضافة إلى ذلك فقد انتشر في مصر بطون عديدة لحضرموت منها الأعدول و بنو الأحدوث[1] ، والعقابسة ، بنو عوف وعيدان والحارث وبنو سريع[2] .

أما في المجال السياسي فان حضرموت لم يظهر لها أي دور في فتنة عثمان ولعل ذلك لأنها لم تكن قد كثرت بعد بمصر ولكنها على ما يبدو كانت على عداوة مع الأمويين فقد كان سندور الحضرمي الصحابي من المحرضين على قتال مروان بن الحكم[3] . كما لحق ابن حيان بن الأعين الحضرمي بابن الزبير سنة ٦٤ هـ . ولما آذنت الدولة الأموية بالانتهاء وانفجرت الثورات ضد مروان بن محمد كان أربعة من حضرموت هم : رجاء بن الأشيم ، فهد بن مهدي ، يزيد بن مسروق ، وعبدالله بن عبد الرحمن بن عميرة من كبار رؤساء الدعوة إلى خلع مروان ما بين (١٢٧ ـ ١٢٨ هـ[4]) .

قبيلة الصدف : يبدو أن الجانب الأعظم من قبيلة الصدف ترك موجة الفتوح تعمله خارج موطنه الأصلي ، فقد قال أرباب علم النسب : أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب[5] . وذكر السمعاني أن في رواة العلم جماعة صدفيين كان عاشهم بمصر[6] . وذكر ابن خلكان أن الصدف قبيلة كبيرة نزلت مصر[7] . غير أن الشيء المميز بتاريخ الصدف موالاتها لعلي بشكل متطرف . فمن المدهش حقاً أن يشترك من (الأحروم) ـ أحد بطونها ـ في موقعة صفين عشرة اخوة هم أبناء يحيى بن سلمة الحريبي ، قاتلوا جميعاً مع علي وقتل ثمانية منهم[8] . أما في مصر فقد كان ربيعة بن حبيش عميد الصدف يمثل هذا التطرف أيضاً إذ كان من خاصة علي ، وحضر مقتل عثمان ، ثم وقف في صف ابن جحدم سنة ٦٥ هـ وأشار عليه بحفر الخندق المشهور[9] .

---

١) ـ السمعاني : الأنساب ، ص ٢٠ أ .
٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠٤ ب
٣) ـ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٨٧ .
٤) ـ الكندي : الولاة ، ص ٨٤ ـ ٩١ ، ٩٤ ـ ٩٥ .
٥) ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ٥٥٥ .
(٦) ـ السمعاني : الانساب ، ص ٢٥٠ ب
(٧) ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ص ٣٥٠ .
(٨) ـ السمعاني : الانساب ، ص ٣٥٠ ب
(٩) ـ الكندي : الولاة ، ص ١١١ ـ ١١٢ ، المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ٣٤٠ .

ـ الفصـــــل الرابـــــــــــــــع ـ

دور أهل اليمـن ابتداء من عصر الخليفـة عثمان وانتهـــــاء بنهايــــــــــة الحكم الســـــــفياني .

ور اليمانيين في الثورة على عثمان : ـ

ابتدأ أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي كتابه الفتوح بقوله : ((لما صار الأمر الى عثمان بن عفان ، واجتمع اليه الناس ، أرسل إلى عمال عمر بن الخطاب ، فأقرهم على عمالهم التي هم عليها مدة يسيرة من ولايته ، ثم أنه بعث إليهم فعزلهم عن الأعمال وجعل قدم أهل بيته وبني عمه من بني أمية ، فولاهم الولايات ... ثم كثر المال عليه فكان لما اجتمع عنده شيء من ذلك يفرقه في الناس ويزيدهم في العطاء ، حتى كان يأمر لرجل الواحد بمائة الف درهم (1))) .

بدو لنا من هذا النص ان استلام عثمان لمنصب الخلافة وهو أحد كبار البيت الأموي قد فتح الباب على مصراعيه أمام أفراد هذه الاسرة للاستئثار بالسلطة ومناصب لدولة وموارد ها ، وذلك على الرغم من كل العهود والمواثيق التي اخذت عليه من قبل لخلافة (2) .

حول هذا الأمر يذكر البلاذري أن الخليفة عثمان (رضى) قام بعزل معظم العمال لذين كانوا قد ولاهم عمر بن الخطاب (رضى) ، وعيَّن بدلا عنهم أقرباءه من الأمويين : يَّن أخاه بالرضاعة عبدالله بن سعد بن أبي سرح على مصر (3) ، كما ولىّ ابن عمه مروان بن الحكم على المدينة وكتب له بخمس غنائم افريقية (4) ، وعبدالله بن عامر وهو ابن خاله على البصرة (5) ، هذا فضلا عن سعد بن أبي وقاص والوليد بن عقبة أخو عثمان لأمه (6) ، وسعيد بن العاص ، وكلهم من أقربائه ، وقد ولاهم الكوفة على التوالي . وكان معظم هؤلاء الاشخاص لا يملكون من مؤهلات الولاية سوى قرابتهم للخليفة ، كما انه كان لبعضهم ماض معاد للاسلام .

---

(1) ـ ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح . نسخة مصورة في مكتبة الدكتور سهيل زكار ج 1 ص 2 وط . اليعقوبي : التاريخ ج 2 ص 168 وما بعدها .

(2) ـ الطبري : ج 4 ص 233 . اليعقوبي : التاريخ ج 2 ص 162 وما بعدها .

(3) ـ البلاذري : انساب الاشراف ، ج 5 ص 26 . طبعة غوتيابن . خليفة بن خياط : ج 1 ص 195 .

(4) ـ المصدر السابق نفسه ، ج 5 ص 25 .

(5) ـ المصدر السابق نفسه ، ج 5 ، ص 30 . خليفة بن خياط : ج 1 ص 194 .

(6) ـ المصدر السابق نفسه ، ج 5 ، ص 29 . خليفة بن خياط : ج 1 ص 194 ـ 195 . الدينوري : الاخبار الطوال ص 139 .

ولم تقتصر سياسة عثمان على هذه المسالب ، فقد عرف عن عثمان أنه لم يسر على نهج سلفه عمر بن الخطاب (رضي) في إدارة شؤون المسلمين ، فقد أثار عثمان حنق وغضب المدنيين عليه لشدة بذخه وترفه وأكله لين الطعام وشدّه أسنانه بالذهب وقارنوا كل ذلك بما كان يفعل عمر وكان جواب عثمان حين وصله عتب أهل المدينة قوله ((يرحم الله عمر ! ومن يطيق ما كان عمر يطيق))(١) .

وفي مكان آخر عن سياسة عثمان هذه يحدثنا الطبري أن علياً خاطب عثمان في أمر سياد أقاربه من الولاة وتصرفهم بالأمر دون الرجوع اليه ، وضرب مثلاً بمعاوية ، أجابه عثمان : ((هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها فقد وليته)) . أجابه علي بأن معاوية يتصرف بالأمور دون الرجوع اليك ويقول : ((هذا أمر عثمان ، فيبلغك ولا تغير على معاوية))(٢) .

ويبدو أن هناك أموراً ساهمت في تأجيج نار الثورة على عثمان لم يكن لهذا الخليفة أي دور بها مثل تفجر الأزمة الاقتصادية نتيجة التراخي في عمليات الفتوح وان هذه الأمور الهامة جاءت من عهد سلفه عمر بن الخطاب (رضي) . واحتدمت في عهده فمن المعلوم انه رافق عمليات الفتوح هجرات قبائل عربية عديدة كانت قد اشتركت في المعارك الفتحية واتخذت من المناطق المحررة وطناً جديداً لها . كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، أو في المدن القديمة العامرة كأجناد سورية ومدن خراسان وغيرها ، وأصبحت هذه الأماكن تمثل مراكزهم الاقتصادية الهامة . وتدفقت الأموال على بعض هذه المراكز نتيجة الغنائم الكبيرة التي حصلوا عليها لاشتراكهم في عمليات الفتوح ، واشتغال سكانها بالتجارة والأعمال المتعلقة بالجيش من تموين وتسليح وما شابه ، فضلا عن امتلاك بعضهم للأرض . فكانت هذه الأمور مجتمعة تسكت صيحات رجال القبائل هؤلاء .

وقد بدت مشاكلهم محلولة نتيجة هذا الازدهار الاقتصادي الذي كانوا يتمتعون به

بالاضافة إلى ذلك ، فقد كان لوجود أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على رأس هذه

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٠١ . ط . دار المعارف .
(٢) ـ الطبري : المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨

الدولة بما يتمتعان به من قوة الشخصية والارادة القوية في معالجة الأمور ، الأثر الحاسم في قمع أي تصرف يسيء للدولة وسياستها في الادارة .

ولكن حين مات عمر وآلت الخلافة إلى عثمان وتباطأت حركة الفتوح وقلّ دخل رجال القبائل من الغنائم وأخذت الشكوى من سياسة الخليفة المسن تظهر في حاضرة حكمه ـ المدينة ـ انتقلت الأصداء الى الأمصار وتفجرت الأزمة فيها وأخذت جماعات من قبائل الكوفة ومصر تفد على المدينة تبدي رأيها صريحا فيما آل اليه أمر الدولة ويشعرنا تدفق وفود الأمصار على العاصمة أنه كان هناك توتر بين هذه الأمصار وبين الحكومة المركزية ، وأنه غدا للأمصار رأي في امور الدولة لم يكن لها فيما سبق حين كان كل شيء يتم في المدينة ويدبر بمعرفة رجالاتها فتقبل به الأمصار وتنصاع لمشيئتها .

أما الآن فقد شعرت القبائل انها حرمت من ثمار فتوحاتها ، فالأراضي لم توزع على الفاتحين وعدّت ملكا لبيت المال وتركت بيد أصحابها الأول يستغلونها ويؤدون عنها الخراج .

بالاضافة الى ذلك ، فقد نزل الجيش إلى مرتبة الافتقار لموارد الحكومة والاعتماد عليها عن طريق أعطيات كانت الدولة تستطيع ان تمنحها بالمقدار والى المدى الذي تشاؤه . فبعد أن كانت الحكومة تعيش من يد الجيش ، أصبح الجيش يعيش من يد الحكومة . فلا عجب أن يعتقد المقاتلة أن الحكومة قد غلبتهم على حقوقهم وعلى أموالهم واخذتها لنفسها . وزعموا أن المال الذي يجتمع من الخراج ، انما هو لهم وليس للدولة ، وقالوا انه مال المسلمين وليس مال الله ، وتمسكوا بدعوى ان أموال الفيء يجب ان تقسم ، وفي بعض الأحيان نهبوا بيوت المال في الأمصار (1) .

ومع هذا كله ، فقد استغلت الطبقة الارستقراطية القرشية حركة الفتوح ممثلة ببعض رجالاتها الكبار الذين كان لهم باع طويل في ميدان التجارة والمعاملات المالية في ممارسة نشاطهم الاقتصادي ليثروا ثراء فاق التصور ، الأمر الذي أدى الى قيام فوارق طبقية كبيرة فتحت عيون المحرومين وجعلتهم يجأرون بالشكوى في مجتمعاتهم الجديدة

---

(1) ـ يوليوس فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، سلسلة الألف كتاب ، ص 41 وما بعدها .

ولكي نوضح هذا الجانب الاقتصادي الذي ترتب على عرشه بعض رجالات قريش نذكر بعض ما جاء على ألسنة أهل الاخبار في مصادرنا العربية من روايات حول ما وصل اليه هؤلاء من ثراء يقول ابن سعد[1] عن ثروة طلحة بن عبيد الله ما يلي : ((كان أبو محمد طلحة يغل كل يوم من العراق ألف درهم ودانقين ـ وجاء ـ كان طلحة ... يغل بالعراق ما بين أربعمائة ألف وإلى خمسمائة ألف ، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقل أو أكثر)) . وسأل معاوية بن أبي سفيان ابن طلحة موسى (بن طلحة) عن المبلغ الذي تركه أبوه حين مات فقال : ((ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار ، وكان ماله قد اغتيل ، كان يغل كل سنة من العراق مائة الف سوى غلاته من السراة وغيرها)) . وجاء : ((كانت قيمة ما ترك طلحة بن عبيد الله من العقار والاموال ... ثلاثين ألف ألف درهم ترك من العين ألفي ألف ومائتي الف درهم ومائتي الف دينار ، والباقي عروض .)) وجاء : ((... قال عمرو بن العاص : حُدِّثت أن طلحة ابن عبيد الله ترك مائة بهار في كل بهار ثلاث قناطر من ذهب ، وسمعت ان البهار جلد ثور)) .

وجاء في المصدر ذاته[2] عن ثروة الزبير بن العوام حين توفي أنه كان يملك : ((احدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة وداراً بمصر . وأن ما كان عليه من ديون يوم توفي : ((ألفي ألف ومائتي الف)) . ثم يقدر مجموع ثروته فيقول ((فجميع ماله خمسة وثلاثون ألف ألف ومائتا الف)) وعلى تقدير آخر لرواية ثان : ((اقتسم ميراث الزبير على أربعين ألف ألف ...)) . وعن عروة انه قال : ((كان للزبير بمصر خطط ، وبالاسكندرية خطط ، وبالكوفة خطط ، وبالبصرة دور وكانت له غلات تقدم عليه من أعراض المدينة)) .

وعلى الرغم من اختلاف الروايات في تقدير ثروات هؤلاء غير أنها تجمع جميعها على مقدار ما تكدس لديهم من ثروات طائلة كانت موضع ريبة قديمة بالنسبة لرجالات القبائل . ولم يقتصر أمر الثراء على هذه الفئة فحسب ، بل كان هناك فئات أخرى أثرت ثراء غير مشروع منذ زمن عمر وأهمها فئة الولاة التي حاسبها عمر حسابا شديدا[3] ، ولم يتعرض لهما

---

(١) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ . ط . دار صادر
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ١٠٨ ـ ١١٠ .
(٣) ـ ينظر بعض الامثلة على محاسبة عمر لولاته في : تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول نشر النسخة المصورة ، موسكو ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٢ آ ـ ١٤٣ ب .

عثمان بأي حساب • يضاف الى هذا ما قام به عثمان من توزيع الأراضي والأموال على أهل بيته وأقربائه ، الأمر الذي زاد في عدد الأصوات الثائرة حيث تجاوزت رجالات الامصار إلى أشخاص عرفوا بتقواهم وصلاحهم كأبي ذر الغفاري[١] ، والقراء ورجال التقوى في الأمصار[٢] .

ولكن على الرغم مما قام به عثمان من سياسات خاطئة في المجتمع الاسلامي لا بد لنا من انصافه فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي وما ترتب عليه من ازمات في عهد خلافته هو براء منها وأن هذه الأسباب تعود الى عهد خلافة عمر (رضي) الذي قام بانتزاع الفيء من الجيش وجعله للدولة • ولم يكن في عمله هذا بدعة أو مخالفة للأحكام التي وردت في القرآن الكريم والتي كانت تقضي بتوزيع الفيء على النحو التالي : ((ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ...))[٣] .

فكان عمر في ذلك يقتفي خطى الرسول الذي جعل لبيت المال ما يقع في يد المسلمين من غير حرب • وقد استطاع هذا الخليفة أيضا أن يمنع تقسيم أراضي السواد وأن يدخل ريعها في بيت المال دون أن يحدث عمله ضجة في صفوف المسلمين • ولكن حين جاء عثمان وعرف الناس بلين جانبه تجرأوا عليه ورفعوا أصواتهم بالثورة على أشياء لم يجرأوا وأن يثوروا من أجلها زمن عمر • وقد عرف عثمان هذا فقال مرة لعمر وبن العاص : ((والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمت ، ولكني لنت لك فاجترأت علي))[٤] .

وهكذا ثار المجتمع على عثمان من اهل الأمصار ووجوه أهل المدينة وكبار صحابة الرسول (ص) من مهاجرين وأنصار ، هذا فضلاً عن رجال الجيش وغيرهم من العناصر •

لكن الأمر الذي يعنينا معرفته من هذا كله ، هو بحث جانب واحد فقط من هذه الثورة أو هذه الفتنة كما يسميها المؤرخون في مؤلفاتهم ، هو دور أهل اليمن في صنع هذه الفتنة وكيفية قياداتهم لها • حيث سيظهر لنا من خلال بحث هذا الموضوع مساهماتهم الكبيرة في هذه القضية ، عناصر وقيادات •

---

(١) _ الطبري : ج ٤ ص ٢٨٣ •

(٢) _ البلاذري : انساب الأشراف ، ج ٥ ص ٤٤ •

(٣) _ سورة الحشر : الآية ٧ •

(٤) _ الطبري : ج ٤ ص ٣٥٦ •

وقبل الدخول في تفاصيل الأدوار الذي شغلها اليمنيون في مختلف الأمصار لا بد لنا من الاشارة إلى دور عبدالله بن سبأ في هذا الأمر . فقد نسب بعض المؤرخين لهذا الرجل اليمني أمر قيادة التحريض على عثمان في الأمصار[1] . فمن هو عبدالله بن سبأ وما هو الدور الذي شغله كما يذكر أهل الأخبار . ؟ .

هو عبدالله بن وهب السبائي ويطلق عليه (عبدالله بن سبأ) كما لقب بابن السوداء لأن أمه حبشية ، وقد زعمت المصادر أنه كان يهوديا من أهل صنعاء ، اسلم زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين))[2] ، وكان ذلك سنة ثلاثين للهجرة حيث بدأ رحلته بالحجاز ، ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم مر بالشام وعمل على الترويج لشعار (المال مال المسلمين وليس مال الله) . وقال ان معاوية يدعي أن المال مال الله وأنه هو سلطان الله وله الحق في التصرف به كما يشاء . وقد استطاع ان يكسب الى جانبه في دعواه هذا صحابي جليل هو أبو ذر الغفاري .

بالإضافة الى ذلك ، فقد قال عبدالله بن سبأ إن عثمان اغتصب الخلافة من علي صاحب الحق فيها ووصي محمد وقام بتبديل السور التي تشير إلى وصاية النبي لعلي في عامة المسلمين ثم أحرق صاحف الصحابة[3] .

ويبدو أن دعوته في الشام لم تلق انتشاراً واسعاً وذلك بفعل معاوية وسياسته في هذا المصر الى جانب تصدى بعض الصحابة كأبي الدرداء ، وعبادة بن الصامت فآثر الانتقال الى مصر[4] للغرض ذاته .

ومهما كان من أمر فإن عملية الاضطرابات ومناهضة الخليفة وسياسته قد بدأت سواء بفعل العوامل العديدة السابقة أم بفعل دعاية عبدالله بن سبا اليمني وبدأت الأمصار

---

(١) _ عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع : مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) _ الطبري : ج ٤ ص ٣٤٠ .

(٣) _ من أجل تنقية احراق عثمان للمصاحف بعد جمعه للقرآن ورده على هذه التهمة ، انظر كتاب البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ٥ ص ٦٢ _ ٦٣ . اليعقوبي : ج ٢ ص ١٧٠ .

(٤) _ ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ص ١١٤ .

بالثورة حيث انطلقت شرارتها الأولى من الكوفة بقيادة يمنية سنة ٣٤ هـ ـ ٦٥٤ م . وقد ذكر أهل الاخبار ذلك عندما رد عثمان سعيد بن العاص أميراً على الكوفة ، فخرج اهل الكوفة عليه بالسلاح بقيادة مالك بن الحارث وهو (الأشتر النخعي) فتلقوه فردوه وقالوا : ((لا والله لا يلي علينا حكماً ما حملنا سيوفنا)) (١) .

فما كان من عثمان إلا الرضوخ لمطالب الكوفيين ، فعزل سعيد بن العاص وأمر بتعيين أبي موسى الأشعري والياً على الكوفة بعد أن اختاره أهلها ، وقد كان قبول عثمان لمطالب الكوفيين أول مجابهة علنية بين الخلافة والعناصر الثائرة .

ومما يلفت النظر اليه هنا أن هناك زعامات يمنية أخرى شاركت في قيادة هذه المجابهة إلى جانب الأشتر النخعي إلى جانب من سار من قبائلهم تحت راياتهم في هذه الثورة وقد ذكر لنا ابن الأثير بعض هؤلاء القادة مثل ثابت بن قيس الهمداني وجندب بن زهير الغامدي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وكميل بن زياد النخعي (٢) ، وزياد بن النضر الحارثي (٣) .

ثم تدفقت جموع الناقمين من أهل الكوفة بقيادة هؤلاء إلى المدينة وراحوا يحيطون بدار الخليفة عثمان ودور بعض كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) .

وفي الوقت ذاته وصل إلى المدينة ثوار مصر وكان جلهم من قبائل اليمن وتحت زعامة يمنية مثل قبائل (الأزد) كقبيلة (خزاعة) حيث ترأس منهم (عمرو بن الحمق) جماعة ساهمت في حصار الخليفة ثم قتله فيما بعد (٥) . كما ترأس ابن ورقاء الخزاعي للغرض ذاته مائة مقاتل سنة ٣٥ هـ في الجيش الذي سيّره ابن أبي حذيفة إلى عثمان .

أما قبيلة (عك) الأزدية فقد ذكرها الأخباريون في دور مميز في هذه الفتنة فقد نسب الى (الغافقي بن حرب العكي) أحد رجالاتها البارزين في مصر مهمة تولي قيادة الجيش العامة الذي أرسله ابن أبي حذيفة إلى عثمان في المدينة . كما

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٣٣٢ ، ٣٣٥ .
(٢) ـ ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٤٤ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ١٥٨ . وذكر المسعودي في مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٥٥ : كنانة بن بشر التجيبي الكندي وسعد بن حمران المرادي .
(٤) ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٤٦ خليفة بن خياط : ج ٢ ص ١٨١ وما بعدها .

وينسب أهل الأخبار إلى هذا الرجل دخوله دار عثمان عندما دقت ساعة الصفر ومشاركته بشكل مباشر بعملية قتل الخليفة وذلك بضربة بقطعة من الحديد كان قد اصطحبها معه لهذه الغاية (١) .

الى جانب ذلك فقد شاركت قبيلة (غافق) الأزدية إلى جانب شقيقاتها الأخريات في هذه الثورة ، وقد تميزت هذه القبيلة بمعاداتها للبيت الأموي إبتداء من فتنة عثمان مروراً بمحاربتها إلى جانب محمد بن أبي بكر سنة ٣٨ هـ ضد جيش معاوية ثم قتالها جيش مروان بن الحكم تحت راية ابن جحدم سنة ٦٥ هـ (٢) .

كما انضمت قبيلة (لخم) إلى ثوار مصر وبرز من رجالاتها قيس بن حرمل أحد قادة جيش ابن أبي حذيفة (٣) . كما شغلت الدور نفسه قبائل يمنية أخرى في مصر مثل قبيلة (جذام) (٤) و (الاشعريين) (٥) و (المعافر) (٦) وقسم من (بلى) فقد نسب إلى أحد رجالاتها (عبد الرحمن بن عديس البلوى) قيامه بدور رئيسي في مقتل الخليفة عثمان عندما هاجمه الثوار (٧) . ثم اشترك قسم من قبيلة (مهرة) (٨) ، كما اشتهرت قبيلة (الصدف) بمصر بتطرفها في معاداتها للخليفة عثمان ويذكر الكندي حضور سيدهم (بيعة بن حبيش) مقتله في المدينة (٩) .

أما قبيلة كندة في مصر فقد نسب إليها الاخباريون شغل الدور الرئيسي في هذه الفتنة ، ومما يذكره الأخباريون عن بعض تفاصيل أدوار رجالاتها ، انه لما علم عثمان باضطراب مصر ضده ، أرسل سعد بن أبي وقاص رسولاً له سنة ٣٥ هـ إلى مصر كي يقابل زعماء الثورة هناك ويرى أمره فقيل : لقيه ابن أبي حذيفة على رأس مشة من تجيب الكندية

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٣٤٩ ، ٣٩١ .
(٢) ـ الكندي : الولاة ، ص ٤٤ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٩ .
(٤) ـ Encyclopaed of Islam Ibd.1 P. 1059.
(٥) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ٤٥ ، ٧٨ ـ ٧٩) المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ٣٤٠ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه .
(٧) ـ الطبري : ج ٤ ص ٣٤٨ .
(٨) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩٤ ، ١٠٢ ، ٣١٦ . الكندي : الولاة ، ص ٩٠ .
(٩) ـ الكندي : الولاة ، ص ١١ ـ ١١٢ . المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ٣٤٠ .

هذا اللقاء الذي عاد بنتيجتــه سعد إلى المدينة ساخطاً(١) .

غير أن أبرز رجالات كندة من قبيلة تجيب ممن تولى معاداة عثمان في مصر كان صاحب سـيف (المقلد) المشهور (كنانـة بن بشر) الذي شغل أيضاً دور أحد القادة الستة لجيش ابن أبي حذيفة(٢) .

بالإضافـة الى ذلك ، فقد ذكر الطبري روايـة رواهـا سيف عن المغيرة أن الـذي قام بعمليـة قتل عثمان هو كنانـة بن بشـر الليثي التجيبي(٣) ، بينما تنسـب روايـة أخرى في المصدر ذاتـه عمليـة القتل الى رجل يمني آخر من كندة ولكن ليس من تجيب بل من السـكون هو سودان بن حمران السّكوني(٤) .

ومهمـا يكن من أمر ، فإذا كان هذا حال مصر الكوفـة وأهل مصر فان مصر الشـام لم يكن كسابقتيـه ، فقد حال وجود معاويــة بالشـام دون انفجار للموقف مثل بقيــة الامصار ، والواقـع ان معاويـة لم يحل فقط دون الثورة في أرضه بل استفاد مما حدث واستغل ظروفـه التي وجد فيها الفرص السانحة لتثبيت أركانـه ودعائم حكمه بالشـام ، وطمح نحو الانفراد بالحكم اعتماداً على قوة الجند الشامي الذي كونـه بنفسـه ، ثم عـرف كيف يغرس في قلوب أفراده الحب والولاء له قبل سواه ، وقد حقق معاويـة كل ذلك بفضـل ما أوتيـه من حنكة سياسـية ومطامح للسلطة عرف كيف يخطط لتحقيقها(٥) .

تجمع ثوار مصر مع ثوار الكوفـة في المدينـة ، وهناك لاقوا مساندة من معظم سـكان المدينـة وعلى رأسهم بعض كبار الصحابـة مثل الزبير وطلحة وعائشــة أم المؤمنيـن وعندما أدرك الخليفـة عثمان عظم الثورة وحسـن تنظيمها وأحقية مطالب رجالاتها ، اضطر إلى الانصياع ، وحاول عثمان ايجاد مخرج يقيـه مغبة الأمـر ، فذهب إلى علي بن أبي

---

(١) ـ الكندي : الولاة ، ص ١٦ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ١٧ ـ ٢٠ . المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ١٤٨ .
(٣) ـ الطبري : ج ٤ ص ٣٩٩ ـ ٤٩٤ . خليفة بن خياط : ج ١ ص ١٩٠ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٣٩١ . اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ١٧٦ .
(٥) ـ سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٧٨ .

طالب فدخل عليه بيته وطلب منه بحكم قرابته منه ، وحقه عليه أن يرد هذه الجموع الثائرة عنه (١) . فلباه علي على ذلك ، بعد ما أعطاه عثمان عهد الله وميثاقه أن يفي له كل أمر أعطاه لهم نيابة عنه . وقام علي بالمهمة ونجح في رد الثوار إلى أمصارهم بعد ما لبّى لهم مطالبهم وضمن تنفيذها عند الخليفة في كتاب كتبه عثمان وأشهد عليه علي وبعض الصحابة مثل الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وغيرهم (٢) .

وقد ساعد هذا الكتاب على تهدئة الخواطر وأخذ المصريون يعدون عدتهم للعودة إلى بلدهم . ولكن مروان بن الحكم ، كما تجمع المصادر ، ساءه ان يزداد نفوذ الأنصار وان يخرج الخليفة عن طاعته ويأخذ بنصائح علي وغيره من الصحابة ، فلعب لعبة تآمرية (٣) بأن زور رسالة على لسان عثمان وأرسلها إلى عامل الخليفة في مصر يأمره فيها بقتل وجلد وحبس المتمردين (٤) . وقد وقع هذا الكتاب في أيدي المصريين ، فعادوا إلى المدينة ليجابهوا الخليفة بهذا الكتاب الذي يناقض ما كان قد قطعه لهم من عهود ، وأنكر عثمان أن يكون له علم بالكتاب وحلف لعلي أنه لم يأمر بكتابته (٥) . ولما أبلغ علي المصريين يمين عثمان عدّوا أن جهله بما يصدر باسمه من أوامر لهو جريمة أشد ، وحاصروه وقطعوا عنه الماء والطعام حتى يخلع نفسه ، ولكنه رفض ، وكتب إلى معاوية وغيره من عماله في الأمصار يطلب النجدة (٦) .

فما ان وصل كتاب عثمان الى عبد الله بن عامر والي البصرة حتى سير نجدة بقيادة (مجاشع بن مسعود) فسار بهم حتى نزل الناس الربذة عند ذلك أتاهم خبر مقتل

---

(١) ـ ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ص ١٦٢ .
(٢) ـ ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، ج ١ ص ١٤ و ـ ظ
(٣) ـ نبيه عاقل : خلافة بني أمية ، ص ١٧ .
(٤) ـ الطبري : ج ٤ ص ٣٦٧ وما بعدها .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٣٦٨ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٣٦٨ .

عثمان فعادوا أدراجهم[1] .

أما معاوية فيذكره الطبري في تاريخه أنه لم يلب عثمان عند ما طلب نجدته في الوقت المناسب بحجة كرهه إظهار مخالفة أصحاب رسول الله (ص) وقد علم اجتماعهم في المدينة على عثمان[2] .

ولكن يبدو أن هذا الكلام الذي ذكره الطبري عن معاوية حول نجدة عثمان غير مقنع بدليل أنه كيف كره مخالفة أصحاب رسول الله وأحب فيما بعد قتال خليفة رسول الله ذاته ؟ . فالأمر إذاً ليس عملية تقوى وحباً بالله وصحابته بل تجاوز ذلك إلى ما يخدم مطامعه الشخصية من الناحية السياسية الذي بدأ يخطط إلى تحقيقها منذ مبايعة عثمان . كما إننا نرى من خلال ما تذكره المصادر حول هذه القضية وخاصة روايات أهل الأخبار في الطبري أنه لو لم تكن فتنة عثمان لأوجدها معاوية بنفسه أو أوجد أمراً مشابهاً لها بدليل عدم تلبية نداء أمير المؤمنين عثمان (رضى) .

وبعد ما أدرك الخليفة حقيقة أمر معاوية المرة تحول بنظره إلى بعض رجالات أهل اليمن في الشام مثل يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم الى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه عليهم . ويذكر أن أسداً لباه على الفور وهبّ لنجدته على رأس قوة من أهل الشام ولما وصل وادي القرى بلغه قتل الخليفة عثمان فعاد وقوته[3] .

ومن بلاد اليمن كان أول من خرج منها لنصرة عثمان هو واليه على الجند عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، ولكنه لم يحقق غرضه حيث سقط عن راحلته فمات[4] ، ومما لا ريب فيه أنه لم يخرج إلاّ ومعه قوة من أهل اليمن وخاصة من منطقة حمير التي كان هو مشرفاً عليها ويتضح هذا مما جاء من أن أهل الجند كتبوا إلى معاوية ، وسألوه أن يوجه إليهم أميراً من قبله[5] .

أما والي عثمان على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ما أن علم حقيقة أمر الخليفة حتى بادر بإرسال نجدة له ، والغريب في الأمر هنا هو بالرغم من معارضة معظم القبائل

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٣٦٨ .
(٣) ـ المصدر السابق ج ٤ ص ٣٦٨ .
(٤) ـ ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ص ٢٠٠ .
(٥) ـ ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، ج ٤ ص ٥٥ .

اليمنية في مصر وخاصة قبيلة كندة لعثمان وسياسته فإن قائد نجدة عثمان لعبد الله ابن أبي سرح كان يمنياً وكندياً على رأس جماعة من قومه ومناصريه هو معاوية بن حديج الكندي (١) ، دون أن يتمكن من تقديم أي عون للخليفة المحصور كما بقيه من نجدات الأمصار الأخرى الذين جاءوا لنصرته .

وكان الثوار قد بلغهم ، خبر مراسلة عثمان لعماله ، فخشوا مغبة ذلك فلجّوا في حصاره ومنعوه الماء ، ثم قاموا بحرق باب داره ودخل عليه الثوار اليمنيين من أهل مصر مثل قتيرة وسودان بن حمران السّكونيان الكنديان والغافقي بن حرب العكي . فضربه الغافقي بحديدة معه ، وتقدم سودان بن حمران ليضربه بالسيف فانكبت عليه زوجته نائلة ابنة الفرافصة واتقت السيف بيدها ، فتعمدها ونفح أصابعها ، فأطن أصابع يدها وولت وضرب عثمان (رض) بسيفه فأرداه قتيلا (٢) .

وفي رواية في الطبري : إن الذي قتل عثمان هو كنانة بن بشر التجيبي الكندي (٣) .

مهما اختلفت الروايات حول من قتل أمير المؤمنين عثمان (رضي) إلا انها تتفق جميعها على رأي واحد هو أن الذي قام بعطية القتل (يد يمانية) فكان مصرعه الضربة القوية الأولى في صرح بناء الاسلام وقوته حيث لم يعرف الاسلام بعدها الوحدة حتى يومنا . ثم تولى أمر المدينة الغافقي بن حرب العكي (٤) .

وليس مهماً ان نسترسل أكثر من هذا في ذكر التفاصيل والأحداث التي انتهت بمقتل عثمان غير أن مصرعه ترتب عليه نتائج كبيرة وهامة .

قبل أن نحدد هذه النتائج ونبحثها لا بد لنا من تأكيد الجوانب الأساسية التي انطلقنا منها في بحث فتنة عثمان وهي أن اليمنيين في الأمصار العربية الاسلامية افراداً وتابعة وبشكل خاص في الكوفة ومصر مثلوا أداة هذه الفتنة وركيزتها الكبرى وقد نجم عنها نتائج عديدة منها :

كان مقتل عثمان نقطة البدء في الصراع السياسي الذي طبع تاريخ العرب والاسلام

---

(١) _ الطبري : ج ٤ ص ٣٥٢ .
(٢) _ الطبري : ج ٤ ص ٣٩١ ، رواية سيف بن عمر ، ص ٣٨٩ _ ٣٩١ .
(٣) _ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٣٩٢ _ ٣٩٤ ، ٣٨٤ .
(٤) _ الطبري : ج ٤ ص ٤٣٢ .

بطابعه قروناً طويلة ، وانقسم الناس بعدها الى شيع وأحزاب ، ثم انه منذ ذاك الحين أصبح للسيف القول الفصل في تقرير أمر رئاسة شؤون المسلمين ، وفتح باب الفتنة الذي لم يغلق بعد ذلك أبداً • وانشقت الجماعات الاسلامية شيعاً وأحزاباً ، يحاول كل منها أن يفرض وجهة نظره بقوة السيف •

ب - دور أهل اليمن في الصراع السياسي بين علي بن أبي طالب ومعاويه :

تلقى علي بن أبي طالب (رضي) البيعة بالخلافة بعد مصرع عثمان (رضي) بالمدينة حيث كان أكبر الصحابة مكانة وأكثرهم حظاً من الناحية الجماهيرية ، بالاضافة الى تمتعه بثقة الانصار التامة ، حتى أن الطبري ذكر في تاريخه أنه لم يتخلف أحد منهم عن بيعته (١) .

بالإضافة إلى تأييد المصريين والكوفيين له • وتذكر المصادر أن علياً تلقى البيعة في اليوم نفسه الذي قتل فيه عثمان ، بينما تذكر مصادر أخرى خلاف ذلك حول زمن البيعة والطريقة التي تمت فيها ومدى اجماع الناس عليها •

ففي حين تذكر بعض الروايات إن بيعته كانت جماعية شارك فيها الانصار والمهاجرين وغيرهم فإن روايات أخرى تنكر ذلك ولا تقبل الإجماع على بيعته ، وتظهر وجود معارضة شديدة له كان يتزعمها فئة من كبار رجالات المدينة (٢) .

وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير وموقفهما منه • فكما أن هناك من يظهر حماسهما له وبيعتهما الطوعية هناك من ينكر هذا الحماس ويرفض انهما بايعا علياً طواعية وانهما إنما بايعا مكرهين (٣) .

والمرجح أنه لم يكن هناك اجماع على بيعته ، وأن هذه العملية الأولى التي واجه فيها جمهور الناس ، بينت له أن مهمته لن تكون سهلة • وكان لا بد لعلي حتى تستكمل سلطته جميع أوجه الشرعية المطلوبة أن يرسل الكتب الى الاقاليم والأمصار يشرح فيهما

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٣١

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٣١

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ٤٣١ ، ٤٣٥ •

ظروف توليه السلطة ويطلب البيعة من الحكام والناس . وهكذا انتقل الصراع على السلطة من المدينة الى الأقاليم ، وانقسم الناس هناك إلى فئات تؤيد الخليفة الجديد وفئات تقف منه موقف المعارضة ، وتطرح قضية رئاسة الامة الاسلامية من وجهات نظر أخرى . وقد زاد الأمر سوءا بالنسبة لعلي انه بادر وبتحريض من الثوار على عثمان ، إلى عزل عمال عثمان ، وتوليته أشخاص غيرهم . وقد أذعن جميع عمال الأمصار لأوامر الخليفة الجديد ، ما عدا والي الشام معاوية بن أبي سفيان الذي فتح امتناعه عن الانصياع لأوامر الخليفة المنتخب صفحة دامية من صفحات التاريخ العربي الاسلامي — .

يذكر الطبري في حديثه عن امتناع معاوية عن بيعة علي بن أبي طالب أن علياً في مطلع عام ٣٦ هـ فرق عماله على الامصار ، فبعث عثمان ابن حنيف على البصرة ، وعمارة ابن شهاب على الكوفة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام ، أما سهل فانه خرج حتى صار بتبوك فلقيته خيل أهل الشام فرد إلى علي[1] . وكان ارجاع سهل أول بادرة شامية برفض سلطة علي .

لقد اتخذ معاوية من قضية تهاون علي في قصاص قتلة عثمان حجة للخروج عليه وادعى انه وليه ، وأن أهل الشام مجمعون على الأخذ بثأر الخليفة المقتول وأنه إنما ينفذ رغبة قومه من بني أمية الذي أغضبهم مقتل قريبهم[2] .

كان موقف معاوية وادعاءه موضع استغراب عند الخليفة علي وقد اتضح لنا هذا الأمر من خلال رد علي رضي الله عنه على ادعاء معاوية عندما بلغه موقفه منه إذ قال في رواية يذكرها الطبري : ((ألست موتوراً كترة عثمان اللهم إني أبرأ اليك من دم عثمان))[3] ثم قال : ((اللهم العن قتلة عثمان))[4] .

---

(١) — الطبري : ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٢) — المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٥٦٤ .

(٣) — المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٤٤ .

(٤) — المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٠٢ ، ٥١٢ . يبدو أن علياً كان عاقداً العزم على معاقبة قتلة عثمان غير أن الظروف لم تكن مواتية له وكان ينتظر الوقت المناسب للشروع في هذا الأمر . انظر الطبري ج ٤ ص ٤٣٧ .

أعقب علي موقفه هذا من قتلة عثمان مراسلات عديدة بينه وبين معاوية حاول اقناعه بالحسنى إلى لزوم الطاعة والبيعة دون أن تسفر عن أي موقف إيجابي عند معاوية (١) . فلما استنفذ علي العمل السياسي لجأ الى الخيار العسكري واخذ يجمع جيشه ويعد نفسه لهذا الأمر بغية الزحف الى الشام لحسم الأمر مع معاوية (٢)

ومما يلفت النظر في هذه الفترة أنه كان أكبر قوى الدولة الاسلامية متمركزة في ثلاث معسكرات هي : الكوفة ، البصرة ، الشام ، (الجابية) .

ويبدو أن كل واحد من هذه المعسكرات الثلاث أراد الاستبداد بسلطة الدولة لهذا تحم الاقتتال بينها . جلب رجال البصرة الى معسكرهم كل من طلحة والزبير وعائشة (٣) . مع عدد من القرشيين الذين كانوا قد حرضوا على قتل عثمان (رضي) ثم بايعوا علياً لكنهم ما لبثوا أن تخلوا عن بيعتهم وأعلنوا الخروج للمطالبة بدم عثمان ، وذلك انهم خافوا من سياسة علي (رضي) وخشوا مغبة نجاحه .

وأخذ جند الكوفة علياً معهم الى مدينتهم ، وهكذا أنهوا دور الحجاز السياسي فقد بدأت المدينة تتحول الى مركز ديني وحضاري بحت (٤) . ثم كثرت الاتهامات بين جماعة البصرة والكوفة ، ولم تنته هذه الاتهامات إلاّ في معركة جرت سنة ٣٦ هـ - ٦٥٦ م دعيت باسم معركة (الجمل) ، وانتهت هذه المعركة بهزيمة البصرة ومصرع طلحة والزبير وأسر عائشة التي أمر الخليفة علي بارجاعها إلى الحجاز برفقة أخيها محمد (٥) .

وفي واقع الأمر فان هذه الأحداث التاريخية جميعها لا يهمنا منها إلاّ جانب واحد فقط هو موضوع دراستنا أي دور أهل اليمن في هذه الأحداث . وأن المتتبع لتطور

---

(١) - الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٤١ . طبعة عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
(٢) - الطبري : ج ٤ ص ٤٤٥ .
(٣) - المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٥٠ ، ٤٥٥
(٤) - سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٨٤ .
(٥) - الطبري : ج ٤ ص ٥٤٤ .

الأحداث التاريخيـة في خلافـة علي وطيلة فترة عصر الدولـة الأمويـة سـيجد دور أهل اليمن بارزاً ومميزاً في صناعة الأحداث التاريخيـة الهامة والدقيقـة .

فقد وجدنا من قبل أن أول من رفع شعار المعارضـة في وجه الخليفة عثمان (رضـي) وسياسته كان أهل اليمن في الكوفـة ومصر وغيرهما وهم وحدهم الذين أججوا أوارهـا وألهبوا سعيرها ثم وضعوا حداً لها بقتل الخليفة نفسه بأيديهم ذاتها .

ولما أخذت الأنظار ترنو الى من سيكون أمر الأمـة بعد عثمان برز دور أهل اليمن من جديد في اختيار علي بن أبي طالب (رضي) أميراً للمؤمنين وخليفـة للمسلمين . وقد أكد هذا عمر بن شـبة في روايـة ذكرها الطبري في تاريخه أن أول من بايع علياً بالخلافة كان الأشتر النخعي (مالك بن الحارث) اليمني[1] ثم بايعه جميع الأنصار من الأوس والخزرج ولم يتخلف منهم أحد[2] ، الى جانب أهل اليمن في مصر[3] .

ويبدو أن دور أهل اليمن تجاوز درجة السبق في مبايعة علي والى حد البحث عن الصحابة ممن نلكأ بالمبايعة واحضارهم الى مسجد المدينة بالقوة كي يبايعوا كما فعل الأشـتر النخعي بطلحة في روايـة يرويها السري عن شعيب في تاريخ الطبري[4] .

وعندما خرج الخليفـة علي من المدينة الى الكوفـة كان أبرز قادة جنده يمنيون مثل مالك بن الحارث ، ويزيد بن قيس . وحجر بن عدي الكندي[5] .

أما دور أهل اليمن في نصرة الخليفـة الرابع طيلة فترة خلافته فهذا أمر نعرفـه ويتضح لنا بشكل جلي من خلال تشكيلات جيشـه القتاليـة وتعبئتـه الجند للقتال فقد كون

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٣٣ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٣١ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٣٤ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٣٥ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٤٣ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٨٨ . الدينوري : مصدر سابق ص ١٤٥ .

اليمنيــــون عظم جيشـه قادة وأفراداً ومثال ذلك حين عبأ علي جيشـه في موقعة (الجمل) جعل عليه سبع رايات ، كان نصيب اليمن منها أربع رايات : فكان (لحمير وهمدان) رايـة وعليهم سعيد بن قيس الهمداني . (ولمذحج والاشعريين) رايـة وعليهم زياد بن النضر الحارثي . (ولكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة) راية وعليهم حجر بن عدي الكندي . و(للأزد وبجيلة وخثعم وخزاعة) رايـة وعليهم مخنف بن سليم الأزدي . وكان على الرجالـة جندب بن زهير الأزدي[1] . بالإضافـة الى من لحق به من طي[2] وحمير[3] .

ويبدو أنـه كان لقبيلة همدان وقع خاص عند الخليفـة علي وذلك من خلال قول ذكـره الاخباريون أنـه قاله لهم : ((يا معشر همدان . أنتم درعي ورمحي ، ياهمدان ما نصرتم إلاّ الله ولا أجبتم غيره))[4] .

ومما يذكر عن علاقة علي بأهل اليمن عندما خرج من الكوفـة لمواجهة أعدائـه فـي موقعـة (الجمل) انه كان قد تخلف بعضهم عن متابعته فعاد إليهم فعاتبهم ثم حاورهـم فعادوا وتابعوه . منهم أبو بردة بن عوف الأزدي ، وغريب ابن شرحبيل الهمداني[5] .

فإذا كان أهل اليمن عظم جيش علي في وقعة الجمل فإن موقعهم في الجانب الآخر لـم يكن أقل أهمية ــ مع عائشـة ــ فقد ذكر أهل الأخبار أن قبيلة (الأزد) اليمنية كانـت أعظم أهل اليمن المحيطيـن بعائشـة حتى انها نزلت في مسجدهم بالبصرة ودار القتال في ساحتهم ، ولكثرتهم وقوتهم كان عليهم ثلاثـة رؤسـاء هم : صبرة بن شيمان ، ومسـعود وزياد بن عمرو .

والى جانب الأزد حاربت مع عائشـة بعض (قضاعة) برئاسـة عبد الرحمن بن جابـر الراسـبي[6] وبعض (مذحج) وكان عليهم الربيع بن زياد الحارثي وعلى سـائر اليمن

---

(١) ــ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٤٦ . الطبري : ج ٤ ص ٥٠٠ .
(٢) ــ الطبري : ج ٤ ص ٤٧٨ .
(٣) ــ كانت حمير مع معاوية إلاّ بعض الجماعات أو الأفراد الذين انضموا الى صف علي .
ينظر نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٣٠٢ .
الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٨١ .
(٤) ــ نصر بن مزاحم : مصدر سابق ، ص ٤٣٧ .
(٥) ــ المصدر السابق نفسه ، ص ٧ ، ٨ .
(٦) ــ الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٤٧ . الطبري : ج ٤ ص ٥٠٥ .

ذو الأجرة الحميري[1] .

ومما تجدر الإشارة اليه في موقعة الجمل أن اليمنيين بقوا فعالين في هذه الموقعة إبتداء من التحضير والحشد لها عند الجانبين المتقاتلين مروراً في محاولات الصلح بين الطرفين وانتهاء بحسم الأمر في أرض المعركة .

ومما يذكره الأخباريون عن دور بعض اليمنيين في محاولة رأب الصدع بين طرفي النزاع وتعطيل هذه المساعي من قبل بعض يمنيين آخرين . يذكر لنا الطبري رواية عن سيف[2] أنه بعد قتال جماعة عائشة بالبصرة مع والي علي عثمان بن حنيف اتفق الطرفان ان يرسلوا رسولاً الى المدينة للسؤال عن خبر القوم هناك وعما قيل : من نقض طلحة والزبير لبيعة علي وكان رسول الفريقين المؤتمن عند الجميع رجل من أزد اليمن هو (كعب بن سور) الذي كان أول قاضي بالبصرة ولاه عمر بن الخطاب (رضي)[3] .

فلما عاد من المدينة متأكداً من صدق ما يقوله طلحة والزبير انضم اليهما هو وقومه من الأزد) ، وكان كعب يحمل لواء الأزد في ميمنة موقعة الجمل[4] ، أما رئاسة الأزد فكانت لعبد الرحمن بن أبي حنين الحمامي[5] .

لقد عاد كعب بن سور الأزدي من المدينة وتجمع أصحاب الجمل منتظرين علياً رضي الله عنه ثم تبادلا الرأي جميعاً ، فأصبح الصلح قاب قوسين أو أدنى بين علي وبين عائشة وطلحة والزبير على أن ينضموا جميعاً إلى صف علي ويهادنوا من تبقى من قتلة عثمان إلى أن يتمكنوا منهم ، ولكن يبدو أن الذين ساهموا في قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه لم يعجبهم هذا الأمر فاتفقوا على إشعال القتال بين الطرفين دون سابق انذار ، فلما فعلوها ودارت الحرب أسرع كعب بن سور الأزدي وحضى عائشة أم المؤمنين على الحرب وهو يقول لها أبى القوم إلا القتال ، لعل الله يصلح بك[6] . وفي

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٥٠٥ .

(٢) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٨ .

(٣) ـ ابن حجر : الاصابة ، ج ٣ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ الطبري : ج ٤ ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(٤) ـ الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٤٧ .

(٥) ـ الطبري : ج ٤ ص ٥٢٢ .

خضم القتال أمرت عائشة كعب بن سوار أن يتقدم بين الصفين بكتاب الله عز وجل يناشدهم الله في دمائهم ، فأقبل جماعة علي من (السبئيين)[1] ، فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلي من ورائهم يدعوهم إلى التريث وهم مصرون على الاقدام وما أن وصلوا اليه حتى رشقوه بسهامهم جميعا فقتلوه ، فلما علمت عائشة بذلك صاحت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، فضج الناس بذلك ، فلما سمع علي بذلك وقف هو الآخر يقول : اللهم العن قتلة عثمان واشياعهم[2] .

وهكذا أفسد بعض أهل اليمن ما كان قد بناه أشقاؤهم من إيثار الإصلاح والتآلف وحقن الدماء بين أبناء الصف الواحد والعقيدة الواحدة .

وفي ختام دور أهل اليمن في موقعة (الجمل) نجد جماعة منهم لم يرق لها سفك الدماء فآثرت الاعتزال[3] ، دون الانضمام إلى إحدى الفئتين المتقاتلتين وقد مثل هذا الجانب أبو موسى الاشعري[4] ، وجرير بن عبد الله البجلي[5] الذي انضم الى صف علي بادىء الأمر ثم طلب منه الإذن بالسفر إلى معاوية في محاولة منه لإقناعه بالرجوع عما هو فيه فإذن له علي وتبين له بعد هذا اللقاء ان صاحبي القوم في العراق والشام متشبث بما وصل اليه فآثر الانعزال ولهذا لم يشترك كما يذكر المسعودي لا في موقعة الجمل ولا في وقعة (صفين)[6] .

ولكن مهما يكن من أمر فإن إنتهاء معركة الجمل يعني إنتهاء قوة البصرة التي دفع اليمنيون بها الثمن غالياً من دمائهم ، فقد روى السري رواية عن سيف بن عمر في الطبري يذكر فيها عدد قتلى موقعة الجمل فيقول : ((كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف ، نصفهم من أصحاب علي ، ونصفهم من أصحاب عائشة ، من الأزد وحدهم ألفان))[7] . وهكذا يتضح ضخامة ما ترتب عليهم من دفع ثمن باهظ بأرواحهم نتيجة هذه المعركة على

---

(١) ــ حول دور السبئية في موقعة الجمل ينظر تاريخ الطبري : ج ٤ ص٥٠٧ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ .
(٢) ــ الطبري : ج ٤ ص٤٩٧ ، ٥٠٤ الدينوري : الأخبار الطوال ص١٤٦ وما بعدها .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٨١ ــ ٤٨٢ ، ٤٩٦ ــ ٥٠٠ .
(٤) ــ ابن حجر : الاصابة ، ج ١ ص ٢٣٢ الطبري : ج ٤ ص ٥٦٢ ياقوت الحموي : ج ٤ ص ٣٢٨ .
(٥) ــ المصدر السابق نفسه .
(٦) ــ الطبري : ج ٤ ص ٥٣٩ .

اعتبار أنهم كانوا أكثر المقاتلين عدداً في طرفي النزاع .

أما الآن وقد خرج معسكر البصرة من حلبة الصراع فقد بات أمر اللقاء على أرض المعركة بين معسكر الكوفة والشام أمراً محتماً .

وفي تلك الفترة استطاع علي من عاصمته الجديدة ان ينشر سلطانه السياسي على أغلب أقاليم الدولة الاسلامية ما عدا الشام . فقد انتظم له الأمر في العراق ومصر واليمن والبحرين وعمان واليمامة وفارس والجبل وخراسان وغيرها وظل معاوية والي الشام لا يبايع .

غير أن أهم أمر واجهه معاوية في هذه المرحلة هو بايعة مصر لعلي وخضوعها لسلطانه بقيادة صحابي يمني من الانصار هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري والي مصر لعلي .

ويذكر الأخباريون أن هذا الموقف جعل معاوية يشعر بالخطر الشديد نظرا لقرب مصر من الشام ومخافته أن يلجأ علي الى خطة الاطباق عليه بجيش يقدم به قيس بن سعد من مصر ، وجيش يقدم به علي من العراق فيقع بين فكي كماشة قوية لا قبل له بمجابهتها[1] . فعمد معاوية على الفور بجهود مكثفة لاستمالة (قيس بن سعد) اليه وأخذ يمنيه ويرغبه ويمنيه وقد ذكر الطبري أنه من ضمن هذه الاغراءات التي قدمها معاوية لقيس بن سعد فيما إذا خرج من سلطان علي ولحق به أنه سيوليه العراق وسيولي من يشاء من أهله (أهل قيس) الحجاز ، وسينفذ له كل طلب أو أمر[2] ، وبعد مراسلات عديدة أظهر قيس فيها ولاءه الأكيد لعلي . عندها رأى معاوية ان مناورته مع قيس بهذه الطريقة مخفقة ، فلجأ الى خطة أخرى تعتمد على تشويه موقف قيس ودس جواسيسه في العراق ليوصلوا لعلي أخباراً مشككة في ولائه له[3] .

ويبدو أن خطة معاوية نجحت وتسرب الشك في ولاء قيس إلى نفس علي فعزله عن ولاية مصر وعيّن بدلاً عنه محمد بن أبي بكر . وقد عرف علي بعد عزله قيساً أن قيساً بريء مما دُسَّ عنه .

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٥٥٠ وما بعدها .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه . وحول مراسلات معاوية لقيس انظر الطبري ج ٤ ص ٥٥٠ـ ٥٥٥ . اليعقوبي : ج ٢ ص ١٨٦ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٥٥٢ .

وفي هذه المرحلة كان علي قد قام بمحاولة اقناع معاوية بالمبايعة وأنه لم يبق سواه وأهل الشام من غير بيعة . وقد أسند أمر محاولته هذه إلى رجل له شأنه في مجتمع أهل اليمن هو جرير بن عبدالله البجلي ، وفي نهاية كتابه لمعاوية أخبره أنه سيضطر إلى قتاله إذا استمر في مخالفة ما جتمع عليه الناس في مختلف الأمصار.(١)

ومما يذكره الدينوري من أمر معاوية عندما وصلته رسالة علي أنه قام هذا الاخير بجمع معاويه من أهل بيته واستشارهم في أمره فنصحه أخوه (عتبة بن أبي سفيان) أن يستعين على أمره بعمرو بن العاص الذي كان مقيماً بضيعة له في فلسطين بعد عزله من قبل الخليفة عثمان (رضي) عن مصر . فكتب معاوية إلى عمرو بن العاص كي ينضم اليه في صراعه مع علي وانه ان لبّى ذلك ونجح معاوية في هذا الصراع فانه سيجعل له مصر طعمة ما دامت لمعاوية ولاية (٢) .

ويبدو أن عمراً لم يستطع مقاومة هذه الإغراءات والمطايا التي قدمها معاوية له فلبّى دعوته وجاء على جناح السرعة إلى الشام يضع كل خبراته تحت تصرفه .

وعلى ما يظهر أن مراسلة علي لمعاوية بواسطة عبدالله البجلي لم تسفر عن أي نتيجة إلاّ نتيجة واحدة هي اعتزال عبدالله البجلي القتال بين طرفي الصراع بعد ما كان في صف علي وذلك نتيجة تأثره بسياسة معاوية فيقال انه ذهب الى (قرقيسياء) وظل بها حتى مات .

وبالرغم من ذلك ، تحدثت المصادر عن قيام مراسلات ومحاولات بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص والتي حاول فيها علي أن يثبت لخصميه أحقيته في الخلافة وأهمية عدم خروجهما عما أجمع عليه الناس (٣) . ولكن دون جدوى إذ لم تسفر هذه المراسلات إلى أي نتيجة ، وظل معاوية لا يبايع ولا يقر بخلافة علي . فما كان من الخليفة علي إلاّ إعداد

---

(١) ـ الدينوري: الأخبار الطوال ، ص١٥٦ ـ ١٥٧ . نصر بن مزاحم : صفين ص٣٢ وما بعدها .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص١٨٦ .

(٣) ـ الطبري : ج ٤ ص٥٦١ ـ ٥٦٢ الدينوري : ص١٦٢ ـ ١٦٤ . نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص٢٢٥ وما بعدها .

العدة وتجميع الجيش وترتيبه ووضع القيادات الملائمة له لمواجهة معاوية بأرض المعركة بعد استنفاذه العمل السياسي . ومما يذكر أن علياً أبقى تنظيم جنده على ما كان عليه في موقعة الجمل[1] ، والذي كان معبأ في الأصل لقتال جند الشام قبل وقعة الجمل نفسها[2] . أي أن اليمنيين كانوا يشكلون معظم جيشه كما كان معظم قادة هذا الجيش منهم أيضاً .

فقد ذكرت المصادر أن أعظم قبائل اليمن مشاركة في جيش علي في موقعة صفين كانت قبائل (همدان)[3] وحمير ومذحج[4] والاشعريين وكندة[5] وحضرموت وقضاعة وبجيلة والأزد[6] وبجيلة[7] وخثعم وخزاعة[8] وطي[9] . كما كان أبرز قادة جنده من اليمن في الوقعة ذاتها مثل : مالك بن الحارث (الاشتر)[10] ، ويزيد بن قيس الأرحبي[11] وسعد بن قيس وقيس بن سعد الهمداني[12] ، وزياد بن النضر الحارثي ومخنف بن سليم[13] ، وجندب بن زهير الازديين[14] ، وحجر بن عدي[15] ، وعبد الرحمن بن محرز[16] ، والأشعث بن قيس من كندة[17] . وعدي بن حاتم الطائي[18] .

---

(1) ـ نصر بن مزاحم : موقعة صفين ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .
(2) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٥٥ .
(3) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٠ ـ ٢١ .
(4) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٠ ، ٢٤ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٧٢ .
(5) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٤ . الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٧١ .
(6) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٤ .
(7) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٤ ، ٢٥ . نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٢٣١ .
(8) ـ الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٤٦ .
(9) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٨٨ ، ص ٣٠ .
(10) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١١ ، ٢١ ، ٢٤ . الدينوري : ص ١٧٢ . نصر ابن مزاحم : صفين ص ٢٣٢ .
(11) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢١ .
(12) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١١ الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٧٢ .
(13) ـ المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٦ .
(14) ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٤٦ . نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٢٣٢ .
(15) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٨٨ . نصر بن مزاحم : صفين ص ٢٣١ .
(16) ـ المصدر السابق ج ٥ ص ٢٠ .
(17) ـ ابن العديم : بغية الطلب ، ص ٢٤٢ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٧١ .
(18) ـ الطبري : ج ٥ ص ٩ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٧٢ . نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٢٣٢ .

وكان الخليفة علي (رضي) قد خرج بهذه الجموع من الكوفة إلى معسكره (بالنخيلة)[1] بعد أن استخلف عليها أبا مسعود الانصاري[2]. ثم كتب إلى عماله بالقدوم عليه[3].
ولما اكتملت كتائبه وبلغ عدد رجاله أكثر من ثمانيين ألف مقاتل[4]، انطلق بهذا الجيش الى ملاقاة جند الشام.

وبالمقابل، عندما علم معاوية ان الحرب واقعة لا محالة بينه وبين علي جمع حوله كبار مستشاريه كان أبرزهم من أهل اليمن شرحبيل بن السمط الكندي الذي كان له مكانة كبيرة في مجتمع الشام عموماً وأهل اليمن خصوصاً حتى أن وجوه أهل اليمن لما اجتمعوا بمعاوية بقصد استشارتهم في أمر قتل عثمان ونزاعه مع علي، لم يصدروا رأياً قبل استشارة شرحبيل بن السمط فلما وافق شرحبيل اعتبر معاوية، أهل الشام كلهم مؤيدين له[5]. ثم برز إلى جانب معاوية رجل آخر من اليمن لم يكن أقل شأناً من شرحبيل بن السمط انه ذو الكلاع الحميري[6]، حيث كان أعظم أصحاب معاوية خطراً وكانت قبيلته في الشام ـ حمير ـ أعظم القبائل عدداً وعدة وخبرة.

ولم يقتصر دعم أهل اليمن في الشام لمعاوية على هذين الرجلين فحسب بل كان الى جانبهم وجوه من وجهاء اليمانية هناك كيزيد بن أسد البجلي ومخارق بن الحارث الزبيدي وحمزة بن مالك الهمداني[7].

وكما برزت (همدان) في صف علي تتود التطرف في حبه والزود عنه فقد كان من أهل اليمن عند معاوية ما يقابل هذا التطرف وحمل لواءه.

فقد قدم رجالات قبيلة (عك) أنفسهم بسخاء إلى حد أن أبناء هذه القبيلة قيدوا أرجلهم بالعمائم حول معاوية في صفين دلالة على عدم الفرار والقتال عنه حتى الموت[8].

---

(1) ـ النخيلة، موضع بالبادية قرب الكوفة على سمت الشام. الدينوري : الأخبار الطوال، ص ١٦٥.
(2) ـ الدينوري : مصدر سابق، ص ١٦٥.
(3) ـ المصدر السابق نفسه، ص ١٦٥.
(4) ـ المصدر السابق نفسه، ص ١٦٦.
(5) ـ نصر بن مزاحم : صفين، ص ٤٧. الدينوري : ص ١٥٩. وما بعدها.
(6) ـ الطبري : ج ٥ ص ١١، ٣٤، ٣٦. الدينوري : ص ١٧٢.
(7) ـ نصر بن مزاحم، صفين، ص ٤٤. الدينوري : ص ١٧٢.
(8) ـ المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٧.

ثم برز من رجالات كندة إلى جانب معاوية شخصية يمنية شغلت في الفتنة دوراً غيّر مجرى التاريخ في مصر إن لم يكن في العالم الإسلامي كله إنها شخصية معاوية ابن حديج السّكوني فبفضله خرجت مصر من سلطان علي إلى سلطان معاوية (١) ، ثم ظهر إلى جانبه رجال من أبناء عمه كانوا جميعاً في مواقع الاحترام والتقدير عند معاوية مثل مالك بن هبيرة السكوني (٢) ، وزميل بن عمر السكسكي (٣) ، وشريح بن الحارث وغيرهم من اليمانيين (٤) .

بالإضافة إلى ذلك فقد ذكرت المصادر انضمام قبائل يمانية الشام إلى معاوية وهم حمير — أعظم أهل اليمن — والسّكون والسّكاسك والصدف والأزد وبجيلة وعك والأشعريين (٥) ومذحج (٦) ، وهمدان — (وكانوا في الأردن بقيادة حمزة بن مالك الهمداني) (٧) — وخثعم

وقبل الاسترسال في تفاصيل دور اليمانيين في نصرة معاوية لا بد لنا من وقفة أمام نقطة هامة لها أهميتها المميزة في تلك الفترة التاريخية الغابرة هذه النقطة هي أن القوة اليمانية التي اعتمد عليها معاوية في صراعه السياسي على الخلافة مع علي لم تكن هي ذاتها القوة اليمانية التي كانت موجودة في بلاد الشام إبان الفتح الإسلامي لقبائل غسان وكلب وبهراء وقضاعة وغيرها . على إعتبار أن هذه القبائل فقدت قوتها وتشتت جموعها أمام تقدم الجيش العربي الإسلامي المنتصر في بلاد الشام ، وقد شغل القائد العربي الإسلامي خالد بن الوليد الدور الرئيسي في فض جموع اليمنيين وسحق قوتهم في تلك الفترة أثناء عمليات الفتوح .

وقد أكدت مصادر عربية عديدة هذا الدور الذي قام به خالد بن الوليد بهذا الاتجاه غير أن أهم مصدر يعالج هذا الجانب هو كتاب (الغزوات الضامنة) لابن حبيش .

---

(١) — الكندي : الولاة ، ص ١٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٧٦ ، ٣٠٠ .
(٢) — الطبري : ج ٥ ص ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٨ .
(٣) — المصدر السابق ، ج ٥ ص ٢٢٧ ، ٣٣٠ .
(٤) — الطبري : ج ٥ ، ص ٣٩٩ .
(٥) — نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٢٢٧ ، ٤٦٤ .
(٦) — المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٨ .
(٧) — ابن مزاحم : صفين ، ص ٤٤ ، ٢٠٧ .

ومما كتبه ابن حبيش عن كيفية تحطيم خالد القوة اليمانية قوله : ((ان أبا عبيدة كتب الى الخليفة أبي بكر (رضي) أن الروم وأهل البلد ومن كان على دينهم من العرب قد أجمعوا على حرب المسلمين ونحن نرجو النصر ... فأجابه أبو بكر : والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد .)) وكان سيف الله المسلول وقت ذاك بالحيرة إلى جانب المثنى بن حارثة يعد العدة لقتال الفرس . ولما جاءه أمر الخليفة الاول بالزحف من العراق لبىَّ نداءه وجمع جنده وسار باتجاه الشام وكانت أول قوة تعترض طريق تقدمه هي قوة يمنية في موقع يقال له (صندوداء)[1] حيث تمكن منهم والحاق الهزيمة في صفوفهم ثم جعل عليهم سعد بن عمرو بن حرام الانصاري[2] . بعد ذلك تابع خالد تقدمه فاصطدم بقوات وتجمعات قبلية يمانية أخرى في موقع (سوى)[3] . و (المصيخ)[4] و (قضم)[5] و (أرك)[6] و (تدمر) حيث تمكن من تحطيم قوتهم جميعاً ، ولم يبق أمامه للوصول إلى الشام غير قوة واحدة هي عبارة عن تجمع يمني تكون من فلول المنهزمين الذين قاتلهم خالد في المواقع السابقة إلى جانب بني غسان حيث تمكن اليمانيون من تجميع صفوفهم في خط دفاعهم الأخير في (مرج الصفر)[7] ، بقيادة الحارث ابن الأيهم . وما أن علم خالد بهذا الأمر حتى سار اليهم وقاتلهم حتى تمكن من الحاق الهزيمة بهم .

ويبدو ان اليمنيين هؤلاء بقوا فترة من الزمن لا بأس بها غائبين عن المسرح السياسي

---

(1) _ ورد في هامش ابن حبيش ص ١٨٢ ، أن (صيدوداء) ذكرت في معجم البلدان (صيدوداء) ونقل عن ابن الكلبي أصل التسمية وقوله : سار خالد من العراق الى الشام فأتى (صندوداء) وبها قوم من كندة ... فقاتله أهلها فظفر بهم .

(2) _ ابن حبيش : الغزوات الضامنة ، ص ١٨٣ .

(3) _ سوى : ماء لبهراء اليمن ، هامش ابن حبيش ، ص ١٨٩ . معجم البلدان ص ١٨٦ ،

(4) _ المصيخ : موقع ماء لبهراء ورده خالد بن الوليد بعد (سوى) في مسيره الى الشام . ابن حبيش : ص ١٨٥ .

(5) _ قضم : موقع يماني سكنه بنو مشجعة من قضاعة . ابن حبيش : ص ١٩٠ .

(6) _ أرك وتدمر وقراقر : مواقع الكلبيين اليمانيين بشكل رئيسي في بلاد الشام . وقراقر واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق معجم البلدان ص ١٨٦ . ابن حبيش ص ١٨٥ .

(٧) _ مرج الصفر : موقع قرب الكسوة جنوب دمشق .

ربما طال أمدها حتى قيام الخلافة الأموية حيث تمكنوا من إعادة تجميع قوتهم وأصبح لهم ثقل سياسي كبير في بلاد الشام مما دفع معاوية إلى مصاهرتهم كي يكونوا حلفاء له وبالفعل كان له ما أراد .

من هنا نجد أن القوة اليمانية التي شهدت مع معاوية النزاع السياسي على السلطة مع علي لم تكن غير القوة اليمانية التي دخلت بلاد الشام بعد معركة اليرموك وخاصة يمانية حمص بقيادة شرحبيل بن السمط الكندي ويمانية حمير بقيادة ذي الكلاع .

ومهما يكن من أمر فان الصراع بين الطرفين المتنازعين وصل إلى حد المواجهة العسكرية فاجتمع الجيشان والتقيا وجهاً لوجه في صفين وظهرت القوة اليمانية في كفتي الصراع قوة ضاربة ومؤثرة . ففي جيش علي كان الأشعث بن قيس الكندي يتولى قيادة ميمنة الجيش (١) ، وبالمقابل كانت ميمنة جيش معاوية تحت قيادة ابن ذي الكلاع الحميري (٢)

لقد كانت التعبئة للمعارك تتم أحياناً على أساس تقابل كل قبيلة مقابل أختها من المعسكر الآخر (٣) ، فقد ذكر الطبري حول هذا الأمر في تاريخه أن أمير المؤمنين علي (رضي) عندما عرف مواقع قبائل جند الشام قال : للأزد ، أكفوني الأزد ، وقال لخثعم : اكفوني خثعم . وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلا تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها الى قبيلة أخرى تكون بالشام ، ليس منهم بالعراق واحد ، مثل بجيلة لم يكن منهم بالشام إلاّ عدد قليل فصرفهم إلى لخم (٤))

وأحياناً أخرى كانت المعارك تخرج عن هذه الطريقة ، فمذحج مثلاً التي كانت في ميمنة جيش علي ، قاتلت (عك وجذام ولخم والأشعريين) وكانوا في ميسرة جيش معاوية ، وقد التحموا في معركة رهيبة فقال علي : ((حتى متى تخلي بين هذين الحيين قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون اليهم ، أما تخافون مقت الله)) . وأحياناً قاتلت همدان ـ التي كانت

---

(١) ـ ابن مزاحم : صفين ، ص ٢٠٥ . ابن العديم بغية الطلب ، ص ٢٤٢ .
(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ١١ .
(٣) ـ الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٨١ .
(٤) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤ .

مع علي ـ (عك والاشعريين) وكانوا في معسكر معاوية[1] .

وقد ذكر أهل الأخبار عن معركة (صفين) أنها كانت تتم بالتناوب كل يوم يخرج أحد القواد من كلا المعسكرين فيقتتلان طوال النهار وقد تولى الأشعث بن قيس يوماً وانتهى اليوم بالتناصف وتولى سعيد بن قيس الهمداني يوماً آخر وتولى الأشتر النخعي يوماً فكان له الدولة[2] .

وليس من الضروري أن كل واحد من هؤلاء القادة لم يكن متولياً إلاّ على قومه بل كان بعد قائداً يضم تحت لوائه قوة من مختلف القبائل فكان الأشتر مثلاً يقاتل تحت لواء همدان[3] ، وسعيد بن قيس الهمداني كان في صفه أناس من كندة[4] .

ويبدو أن الاتصالات السياسية بقيت قائمة بين الجانبين على الرغم من وقوع الاشتباكات القتالية بينهما يحاول من خلالها كل طرف اظهار حقه واقناع الآخر به ، وقد ترأس وفد معاوية لعلي في إحدى المراسلات شرحبيل بن السمط الكندي،غير أن هذه الاتصالات ـ كسابقتها ـ لم تسفر عن أية نتيجة ايجابية[5] . فما كان من الخليفة إلا تعبئة جيشه في أول صفر من عام ٣٧ هـ والخروج به الى ساحة المعركة ليضع حداً نهائياً لهذا الصراع ، وقد تحدثت المصادر عن قيام معارك ضارية بين الجانبين أسفر عنها عديد من القتلى والجرحى وظهر خلالها قيادات يمنية ذاع صيتها شهرة كالأشتر النخعي الذي تحدثنا المصادر عن شجاعته[6] النادرة في القتال حتى كاد أن يحقق النصر ويهزم الجيش الشامي وقد ذكر عن معاوية نفسه أنه ركب فرسه وحاول الهرب[7] . بعد تمكن الأشتر وجماعته من سحق جميع خطوط دفاعه من الرجال الذين كانوا يحيطون به . وقد ذكر الطبري أن معاوية قال في تلك الموقعة : ((أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن الاطنابة من الأنصار :

---

(١) ـ نصر ابن مزاحم : صفين ، ص ٢٢٧ ، ٣٦٣ ، ٤٤٣ ، ٤٧٧ .
(٢) ـ الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٧٤ ـ ١٧٧ . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ، ص ٢٤ . نصر بن مزاحم : صفين ص ٢٨٤ .
(٤) ـ الدينوري : مصدر سابق ، ص ١٧٥ .
(٥) ـ الطبري : ج ٥ ص ٧ ـ ٨ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٩١ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٤ .
(٧) ـ نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٤٤٩ . الطبري : ج ٥ ص ٢٤ .

أبت لي عفتي وحياء نفسي   واقدامي على البطل المشيح[1]

في تلك اللحظات الحرجة التي واجهها معاوية وجنده في صفين ، تفتق ذهن عمرو بن العاص عن حيلة ماكرة ينهي بها القتال وذلك برفع المصاحف على رماح جند الشام ثم النداء على أن يكون كتاب الله الحكم بين الطرفين .

ويبدو أن هذه الحيلة سرى مفعولها بشكل ايجابي وسريع في جيش علي وذلك على الرغم من تحذير الخليفة الشديد لقادة جيشه من الأخذ بهذه الحيلة[2] ، التي اقدم على فعلها معاوية وعمرو بن العاص . غير أن هذا التحذير لم يلق قبولاً عند قائد ميمنة جيش علي الاشعث بن قيس الكندي الذي رحب بمبادرة معاوية ترحيباً كبيراً وطلب على الفور من الخليفة علي أن يأذن له بالسير إلى معاوية كي يقف على تفاصيل الأمور بشكل مباشر منه[3] .

لم يكن أمام الخليفة علي أي خيار يمنع بموجبه الاشعث بن قيس من الذهاب إلى معاوية فسمح له بذلك ، ويبدو أن معاوية استطاع إقناع الأشعث بوجوب اللجوء إلى التحكيم ووضع السيف جانباً والعمل بما جاء في كتاب الله . وأن يكون هناك حكمان يمثلان طرفي القتال واقتراح الاشعث بن قيس ممثلاً عنهم أبا موسى الاشعري[4] ، بينما اتخذ معاوية ممثله عمرو بن العاص .

ولما عاد الاشعث من عند معاوية إلى علي وأبلغه بتلك المبادرة فما كان من الخليفة إلا أن رفضها رفضاً قاطعاً وبخاصة عندما علم أن مرشح معاوية عمرو بن العاص . وحاول جهده أن يقنع الاشعث بن قيس وجماعته بأن هذا الأمر خدعة أولاً وإذا لم يكن للأمر بد فيكون ممثلاً لعلي عبد الله بن عباس ثانياً . ولكن الاشعث رفض رأي الخليفة وأخذ

---

(1) ـ الطبري : ج ٥ ص ٢٤ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٤٨ ـ ٤٩ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥١ . نصر بن مزاحم : صفين ص ٥٧١ .
(٤) ـ نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٥٧٢ . وما بعدها . الدينوري : ص ١٩٢ . وما بعدها .

يطلق تهديده ووعيده له ولقائده اليمني الآخر الأشتر النخعي (١)، بحجة أنهم لا يريدون أن يحكم فيهم مضريان . وأمام هذه الضغوط اضطر علي للموافقة لما أراد الأشعث وجماعته (٢) بقبول أبي موسى الأشعري ممثلاً لهم وتقرر أن يكون موعد صدور حكم المحكمين في رمضان التالي في مكان يقع بين الشام والعراق في دومة الجندل أو اذرح (٣). بعد أن تمت كتابة نص كتاب التحكيم وشهد عليه من اليمن من جانب علي الأشعث بن قيس الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ، وورقاء بن سمي البجلي ، وعبد الله ابن محل العجلي ، وحجر بن عدي الكندي ، وعبد الله بن الطفيل العامري ، وعقبة ابن زياد الحضرمي ، ومالك بن كعب الهمداني (٤) .

وشهد من أهل اليمن من جانب معاوية . الخارق بن الحارث الزبيدي وحمزة ابن مالك الهمداني ، وسبيع بن يزيد الانصاري ، وعلقمة بن يزيد الانصاري (٥) .

وإثر ذلك توقف القتال بين الجانبين بانتظار صدور حكم الحكمين فأمر علي جيشه أن يسير باتجاه الكوفة وأمر معاوية جيشه السير باتجاه الشام .

ويبدو أن تفاعلات هذا الإتفاق أخذت تتأجج بشكل سلبي في صفوف جيش علي فانقسم إلى شيع وأحزاب في أمر التحكيم بالقبول به أو رفضه وتطور الجدل إلى حد القتال بالسيوف ولوم علي لقبوله به على الرغم من أنه لم يوقف القتال إلاّ تحت ضغطهم هم أنفسهم .

وعند وصول جند علي الى الكوفة خرج من جنده (الخوارج) الذي قدّر عددهم بـ (١٢) ألف مقاتل ورفعوا شعارهم : لا حكم إلاّ الله .

ومن غرائب الأمور أن قادة هؤلاء الخوارج هم أنفسهم الذين طلبوا من الخليفة

---

(١) _ الطبري : ج ٥ ص ٥١ ، ٥٤ _ ٥٥ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٩٢ .

(٢) _ كان أبرز جماعة الاشعث في جيش علي زيد بن حصين الطائي الذي اصبح زعيماً للخوارج فيما بعد وكذلك عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي . انظر الطبري : ج ٥ ص ٤٩ .
المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٥٦ .

(٣) _ الطبري : ج ٥ ص ٥٧ .

(٤) _ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٤ . نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٥٨٠ وما بعدها .

(٥) _ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٤ . نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٥٨١ .

علي وبالحاح شديد القبول بالتحكيم وقد رفض الخليفة في حينها طلبهم هذا كما رأينا غير أنه اضطر للموافقة . وبعد موافقته رفضوا هذا الأمر وطلبوا منه الرجوع عنه أو قتاله وقد تزعم هذه الحركة (حركة الخوارج) رجال من اليمن هم : زيد بن حصين الطائي وعبد الله بن وهب الراسبي من الأزد وغيرهم (1) .

خرج علي إلى المنشقين وجادلهم في رأيهم وأقنعهم بالعودة إلى صفه فاقتنعوا ودخلوا معه الكوفة وانضموا اليه وقد سميت هذه الجماعة الأولى باسم "الحرورية" لاجتماعهم في (حروراء) ولكنهم ما لبثوا أن نقضوا عهدهم وعادوا للعصيان بحجة أن علياً وعدهم أن يسير بهم دون إبطاء لمحاربة أهل الشام . فلما لم يفعل وأرسل أبا موسى الأشعري لحضور جلسة التحكيم عدّوا أنفسهم في حل من طاعته وخرجوا عليه من جديد وانتخبوا خليفة من بينهم هو عبد الله بن وهب الراسبي من أزد اليمن وبايعوه في العاشرة من شوال سنة ٣٧ هـ (2) .

حاول علي كعادته أن يقنع هؤلاء الذين خرجوا من صفوفه بالطرق السياسية عن طريق المراسلة (3) ، بغية التفاهم غير أنه لم يصل إلى نتيجة مثمرة بهذا الاتجاه . مما اضطره إلى اللجوء إلى القوة . فكتب علي إلى أصحابه بأن يتجمعوا في معسكر (النخيلة) حتى تستكمل كتائب الجيش استحقاقاتها ثم السير لقتال الخوارج . فقدم الأحنف ابن قيس بـ (١٥٠٠) رجل (4) ، بالإضافة إلى عدي بن حاتم الطائي وحجر بن عدي الكندي (5) . والأشعث بن قيس الكندي الذي أتهم بأنه كان يرى رأيهم لأنه كان يقول يوم صفين : أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله . فلما أمر علياً بالسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم (6) . ثم قيس بن عبادة الأنصاري (7) ، وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري . كلهم قادة يمنيون توجهوا تحت راية علي لقتال الخوارج الذين تزعمهم

---

(1) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٥٦ ، الطبري : ج ٥ ص ٧٤ ـ ٧٩ ، ٨٢ ـ ٨٩ .

(2) ـ الطبري : ج ٥ ص ٧٥ . بينما اعترض على سنة وقوع المعركة المسعودي والبلاذري وذكروها سنة ٣٨ هـ . انظر المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٤١٥ . ط . القاهرة ١٩٤٨ م .

(3) ـ الطبري : ج ٥ ص ٧٧ .

(4) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٧٨ .

(5) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٧٩ .

(6) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٨٢ ، ٨٩ .

(7) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٨٣ .

ينسبون من بعض القبائل أيضا .

غير أن الأمر الملفت للنظر هنا هو أن هذه الفرقة - الخوارج - ستظل الشوكة الكبيرة في حلق الدولة العربية الاسلامية طوال حكم الخليفة الرابع والدولة الأموية من بعده .

وتذكر المصادر أنه بعد نقاش طويل بين الحكمين لم يتوصلا إلى اتفاق (١) . لذلك وجد الإمام نفسه مضطراً في أن يستأنف القتال مع معاوية وجنده .

جمع علي جيشه في معسكره (بالنخيلة) ودعا فئة الخوارج التي كانت قد تجمعت في (النهروان) للإنضمام اليه في سيره لحرب معاوية ولكن الخوارج رفضوا الاستجابة لندائه وقتلوا عامله على المدائن وكان صحابياً جليلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله بن جناب بن الارت .

أمام هذا الأمر اضطر الخليفة علي إلى محاربتهم في النهروان (٢) ، ولما تم له القضاء عليهم ، طلب من جنده السير باتجاه الشام لقتال معاوية ، لكن سرعان ما نجد أن صاحب فكرة القبول بالتحكيم الأشعث بن قيس الزعيم اليمني المعروف في صفوف جيش الخليفة هو نفسه الذي بدأ يتقاعس عن قتال معاوية وجنده بعد القضاء على الخوارج في النهروان (٣) . وحول هذا الأمر ذكر ابن العديم في بغية الطلب أن الأشعث بن قيس الكندي قال : ((يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فلو أرحتنا فسرنا حتى نستعد ثم نسير الى عدونا فركن الناس الى ذلك)) (٤) .

ومهما يكن من أمر اذا أردنا أن نحدد بداية النهاية بالنسبة لسيادة علي وقوته لوجدنا أن معركة صفين كانت نقطة التحول الهامة التي انقلب من بعدها ميزان القوى لصالح خصمه .

---

(١) - الطبري : ج ٥ ص ٨٥ - ٨٧ .
(٢) - الطبري : ج ٥ ص ٦٤ - ٩٣ . اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ١٩٣ .
(٣) - ابن العديم : بغية الطلب ، ص ٢٤٢ .
(٤) - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٢ .

فبعد هذه المعركة خرج الخوارج عليه وأعلنوا الحرب ضده وتثاقل أهل البصرة والكوفة من نصرته وملوا حمل السلاح ، وأخذت روح العصيان تسري إلى الأطراف[1] ، وكانت أقسى الضربات التي نزلت على سلطان علي سقوط مصر بيد عمرو ابن العاص بمساعدة الزعيم اليمني معاوية بن حديج الكندي وانسلاخها عن الخلافة في الكوفة وتبعيتها لمعاوية في الشام[2] . وقد ساعد احتلال معاوية لمصر على تفرغه وتركيز جهوده للإجهاز على علي في العراق . ومما سهل هذه العملية بالنسبة لمعاوية انه تمكن حوالي سنة ٣٨ هـ أو السنة التي تليها من أن يعقد معاهدة عدم اعتداء مع الإمبراطور البيزنطي (كونستانس) مقابل أتاوة سنوية يدفعها معاوية فيتفرغ لحل مشاكله الداخلية[3] .

بيد وأن ظروف معاوية لم تكن تسمح له بعد بمهاجمة علي دفعة واحدة والاشتباك معه بمعركة كبيرة ، لذلك نراه إبتداً من سنة ٣٩ هـ يرسل جيوشاً صغيرة تقوم بالغارات على بعض المناطق العراقية وتشتبك في مواقع محدودة مع أنصار الخليفة ومن هذا النوع ، جيش الضحاك بن قيس[4] حيث أمره معاوية بمهاجمة (القطقطانة) ومواقع أخرى من أرض العراق ، فلما بلغ ذلك علياً سرح لمواجهته جيشاً تعداده أربعة آلاف جندي بقيادة رجل مشهور من أهل اليمن هو (عدي بن حجر الكندي) الذي استطاع مطاردة الضحاك وجيشه الى ما بعد تدمر[5] .

ولكن بعد هذا كله إذاً حاولنا إسقاط الضوء على هذا الصراع في بلاد اليمن وجدنا أنه لم يعرف أن اليمن رفضت البيعة لعلي في بداية الأمر أو أنه حدثت فيها مشاغبات ، بل كانوا في حالة من الهدوء والسكون ، وكانت قبيلة همدان بالذات موالية ولاءً تاماً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(١) ــ الطبري : ج ٥ ص ٩٢ ، ٩٥ ــ ٩٦ ، ١٢٢ ، ١٣٧ وما بعدها . ج ٤ ص ٥٥٧ ــ ٥٥٨ .

(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٩٨ وما بعدها عبدالله البري : القبائل العربية ص ١٤٣ .

(٣) ــ نبيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٦ .

(٤) ــ وجّه معاوية عدة جيوش صغيرة لمهاجمة علي في العراق ، منها جيش الضحاك بن قيس ، وجيش النعمان بن بشير الذي سار الى عين التمر وجيش سفيان بن عوف الذي هاجم هيت والانبار ، وجيش عبدالله بن مسعدة الفزاري الذي أغار على تيماء .
الطبري : ج ٥ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ــ ١٣٥ .

فقد أنشأ المبالد بن ذي مران الهمداني قصيدة خاطب فيها معاوية متهماً لـــه بالادعاء والتمويـــه (١) .

ثم قدم على أمير المؤمنين علي من اليمن سعيد بن قيس الحاشدي الهمداني ومعـه الكثير من قبائل همدان فنزلوا معـه العراق وشهدوا معاركـه (٢) .

ولم تعرفنا المصادر بأي شيء عن اليمن في هذه الفترة حتى سنة (٤٠ هـ) حينمـا وجه معاويـة بن أبي سفيان (بسـر بن أبي أرطاة العامري) في ثلاثة آلاف رجل لاجتياز الحجاز حتى يصل اليمن ، فقد أبرزت المصادر حينئذ سبب إرسال (بسـر) إلى اليمن ، وهو أن معاويـة تلقى كتاباً من بعض أهل اليمن أظهروا له الموافقة علـى مطالبتـه بمقتلة عثمان لأنهم استنكروا قتل أمير المؤمنين ، وكان هؤلاء في (صنعاء) (٣) و(الجند) (٤) ، و(نجران) (٥) .

ولم تكتف شيعة عثمان بالولاء السكوتي والكتابة الى معاويـة بل أظهروا مخالفـة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والبراءة منـه ، وقد استدعاهم عبيد الله بن عبـاس فتحاور معهم فبينوا له أنهم مازالوا يرون مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان رضـي اللـه عنـه .

فلجأ عبيد اللـه الى سجن بعض رجالهم ، فثاروا لهم قوم من اليمن وهددوا عبيـد اللـه إما أن يطلقهم وإما فلا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب ، فرفض عبيد اللـه فمـا كان منهم إلا أن استعصوا ومنعوا دفع زكاة أموالهم لعبيد اللـه بن عباس .

وقد حرص أمير المؤمنين على أن يستشير زعماء اليمن الذين يرافقونـه في الأحداث التي تحصل في اليمن ، وكان من هؤلاء (يزيد بن أنس الأرحبي) فنصحه بأن يكتـب لهم كتاباً فان لم يستجيبوا وإلا أرسل إليهم جيشاً . فكتب الكتاب وأرسله مع رجـل

---

(١) _ الهمداني : الأكليل ج١٠ ص ٣٤ .
(٢) _ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، مصدر سابق ، ص ١٣ مخطوط
(٣) _ اليعقوبي : التاريخ ، ج ٢ ص ١٩٧ .
(٤) _ ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، ج ٤ ص ١٤٠ .
(٥) _ الطبري : ج ٥ ص ١٤٠ وما بعدهـا .

من همدان فلم يؤثر فيهم بل زادهم استمساكاً وكتبوا على أثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم أميراً من قبله ، فأرسل (بسر بن أرطاة) الذي جاس خلال الديار يقتل ويحرق متتبعاً كل شخص كان متشيعاً لعلي سواء من (أرحب) أو (جيشان) أو (صنعاء) أو (نجران) أو (حضرموت) ، وروي ان ما يزيد عن ثلاثين ألفاً من شيعة (علي) قتلوا في اليمن(١) .

ولم يترك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اليمن لبسر بن أرطاة بل أرسل إليه (جارية بن قدامة) في ألفين ، ووهب بن مسعود في الفين(٢) من المقاتلين ، فلما دخلت قوة أمير المؤمنين على (نجران) سارع بسر وأصحابه بالهرب عائدين إلى الشام(٣) .

ومن الجدير بالملاحظة هنا هو أن (همدان) كما أنها ناصرت (علياً) وخرجت معه إلى العراق ، فإنه لما جاء (بسر بن أرطاة) إلى اليمن ظلوا على ولائهم إلى أمير المؤمنين علي وصمدوا لبسر وقتل منهم الكثير وانحاز أكثرهم الى جبل (شبام)(٤) .

ويذكر الطبري في تاريخه أنه جرت بعد هذه الأحداث الدامية مراسلات طويلة بين علي ومعاوية سنة (٤٠ هـ) اتفقا بنتيجتها ان تعقد بينهما مهادنة يتعهدا فيها بعدم الاعتداء أو القيام بالغارات والغزو(٥) .

ويبدو أن هذه الهدنة كانت قصيرة الامد لاننا نعلم أن معاوية ما لبث أن اتخذ لنفسه في هذا العام (٤٠ هـ) لقب خليفة في بيت المقدس واخذ البيعة من أهل الشام . وأجاب علي على هذا العمل بأن أخذ يعد العدة للخروج إلى الشام لحرب معاوية بن أبي سفيان ولكن ، لم يتح له أن ينفذ ما عزم عليه اذ وقع ضحية طعنة من قبل أحد رجال اليمن من قبيلة (مراد) هو (عبد الرحمن بن ملجم) التي تذكره

---

(١) ـ ابن أعثم الكوفي : مصدر سابق ، ج ٤ ص ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٣ ـ ٦٤ ، ٦٩ .
(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ١٤٠ .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ص ١٤٠ .
(٤) ـ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، مصدر سابق ، ج ١ ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٥) ـ الطبري : ج ٥ ص ١٤٠ .

المصادر في عداد الخوارج ، وأن تعداده كان في كندة[1] ، وأن (شبيب بن بجرة) شريكه في عملية الاغتيال وصاحب الضربة الأولى في العملية التي لم تصب هدفها خرج متخفياً نحو أبواب كندة بالكوفة في الغلس ، وهنا يمكن للمرء أن يتساءل هل كان للكنديين دور في عملية التخطيط لاغتيال الخليفة علي ؟ لا سيما أن الكنديين كانوا يشكلون قسماً كبيراً في جيش علي وقيادته ولنا في تاريخهم عبرة في اشتهارهم بالغدر[2] ، وتغير المواقف والاتجاهات ولا أستبعد مطلقاً أن يكون لهم مثل هذا الدور هنا.

ومهما كان من أمره فإن انتقال الخليفة علي بن أبي طالب إلى جوار ربه قد ترك المجال فسيحاً لمعاوية ليثبت خلافته ويوطد أركان ملكه . وقد اختلفت الآراء والروايات حول وصية علي ، فمن قائل أنه أمر أن يكون الأمر من بعده لابنه الحسن ، ومن قائل انه قال حين سئل لمن يكون الأمر من بعده ((ما آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر))[3] .

كان الحسن الذي عرف تخاذل العراقيين في نصرتهم لأبيه لا يريد القتال ويعرف أن قيس بن سعد الانصاري يخالفه في الرأي ويريد القتال لذلك عزله وولى على الجيش عبيد الله بن عباس[4] ، وصدف في هذه الفترة أن تعرض الحسن لطعنة من بعض خصومه كادت أن تودي بحياته ـ لا يشرح لنا المزهر وصاحب الرواية في الطبري[5] . الأسباب أو الظروف التي عرضت الحسن لهذه الطعنة ـ فازداد بغضه لأنصاره من العراقيين وعدم ثقته بهم وكاتب معاوية في الشروط التي يشترطها للتنازل عن العرش . وكان معاوية قد أرسل له في نفس الوقت (أي قبل ان يصله كتاب الحسن الذي يعرض فيه التنازل) ، صحيفة بيضاء مختوم في أسفلها بختمه وترك له أن يدون فيها الشروط التي يراها مقابل تنازله عن حقه في الخلافة .

ويبدو أن اليمنيين لم يكونوا بعيدين كثيراً عن حلبة الصراع السياسي في هذه المرحلة أيضاً ما بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان بل أصروا على أن يكون لهم كلمة الفصل في ذلك . فقد ذكرت المصادر في عديد من الروايات أن معاوية اتصل سراً بزوجة

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٤٤ .
(٢) ـ محسن يونس : كندة في الاسلام ، ص ٢٤٨ .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٥٨ ، اليعقوبي : ج ٢ ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ، اليعقوبي : ج ٢ ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

الحسن وكانت تدعى (جعدة أو بختة) وهي بنت الأشعث بن قيس الكندي وطلب منها أن تسمم زوجها الحسن مقابل أن يزوجها ابنه يزيد بعد تنفيذ العملية وتؤكد رواية ميمون بن مهران ورواية موسى بن عبد الرحمن بن مسروق الكندي في كتاب بغية الطلب لابن العديم صحة ما قام به معاوية من اتصال بابنة الأشعث بن قيس زوج الحسن وأنها نفذت ما طلب منها معاوية وقتلت زوجها بالسم[1] .

ومن هنا ندرك أهمية ما قامت به هذه اليمنية (ابنة الأشعث بن قيس) في تغيير مجرى الأحداث في كيفية وصول معاوية الى مبتغاه . فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على الدور المميز لأهل اليمن في صناعتهم حدثاً تاريخياً كان له وقعه الخاص في التاريخ العربي الاسلامي .

ومهما يكن من أمر فقد كانت خلافة معاوية - بعد تمكنه من حسم الصراع لصالحه بشكل نهائي - بداية عهد جديد عاشت خلاله الدولة العربية ما يقارب العشرين عاماً من السلام والازدهار في الداخل ، والانتصارات الحربية في الخارج وقد ساعد معاوية على النجاح في مهمته انه إعتمد اعتماداً كبير على الشام وأهلها وبشكل خاص على اليمنية كركيزة أساسية من ركائز حكمه .

ففي الشام ، التي كانت من قبل تحت حكم البيزنطيين وجد معاوية تقاليد عريقة في الحكم والادارة ، كما وجد جهازاً إدارياً متمرساً ساعده على أداء مهمته في فترة التأسيس هذه التي لا تحتاج الارادة الطيبة فحسب ، بل الخبرة والمران اللذين وفرهما له جهاز الموظفين الذين كانوا يعملون في ظل الادارة البيزنطية في الميدانين الاداري والمالي إلى جانب إعتماده الكبير على اليمنيين أصحاب الخبرات الكبيرة في شؤون الحكم وادارة البلاد وكيف لا يكون اعتماده كبيراً عليهم في هذا المجال ولسان حاله القائل إلى واليه على مصر (مسلمة بن مخلد ٤٧ - ٦٢ هـ) : ((لا تولي عملك إلاّ أزدي أو حضرمي فإنهم أهل الأمانة))[2] .

كل هذه الأمور أتاحت لمعاوية ظروف حكم أفضل من الظروف التي أتيحت لعلي ابن أبي طالب .

---

(١) - ابن العديم : بغية الطلب ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٥ .

وكان من أشهر القادة الذين قتلوا : ذو الكلاع الحميري ، وحوشب ذو ظليم الحميري(١) .

أما في الأفراد فيكفي أن نذكر أنه في موقعة الجمل وحدها قُتِلَ من الأزد ألفان وخمسمائة قتيل فقط(٢) .

وكان المشهور في المعارك التي دارت بين علي ومعاوية أنها معارك فناء ، فلم يحدث أن أحد الطرفين فرّ أو تقهقر مثل ما فعلت (عك) حيث ربطت نفسها لكي لا تفر ولا تتراجع وصمود مذحج لها حتى كاد الفناء أن يدب إليها(٣) .

بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر ــ كما علمنا سابقاً ــ أن عدد الذين قتلوا من أهل اليمن على يد بسر بن أرطاة ثلاثين ألف رجل(٤) .

وكنتيجة لهذا الصراع ظهر مصطلح ما يعرف باسم (اليمانية) والتعصب لها مقابل (القيسية) . هذا المصطلح الذي اتخذ كلواء ينضوون تحته ، فكان أول ما ظهر في قضية التحكيم فقيل : ((انضمت اليمانية إلى صف الأشعث بن قيس لتأييد التحكيم))(٥) .

وفي مصر مالأت (اليمانية) معاوية بن حديج السّكوني ضد محمد بن أبي بكر والي علي (رضي) كما أصبح لليمانية دور بارز في عهد الدولة الأموية ، وكان لهم زعماء مشهورون إلى حد أن معاوية اتخذ من اليمانية أصهاره وجيشه وقواده(٦) .

ومهما يكن من أمر فإن قضية الخوارج والشيعة كانتا أبرز مشكلتين واجهها معاوية في عهده وعهد سائر الخلفاء الأمويين وقد شغل اليمانيون دوراً رئيسياً في أحداثهما .

وربما كانت الدوافع الاقتصادية أحد أهم الأسباب الرئيسية المحركة لهذا الصراع بين العراق والشام وهذا ما يفسر غلبة المصالح الاقليمية عند اليمانيين على التعصب القبلي . وسنرى لاحقاً أن هذه الدوافع سيكون لها أهمية خاصة في الأحداث التاريخية المقبلة بين مصري النزاع .

---

(١) ــ ابن مزاحم : صفين ، ص٢٩٧ . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٩ .
(٢) ــ الطبري : ج ٤ ص ٥٢٩ ، ٥٤٥ .
(٣) ــ نصر بن مزاحم : صفين ، ص ٢٢٧ ، ٤٧٧ .
(٤) ــ ابن أعثم الكوفي : مصدر سابق ، ج ٤ ص٥٣ ، ٥٥ ، ٦٣ــ٦٤ ، ٦٦ .
(٥) ــ اليعقوبي : التاريخ ، ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .
(٦) ــ الاكوع : مقدمة شرح قصيدة الدامغة ، ص ٤٣ .

دور أهل اليمن في صراع معاوية مع الخوارج :

كانت الأمة الاسلامية حتى ولي معاوية الخلافة عدة أحزاب هي : أتباع بني أمية وشيعة علي ، والخوارج ، وهناك فئة أخيرة حايدة ابتعدت عن الصراعات السياسية .

وكانت بلاد المشرق (العراق وفارس) ، مركزاً لنشاط الخوارج الذين كانوا يثورون كلما مكنتهم الفرصة . وقد قويت شوكتهم منذ قيام الدولة الأموية ، فواجه معاوية معارضة قوية منهم ، وعملوا على مناوأة سلطته في كل من الكوفة والبصرة . لذلك كان لا بد أن يتبع معاوية معهم اسلوب الشدة والقمع ليأمن شرهم .

ففي عام ٤١ هـ قام الخوارج في وجه معاوية برئاسة رجل من أهل اليمن يدعى (ورقه ابن نوفل الأشجعي من قضاعة)[١] ، وكان قبلها مقاتلاً إلى جانب علي غير انه اعتزل في خمسمائة من الخوارج في (شهر زور) فأرسل معاوية إليهم جيشاً من أهل الشام ولكنه هزم على يد الخوارج مما دعاه أن يلقي هذه المسؤولية عن كاهله ويعلقها برقاب الكوفيين فخاطبهم قائلا : ((لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم)) . مما اضطر الكوفيين إلى محاربتهم . فما كان من الخوارج إلا أن قاموا بتنظيم قوتهم واستعملوا عليهم زعيماً يمنياً جديداً من قبيلة طيء يدعى عبدالله بن أبي الحر الطائي ، غير أنهم لم يتمكنوا من قوة الكوفيين الذين كلفهم معاوية بقتالهم فقتلوا[٢] .

وفي العام التالي تجدد خروج الخوارج على معاوية بزعامة رجل يماني من قبيلة مراد يدعى (سالم بن ربيعة العبسي المرادى) . وقد ذكر عن هؤلاء الخوارج أنهم دخلوا الكوفة في عهد واليها (المغيرة) . ولما علم والي الأمويين بأمرهم قبض على جماعة منهم وأودعهم السجن ، وضيّق على الباقيين الخناق حتى غادروا الكوفة[٣] .

وفي عام ٤٣ هـ استعان والي الكوفة الأموى (المغيرة) بقائد يمني من قبيلة الصدف الحضرمية يدعى (قبيصة بن الدمون الحضرمي) على رأس ثلاثة آلاف مقاتل لقتال الخوارج في الكوفة[٤] . كما استراتقاتل آخر من قادة أهل اليمن في جيش المغيرة

---

(١) ـ ابن حبيش : مصدر سابق ، ص ١٩٠ .

(٢) ـ الطبرى : ج ٥ ص ١٦٦ .

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٨٢ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٨٦ .

لقتال الخوارج من قبيلة الأزد يدعى (عمير بن أشاءة الأزدي) حيث كان رئيساً على قومه (١) .

وعندما بدأت المعركة بين الطرفين جعل قائد المغيرة (معقل بن قيس) المقاتلين من قبيلة همدان اليمنية في وجهه ، وبقية أهل اليمن في وجه آخر . فان دل هذا على شيء فانه يدل على الأعداد الكبيرة التي اشتركت فيها همدان في معركة الخوارج دونها وقفت بنفسها أمام المهمة الموكلة اليها وبقية أهل اليمن جميعاً وقفوا لاداء مهمة أخرى تخدم الغرض نفسه (٢) .

ولم يمض وقت طويل على القتال بين الطرفين حتى تمكن القائد اليمني ورجاله من القضاء على الخوارج (٣) .

وبعد موت (المغيرة) ولّي معاوية ، الكوفة زياد بن أبيه حيث عاد الخوارج الى الظهور مرة أخرى وكان أبرز رجالاتهم من أهل اليمن (زحاف وقريب بن إياد الطائيين) وقد ذكر عنهما أنهما كانا ابني خالة وكانا أول من خرج بعد أهل النهر . وقد أخذهم زياد بن أبيه بكل صنوف الشدة الأمر الذي ضمن اخماد حركتهم طيلة فترة ولايته على العراق .

دور أهل اليمن في صراع معاوية مع الشيعة :

في سنة ٤١ هـ أرسل معاوية المغيرة إلى الكوفة عاملاً عليها . واعتمد عليه في تهدئة أحوالها (٤) ، وقد اختاره معاوية لهذه المهمة نظراً لشغله أدواراً سياسية كبيرة قبل ذلك ، إضافة إلى وقوفه بجانبه أثناء صراعه السياسي مع علي .

ولما تسلم المغيرة هذا المنصب كان قد تقدمت به السن فرغب في الراحة . فلم يندفع في نصرة معاوية ولم يسرف في معاداة الثائرين وكان أبرز المعارضين

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ، ص ١٩٨ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٠٠ ،
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٠٦ ،
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٦٦ .

له وللبيت الأموي بشكل عام شخصية يمانية معروفة في التاريخ الاسلامي هو حجر ابن عدي الكندي .

وكانت جماعات من أهل الكوفة لا تنكر حبها لعلي بزعامة حجر بن عدي ، وكثيراً ما حاول بعضهم إظهار هذا الحب علناً ، وكان المغيرة بالمقابل يحاول أن يعالج الأمر بسعة رحب دون أن يلجأ الى قمع حجر وجماعته . فقد طلب المغيرة من زعيم الشيعة وجماعته أن يحبوا علياً ما أرادوا شريطة ألا يظهروا ذلك فتقوم بينه وبينهم خصومة يساق واليها سوقاً بوصفه ممثلاً للأمويين . وينقل الطبري حديثاً عن لسان المغيرة يشرح هذه السياسة إذ نرى المغيرة يقول لرجل من أصحاب علي يدعوه الى التكتم : ((إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس وإياك ان يبلغني أنك تظهر شيئاً من فضل علي علانية فان كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سراً ، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا))(١) .

وفي سنة ٤٥ هـ أرسل معاوية زياد بن أبيه والياً على البصرة بعد أن ألحقه بنسبه ، وضم اليه سجستان والهند والبحرين وعمان . ولما مات المغيرة سنة ٥٠ هـ ضمت اليه الكوفة أيضاً . وكان يذهب إليها في كل عام ليتفقد أحوالها ويقمع شغب أهلها ، إذ أن أمر شيعة علي فيها بقيادة الزعيم اليمني حجر بن عدي كان قد استفحل بعدما بدا من لين المغيرة وتسامحه وسياسته التي لم تعرف البطش ، وقام الكوفيون على عمرو بن الحريث ممثل زياد فيها فحصبوه في مسجد الكوفة وهو يخطب فيهم بتحريض من قبل زعيمهم حجر بن عدي الذي كان يجتمع اليه شيعة علي ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه(٢)

توجه زياد بن أبيه إلى الكوفة بعد أن بلغته هذه الأخبار ودخل المسجد وصعد المنبر وحجر بن عدي جالس في المسجد وحوله أصحابه ، فخطب زياد مهدداً متوعداً قائلاً :
((ما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر بن عدي وأدعه نكالاً لمن بعده))(٣) .

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ١٨٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٥٦ ، اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٣٠ .

وفي سبب أمر حجر قال محمد بن سيرين : ((خطب زياد بن أبيه يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقال له حجر : الصلاة ! فمضى في خطبته فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصا وسار إلى الصلاة وسار الناس معه فلما رأى زياداً نزل فصلى بالناس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثّر عليه[1] .

فكتب إليه معاوية : ((إن شده في الحديد ثم أحمله الي))[2] . فأمر زياد أحد شرطته أن يحضر حجر إليه ، وما أن وصل الشرطي إلى حجر يبلغه قول الأمير حتى أجاب أصحابه برفض طلب زياد ، عندئذ أرسل الأمير قوة من شرطته في طلب حجر فكان جواب الشيعة من أصحابه السب والشتم لزياد والأمويين وهنا نفذ صبر زياد ووثب بأشراف أهل الكوفة وقال لهم : ((يا أهل الكوفة ... أبدانكم معي وأهواؤكم مع حجر بن عدي ... هذا والله من دحسكم وغشكم والله لتظهرن لي براءتكم ولآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم ... فليتم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة ـ أي الشيعة ـ حول حجر فليدع كل رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنه كل من استطعتم ان تقيموه ، ففعلوا ذلك فأقاموا جل من كان مع حجر فلما رأى زياد ذلك ، طلب من أمير شرطته ان ينطلق إلى حجر فيطلبه إلى الأمير وان لم يلبّ أمر شرطته أن يحضروه بالقوة .

ومن الغريب هنا أن معظم شيعة علي بالكوفة كانوا من أهل اليمن بالإضافة الى قيادات هذا الحزب حيث برز من اليمن إلى جانب حجر عدد آخر من رجالات اليمن لم يكونوا أقل منه شأناً في تشيعهم . بالإضافة إلى ذلك سنجد أن القوة التي استخدمها ممثل الأمويين بالكوفة ـ زياد بن أبيه ـ كانت غالبيتها من أهل اليمن أيضاً من هنا يتضح لنا أنه لم يكن للعصبية القبلية اليمنية دور يذكر في هذا النزاع وانما كان المحرك الأساسي لها هو المصالح الخاصة .

ويذكر أنه لما قامت شرطة زياد بن أبيه بمداهمة حجر قام عمير بن يزيد الكندي وهو

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص٢٥٦ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه .

(أبو العمرطة) بانتزاع عمود من بعض الشرطة وقاتل به دفاعاً عن حجر وشيعته حتى خرجوا من أبواب كندة ومضى حجر وأبو العمرطة حتى انتهيا إلى دار حجر واجتمع إلى حجر أناس كثر من أصحابه عندئذ قام قيس بن فهدان الكندي على حماره يسير في مجالس كندة يستنفرهم لحماية حجر ويقول :

يا قوم حجر دافعوا وصولوا ... وعن أخيكم ساعة فقاتلوا[1]

فلم يأت من كندة كثير أحد . فما كان من زياد إلَّا إن قام بجمع عدد من قبائل اليمن مثل مذحج وهمدان وأمرهما بالسير إلى جبانة كندة ، ثم لينهضوا إلى حجر فليأتوه به . كما أمر بقية أهل اليمن بالكوفة بالسير إلى جبانة الصائدين للغرض نفسه . فذكر الطبري خروج الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة وقضاعة فنزلوا جبانة الصائدين ، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليمن لمكانهم من كندة ، وذلك أن دعوة حضرموت مع كندة فكرهوا الخروج في طلب حجر[2] .

ويبدو أن رؤوس أهل اليمن وقعوا في احراج عظيم نتيجة لتكليفهم من قبل زياد بإحضار أحد رجالاتهم إليه كي يوصله إلى سيده معاوية حيث ينتظره مصيره المحتوم . فإجتمع أهل اليمن بالكوفة للتشاور في أمر حجر فأشار عليهم عبد الرحمن بن مخنف بالتريث وعدم الاستعجال في طلبه حتى تأتي رجالات مذحج وهمدان فيقومون بهذا الأمر حتى يسلموا من اللائمة والاثم . ويقال انه أخذ برأي ابن مخنف ولم يمض من الوقت طويلاً حتى جاءت رجالات همدان ومذحج فأخذوا كل من وجدوا من بني بجيلة من أنصار حجر . فمر أهل اليمن في نواحي دور كندة معذرة فبلغ ذلك زياد ، فأثنى على مذحج وهمدان وذم سائر أهل اليمن[3] .

ولما علم حجر بن عدي بهذا الحشد من الناس الذي حشده م زياد ابن أبيه في طلبه أدرك أنه وأصحابه غير قادرين على مجابهة هذه القوة فأمر أصحابه بالتفرق والانصراف عنه حرصاً منه على سلامتهم وحقن دمائهم التي أباحها زياد إلى جنده . وأخذ حجر يتنقل من مكان إلى آخر حتى انتهى به المطاف إلى دار عبد الله بن الحارث النخعي أخي الأشتر (مالك بن الحارث) في قبيلة النخع اليمنية فرحب به أحسن ترحاب غير أن أمه سوداء تدعى (أدماء) لقيت شرطة زياد بن أبيه فأبلغتهم بمكان حجر عند عبد الله ابن الحارث ولما علم حجر بذلك خرج وعبد الله ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٢٦٠.
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٦١.

ناجد الازدي ، فنزلها يوماً وليلة ، فلما عجز جند زياد من التقاء القبض عليه دعا زياد بمحمد بن الاشعث الكندي - (ابن عم حجر) - وابن الاشعث بن قيس - صاحب المواقف الشهيرة الملونة في التاريخ الإسلامي فقال له : ((يا أباصيناء أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها ، ولا داراً إلاّ هدمتها ، ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً))(١) .

ويذكر أن زياداً أمهله ثلاثة أيام وإلا عدّ مع التهلكى ، فخرج محمد بن الاشعث بعد أن ضمنه حجر بن يزيد الكندي صديق زياد بن أبيه بتحقيق ما يريد زياد و يرغب .

أدرك زعيم الشيعة اليمني حجر بن عدي ما حصل لابن عمه محمد بن الاشعث عند والي الأمويين زياد بن أبيه فما كان من حجر إلاّ إن أرسل إلى محمد غلاماً يبلغه من خلاله رغبته بالحضور إلى زياد بشرط أن يؤمنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه .

وصل رسول حجر إلى محمد بن الاشعث وفهم ما يريده حجر . فخرج بن الاشعث إلى حجر بن يزيد الكندي وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث النخعي فأتاهم فدخلوا الى زياد فكلموه وطلبوا إليه ان يؤمنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه ، ففعل ، فبعثوا إليه رسوله يعلمونه أنه قد أخذ له الأمان ، وأمروه أن يأتي فأقبل حجر بن عدي حتى دخل على زياد حيث زجّ في السجن ثم أخذ ابن أبيه بمطاردة أتباعه الواحد تلو الآخر وكان معظمهم من أهل اليمن(٢) .

وبعد انتهاء زياد من مطاردة الشيعة كتب كتاباً إلى معاوية وأشهد عليه جُلّ أصحابه يؤكد جرم حجر بحق البيت الأموي قام ابن أبيه باشهاد عدد من رجالات أهل اليمن على الكتاب من باب ((وشهد شاهد من أهله)) ، ثم أرسل حجراً وأصحابه إلى معاوية مع كتابه ، وقد ذكر لنا الطبري عدداً من رجالات أهل اليمن ممن كانوا قد اعتقلوا على يد رجال زياد مثل الأرقم بن عبد الله الكندي ، وشريك بن شداد الحضرمي وكريم بن عفيف الخثعمي ، وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سمي البجلي ، وسعيد بن نمران الهمداني وغيرهم(٣) .

---

(١) - الطبري : ج ٥ ص ٢٦١ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٢٣ وما بعدها .
(٢) - المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٦٥ .
(٣) - المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٧٠ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها .

وهنا لا بدّ لنا من الإشارة إلى ناحية هامة هي أن هذه الشخصيات تمثل بعض قادة القوم من الشيعة التي كان يتزعمها حجر بن عدي في مدينة الكوفة ولا أدل على كثرة هذا الحزب المعارض للبيت الأموي من أن زياد بن أبيه عندما حاول مواجهة هذا الحزب جنّد كل ما لديه من قبائل الكوفة بما فيهم القبائل اليمنية (١) .

وعلى الرغم من هذا الحشد فإن زياد بن أبيه أخفق في القضاء على حجر بن عدي فأنصاره وأن هذا الأخير لم يأت به زياد أسيراً من ميدان المعركة التي خاضها رجاله مع حجر وشيعته بل كان هذا نتيجة استسلام حجر بعد ما وجد أن معركته خاسرة مع البيت الأموي .

ومهما يكن من أمر فان زياد بن أبيه أرسل بحجر وجماعته إلى معاوية ليرى فيهم رأيه فاحتبسهم هذا الأخير في موضع على بعد أميال قليلة من دمشق يدعى (مرج عذراء) ، وبعد مراسلات عديدة جرت بين زياد ابن أبيه ومعاوية حول كيفية الحكم على حجر وبقية أصحابه انتهى بهم الأمر إلى الحكم بالاعدام على زعيم الشيعة اليمني وعدد كبير من أصحابه وذلك على الرغم من تدخل بعض الشخصيات اليمنية الكبيرة التي كان لها أهميتها في بلاط معاوية (٢) .

وبإعدام حجر بن عدي زعيم حركة الشيعة في العراق صار أمر التشيع أمراً نظرياً لم يخرج فيما بعد عن هذا الاطار .

أما النتيجة الثانية والأهم في هذا الأمر هو أن هذه الحركة كسابقتها ـ أي حركة الخوارج ـ قادتها زعامة يمنية من بدايتها وحتى نهايتها كما اشترك في قمعها رجالات من قبائل يمنية متعددة مما يؤكد مرة أخرى تغلب عامل المصلحة على العصبية القبلية .

ويبدو أن مقتل حجر بن عدي الكندي كان له وقع كبير في نفوس بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد روي عن عائشة زوج النبي (ص) أنها قالت لمعاوية حين حج ، ودخل اليها : ((يا معاوية . أقتلت حجراً وأصحابه فأين عزب حلمك ؟ أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السموات قال : لم يحضرني رجل رشيد يا أم المؤمنين (٣) .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٥ ص ٢٦١ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٣) ـ اليعقوبي : التاريخ ، ج ٢ ص ٢٣١ . الطبري : ج ٥ ص ٢٧٩ .

وقيل ان الحسن بن علي لما بلغه قتل حجر وأصحابه ، قال : ((صلوا عليهم ، وكفنوهم واستقبلوا بهم القبلة ، قالوا : نعم ، قال : حجوهم ورب الكعبة))(١) .

ثم روى أبو مخنف رواية ذكرها الطبري أن معاوية قال عند ما حضره ملك الموت : ((يوم لي من ابن الأدبر طويل - ثلاث مرات - يعني حجر))(٢) .

وفي ختام حديثنا عن دور أهل اليمن في عهد خلافة معاوية لا بدّ لنا من ذكر بعض مواقفهم المميزة في عهده لما لهذا الأمر من أهمية خاصة تستحق الذكر .

فيبدو أن اليمنيين تصدروا أحداث تاريخ حكم معاوية . فكما رأينا أنهم هم الذين تزعموا حركات المعارضة ضد البيت الأموي وولاتهم على البصرة والكوفة في العراق .

فانهم أنفسهم في الطرف الآخر شغلوا دور العناصر الفاعلة في التاريخ أيضاً وأعني بلاط معاوية على وجه التحديد فنحن لو استعرضنا الأسماء التي تكررت أمامنا كقسوة ضاربة في يد وعقل معاوية ، لوجدنا الجانبين معا تمثل برجال من أهل اليمن كونوا معظم قوة معاوية العسكرية والفكرية . ومثال ذلك ، فقد كان شرجيل بن السمط الكندي ألمع القادة العسكريين في جيش معاوية وممن شغلوا دوراً فعالاً في معاركه الفاصلة التي خاضها - (الحربية منها والسياسية في صفين القتال وفي صفين التحكيم الى جانب عمرو بن العاص) - .

كما كان لمعاوية بن حديج السكوني اليمني الدور نفسه من حيث الأهمية الذي شغله شرجيل إن لم نقل أكبر لكون معاوية بن حديج هو الذي تولى عملية قتل محمد بن أبي بكر عدو معاوية ووالي علي على مصر وتمكن هو نفسه بعد ذلك من سلخ مصر بشكل نهائي من سلطان علي إلى سلطان معاوية بن أبي سفيان ، وهذا العمل من الأهمية بمكان ليس على ما كان يطمح على تحقيقه معاوية فحسب ، بل على مجرى التاريخ العربي الاسلامي عامة(٣) .

وأخيراً وليس آخراً إن القوة اليمنية في الشام كانت عمدة سلطانه هناك . هذا ما يمكن قوله فيما قدمه اليمانيون لمعاوية على صعيد إرساء سلطته وبناء قوته والتخلص من اعدائه

---

(١) - الطبري : ج ٥ ص ٢٧٧

(٢) - المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٧٩

(٣) - المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢٢٩ .

وانفراده بالحكم في المجال الداخلي . أما ما يتعلق بالمجال الخارجي ، وما سجله التاريخ لمعاوية من انتصارات عسكرية على جبهات القتال في البر والبحر ، فقد كان عماد هذا الانتصار مصنوعاً ومصوغاً بأيدي رجالات يمانية مع من قاسمها شرف هذا الانتصار من القبائل العربية الأخرى على الجبهة البيزنطية في الحملات العسكرية التي قادها القائد اليمني مالك بن هبيرة السكوني الكندي وغيره في حملات الصوائف والشواتي في البر والبحر .

أخيراً إذا أردنا أن نلخص دور أهل اليمن في تاريخ معاوية بعبارات مختصرة نقول : كان اليمنيون من ناصبه العداء شوكة كأداء في حلقه بقيت زمناً طويلاً تسلبه الراحة والاستقرار . أما أصدقاؤه من اليمنيين فقد كانوا عماد سلطته وسلطانه في مركز خلافته وخارجها كما كانوا الدواء والاداة لمعالجة مختلف قضاياه التي كان يواجهها .

وفي ختام حديثنا عن هذه الفترة التاريخية لا بد لنا من تأكيد نقطة هامة مرة أخرى هي أن معارضة الكوفيين بما فيهم اليمانيين لحكم بني أمية لم تكن بدافع العصبية القبلية والمناطقية بقدر ما كانت بدافع نقمتهم على أصحاب الدولة أنفسهم وليس على الدولة كفكرة ، والسبب في هذا يعود بلا شك إلى أن خلافة بني أمية حرمت الكوفيين من المركز الأول بين أقاليم العالم الاسلامي الذي كانوا يتمتعون به زمن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي) حين كانت مدينتهم حاضرة الدولة ومركز الثقل السياسي والاقتصادي ، وبالتالي موئل الخيرات والازدهار .

خلافة يزيد بن معاوية

(٦٠ ـ ٦٣ هـ ٦٨٠ ـ ٦٨٣ م)

دور أهل اليمن في الصراع السياسي بين يزيد بن معاوية والحسين بن علي :

روى هشام بن محمد عن أبي مخنف رواية جاء فيها : ((ان معاوية بن أبي سفيان لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه ، فقال : يا بني اني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأت لك الاشياء ، وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب وجمعت لك من جمع واحد ، واني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلاّ اربعة نفر من قريش : الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن علي فان أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه ، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فان له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ليس له همه إلاّ في النساء واللهو ، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب ، فاذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً))(١) .

ولم تمض فترة طويلة على قول معاوية في ما أوصى ابنه يزيد أن يفعله بعد موته حتى مات معاوية وتولى مكانه ابنه يزيد بن معاوية خلافة الدولة الأموية لتنجلي الأمور فيما بعد ويتضح ليزيد صدق حدس أبيه فيما قاله له .

وبالطبع ليس يعنينا هنا كيفية وصول يزيد بن معاوية إلى عرش الخلافة الأموية بعد أبيه ولا المشاكل التي واجهها في عهد خلافته من أحزاب معارضة وصراعات سياسية . وإن ما يعنينا بحثه ومعرفته هو جانب واحد فقط هو دور أهل اليمن في الأحداث التاريخية التي حدثت في عهد يزيد ابن معاوية .

---

(١) الطبري، ج٥ ص ٣٢٢ .

وسيتضح للباحث ان دور أهل اليمن في عهد يزيد لم يكن في أي حال من الأحوال أقل مما كان عليه الحال في عهد أبيه معاوية .

فكما برز اليمنيون في الصراع السياسي الذي احتدم بين علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وكان لهم حسم المواقف الهامة في هذا الصراع سنجد الأمر ذاته يتكرر في عهد ابنه يزيد بخروج الحسين بن علي عليه . وسيكون لهم المواقف الحاسمة أيضاً في هذا النزاع .

فاليمنيون كانوا أداة هذه الفتنة وسببها منذ البداية الأولى لظهورها مروراً بجميع مراحل احتدام صراعها وانتهاءً باخمادها وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال انه لم يكن غير أهل اليمن في هذا الصراع بل كان إلى جانبهم قوى أخرى متعددة ولكن الدور الفاعل في هذه الأحداث كانوا هم أنفسهم صانعوه وقادته . وسيتضح لنا هذا الأمر بشكل جلي في الصفحات القادمة .

كان الحسين بن علي رضي الله عنه أول الخارجين على خلافة يزيد بن معاوية ـ كما توقع معاوية ـ ولكن يبدو أن نقمته لم تكن على يزيد بن معاوية فحسب بل كانت على أبيه من قبله أيضاً وقد ظهر هذا من خلال موقفه من أخيه الحسن وتنازله لمعاوية اذ لم يكن له موقف الرضى والقناعة بما قام به أخيه ، ولكن في الوقت ذاته لم ينقض عهداً قطعه أخوه لمعاوية طوال عهد خلافة هذا الأخير ملتزماً بالبيعة وذلك لسببين هامين ، أولهما : ان أخاه الحسن كان حياً وهو صاحب الحق الأول بالخلافة بعد أبيهما علي .

وثانيهما : انه كان قد بايع معاوية حين بايعه الحسن ، حتى انه حين لامه حجر ابن عدي الكندي زعيم معارضي البيت الأموي في العراق على بيعة معاوية وحرضه على نقضها قال له : ((إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا))[1] .

ولما مات معاوية شعر الحسين أنه في حل من بيعة يزيد وأنه لا بد أن ينهض ليطالب بحقه لا سيما أن أخاه الحسن قد توفي وغدا هو أحق أهل البيت بهذا الأمر .

---

(1) ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٢٠ .

ويبدو أن الذي أجج سعير المطالبة بحق الحسين في الخلافة ورفض مبايعة يزيد بن معاوية بعد أبيه أمور عديدة أبرزها تحريض أهل الكوفة له وقد تربع أهل اليمن في مركز الصدارة بمجتمع الكوفة في تحريض الحسين على الخروج على السلطان الأموي ، وغير خاف أن الكوفة معقل شيعة علي بن أبي طالب وحاضرة خلافته التي كانت أبرز دعائمها القبائل اليمنية . بالاضافة الى ذلك ، فقد حرم الأمويون سكان الكوفة الكثير من المزايا من تفوق وسيادة بنقلهم العاصمة الاسلامية من الكوفة الى الشام فضلاً عن طبيعة التركيب السكاني لهذه المدينة وتاريخها زمن الفتوح وابان فتنة عثمان ، والمعاملة السيئة التي لقيتها في ظل الخليفة الأموي الأول معاوية وولاته ولا سيما زياد بن أبيه الذي كان وراء مقتل العديد من زعمائها كان أبرزهم حجر بن عدي الكندي .

أما الأمر الآخر الذي كان وراء الحسين في رفضه بيعة يزيد وطلبه الخلافة لما كان من تشجيع عبد الله بن الزبير له في المطالبة بهذا الأمر ولكن يبدو أن هذا التشجيع لم يكن بدافع الحب للحسين وانما رغبة بخروج الحسين من الحجاز كي يصفى الجو لابن الزبير بهذا المصر دون أي منافس (١) . وقد ذكر أهل الأخبار في مؤلفاتهم أقوالاً لابن الزبير تفيد بهذا المعنى ، ونذكر منها على سبيل المثال رواية ذكرها الطبري جاء فيها قول ابن الزبير : ((يا أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكففنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم (٢))) .

ومهما يكن من أمر فسنحاول التعرف إلى دور أهل اليمن في دعوة الحسين وموقفهم من ابن عمه وموفده إلى أهل الكوفة ثم موقفهم من الزبير بعد مقتل الحسين في فاجعة كربلاء .

ذكر أنه لما وصلت أخبار موت معاوية إلى أهل الكوفة ، وخروج الحسين بن علي إلى مكة اجتمع جماعة من الشيعة عند رجل من أهل اليمن يدعى سليمان بن صرد الخزاعي واتفقوا على أن يكتبوا إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم ، ليسلموا الأمر إليه ... وتتابعت كتب ورسل أهل الكوفة إليه . ولكن الحسين رد على هذه الكتب جميعاً برسالة وجهها

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٥١ ، ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .
(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٨٣ .

الى أهل الكوفة أبلغهم فيها وصول كتبهم إليه وعلمه بما جاء فيها بأنه مرسل إليهم ابن عمه وثقته مسلم بن عقيل ليعلم أمرهم ويستبين أوضاعهم ، وأنه سيقرر موقفه على ضوء ما يصله من ابن عمه (١) .

ترك مسلم بن عقيل مكة ، وقصد الكوفة حيث الشيعة بايعة الحسين (٢) . وقد ذكر أن عدد من بايع الحسين من شيعة الكوفة بلغ اثني عشر ألفاً (٣) . بينما ذكرت رواية ثانية عدد من بايع ب (ثمانية عشر ألف) (٤) ، وفي رواية ثالثة كانوا مائة الف (٥) .

كما ذُكر ايضاً أن شيعة الكوفة أرسلت كتباً إلى الحسين تعلمه فيها بهذه الأعداد التي بايعته وقد حمل هذه الكتب عدد من رجالات أهل اليمن إلى الحسين مثل عبد الله ابن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ، وعبد الرحمن بن الكدن الأرحبي ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي (٦) ، وغيرهم .

ويروى أن النعمان بن بشر والي يزيد على الكوفة علم بمكان مسلم بن عقيل بالكوفة فجمع الناس بالمسجد وصعد المنبر وأخذ يأمر الناس بالتقوى والابتعاد عن الفتنة والتفرقة وسفك الدماء ، غير أن هذا الموقف لم يكن ليرضي بعض حلفاء بني أمية في الكوفة من أهل اليمن مثل عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي الذي وقف في وجه الوالي الأموي وقال له : ((ان هذا الذي انت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين . فأجابه الوالي : ان أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب الي من أن أكون الأعزين في معصية الله)) (٧) .

---

(١) ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٣٠ . وفي مقاتل الطالبين ص ٩٦ .
الطبري : ج ٥ ص ٣٥٢ .
(٢) ـ مقاتل الطالبين ، ص ٩٦ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٣٠ .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٤٨ .
(٤) ـ ابن الاثير : الكامل : ج ٤ ص ٣٠ . الطبري : ج ٥ ص ٣٦٨ . الدينوري : ص ٢٣٥ .
(٥) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٩١ .
(٦) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٢٩ .
الدينوري : الأخبار الطوال ص ٢٢٩ .
(٧) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٥٦ .

ويبدو أن اجابة النعمان بن بشر الى عبد اللـه بن مسلم الحضرمي لم تكن شافيـة فأرسل هذا الاخير كتاباً الى يزيد بن معاويـة يخبره فيـه حقيقـة واليه على الكوفـة فما كان من يزيد إلاَّ أن وجـه الى النعمان بن بشر كتاباً بالعزل على أن يسلم الأمـر إلى عبيد اللـه بن زياد الذي كان والي البصرة فجمع له المصرين معاً(١).

ويذكر أن يزيد بن معاويـة طلب من عبيد اللـه بن زياد في كتاب التكليف ان يتتبع أخبار مسلم بن عقيل في الكوفـة فيوثقـه السجن أو القتل أو النفي(٢).

ويروى أيضاً أن الحسين كان قد كتب كتاباً الى رؤوس الاخماس بالبصرة والى الاشـراف منها وخص عدداً من أهل اليمن(٣) من هذه الطبقـة بالكوفـة .

غير أن عبيد اللـه بن زياد علم برسـول الحسين بن علي فأمر باحضاره وضرب عنقـه ثم خطب بأهل البصرة خطبة كلها تهديد ووعيد ثم غادر البصرة الى الكوفـة بعد أن استخلف عليها عثمان بن زياد بن أبي سـفيان أخو عبيد اللـه(٤) .

ويقال عن عبيد اللـه أنـه لما وصل الكوفـة اتجه نحو القصر ونودي : الصلاة جامعـة وعند ما حضر الناس أخذ يطلق عليهم تهديده(٥) ووعيـده فأخذ الناس أخذاً شديداً وطلب من العرفاء أن يكتبوا اليـه عن الغرباء في الكوفـة وعن طِلْبه أمير المؤمنين ، وَمَنْ مـِنْ الحروريـة وأهل الريب . وأعلن براءة كل من نفّذ ذلك ومعاقبـة كل من خالف ذلك بالصلب على أبواب المنازل وقطع العطاء عن العرافـة(٦) .

في هذه الفترة تحول مسلم بن عقيل الى دار هانيء بن عروة المرادي اليمني وأخـذت جموع الشيعة تأتيـه مبايعة الحسين . غير أن عيون بن زياد تأكدت من وجود مسلم بـن عقيل في دار هانيء فأخذ الوالي الأموي يطلب احضار ابن عقيل إليه في الحال . وذكر أن

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، الجزء والصفحة .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٣٥٧ . الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٣١.
(٣) ـ المصدر السابق نفسه الجزء والصفحة .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، الجزء والصفحة . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٣٢.
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، الجزء والصفحة . الدينوري : مصدر سابق ٢٣٢ .
(٦) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٥٩ . الدينوري : مصدر سابق ص ٢٣٢ وما بعدها .

الذى كلفه ابن زياد بهذه المهمة هو بعض رجال من أهل اليمن بالكوفة مثل محمد ابن الاشعث[1] الكندي وعمرو بن الحجاج الزبيدي المذحجي[2] .

ويذكر أن هانئ بن عروة المرادي لم يأت ابن زياد الى دار الامارة الا بعد أخذ الأمان منه[3] . وقيل انه عندما دخل هانئ الى عبيد الله بن زياد كان في حضرته القاضي اليمني المشهور (شريح) فقال ابن زياد مثلاً بحضرته هو : ((أتتك بحائن رجلاه)) .

ويبدو أن ابن زياد عاتب هانئ بن عروة اليمني عتاباً شديداً نظراً لصداقته منه وايوائه مسلم بن عقيل ، ولما رفض هانئ الافصاح عن مكان مسلم اشتدّ عتاب ابن زياد لهانئ حتى الضرب والسجن ، ولما علمت قبيلة مذحج اليمنية باعتقال أحد زعمائها جمعت جموعها برئاسة سيدها عمرو بن الحجاج الزبيدي المذحجي واتجهت الى ابن زياد تحيط به في مقر اقامته بالقصر تطالب باطلاق سراح هانئ بن عروة المرادي ولما علم ابن زياد بهذا الأمر أمر أحد رجالات اليمن المشهورين في الكوفة قاضيها شريح الكندي أن يمر على سجن ابن زياد فيرى هانئ ويطمئن أبناء قبيلته ، ففعل ذلك شريح وانصرفت مذحج بعد اعلام القوم أن هانئاً لم يقتل .

ويبدو أن هذا الوعد لم يبر به ابن زياد الى مذحج إذ سرعان ما أمر جلاديه باعدامه[4] .

غير أن مسلم بن عقيل لما علم بالوضع السيء الذى آل اليه هانئ بن عروة المرادى عند عبيد الله بن زياد أمر جماعته بالتهيؤ لقتال ابن زياد فقيل اجتمع اليه أربعة آلاف مقاتل فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو الكندى على ربع كندة وأمره بالمسير أمامه على الخيل ثم عقد لمسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأمره بقيادة الرجالة (المشاة) . وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع همدان ... ثم أقبل نحو القصر ، فلما بلغ ابن زياد اقباله تحرز في القصر

---

(1) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٤٨ .
(2) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ .
(3) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٦٠ .
(4) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٣٨ .

وغلق الأبــواب[1].

وقد روى عباس الجدلي رواية في الطبري قال فيها : انـه كان مع مسلم بن عقيـل عند ما ذهب أربعة آلاف مقاتل لنجدة هانيء بن عروة فلم يصل ابن عقيل قصر ابن زيـاد حتى أصبحوا ثلاثمائـة[2].

وعلى الرغم من قلة مقاتلي ابن عقيل غير أن أمرهم أجزع ابن زياد جزعاً كبيراً فمـا كان منـه إلاّ الطلب من بعض رجالات أهل اليمن المقربين منه للمساعدة والخروج من هـذا الموقف الحرج الذي وُضع فيـه ابن زياد من قبل مسلم بن عقيل وشيعته وكان أبرز مـن دعاهم ابن زياد من أهل اليمن عبيد اللـه بن كثير بن شهاب الحارثي حيث أمـره بالخروج فيمن أطاعـه من مذحج الى أسـواق الكوفـة[3] كي يُخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبـة السلطان ، وأمر محمـد بن الاشعث الكندي أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع رايـة أمان لمن جاءه من الناس من شيعة ابن عقيل[4].

ويبدو أن هذه العمليـة لاقت نجاحاً كبيراً في فض الناس وتفريقها عن ابن عقيـل فقـد روى أبو مخنف روايـة في الطبري يذكر فيها : ((ان المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاهـا فتقول : انصرف الناس يكفونك ويجيء الرجل الى ابنـه أو أخيه فيقول : غداً يأتيك أهـل الشـام ، فما تصنع بالحرب والشـر ! انصرف فيذهب به ، فما زالوا يتفرقون ويتصدعـون حتى أمسـى ابن عقيل وما معـه ثلاثون نفساً في المسجد ، حتى صليت المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلاّ ثلاثون نفسـاً . فلما رأى انه قد أمسـى وليس معه إلاّ اولئك النفر خـرج متوجهاً نحو أبواب كندة اليمنيـة ، يبلغ الأبواب ومعـه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معـه إنسـان))[5].

مما سبق يمكننا استنتاج عدة أمور هامة تتعلق بوضع أهل اليمن بهذا الصـراع فاليمنيون من جهة مسلم بن عقيل برزوا قوة كبيرة في جيشـه عناصر وقيادات من قبائل يمنيـة

---

(1) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٦٩ . الدينوري : ص ٢٣٨ .
(2) ـ المصدر السابق نفسـه ، ج ٥ ص ٣٦٩ .
(3) ـ الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٣٩ ، الطبري : ج ٥ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ .
(4) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٣٩ .
(5) ـ المصدر السابق نفسـه .

مختلفة فإن دل هذا على شيء فانه يدل على أن اليمنيين كانوا أكثر الناس مبايعة للحسين بواسطة ابن عمه مسلم بن عقيل .

ولما وضع ابن زياد في موقع حرج من قبل قبيلة مذحج اليمنية أثناء اعتقال أحد أسيادهم (هانيء بن عروة المرادي) لجأ ابن زياد الى أهل اليمن لحل هذا الوضع الذي أصبح فيه فكان بجانبه القاضي شريح الكندي الذي ظهر على مذحج وردها عن قصر ابن زياد بعد أن طمأن القوم بأن سيدهم مازال حياً وأن أميره يستجوبه .

وقبل ذلك رأينا أن عبيد الله بن زياد استعان برجال أهل اليمن بالكوفة في احضار هانيء بن عروة مثل محمد بن الاشعث الكندي وعمرو بن الحجاج الزبيدي الذي كان هذا الأخير قد زوج أخته روعة الى هانيء بن عروة لكن يبدو أن هذه المصاهرة لم تغده شيئاً في طلبه من قبل الوالي الاموي(١) .

وعندما انتهى عبيد الله بن زياد من أمر هانيء بن عروة أخذ بطلب مسلم بن عقيل الذي تذكره المصادر بعد انفضاض الناس عنه جميعاً أنه التجأ إلى امرأة يقال لها (طوعة) أم ولد كانت للاشعث بن قيس الكندي فاعتقها وكانت تسكن في بني جبلة من قبيلة كندة اليمنية(٢) .

ويذكر أن ابن هذه المرأة انطلق الى عبد الرحمن بن الاشعث الكندي فأخبره مكان وجود مسلم بن عقيل ، فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه محمد بن الاشعث وهو عند ابن زياد ، فساره ، فقال له ابن زياد : ((ما قال لك ، قال : أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا ، فأجابه ابن زياد : قم فأتني به الساعة))(٣) .

قام محمد بن الاشعث مع ثمانين مقاتلاً أرسلهم إبن زياد جميعاً بقيادته كي يحضروا له مسلم بن عقيل ، وما أن علم مسلم بن عقيل بحصار ابن الاشعث والاموين له حتى خرج من الدار مخترطاً سيفه مدافعاً عن نفسه فتقدم منه محمد بن الاشعث وقال له : يا فتى لك الامان ، لا تقتل نفسك ، فأقبل يقاتلهم وهو يقول :

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٦٤ .
(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٧١ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٣٩ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٧٣ . الدينوري : مصدر سابق ص ٢٤٠ .

أقسمت لا أقتل إلاّ حُــــرّاً وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
رُدّ شعاع الشمس فاســـتقرا أخاف أن أكذب أو أغــرا[1]

فقال له محمد بن الاشعث : انك لا تكذب ولا تخدع ، ان القوم بنو عمك وليســـوا بقاتليك ، وقد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال ، فدنا منه محمد بن الاشعث وقال له : أنت آمن واجتمع عليه القوم واستسلم لهم بعد أمانهم فحملوه الى عبيد الله بن زياد واخـذ يبكي فقال له عمرو بن عبيد اللـــه بن عباس : ((إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك . فأجاب إني واللـــه ما لنفســي أبكي ... ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي ، فطلب من محمد بن الاشعث أن يبلغ الحسين كتاباً من مسلم بن عقيـــل ففعل ذلك ابن الاشعث بواسطة رجل من أهل اليمن يدعى إياس بن العثل الطائي[2] .

ويذكر أن عبيد اللـــه بن زياد لم يأخذ بأمان محمد بن الاشعث لمسلم بن عقيـــل وأمر بقتله على الفور ثم أمر كاتبه بكتابة رسالة الى يزيد بن معاويــة مع رأسي هاني بن عروة ومسلم بن عقيل، وقد قام بحمل الرسالة والرأســين رجل يمني من قبيلة همدان يدعـــى (هانئ بن أبي حيه الوادعي الهمداني)[3] .

فأجابــه يزيد بن معاويــة : ((... انه قد بلغني ان الحسين بن علي قد توجــه الى العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن ، وخذ على التهمة غير ألا تقتــل إلاّ من قاتلك ، واكتب الي في كل ما يحدث من الخبر))[4] .

وفي اليوم نفســه الذي قتل فيه مسلم بن عقيل ، كما يذكر الدينوري خرج الحسين بــن علي من مكة قاصداً الكوفــة دون أن يكون له علم بما حدث لابن عمه مسلم بن عقيل[5] . وكان خروجــه قد لاقى معارضــة شديدة من عبد اللـــه بن عباس[6] وتشجيعاً كبيراً من عبد اللــه ابن الزبير[7] . وكان رأى الحسين أنه لا يجب ان يخذل آلاف الكوفيين الذين بايعوه عن

(1) ــ المصدر السابق نفســه ، ج ٥ ص ٣٧٤.
(2) ــ الطبري : ج ٥ ص ٣٧٤ وما بعدها . الدينوري : مصدر سابق ص ٢٤٢.
اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٤٢.
(3) ــ المصدر السابق نفســـه ، ج ٥ ص ٣٨٠.
(4) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٨١ الدينوري : مصدر سابق ص ٢٤٢.
(5) ــ الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٤٣ .
(6) ــ الطبري : ج ٥ ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤ . الدينوري : مصدر سابق ص ٢٤٤.

طريق سلم . وبينما هو في طريقه إلى الكوفة لقي الفرزدق في مكان يدعى الصفاح فقال له الحسين : ((بين لنا نبأ الناس خلفك ـ أي وضع أهل الكوفة ـ فقال له الفرزدق : ((من الخبير سألت ، قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية))[1] .

ويبدو أن الحسين بقي على اصراره في متابعة طريقه إلى الكوفة غير أنه لم يقطع أميالاً قليلة بعد لقائه بالفرزدق حتى توالت إليه الاخبار التي تنبئ بمقتل مسلم بن عقيل وانفضاض الكوفيين من حوله الى جانب الشدة والبطش اللذين يأخذ بهما إبن زياد الكوفيين وعلى الرغم من كل ذلك تابع الحسين مسيره باتجاه الكوفة رغم كل ما وجه إليه من نصائح بالعودة من قبل الناس الذين كانا يلقاهم خارجين من الكوفة هرباً مما توقعوه من مصير مؤلم لحفيد رسول الله (ص) . ولما وصل الى كربلاء[2] ، حيث كانت تواكبه في مسيرته فرقة من الفرسان عدتها ألف فارس وعلى رأسها الحر بن يزيد التميمي ، بأمر من عبيد الله بن زياد كان قد أرسلها لتحول دون دخول الحسين الكوفة مهما كان الثمن[3] . ويبدو أن قائد جيش ابن زياد هذا أدرك أنه على خطأ كبير ان هو حارب الحسين فترك جيش ابن زياد وانتقل الى جانب الحسين حيث قاتل معه حتى قتل[4] .

وفي اليوم الثاني من نزول الحسين كربلاء وصل مدد جديد لجيش ابن زياد عدته أربعة آلاف مقاتل وعلى رأسهم عمر بن سعيد بن أبي العاص هدف هذه القوة قتال الحسين ومنعه من الوصول الى الماء ، ومن غرائب الامور أن عمرو بن الحجاج الزبيدي اليمني الذي كان له صلة رحم بهاني بن عروة المرادي المذحجي[5] الى جانب قرابته القبلية به والذي شغل دوراً خطيراً في قيادة حركة الشيعة بالكوفة في اثناء تواجد مسلم بن عقيل بها وفي ذاك الوقت رأينا كيف دبت الحمية بعمرو بن الحجاج في أثناء اعتقال ابن زياد لهاني بن عروة ابن عمه وما كان منه من محاصرة قصر الولاية حتى يعرف أمر ابن عمه هاني[6] . أما هنا فنجد دور عمرو بن الحجاج مختلف تماماً فهو قائد من قادة عبيد الله بن زياد

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٣٨٦ .
(٢) ـ موضع في طرف البرية قرب الكوفة . الدينوري : مصدر سابق ص ٢٥١ .
(٣) ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٦٤ . الطبري : ج ٥ ص ٤٢٢ .
(٤) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤٢٢ ، ٤٢٧ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٥٦ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٦٤ . الدينوري : مصدر سابق ص ٢٥٣ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

على رأس قومه في محاربة الحسين وشيعته ومنعه الوصول الى الماء[1] .

وحول هذا الأمر روى أبو مخنف رواية في الطبري جاء فيها : ((أن عمر بن سعد بعث عمرو بن الحجاج الزبيدي اليمني على رأس خمسمائة فارس كي يحولوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام . قال : ونازله من أهل اليمن عبد الله ابن أبي حصين الأزدي من الأزد ــ وكان عداده في قبيلة بجيلة اليمنية ــ فقال : ياحسين ألا تنظر الى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً))[2] .

بالإضافة الى ذلك فإننا لو تفحصنا قادة جيش عبيد الله بن زياد بقيادة عمر بن سعد لوجدنا ان معظمهم كان من رجالات اليمن المشهورين مثل قيس بن الاشعث بن قيس[3] الكندي ومالك بن النسير الكندي[4] ، ويزيد بن أبي زياد الكندي أيضاً الملقب بـ (أبي الشعثاء) والذي فعل كما تصرف الحر بن يزيد الرياحي فادرك ان موقعه في جيش ابن زياد خطأ فترك الجيش الاموي والتحق بالحسين وصحبه حيث روي عنه انه جثا على ركبتيه بين يدي الحسين عندما نشبت المعركة بين الطرفين فرمى مائة سهم ما سقط منها إلاّ خمسة أسهم وظل يقاتل حتى قتل[5] دفاعاً عنه .

كما ويذكر أن الذي تولى عملية الاتصال بين عبيد الله بن زياد وجيشه كان رجل من اليمن هو مالك بن نسير البدي[6] وهي مهمة كبيرة لا تولى إلاّ إلى الاشخاص المقربين والمؤتمنين إلى البيت الاموي .

وقد ذكرت المصادر أنه جرت اتصالات عديدة بين قادة جيش ابن زياد والحسين وقد قام بهذه المهمة أيضاً رجال من أهل اليمن مثل عزرة بن قيس الاحمسي وكثير بن عبد الله الشعبي[7] .

بالإضافة الى ذلك انه عندما عبئ الجيش عند الطرفين لخوض المعركة الحاسمة ظهرت قبائل اليمن وقادتها بشكل أوضح في جيش عمر بن سعيد قائد جيش عبيد

---

(١) ــ الطبري : ج ٥ ص ٤١٢ ، الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٥١ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، الجزء والصفحة .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٤٢٥ .
(٤) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٤٠٨ .
(٥) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٤٠٨ .
(٦) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٤٠٨ .

الله بن زياد ، فذكر أنه كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي اليمني ، وعلى ربع مذحج عبد الرحمن بن سبرة الجعفي وعلى ربع كندة قيس بن الاشعث الكندي وعلى ربع همدان الحر بن يزيد الرياحي . كما جعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي المذحجي وعلى ميسرته شمر بن ذي جوشن بن شرحبيل اليمني الذي يعرف باسم (الضباب بن كلاب) وعلى خيله عزرة بن قيس الأحمسي اليمني(1)

وهكذا برز اليمنيون في فاجعة كربلاء قادة للمعركة ووقوداً لها . كما برزت خيانتهم للحسين في الكوفة بشكل جلي عند ما الحوا بطلبه للقدوم اليهم وعند ما سار باتجاههم كانوا قادة على رأس جيش أعدائه لمقاتلته وقتله فيما بعد وقد شغل هذا الدور بشكل واضح من أهل اليمن (قيس بن الاشعث الكندي) فقد ذكرت المصادر أنه عند ما تقابل الحسين وصحبه بجيش ابن زياد كان من قادة الجيش الأموي قيس بن الاشعث الكندي فلما رآه الحسين ناداه على مسمع الجميع : ((يا قيس بن الاشعث ألم تكتبوا إلي في القدوم عليكم ؟ فأجاب : لم نفعل . فقال الحسين : بل فعلتم))(2) .

بيد أن الحسين خاطب في تلك المناسبة أكثر من شخصية يمنية قيادية ، فقد ذكرت المصادر أنه نادى الى جانب قيس بن الاشعث الكندي في القضية نفسها كل من حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ، وقد أنكر الجميع دعوته وكانوا قد قاموا بذلك من قبل(3)

وعند ما أدرك الحسين حقيقة موقفهم تجاهه طلب منهم أن يسمحوا له بالانصراف إلى مأمن له ويعتزل هذا الأمر غير أن حلفاء الأمس أصروا وهم أعداء الآن إلاّ بالنزول على حكم يزيد بن معاوية أولا وقد تبنى هذا الموقف من أهل اليمن ممن كان في جيش ابن زياد ، قيس بن الاشعث الكندي سليل جده الاشعث صاحب المواقف المتغيرة في فعل الشيء ونقيضه في وقت قصير وقد حفلت مواقف الكنديين هذه بشكل خاص في أحداث التاريخ الاسلامي بشكل كبير بهذه المواقف .

وعند ما اصطدم طلب الحسين بموقف أهل اليمن لم يجد مفراً من القتال ويذكر أن القتال نشب بين الطرفين بعد طلب الحسين هذا واستمر القتال الى وقت متأخر من النهار وكانت

---

(1) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤٢٢ ـ الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٥٦.
(2) ـ المصدر السابق نفسه
(3) ـ المصدر السابق نفسه .

رجالات بن زياد تأتي الحسين وتعود من حيث أتت كارهة قتله وظل هذا الأمر قائماً حتى جاءه رجل من أهل اليمن كان في جيش ابن زياد يدعى مالك بن النسير فضرب الحسين على رأسه بالسيف فقطع برنسه وأدمى رأسه وامتلاء البرنس دماً مما اضطر الحسين نزعه ولبس القلنسوة بدلاً عنه ، فأخذ اليمني البرنس ، فلما قدم على أهله أخذ البرنس يغسل الدم عنه ، فقالت له امرأته : أتسلب ابن بنت رسول الله تدخل بيتي ؟ اخرجه عني فلم يزل الرجل فقيراً بشر حتى مات(١) .

وهكذا نجد أن أول من تجرأ على ضرب الحسين من مقاتلي عبيد الله بن زياد كان رجلاً من أهل اليمن ولم يكتف بالضرب بل سلبه برنسه بينما تحاشى القادة والجند الآخرين الاقدام على ما أقدم عليه هذا القائد اليمني وكان مالك بن النسير قد عمل مراسلاً بين عبيد الله بن زياد وقائد جيشه الحر بن يزيد الرياحي ـ كما رأينا فيما سبق ـ قبل التحاق هذا الأخير بالحسين ، وقد أمر عبيد الله مالك بن النسير ألاّ يفارق (الحرّ) حتى ينفذ كل ما أمر به عبيد الله بن زياد عندها نظر إليه أبو الشعثاء الكندي قائلاً : أمالك بن نسير البدّي ؟ قال : نعم ، فقال له أبو الشعثاء : ثكلتك أمك ، ماذا جئت بكتابك ؟ قال : وما جئت فيه أطعت إمامي ووفيت بيعتي ، فقال له أبو الشعثاء : عصيت ربك وأطعت إمامك في هلاك نفسك كسبت العار والنار))(٢) .

ويذكر الأخباريون أن معركة ضارية حدثت بين الجانبين فيما بعد لاتكافؤ فيها قتل بنتيجتها كل رجال الحسين وأهل بيته ولم يبق غيره من الرجال ، وبعض النسوة ولم يمض وقت طويل حتى رماه رجل من جيش ابن زياد بسهم وضربه آخر بالسيف ثم نزل عليه رجل من قبيلة النخع اليمنية يدعى سنان بن انس النخعي فذبحه واحتزّ رأسه .

وذكر أن سناناً منع أحداً من الناس الاقتراب من الحسين مخافة أن يغلب على رأسه حتى أخذ الرأس فدفعه إلى خولي بن يزيد الأصبحي وسلب ما كان على الحسين ، فأخذ سراويله بحر بن كعب اليمني وأخذ قيس بن الأشعث الكندي قطيفة كانت من الخز وقد سمي

بعدها بن الاشعث (قيس قطيفة)[1] . ثم ان عمر بن سعد نادى في أصحابه :
((من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه ؟ فانتدب عشرة منهم من أهل اليمن اسحاق بن
حيوة الحضرمي وهو الذي سلب قميص الحسين (فبرص بعد) وأحبش بن مرثد بن علقمة
الحضرمي ، فأتوا وداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره . ثم أمر عمر بن سعد
بتسريح رأس الحسين الى عبيد الله بن زياد وانتدب لهذه المهمة رجلين يمانيين هما :
خولي بن يزيد الاصبحي وحميد بن مسلم الأزدي[2] .

قال أبو مخنف : ثم أن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة ، فجعل يدار
به في الكوفة ، ثم دعا أربعة من رجالات أهل اليمن هم زحر بن قيس ، وأبو بردة بن عوف
الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي[3] ، وأضاف الى هؤلاء ابن الاثير قيس بن الاشعث
الكندي فأمرهم بحمل رأس الحسين الى يزيد بن معاوية في الشام[4] .

من كل ما تقدم يمكن للباحث استخلاص بعض الحقائق التاريخية التي شغلها أهل
اليمن في فاجعة كربلاء ابتداءً من دعوة الكوفيين الحسين بن علي للقدوم اليهم لتلقي البيعة
بالخلافة مروراً بقضية مسلم بن عقيل وحتى نهاية الحسين واستشهاده في كربلاء على
الشكل التالي :
ان قسماً كبيراً من أهل اليمن في الكوفة كانوا من أوائل من راسل الحسين بن علي
وطلبوا منه القدوم اليهم ويتضح هذا الأمر من خلال اللقاء الذي جرى بينهم وبين بعض
زعمائهم في جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص قبل نشوب المعركة في كربلاء .

ولما أرسل الحسين بن علي مسلم بن عقيل الى الكوفة كي يقف على حقيقة الأمر

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤٥٣ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٧٨ الدينوري : ص ٣٠٢ .
(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤٥٥ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٨١ .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤٥٩ .
(٤) ـ ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٩١ .

من بيعة الكوفيين ، وعلم عبيد اللـه بن زياد بأمره نجد أن ابن عقيل وقع ضحية غدر من قبل بعض رجال أهل اليمن فهم الذين دعوه الى نصرهم وهم الذين أبلغوا الوالي الاموي ابن زياد عن مكان وجوده ، وهم الذين أحضروه كي تدق عنقه من قبل عبيد الله بن زياد .

ولو عدنا قليلاً الى الوراء لوجدنا إن اليمنيين كانوا أكثر الناس أفراداً وقادة في قوته التي قدرت بأربعة آلف مقاتل كان على رأسها مسلم بن عقيل ذاته عندما حاصر قصر ابن زياد بغية تخليص هانيء بن عروة المرادي الذي كان مقيماً في منزله وقد قتله فيما بعد ابن زياد بسببه فقد ذكر أهل الاخبار أنه لم يصل إلى القصر إلاّ ومعه ثلاثمائة رجل من أصل أربعة آلاف ولم تأت صلاة العصر حتى أصبح مجموع رجاله (٣٠) رجلاً ولم يأت المساء حتى أصبح بمفرده . وعندما وجه وجهه باتجاه منازل كندة كان أمله كبير بحمايته وربما يستدل المرء ان توجهه الى خطة كندة دليلاً على ما اعتُقد من كثرة أنصاره فيها ولم يكن يعلم انه سائر إلى حتفه بواسطة أيديهم ذاتها .

زد على ذلك أن عبيد اللـه بن زياد عندما أراد تفريق القوم عن مسلم بن عقيل أثناء حصار قصره طلب من بعض رجال اليمن مثل كثير بن شهاب الحارثي أن يترأس قوة من مذحج ويدور بأسواق الكوفة مخذلاً الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب وعقوبة السلطان كما أمر محمد بن الاشعث أن يخرج على رأس قومه براية أمان لمن يخرج من سلطان ابن عقيل الى سلطان ابن زياد وقد نجح اليمنيون بهذه المهمة .

كما كان معظم القبائل اليمنية التي سبق لها ودعت الحسين لمبايعته في جيش ابن زياد لقتاله كما كان لسادتهم الدور نفسه ، فقد برز من أهل اليمن عند ابن زياد قادة لجيشه وأمناء لسره وعيوناً على أعدائه ، ولما احتدمت المعركة بين الحسين والجيش الأموي بكربلاء لم يتجرأ أحد من قادة عمر بن سعد أو من جنده ضرب الحسين حتى جاء بعض رجال من أهل اليمن في جيش ابن زياد وقاموا بهذه العملية فكانوا هم أول من ضربه وبأيديهم ضربت رقبته وسلب متاعه وعلى أكتافهم نقل رأسه وسبيه وذريته الى عبيد اللـه بن زياد ثم الى الشام الى يزيد بن معاوية .

لقد ألقت مذبحة كربلاء الفزع والهلع في جميع البلاد الاسلامية ، وشقت الطريق الى اسقاط دولة الامويين فيما بعد . وكما قيل ــ بصرف النظر عن مكانة الحسين ومنزلته في قلوب المسلمين ــ كان خارجاً على الدولة ، فانه عدّ شهيداً في الوقت الذي عدّ فيه

يزيد بن معاوية سفاكاً للدماء • وتوحدت صفوف الشيعة وصمموا على الأخذ بثأر الحسين وخاصة أهل خراسان الذين كانوا يرون أن هذا الوقت فرصة تسنح لهم للتخلص من سلطان العرب وسيطرتهم واستقلالهم بدولتهم •

فإذا كان دور أهل اليمن عظيماً في خلافة يزيد فإن ما قاموا به في أحداث عبد الله بن الزبير وما بعدها لم يكن أقل شأناً وأعظم قدراً وسيتضح لنا هذا في الصفحات القليلة القادمة •

اليمنيون والصراع السياسي بين يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير :

وصف معاوية ابن الزبير لابنه يزيد بقوله : ((انه يجثم له جثوم الأسد ويراوغ وغة الثعلب)) • وكان معاوية على صواب في هذا الوصف ، فابن الزبير كان داهية من ...اة العرب متمرساً بالسياسة وشؤونها • فكان من الذين حرضوا الحسين بالحاح على ... خروج من الحجاز ، ولما خرج وقتل خلا الجو له في الحجاز وأصبح سيد الموقف لأنه ... غير المعقول أن يتنطع لرئاسة المسلمين والحسين حي • وقد برهن أيضاً عن دهاء ... نيصر حين اعتصم بالبيت الحرام وحين بقي بالحجاز ولم يخرج منها لأنه من الصعب على يزيد بن معاوية الذي رفض ابن الزبير مبايعته أن يبطش بعائذ الكعبة في مدينة مكة حرم القتال فيها •

وفي الحديث عن بداية أمر ابن الزبير يذكر الطبري روايات نقلاً عن أبي مخنف تقول : ((أنه لما قتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في مكة وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة خذلانهم إياه ، ولام أهل العراق عامة لأنهم لم يشرفوا كلمتهم لابن بنت رسول الله (ص)[1] .

وهكذا عدّ ابن الزبير نفسه ولي الحسين ونصب نفسه مطالباً بدمه كما فعل معاوية

---

(١) _ الطبري : ج ٥ ص ٤٧٤ •

يوم مقتل عثمان وأخذ عبد اللـه يعرض بيزيد ويذكر مساوئ بني أمية ويكيل المدح للحسين فقام إليـه أصحابـه وطلبوا منه أن يظهر بيعته فإنه لم يبق أحد إذ هلك الحسين ينازعـه هذا الامر(١) . ولكنه لم يعمل بما أشاروا عليـه فكان يبايع الناس سراً ويظهر أنه عائـذ بالبيت ووصلت الاخبار الى يزيد بما كان يفعل ابن الزبير واجتماع الناس حوله فلما بلغ درجة كبيرة من التمادى أمر يزيد عامله في المدينة وهو عمرو بن سعيد بن العاص أن يبعث جيشاً الى مكة لاخضاعـه وفعلاً أنفذ عمرو جيشاً من المدينـة الى مكة على رأسـه أخي عبد اللـه ابن الزبير لما كان بين الاخوين من مشاحنة وبغضاء(٢) .

سار عمرو بن الزبير الى مكة معقل أخيه عبد اللـه والتقى جيشـه مع جيش أخيه فـي معركـة أنتصر بها عبد اللـه بن الزبير وأخذ أخاه عمراً أسيراً فسجن في سجن عارم(٣) .

وفي سنة ٦٣ هـ وصلت الاحداث الى أوجها في المدينة ، وقد بدأت هذه السـنة كما يروى الطبري عن أبي مخنف : ((بأن أنفذ عامل المدينة الى يزيد بن معاوية بدمشق وفداً من أهل المدينـة من المهاجرين والانصار يمثلون الرأي العام فيها)) .

وكان هذا الوفد يتألف من أناس كلهم يخالفون بني أمية وبعضهم مع ابن الزبير ، ويبدو أن ما قصد إليه عامل المدينة من انفاذ هذا الوفد هو أن يتيح الفرصـة ليزيد كي يتقـرب اليهم ويكسبهم الى جانبـه ، ولقد حاول يزيد أن يبدد الضغائن التي في القلوب ولكـن بدون جدوى ، فما كادوا يخرجون من عنده ويقدمون المدينة حتى أخذوا يشتمونه ثم دعـوا الناس بالمدينة الى خلعه ، ولما بلغ يزيد ما فعل رجال هذا الوفد بعث إليهم النعمـان ابن بشر الانصاري من أهل اليمن كي يحذرهم من الفتنة ويدعوهم الى الطاعـة .

ويذكر المدائني في الاغاني أن أهل المدينة اجتمعوا في المسجد وتناقشوا في حـال

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ج ٥ ص ٤٧٥ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٣٤٤ .
(٣) ـ ابو الفرج الاصفهاني : (الاغاني) ، ج ١٤ ص ٢٣٧ .

الدولة ووصلوا الى رأى واحد يقول : بخلع يزيد . وللبرهان على هذا الموقف أخـــذوا ينزعون ثيابهم ويقول أحدهم : خلعت يزيد كما خلعت حذائي (١) .

وجاء في الطبرى أن أهل المدينة أعلنوا خلعهم ليزيد ومبايعتهم رجل من أهل اليمن يدعى (ابن حنظلة الانصاري) على أن يقاتلوا بني أميــة حتى تعود الأمور إلـــــى نصابها (٢) .

كان ابن حنظلة هذا أحد أعضاء الوفد المدني الذي سافر إلى دمشق واجتمع بيزيـد وعاد ليشـــتمه وكان أول عمل فعله ابن حنظلة ومن شايعه انهم وثبوا على من بالمدينـــة من بني أميــة ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش وحاولوا الاعتداء عليهم (٣) . وقد اجتمع الأمويون اثر ذلك هم ومن مواليهم في دار شيخ بني أميــة مروان بن الحكم ، فحاصروهـــا الناس واستمر الحصار بعضاً من الوقت . وقد كتب مروان بن الحكم بواقع الأمر الى الخليفـــة يزيد يطلب إليه النجدة (٤) .

قام يزيد على الفور بتجهيز جيش بقيادة مسلم بن عقبة المري (٥) ، وأمره بالتوجـه الى المدينـــة في شهر ذي الحجة من عام ٦٣ هـ وصلت جيوش مسلم بن عقبة المري إلى المدينة وعسكرت في موقع يقال له (الحرة) في شمال شرق المدينة ثم تقدم أهل المدينة الى الحرة حتى انتهوا الى معسكر مسلم بن عقبة حيث نشبت معركة بين الطرفين قتل على أثرها زعيـــم المدنيين ابن حنظلة ودخل المدينة جيش مسلم حيث استباحها لجنده مدة ثلاثة ايـــام يقتلون الناس ويأخذون الأموال .. وقد فعل مسلم هذا على حد رأي أبي مخنف تنفيـــذاً لوصيــة أوصى بها يزيد مسلم (٦) .

---

(١) ـ أبو الفرج : ((الاصفهاني)) ، الاغاني ، ج ١٤ ص ٢٣٧ .
(٢) ـ الطبرى : ج ٥ ص ٤٨٠ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٤٨٢ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٤٨٢ .
(٥) ـ الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٦٧ .
(٦) ـ الطبرى : ج ٥ ص ٤٨٤ وما بعدها . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٦٤ .

ويبدو أن أهل اليمن في المدينة بقيادة زعيمهم ابن حنظلة الانصاري لم يكونوا
ومن رأى رأيهم على مستوى من القوة والتنظيم بحيث يتمكنوا من مجابهة الدولة الأموية
في الشام وبالتالي إعادة عاصمة الدولة الاسلامية على ما كانت عليه زمن الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ومن هنا ربما نقول إن ابن حنظلة اجتمعت إلى تأييده جميع وجوه المدينة
بتشكيلاتها القبلية المختلفة من (قيسية ويمنية) أملاً باعادة العاصمة الاسلامية
على ما كانت عليه في زمن الرسول (ص) والخلفاء الثلاثة من بعده ولكن هذا الانقلاب
الذي شغل منصب قيادته رجل من أهل اليمن لم يكتب له النجاح ، وقد ساعد في القضاء
عليه قائد من عظماء رجال اليمن بالشام هو الحصين بن نمير السّكوني الذي كان معاوناً
لمسلم بن عقبة في هذه المعركة وقائداً عاماً لجيش أهل الشام بعد وفاة مسلم بن عقبة بأمر
الخليفة الأموي يزيد بن معاوية نفسه (١) .

كان أول عمل قام به هذا القائد اليمني وهو على رأس الجيش الأموي توجهه الى مكة
والقاء الحصار عليها أملاً في استئصال العقبة الثانية التي واجهتها الخلافة الأموية
بعد مقتل ابن حنظلة وشيعته والتي مثلها عبدالله بن الزبير الذي كان معتصماً في الكعبة
جاعلاً إياها مركزاً لقيادته ومنطلقاً لقواته في مجابهة الجيش الأموي .

وتتحدث المصادر إن الحصين بن نمير السّكوني بدأ بمناوشة جيش ابن الزبير بمجرد
حصاره مكة التي دام حصاره لها أربعة وستين يوماً . ولما فشل في فتحها بدأ بنصب
المجانيق من حولها ورميها بالحجارة والنار فاحترقت الكعبة وتصدع منها ثلاثة مواضع واحترق
ما كان فيها من خشب وما عليها من كسوة (٢) .

وفي هذه الاثناء والقتال ما زال واقعاً بين الطرفين ، وصلت الأخبار بنعي يزيد بن

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٦٧ .
(٢) ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٩٠ ط . القاهرة ، ١٩٦٤ م الدينوري : ص ٢٦٨ .

معاوية . وقد علم ابن الزبير بوفاة يزيد قبل قائد جيش بني أمية في مكة الحصين بن نمير السكوني الكندي وافراد جيشه . ولما علم القائد الاموي بموت يزيد فكر بالامر ورأى أن خير ما يفعل هو أن يفاوض ابن الزبير وأن يبايعه لانه لا جدوى من القتال بعد موت الخليفة الاموى . وكانت شروط قائد جيش بني أمية اليمني للمضي في هذه العملية أن يقبل ابن الزبير الخروج الى الشام وابقاء مقر الخلافة فيها واهدار الدماء التي أريقت في وقعة الحرة وحصار مكة . وفيما يلي أحد النصوص الاصلية التي تتعرض لهذا الحادث . فقد جاء في الطبرى نقلاً عن عوانة بن الحكم (١) : أنه لما بلغ إبن الزبير موت يزيد وأهل الشام لا يعلمون بذلك قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه أخذ يناديهم وأهل مكة : علام تقاتلون ؟ قد هلك طاغيتكم وأخذوا لا يصدقونه ، حتى قدم الى مكة رجل من أهل اليمن يدعى ثابت بن قيس النخعي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق فمر الحصين بن نمير السكوني ... فسأله عن الخبر فأخبره بهلاك يزيد ، فبعث الحصين الى عبد الله بن الزبير رسولاً من عنده ، يبلغه رغبة الحصين في لقاء ابن الزبير بـ (الابطح) للتباحث في أمر الخلافة بعد يزيد وبالتالي رغبة الحصين بمبايعة ابن الزبير .

ويبدو أن هذا اللقاء قد تم بين ابن الزبير والقائد اليمني لجيش بني أمية دون أن يسفر عن أي نتيجة إيجابية وقد ظهر ذلك من خلال قول الحصين عند ما خرج من لقاء ابن الزبير حيث قال : ((قبح الله من يعدّك بعد هذه داهية ـ يقصد ابن الزبير ـ كنت أظن أن لك رأياً ألاّ أراني أكلمك سراً وتكلمني علانية وأدعوك إلى الخلافة وتعدني بالقتل والهلكة ثم قام وخرج))(٢) .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٥ ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٦٨ .

(٢) ـ الدينوري : مصدر سابق ،ص ٢٦٨ اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٥٢ .

• ـ الفصل الخامـــس :

١ ـ دور أهل اليمن في العصر المروانـــي حتـــى نهايـــــــــــة عصر الخليفة هشام : ٢٤٤ ـ ٣٥٩

خف حماس جند الشام بعد وفاة يزيد وذلك لانه لم يعد لهم إمام يقاتلون من أجله وباسمه . والبيعة بأعناقهم ملزمة ما دام يزيد حياً . أما وأن يزيد قد مات دون أن يأخذ البيعة منه لأحد بعده فلم يعد للأمويين من بيعة في أعناقهم . كل هذا شجع القائد اليمني الحصين بن نمير الكندي على عرض ما عرض على ابن الزبير . ولكن هذا العرض لم يلق قبولاً من طرف ابن الزبير وربما كان وراء رفض ابن الزبير عدم تلبية الحصين بفكرة ذهابه بصحبته الى الشام وابقاء مركز الخلافة الاسلامية هناك وذلك حتى تبقى مصالح يمانية الشام مصانة كالعهود السابقة غير أن مصالح ابن الزبير كانت تتعارض وهذا الشرط على إعتبار أن كل شيعته ومن رأى رأيه كان في منطقة الحجاز وليس في الشام وهذا أمر ليس بالسهل تجاهل أهميته .

لكن مهما يكن من أمر فإن المفاوضات توقفت وانقطعت وبالتالي نجد أنفسنا امام حقيقة تاريخية كبيرة هي لو أن انقلاب أهل المدينة نجح بقيادة يمانية ضد الخلافة الأموية لتغيّر مجرى التاريخ الاسلامي . ومن جهة ثانية لو أن مفاوضات قائد الجيش الأموي اليمني نجحت مع عبد الله بن الزبير لكان الأمر نفسه بالنسبة للتاريخ العربي الاسلامي أيضاً . ولكن يبدو أن هذه الجهود التي بذلها رجال أهل اليمن في الحجاز لم تسفر عن أي نتيجة إيجابية بالنسبة لهذه المنطقة على أن تكون الشام هي صاحبة المناخ الملائم لتحقيق ما يريدون ويرغبون وسيتجلى لنا دورهم بشكل سريع في تسوية أمر الخلافة الأموية بعد موت يزيد بن معاوية وانتقال الخلافة من البيت السفياني الى البيت المرواني .

دور أهل اليمن في توليـة مروان بن الحكم الخلافة الأموية :

بوفاة يزيد بن معاوية انتشرت الفوضى في الاقاليم العربية والعجمية على حد سواء وظهرت الفتن واستشرى أمر العصبية القبلية بين (اليمنية والقيسية) وانتهى عهد الحكم السفياني .

ففي دمشق تولى قيادة الناس بعد وفاة معاوية الثاني الضحاك ابن قيس الفهري

الذي كان يدعو الى ابن الزبير سراً ثم لنفسه ، وفي حمص بايع النعمان بن بشير لابن الزبير وفي فلسطين كان ابن بحدل الكلبي عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان ومن بعده لابنه يزيد ، وكان يهوى بني أمية ، وكان ذا نفوذ واسع في فلسطين ، ولما وقعت الأزمة دعا روح بن زنباع وأنابه عنه ، ثم توجه الى الأردن ليكون قريباً من دمشق وليراقب الأحداث وفي غيابه ثار على روح بن زنباع نائل بن قيس الجذامي وخلعه وبايع لابن الزبير (١) .

وكان من أعظم الاضطرابات التي حدثت في فترة شغور العرش ، هذه الاضطرابات التي أحدثتها جماعة زفر بن الحارث الكلابي (٢) ، أحد رجال قبائل (قيس) التي كانت تقيم في شمال الجزيرة العربية وعلى جانبي الفرات في قرقيسياء وفي حران وقنسرين وكانت هذه القبائل تشعر بالمرارة ضد بني أمية لأنّ معاوية كان قد قدّم بني (كلب) عليهم وتزوج منهم أم ابنه يزيد وسلم رئاسة القبائل الى ابن بحدل الكلبي خال يزيد ابن معاوية ، ووصل الأمر بهذه القبائل أن عين عليها سعيد بن مالك لعامل وهو كلبي وهي قيسية ، فصعب ذلك كثيراً على قبائل قيس وطردوا سعيداً من قنسرين وبايعوا لابن الزبير بتحريض زعيمهم زفر بن الحارث الذي كان قد انضم الى ابن الزبير وحارب جيش يزيد بن معاوية بقيادة الحصين بن نمير السكوني الكندي ، ولقي في ولاء قبائله ما شجعه على هذه الخطوة لأنّ القيسيين في سورية قد رأوا اخوتهم القيسيين في العراق قد بايعوا لابن الزبير .

وهكذا يمكننا القول ان موقف ابن الزبير كان قوياً جداً وأن أهل العراق كانوا قد بايعوه كما بايعه أهل مصر ، وهكذا أيضاً كانت أغلب أقاليم العالم الاسلامي ترفع راية ابن الزبير ولم يكن في هذه الفترة أي رجل من بني أمية يستطيع كسب ولاء القبائل وجمعها بشكل موحد تحت سيطرته ، وسيكون العالم الاسلامي رهنا بظروف واحداث ستقوم فيما بعد وستفرض مجرى جديداً للأحداث عندما يتدخل اليمانيون في البلاط

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٥٣١ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٥ .

الأموي في تحسم الأمور لصالح من يقف أهل اليمن بجانبه وسيعرفون كيف يعيدون ولاء القبائل العربية والأحزاب السياسية من جديد الى طاعة الأمويين والولاء لهم بعد هذا التأييد العارم الذي لقيه ابن الزبير من قبل القيسية وغيرها في الأقاليم الاسلامية المتفرقة .

كان أمير دمشق يومئذ وصاحب الأمر فيها الضحاك بن قيس ، وكان في دمشق أيضاً مروان بن الحكم . والناس في الشام فريقان : فريق على رأسه الضحاك بن قيس يترأس الحزب القيسي من جماعة عبدالله بن الزبير ويدعو الى مبايعته سراً . وفريق على رأسه رجل من كلب يدعى حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بالإردن يهوى بني أمية ويدعو اليهم يدعمه في تصرفه هذا معظم القبائل اليمانية (١) .

ويبدو أن ابن بحدل علم بطريقة أو بأخرى بنوايا الضحاك وتعاطفه مع ابن الزبير ومن اجتمع تحت رأيه من القبائل القيسية فأراد فتح باب المواجهة معه مباشرة قبل أن يكسب تأييداً كاسحاً يصعب عندها حسم الموقف بسهولة ، يدعمه في هذا الموقف (الحزب اليمني) أو ما اصطلح على تسميته باسم (اليمانية) . فقام بن بحدل على الفور بكتابة كتاب الى الضحاك بن قيس يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني أمية عنده ويدعو الى طاعتهم كما يذكر في هذا الكتاب ابن الزبير ويشتمه ويصفه فيه انه رجل منافق ، ويطلب ابن بحدل الى الضحاك أن يقرأ كتابه هذا على الناس مباشرة .

وحتى يضمن ابن بحدل معرفة الناس بالكتاب وما يحتوي من تعظيم حق الأمويين وشتم ابن الزبير انتخب لهذه المهمة رسولاً من كلب يدعى (ناغضة الكلبي) وأمره بحمل كتابه الى الضحاك كما حمله نسخة أخرى من الكتاب ذاته كي يقرأها على الناس هو ذاته في حال امتناع الضحاك عن قراءتها كما أراد ابن بحدل .

وفعلاً قام رسول ابن بحدل بتسليم الكتاب الى الضحاك فأبى هذا الأخير قراءته علانية ، فقام الرسول وقرأ النسخة التي معه ، فلما سمعها الناس وهم مجتمعون في الجامع انقسموا على انفسهم وتصايحوا واقتتلوا حتى علا ضجيجهم فكانت بذلك الشرارة

---

(١) ــ الطبري : ج ٥ ص ٥٣١ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٥٥ .

الأولى في المجابهة التي أطلقها اليمنيون في الصراع السياسي على الخلافة بينهم وبين القبائل القيسية ، وقد امتد هذا النزاع الى بني أمية أنفسهم اذ لم يكن عندهم خطة واحدة حيال هذا الأمر (١) .

ومما تذكره المصادر عن الضحاك بن قيس في هذه الحادثة أنه أمر بسجن جميع من قام وشتم ابن الزبير من القبائل اليمنية مثل يزيد بن أبي النمس الغساني وسفيان بن الأبرد الكلبي والوليد بن عتبة بن أبي سفيان . فما كان من (اليمانية) إلا أن تجمعوا وهاجموا سجن الضحاك وأخرجوا أقرباءهم منه فقد ذكر الطبري أن قبيلة كلب اليمنية جاءت وأخرجت سفيان بن الأبرد الكلبي ، وجاءت غسان وأخرجت يزيد بن أبي النمس الغساني ، عندها قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : لو كنت من كلب أو غسان أخرجت . فجاء عندها ابنا يزيد بن معاوية ، خالد وعبدالله ومعهما أخوالهما من قبيلة كلب اليمنية فأخرجوه من السجن ، فكان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم (جيرون الأول)(٢) .

ويبدو أن الضحاك بن قيس أدرك بعد مضي وقت قصير على هذه الحادثة سوء تصرفه حيال (الكلبية) حلفاء الأمويين ، فأرسل الى وجوه بني أمية يطلب منهم الدخول الى قصر الإمارة حيث قدم اعتذاره لهم وقال انه لا يريد أن يقوم بعمل يكرهونه ، كما طلب اليهم أن يكتبوا الى ابن بحدل وان يطلبوا اليه أن يسير من الاردن الى الجابية ليلتقوا هناك ، وليقوموا بالاتفاق على مبايعة رجل منهم . عندها اعتقد بنو أمية أن الأمر سيصير الى اتفاق بينهم وبين الضحاك ، ولكن الضحاك ما لبث أن بدل رأيه ، وذلك اثر مجيء رجل من (قيس) يدعى ثور بن معن السلمي يحمل اليه غضب (القيسية) عليه إذا ما أظهر لينا تجاه بني أمية (٣) . فبدل الضحاك موقفه ، وعوضاً من أن يذهب الى (الجابية) . توجه الى (مرج راهط) حيث أعلن دعوته لابن الزبير وبايعه على ذلك غالبية أهل الشام من القيسيين وجاءه مدد النعمان بن بشر أمير حمص وزفر بن الحارث الكلابي أمير قنسرين ومن ناتل بن قيس أمير فلسطين (٤) .

---

(١) ــ الطبري : ج ٥ ص ٥٣٢ وما بعدها .

(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٣ .

(٣) ــ الطبري : ج ٥ ص ٥٣٣ ــ ٥٣٤ .

(٤) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٥ .

أما لماذا اختار الأمويون موقع الجابيــة ؟ فإن ذلك يعود للسبب ذاته فــي اختيـار (القيسية) موقع (مرج راهط) في كونـه يمثل مركزاً يستقطب حوله جميع قوى القيسيه ، وعلى إعتبار ان الجابيـه ـ نوى الحاليه ـ بان الاردن خلفهـا مركز اليمانيـة لذا كان إختيار الأمويين لها مناسباً لتدارس الاجماع .

ومن الطريف في الأمر أن الأمويين المجتمعين في الجابيه كانوا يمثلون أكثر من هوى .

فمروان بن الحكم قبل وقت قصير من هذا الاجتماع في الجابيـة لم يكن يفكر بالخلافة وكاد يؤيد ابن الزبير خاصة بعد عودة الحصين بن نمير السكوني اليمني من حصاره (١)

وفي حين لم يفكر مروان في منصب الخلافـة ، وجد أهل الأردن بقيادة ابن بحدل الكلبي في مروان بن الحكم الصفات التي تؤهله كي يكون هو خليفـة المسلمين من الأمويين بعد موت يزيد . بإعتباره شيخاً كبيراً مجربا بينما كان خالد بن يزيد غلاماً يافعاً وابن الزبير كهلاً لا يصلحان كما يرون لهذا المنصب . غير أنه يخيل لي أنه لم يكن حداثه سن خالد بن يزيد ولا كهولة ابن الزبير الدافع الرئيسي في اختيار كلبيّة الأردن لمروان بن الحكم ويمانيـة الشام عامة فيما بعد بل كان الدافع الحقيقي هو مصالحهم التي وجدوا أنها ستصان عند مروان أكثر بكثير مما كان غيره في هذا المنصب .

أما يمانيـة الشـام فيبدو انه وقع خلاف فيما بينهم حول مرشح الخلافـة لوقت قصير فبينما كان مالك بن هبيرة السّكوني ميالاً لأن تكون الخلافـة لخالد بن يزيد نظراً لصلـة القرابـة التي تجمعهما (٢) . كان رأي ابن عمه الحصين بن نمير السّكوني ان تكون الخلافـة من نصيب مروان بن الحكم . ويبدو أن هذا التحول من قبل الحصين باتجاه ابن الحكم جاء نتيجـة قناعة مروان بن الحكم نفسه بمنصب الخلافـة الأمويـة وسعيه الحسين بعد هذه القناعـة لبلوغ هذا الهدف وقد ذكرت المصادر أن مروان بن الحكم أمر أن ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة وان يجعلها لهم مأكلة مقابل دعم موقف الحصين له لبلوغ منصب

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٠ . أبو الفرج : الاغاني ج١٧ ص ١١١ . ط بولاق .
الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٨٥ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٦ .

الخلافة(١) . ويذكر ان مروان نفذ وعده بعد اعتلائه عرش الخلافة للحصين .

ومهما يكن من أمر فقد التقت أخيراً مصلحة رجالات كندة اليمنية بمبايعة مروان بن الحكم فبايعوه وقام بعدها رجالات أهل اليمن بمبايعته مثل روح بن زنباع الجذامي وحسان بن مالك بن بحدل ، بعد أن اشترطوا على مروان بن الحكم ان تكون الخلافة من بعده الى ابن اختهم خالد بن يزيد ، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد كما اشترط على أن يكون خالد بن يزيد أميراً على حمص وعمرو بن سعيد على امارة دمشق في نفس الوقت تلقى مروان ابن الحكم البيعة من أهل الأردن . ويذكر عن مروان انه سار بعد بيعته بالناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك بن قيس في أهل الأردن والقبائل اليمنية مثل قبيلة كلب والسكاسك والسكون وغسان ، ورجع ابن بحدل الى الاردن (٢) .

وتذكر المصادر أيضاً بينما كان الضحاك بن قيس في مرج راهط يستعد لمواجهة مروان بن الحكم ، ثار بدمشق يزيد بن أبي النمس الغساني اليمني في عبيدها ، فغلب عليها ، وأخرج عامل الضحاك بن قيس منها ، وغلب على الخزائن وبيت المال ، وبايع لمروان ابن الحكم وأمده بالاموال والرجال والسلاح فكان اول فتح فتح على بني أمية ومروان على يد رجل من أهل اليمن (٣) .

ثم التحم جيش الضحاك بجيش مروان وقد استمر القتال بين الجانبين مدة عشرين يوماً قتل على أثرها الضحاك بن قيس وانهزمت القبائل القيسية ، بينما انتصر الأمويون بدعم الكلبية (٤) ، واليمانية بشكل عام لهم .

غير أن الأمر المهم هنا هو دخول قضية العصبية القبلية ولأول مرة مسرح السياسة العليا للدولة . وبعد أن كان الخلاف في قضية الخلافة محصوراً بين فروع قبيلة قريش، فقد أصبح هذا الخلاف شاعاً بين القبائل ويصطبغ بصبغة حزبية قبلية ، ووصل هذا الخلاف

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٥٤٤ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٧ .

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٣٧ .

(٤) ـ علي ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام العام ، ص ٢٩٠ ، ط ، الكويت ١٩٧٧ م .

ففي العراق رأت شيعة الكوفة بعد أن خذلوا الحسين بن علي أنهم لم يغسلوا عنهم عار فعلتهم إلاّ بقتل تقتله أو الموت دون ذلك [1] . فاجتمع أهل الكوفة ممن رأى هذا الرأي على خمسة رجال تولوا قيادة هذا التمرد أو هذه الثورة في وجه البيت الأموي برز منهم من أهل اليمن ثلاثة هم سليمان بن صرد الخزاعي الذى تولى أمر القيادة العليا ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، ورفاعة بن شداد البجلي وكان الى جانبهم من القبائل الأخرى قائدين هما المسيب بن نجبه الفزارى ، وعبد الله بن وال التيمي .

وروي أنهم تجمعوا عند قبر الحسين طالبين التوبة والغفران من الله ومن هنا جاءت تسميتهم بـ (التوابين) نسبة الى قوله تعالى : ((فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم)) [2] .

كانت بدايته أمر التوابين على ما يذكر الطبري سنة ٦١ هـ وهي السنة التي قتل فيها الحسين ... فكان يجيبهم القوم بعد القوم فلم يزالوا كذلك حتى مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ . وخلال الفترة الواقعة بين ٦١ ـ ٦٤ هـ أخذت حركة التوابين طابع الاستعداد من حيث حث الناس على الأخذ بثأر الحسين من جهة وجمع السلاح من جهة أخرى [3]

وهنا لا بد لنا من الإشارة الى أمر هام هو أن عبد الله بن الزبير وجد في حركة (التوابين) هذه فرصة ممتازة لتقوية نفوذه لأن اخماد هذه الحركة سيشغل الامويين عنه ويستنفذ جزءاً من طاقتهم القتالية لذا وبتوجيه منه قام عامله على الكوفة عبد الله بن يزيد حين علم بتحركات التوابين بجمع الناس في المسجد وخطب بهم وأعلن مساعدته لهم وقال : ((أما بعد فقد بلغني ان طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عن الذى دعاهم ما هو ؟ فقيل لي : زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد والله دللت على أماكنهم ، وأمرت

---

(١) ـ المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٠ ، الطبري : ج ٥ ص ٥٥١ وما بعدها .
(٢) ـ سورة البقرة : الآية ٥٤ . الطبري : ج ٥ ص ٥٨٩ .
اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٥٧ وما بعدها .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ص ٥٦٣ . البلاذري : أنساب الاشراف ج ٥ ص ٢٠٦ .

بأخذهم ... فأبيت ذلك ... فوالله ما أنا قتلت حسيناً ولا أنا ممن قاتله ولقد أصبت بمقتله رحمه الله فإن هؤلاء القوم آمنون (أي الذين يطالبون بدم الحسين) فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا الى من قاتل الحسين ، وأنا لهم على قاتله ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم ، قد توجه اليكم ، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضاً ، ويسفك بعضكم دماء بعض ، فيلقاكم ذلك العدو وقد رققتم ، وتلك والله أمنية عدوكم))(1) .

وقد نجح عبد الله بن يزيد بأسلوبه هذا في اجتناب لقاء ابن زياد قائد جيش مروان بن الحكم وخلفه عبد الملك من بعده ووضع هذا العبء على كاهل التوابين دون أن يتكلف أي عناء . بالإضافة الى ذلك فقد استطاع أن يخلص السلطة الزبيرية في العراق من فئة مناوئة لا تقر لابن الزبير بالخلافة وتراها من حق آل البيت .

وفي مطلع شهر ربيع الآخر من عام ٦٥ هـ خرج سليمان بن صرد الخزاعي اليمني على رأس حركة التوابين مع صحبه إلى النخيلة وعسكر بها (2) . ثم أرسل أحد رجال أهل اليمن المقربين منه ويدعى حكيم بن منقذ الكندي في خيل الى داخل الكوفة ينادي بشعار التوابين ويأمرهم بالخروج الى سليمان بن صرد بالمعسكر بالنخيلة ، فذكر أن عدد من لبى نداء سليمان بن صرد بلغ (٤) آلاف مقاتل (3) .

بعد ذلك خرج القائد اليمني ابن صرد الخزاعي على رأس التوابين حتى انتهى الى قبر الحسين فنادى وأصحابه صيحة واحدة ((يا ربنا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وانا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه)) قيل : فبرز القوم حتى بقي سليمان بن صرد في آخرهم فأحاط بقبر الحسين وقال : ((الحمد لله الذي شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللّهم إذا حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده))(4) .

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ج ٥ ص ٥٦٢ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٠٧ ومابعدها
(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ٥٨٣ . البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ص ٢٠٨ . ط . غويتاين .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ص ٥٨٤ . انساب الأشراف ، ج ٥ ص ٢٠٨ .
(٤) ـ الطبري : ج ٥ ص ٥٩٠ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٠٩ .

وذكر أن سليمان بن صرد الخزاعي قام وأمر أحد رجالات أهل اليمن من قادته ويدعى رفاعة بن شداد البجلي من قبيلة بجيلة بتعبئة جيش ابن صرد [1]. فجعل على مقدمة جيشه رجل من أهل اليمن من قبيلة حمير يدعى كريب بن يزيد الحميري [2]، وسار بالناس باتجاه الجيش الأموي، فمر بقرقيسيا، حيث استقبلهم زفر بن الحارث الكلابي حيث أكرمهم وأخبرهم بقدوم عبيد الله بن زياد ومن معه من الرجال ونصحهم وأن يسيروا الى (عين الوردة) وأن يجعلوها في ظهورهم [3].

وذكر أن ابن صرد الخزاعي عمل بنصيحة زفر بن الحارث الكلابي ونزل عين الوردة حيث خطب بجيشه وحثهم على قتال ابن زياد وسمى من سيخلفه في حال مقتله وكان من عين رجل يماني يدعى (رفاعة بن شداد البجلي [4]) ، ويبدو أن عبيد الله بن زياد علم بمكان ابن صرد الخزاعي وجيشه فوجه إليه جيشه الذي كان يقوده أيضاً قادة يمنيون مثل الحصين بن نمير السكوني على رأس جيش أموي يقود ميمنته رجل ينتمي الى قبيلة خثعم يدعى جبلة بن عبد الله [5]، ثم شرحبيل بن ذي الكلاع وغيرهم .

وذكر لنا الطبري أنه بعد أن تقابل جيش ابن صرد مع جيش ابن زياد في عين الوردة طلب ابن صرد الخزاعي من الحصين بن نمير السكوني أن يسلم له عبيد الله بن زياد وأن يخلعوا طاعة عبد الملك ويساعدوه على طرد عمال ابن الزبير عن العراق وتسليم الأمر الى آل البيت [6]. وطبيعي ألا يجد هذا النداء إذناً صاغية في الجانب الشامي فما كان من جند ابن صرد الخزاعي إلاّ مهاجمة جيش شرحبيل بن ذي الكلاع فأوقعوا به جراحات كثيرة وأصابوا غنائم كبيرة من الجند الشامي .

وفي جمادى الاولى أرسل عبيد الله بن زياد جيشه بقيادة الحصين بن نمير على رأس اثني عشر ألف مقاتل وجعل على ميمنته من أهل اليمن جبلة بن عبد الله الخثعمي

---

(١) ـ المصدر السابق ج ٥ ص ٥٨٧ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه والجزء ص ٥٩١ البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٠٩ .
(٣) ـ البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٠٩ . الطبري : ج ٥ ص ٥٩٣ ـ ٥٩٥ .
(٤) ـ الطبري : ج ٥ ص ٥٩٦ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٩٤ ، ٥٩٨ . البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
(٦) ـ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢١٠ .

وفي اليوم التالي التحق بالجيش الأموي ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف مقاتل على أن يكون بإمرة الحصين بن نمير[1] والتحم الطرفان بقتال شديد أسفر عن مقتل القائد اليمني سليمان ابن صرد الخزاعي[2]. غير أن التوابين لم يوقفوا القتال بمقتل ابن صرد فقد حمل الراية بعده حسب وصيته المسيب بن نخبة حيث يذكر الطبري عنه أنه أقبل باتجاه جند الشام بمن كان معه من أهل اليمن من الأزد بالإضافة إلى عبدالله بن الخطل الطائي من فرسان طيء المشهورين ومن كان معه من أهل المدائن ثم قدوم ثلاثمائة مقاتل من أهل البصرة بزعامة المثنى بن مخرمة العبدي وقد عبأ خليفة ابن صرد كل هؤلاء والتحم من جديد بالجيش الشامي حيث أسفرت المعركة عن مقتله وجموع كبيرة من أصحابه[3].

ويبدو أن معركة التوابين مع الجيش الشامي لم تدم طويلاً بعد مقتل المسيب بن نخبة خليفة ابن صرد وأن القتال تحول من قتال جماعي إلى قتال جماعات صغيرة بين الجانبين وقد برز في هذا القتال أيضاً رجال من أهل اليمن في صفوف التوابين مثل كريب بن زيد الحميري الذي ذكر عنه أنه حمل راية بلقاء، وجمع تحت رايته رجالات من قبائل اليمن من همدان وحمير والتحم بجيش ابن ذي الكلاع في الجيش الشامي وقاتلوا حتى قتلوا جميعاً[4]. بعد ذلك انسحبت فلول التوابين المهزومين إلى مكان يدعى (صندوداء) ثم تعرقوا فخرج أهل البصرة الى البصرة وأهل المدائن إلى المدائن وأهل الكوفة الى الكوفة[5]. في حين أرسل عبيدالله بن زياد أخبار انتصاراته الى عبد الملك ابن مروان في الشام حيث زف هذا الأخير البشرى الى أهل الشام بخطبة سجل فيها أول نصر له على أعدائه العراقيين بعد أن غدا خليفة كما أظهر أهمية هذا النصر بصرع رؤوس قادة التوابين الذين قادتهم رجالات يمنية مثل سليمان بن صرد الخزاعي

---

(١) ـ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢١٠ .
(٢) ـ البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢١٢ . الطبري : ج ٥ ص ٥٩٩ .
(٣) ـ الطبري : ج ٥ ص ٦٠٠ ـ ٦٠١ ، ٦٠٣ .
(٤) ـ الطبري : المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٦٠٤ .
(٥) ـ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢١١ .

وعبد اللـــه بن سعد الأزدي • حيث ذكر عبد الملك بن مروان أنه لم يبق أحـــد عنده دفاع أو امتناع بعد مقتل هؤلاء في العراق (١) •

وهكذا برز اليمانيون زعماء في قيادة حركة التوابيـــن في العراق بالاضافـة الـــى كونهم شكلوا الأعـداد الكبيرة بين أفراد هذه الحركة وكما رأينا وجود جماعات من حميـــر وهمـدان وكندة وطيء وخثعم وبجيلة وخزاعـة (٢) • هؤلاء جميعاً بالإضافـة الى مـــن كان مع ابن صرد في معركة عين الوردة •

واذا ما نظرنا الى الجيش الأموي الذي أرسل من الشام بقيادة عبيد اللـــه بن زيـاد للقضاء على حركة التوابين في العراق نجد أن تشكيل جيش الشام لم يختلف كثيراً عـــــن جيش التوابين في العراق من حيث القادة والأفراد فقد رأينا أيضاً أن رجالات أهل اليمـن كانوا يشكلون عظم الجيش الشامي أهمية من حيث القيادة والعدد فقد كان الحصين بن نمير السكوني قائداً مهماً في جيش بن زياد كما برز الى جانبه شرحبيل بن ذي الكلاع بالإضافـة الى بعض رجالات من الأزد (٣) •

نستنتج من هذا كله أن الصورة التي رأيناها في فترة الصراع السياسـي التي نشأت على السلطة بعد مقتل الخليفـــة الثالث وانتهاء بمعركة صفين عادت مرة أخرى مـــن حيث بروز الدور اليمني كمحور أساسي في تسـيير الصراع وحسمه • وسنجد أن هذه ـ الصورة لن تغيب أبداً في كل مراحل الصراع السياسـي التي شهدته الخلافـة الأمويـــة حتى هدم آخر لبنـــه في صرح بنائها كما سنرى ذلك من خلال تطور مراحل أحـــداث التاريخ العربي في العصر الأموي •

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦ • البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢١٢ •

(٢) ـ الطبري : ج ٥ ص ٦٠٠ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٥٩٨ • علي الخربوطلي : كتاب المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ص ١٢٩ • مطبعة مصر بدون تاريخ •

(٣) ـ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢٠٩ وما بعدها •

دور أهل اليمن في ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي :

تجمع المصادر أن المختار برز قوة سياسية فاعلة في العراق ضد عبد الله بن الزبير والبيت الأموي بعد مقتل القائد اليمني سليمان بن صرد الخزاعي الذي تزعم حركة الشيعة المعروفة باسم التوابين (١) . كما تذكر المصادر محاولة المختار أن يكون له دور قيادة الشيعة في العراق منذ أيام سليمان بن صرد غير أن الشيعة لم تعر المختار كبير اهتمام وقتذاك وفضلت السير وراء ابن صرد (٢) .

غير أن معركة عين الوردة وما أسفرت عنه من نتائج التي كان أبرزها مقتل زعيم الشيعة سليمان بن صرد الخزاعي كانت السبب الرئيسي والمباشر لبروز المختار بن أبي عبيد الثقفي كقائد لحركة الشيعة في العراق بعد أن رفع شعارهم وهو قتال المحلين والطلب بدماء أهل البيت .

وقبل البدء في بحث تطور مراحل دور أهل اليمن في ثورة المختار لا بد لنا من تقديم نبذة صغيرة وسريعة عن المختار وتاريخه السياسي وعلاقة رجالات أهل اليمن به .

فالمختار هو رجل من قبيلة ثقيف ابن أبي عبيد ، قتل أباه في معركة الجسر وكان عمره ثلاث عشر سنة (٣) ، كما كان الى جانب عمه في المدائن حينما جرح الحسن بن علي وأظهر عندها ميلاً للأمويين غير أن ميوله الأموية لم تدم طويلاً إذ سرعان ما انقلبت الى عداوة لهم عندما وصل إلى الكوفة مسلم بن عقيل داعياً لمبايعة الحسين بن علي وقد ذكر عن المختار أنه بايع مسلماً سراً وأنزله في داره ، وكان جزاؤه على ذلك أن زج به عبيد الله بن زياد في السجن حيث بقي حتى استشهد الحسين بن علي في كربلاء وبعدها توسط المختار الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بوساطة عبد الله بن عمر بن الخطاب (٤) ، من أجل اطلاق سراحه فأمر الخليفة الأموي عامله على الكوفة ابن زياد باطلاق سراح المختار وأعطاه مهلة للبقاء في الكوفة مدة ثلاثة أيام ، وغادر بعدها

---

(١) ـ البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ص ٢٠٧ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه .

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٢١٤ وما بعدها .

(٤) ـ الطبري : ج ٦ ، ص ٨ اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٥٨ .

قاصداً الحجاز حيث حاول التقرب من عبد الله بن الزبير ومبايعته والدخول في خدمته غير أنه لم يجد تجاوباً من ابن الزبير في بادئ الأمر [1] ، فأعاد الكرة بعد سنة من محاولته الأولى فتم له ما أراد وغدا من رجاله [2] ، ثم قاتل إلى جانبه ضد القائد اليمني الكندي الحصين بن نمير السكوني الذي كان على رأس الجيش الأموي لقتال ابن الزبير وأبلى بلاء حسناً ، وظل معه حتى انصرف الحصين وأهل الشام بعد موت الخليفة الأموي يزيد بن معاوية . وتذكر المصادر أنه بعد ذلك عن أحوال الكوفة فقيل له أن الكوفيين أخرجوا عامل عبيد الله بن زياد عن مدينتهم وانتخبوا عامر بن مسعود بدلاً منه لقرر الانفصال عن ابن الزبير والالتحاق بالكوفة مجدداً اعتقاداً منه أن الفرصة مواتية له كي يكون صاحب الأمر فيها [3] ، وظن أن خير وسيلة ينفذ بها الى نفوس الكوفيين هي إئتلاف الشيعة فيها ، ولكنه وجد الزعيم اليمني سليمان ابن صرد الخزاعي كان قد قطع شوطاً كبيراً في استقطاب شيعتها ، فادعى أنه موفد محمد بن الحنفية الى الكوفيين وأنه إنما جاء باسمه ومن أجل الثأر لأخيه الحسين غير أن أمره بقي في الظل طيلة فترة تزعم ابن صرد لحركة الشيعة . لكن مصرع هذا الأخير جعل من المختار الشخصية القيادية الوحيدة القادرة على قيادة أمر الشيعة في العراق والنهوض بها من جديد في وجه البيت الأموي . عندها بدأ شأن المختار يرتفع شيئاً فشيئاً حتى أصبح صاحب الكلمة الأولى في الكوفة والخطر الحقيقي الواقف في وجه ابن الزبير والأمويين على حد سواء في العراق .

غير أن الأمر الذي يعنينا بحثه هنا هو معرفة دور أهل اليمن في تطور ثورة المختار بالكوفة حيث سنجد أن لليمنيين الدور الأكبر في تطور أحداث هذه الثورة منذ اللحظة الأولى لظهورها وانتهاء بآخر لحظة من وجوده ما عبر مراحل تطورها ابتداءً من بدء الدعوة الى مبايعة المختار مروراً بتعبئته للمقاتلين واختياره القادة المناسبين

---

(1) _ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ٥٧٤ . البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢١٦ . طبقات ابن سعد : ج ٥ ص ٧١ .

(2) _ البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢١٧ . الطبري : ج ٥ ص ٥٧٥ .

(3) _ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢١٧ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٦٣ .

لجيشه ومجابهته لقوة ابن الزبير في الكوفة وتمكنه من طرد عامله عليها ، ثم مجابهة أشراف الكوفة وتمكنه منهم ثم لقائه الجيش الأموي مرة أخرى بقيادة عبيد الله ابن زياد وقائده اليمني الحصين بن نمير السكوني وتمكنه من قتلهما في ساحة المعركة وسحق الجيش الأموي ثم لقائه مرة ثانية جيش ابن الزبير بقيادة أخيه مصعب حيث كانت نهاية المختار على يديه ونهاية ثورته .

عبر هذه المراحل جميعها سيتضح لنا أن أهل اليمن شكلوا القوة الفاعلة في هذه الثورة ممن كان بجانب المختار أو ممن وقف في وجهه من الأطراف السابقة الذكر وسنجد في أكثر من مجابهة في ثورة المختار أن أبناء العم من القبيلة اليمنية الواحدة ينازلون بعضهم بعضاً في ميادين القتال فيقتلون ويقتلون . وبالتالي على أكتافهم تقع مسؤولية الحسم في الأمور المتعلقة بشؤون الدولة نظراً لمشاركتهم الكبيرة في هذه الثورة أفراداً وقيادات .

بداية أمر المختار :

يذكر لنا الطبري رواية عن هشام بن محمد أن المختار بن أبي عبيد الثقفي بدأ اتصاله بزعماء الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد وهو في سجن ابن زياد بالكوفة وقد تبين أن معظم هؤلاء القياديين كانوا من أهل اليمن مثل رفاعة بن شداد الفتياني من بجيلة ، والمثنى بن مخربة العبدي وأحمر بن شميط الأحمسي وعبد الله ابن شداد البجلي(١) .

ويبدو أن هذا الاتصال بزعماء شيعة الكوفة قد لاقى قبولاً ونجاحاً إذ أرسلوا مع رسوله أخباراً تفيد قبولهم السير خلف قيادته واستعدادهم القدوم الى سجنه لإخراجه منه بالقوة إذا رغب المختار بذلك(٢) .

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٧ ـ ٨ . وقد ذكر بالإضافة الى هؤلاء القياديين سعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد ابن الاسدي . وعبد الله بن كامل اليشكري
البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ص ٢٠٥ .

(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٨ .

سُرَّ المختار سروراً عظيماً عند سماعه هذه الانباء ولم تمض فترة طويلة من الزمن حتى خرج من سجن ابن زياد كي يبدأ حياة جديدة ، حيث ذكر عنه انه عندما نزل داره عند خروجه من السجن اختلفت اليه الشيعة واجتمعت عليه وكان الذي يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر أربعة منهم من أهل اليمن هم : السائب بن مالك الاشعري ، وأحمر بن شميط الأحمسي ، ورفاعة ابن شداد الفتياني البجلي ، وعبدالله بن شداد الجشمي (١).

فلم يزل أصحابه يكثرون ، وأمره يقوى ويشتد حتى عزل ابن الزبير واليه على الكوفة عبدالله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة وبعث على عملهما عبدالله بن مطيع وذلك بالرغم من نصيحة بحير بن ريسان الحميري بالتريث (٢) .

قدم عبدالله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين وأقام على الصلاة بالخراج فيها وجعل على شرطته إياس بن مضارب العجلي ، وأمره أن يحسن السيرة والشدة على المريب ، ويبدو أن ابن مطيع هذا كان معروف بالقوة والشجاعة وشدة البأس وذلك من خلال شهادة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان عندما قال عنه : ((انه حازم وكثيراً ما يسطو ، وشجاع وما يكره أن يفر))(٣) .

بعدها دخل مسجد الكوفة وصعد المنبر وخطب بالناس خطبة بمثابة بيان سياسي أعلن فيه طريقة حكمه وكيفية معاملة الناس فما كاد ينهي كلامه حتى وقفت المعارضة الشيعية في وجهه ترفض ما لا يعجبها من سياسته وتطلب ما ترغب فيه وقد مثل زعامة الشيعة في الرد على ابن مطيع رجل من أهل اليمن من قبيلة الاشاعرة هو السائب بن مالك الاشعري حيث أجابه والي ابن الزبير بقوله : ((نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها)) ، وهكذا بدأت المجابهة المباشرة بين شيعة الكوفة بزعامتها

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٩ ، البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢١٩ .
(٢) ـ المصدر السابق ج ٦ ص ٩ ـ ١٠ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢٢٠.
(٣) ـ المصدر السابق نفسه الجزء ٦ ص ١٠.

اليمنيـــة تحت قيادة المختار وبين ابن مطيع والي ابن الزبير (١) .

وفي تلك الآونـــة جاء ابن مطيع قائد شرطتـه إياس بن مضارب وأخبره أن السـائـب ابن مالك الاشـعري اليمني من رؤوس أصحاب المختار ونصحـه بإحضار هذا الاخير وسجنه حتى تسـتقيم الأمور . وكان ابن مضارب قد توصل الى هذا الرأى بعد أن أخبرتـه عيونه باستجماع الأمر الى المختـار وأنه يرغب في أن يثب بالكوفـة . لبىّ ابن مطيع طلب قائـد شرطته وأمر باحضار المختـار إليـه وكلف لهذه المهمـة رجلين من قبيلة همدان اليمنيـة هما : زائدة بن قدامـة وحسين بن عبد اللـه البرسي ، وعندما حضرا الى المختـار وأخبراه ضرورة الحضور الى أمير الكوفـة علم المختار ما ينطوى عليه هذا الطلب واعتـذر عن القدوم وقبل الأمير العذر (٢) .

حينما أدرك المختار أهميـة جمع أنصاره بالسرعة الممكنة فأخذ يجمعهم وينزلهم الدور التي حوله انتظاراً لساعة الصفر التي أرادها أن تكون في المحرم . ولما علم أصحابـه بذلك اجتمع عدد من رؤوسـهم في منزل سعر الحنفي كي يتدارسوا ما أراد المختـار وقد كان معظم هؤلاء الرجال من أهل اليمن مثل عبد الرحمن بن شريح الهمداني الذى كان عظيم الشرف في قومه ، ثم سعيد بن منقذ الثورى الهمداني والأسود بن جراد الكنـدي وقدامة بن مالك الاشجعي (٣) . تدارس هؤلاء أمر المختار وقالوا : ((ان المختار يريـد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندري أرسله الينا ابن الحنفيـة أم لا ، فانهضوا بنا الى ابن الحنفيـة فلنخبره بما قدم علينا به ... فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ، وان نهانـا عنـه اجتنبناه)) ، فاجتمع رأى هؤلاء الزعماء على هذا الرأي وقرروا الذهاب الى ابـن الحنفيـة للتأكـد من صحة كلام المختار وقد ذكر أن إمام هذا الوفد كان عبد الرحمن بـن شريح الهمداني اليمني (٤) .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٦ ص ١١ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .
(٢) ـ المصدر السابق ج ٦ ص ١٢ ، البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢١ .
(٣) ـ المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٢ ، البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢١ وما بعدها
(٤) ـ الطبرى : ج ٦ ص ١٢ وما بعدها ، البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢١ .

ويبدو أن هذا الوفد عاد بما يرغب ويريد المختار بن أبي عبيد الثقفي فقد فهم أعضاء هذا الوفد رغبة إبن الحنفية في مناصرة المختار بالثأر لآل البيت (١) . فلما علم المختار حقيقة هذا الأمر سُرَّ سروراً عظيماً وأمر بجمع الناس وخطب به خطبة مطولة أظهر فيها حماسة الشديد في قتال المحلين والثأر من الأمويين وإعادة الأمور إلى نصابها في آل البيت فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه . بعدها بدأ مساعدوه من رجال أهل اليمن بجمع ما يمكن جمعه من الرجال والقادة من أهل اليمن الى جانبه فتقدم من المختار أحو بن شميط الأحمسي وغيره من أبناء اليمن ممن يرى رأيه فقالوا له : ((إن أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ، فإن جامعنا على أمرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا ... فإنه فتى بئيس ابن رجل شريف بعيد الصيت ، وله عشيرة ذات عز وعدد)) (٢) .

فمن الأمور البدهية أن يعلم رجال أهل اليمن أهمية أشقائهم وأين تكمن مكامن القوة فيهم . فعندما أشار الزعماء اليمنيون على المختار أن يدعو ابراهيم بن الاشتر الى نصرته ضد ابن الزبير والبيت الأموي فانهم يعنون ما يقولون فابراهيم ابن الاشتر هو ابن مالك بن الحارث النخعي المذحجي اليمني الذي شغل دوراً عظيماً في التاريخ العربي الاسلامي مع قبيلته صاحبة العز والعدد وبشكل خاص في معارك التحرير الفاصلة ومعركة صفين ، ومن هنا فإن تأييده للمختار يعني وجود قائد فذ في صفوفه الى جانب عشيرته الكبيرة التي لا بد لها من المشاركة بأعداد كبيرة من أبنائها في القتال تحت راية سيدها وما يقال عن إبراهيم الاشتر يمكن أن يقال عن باقي الزعماء اليمنيين الذين برزوا على المسرح السياسي في ثورة المختار ممن كان الى جانبه أو ممن وقف في صفوف أعدائه

ومما تذكره روايات أهل الأخبار عن المفاوضات التي أجراها رجال شيعة الكوفة التي برز من خلالها شخصيات هامة من أهل اليمن مع ابراهيم بن الاشتر بغية الانضمام إليهم أن ابن الاشتر قبل دعوتهم أول الأمر بشرط أن يتولى زعامتهم وعندما أعلموه بأن محمد ابن الحنفية رضي بالمختار قائدا للشيعة وأنه تولى هذا الأمر سكت ابن الاشتر ولم يجبهم

---

(١) ـ ابن سعد : الطبقات : ج ٥ ص ٧٢ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢١ـ ٢٢٢ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٥ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢٢ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٨٨ .

فانصرف من عنده وفد الشيعة إلى المختار وأخبروه بما حدث عند ابراهيم بن الاشتر عندها قرر المختار بعد مضي ثلاثة أيام القدوم عليه مع بضعة عشر رجلاً من وجوه اصحابه فدخل عليه المختار وسلمه رسالة زعم المختار أن ابن الحنفية أرسلها الى ابن الاشتر يطلب منه مناصرة المختار ومبايعته على قتال أعداء آل البيت وبعد تشككه بصحة هذه الرسالة شهد على حقيقة أمرها عدد من رجالات أهل اليمن مثل أحمر بن شميط الاحمسي والسائب بن مالك الاشعري ومالك بن عمرو النهدي من قضاعة عندها طلب ابراهيم بن الاشتر من المختار أن يبسط يده فبسطها وبايعه وحضر هذه المبايعة أيضاً إلى جانبه عدد من وجوه أهل اليمن مثل شراحيل ابن عبد ـ وهو أبو عامر الشعبي الفقيه ـ وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي وعامر بن شراحيل الشعبي . ثم دعا ابراهيم عشيرته واخوانه ومن أطاعه وأقبل يختلف الى المختار (1) .

اشتعال ثورة المختار :

جمع المختار مؤيديه من فلول جيش سليمان بن صرد الخزاعي اليمني المنكسر في عين الوردة وبالطبع جاء من أهل اليمن أفراد وقادة ممن سلموا من القتل في هذه المعركة وبقي على مذهبه السياسي المؤيد لآل البيت بالاضافة إلى من ناصره من أفراد القبائل العربية الأخرى حيث برز فيها أيضاً أعداد كبيرة من القبائل اليمنية مثل قبيلة همدان التي اشترك منها أفراداً من عدة بطون أهمها : حاشد (2) ، والشوربين (3) وشبام (4) وناعط (5) وفائش (6) ووادعة وغيرها .

---

(1) ـ الطبري : ج 6 ص 16 ـ 18 . البلاذري : مصدر سابق ، ج 5 ص 223 .
(2) ـ الطبري : ج 6 ص 35 ، 38 ، 49 . وداد القاضي : الكيسانية في التاريخ والأدب ، ص 117 وما بعدها .
(3) ـ المصدر السابق نفسه ، ص 32 . يذكر الدينوري انه كان لهمدان حضوراً كبيراً في ثورته بنظر ص 290 .
(4) ـ المصدر السابق نفسه ، ص 23 . البلاذري : مصدر سابق ، ج 5 ص 242 .
(5) ـ = = = ، ص 56 ، 72 .
(6) ـ = = = ، ص 56 .

ثم من قبيلة مذحج(١) والنخع(٢) ومراد(٣) وكذلك من خثعم(٤) ، كما اشـــترك مع المختار من قبائل اليمن أعداداً من قبيلة نهد(٥) القضاعيـــة(٦) ومن القتيانييـــن(٧) من بجيله بالاضافـة إلى من شارك معـــه من قبيلة كنده والاشاعرة(٨) وعذرة(٩) والأزد(١٠) وأصحاب رأى السـبئيـة(١١) .

بالإضافـة الى ذلك فقد زخرت جميع الجيوش بتشكيلاتها القتاليـــة التي جابهـهـــا المختار ابتداء من القوات الزبيريـــة مروراً بأشراف أهل الكوفـة وأخيراً بالجيش الأمـــوى بأعداد كبيرة من قبائل اليمن(١٢) حيث كان لها دور كبير في القضاء عليـه وعلى ثورتـــه وسيتضح دور أهل اليمن بشكل أكثر وضوحاً عندما نبحث تطورات ثورة المختار والمراحل التـي مرت بها وحتى نهايتها .

ولكن مهما يكن من أمر فإن المختار قرر مهاجمة إبن مطيع والي عبدالله بن الزبير علـى الكوفـة بعد تمكنـــه من جمع الشيعة ما رأى رأيـه تحت قيادته والتي كان طابعها المميز إشتراك أعداد كبيرة من قبائل متفرقـة من أهل اليمن بها وكان ابن مطيع يعلم بقـرب وثوب المختار بالكوفـــة فأخذ يعد للأمر عدتـــه لمواجهتـه فما كان منه إلاّ أن قام بجمع وجوه أهل اليمن بالكوفـة وطلب من كل سيد قبيلة أن يكفيـه أبناء قبيلته . وكان قد اجتمع لهـذا الغرض عند ابن مطيع مـــن ســـادات القبائل اليمنيـة عبد الرحمن بن سعيد بن قيـس

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٣٦ ، ٣٩ .
(٢) ـ = = = ، ص ١٨ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٣ .
(٣) ـ = = = ، ص ٢٧
(٤) ـ = = = ، ص ٢٣ .
(٥) ـ = = = ، ص ٢٢ ، ٤٩ البلاذرى : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢٤٢ .
(٦) ـ = = = ، ص ٣٩ .
(٧) ـ = = = ، ص ٤٧ .
(٨) ـ = = = ، ص ٥٨ ، ٨٤ .
(٩) ـ = = = ، ص ٤١ .
(١٠) ـ = = = ، ص ١٨ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٥١ .
(١١) ـ = = = ، ص ٢٥ ، ٤٤ ، ٨٣ . الى جانب اشتراك بطون عديدة من همدان أهمها : شاكر ، ويرسم ، وخارف ، ينظر وداد القاضي : مرجع سابق ص ١١٧ .
(١٢) ـ الدينورى : ص ٢٩٩ . وكذلك ص ١٢٧ .

الهمداني الذي كلفه ابن مطيع بـ (جبانة السبيع) مكان تجمع الهمدانيين وحذره وقومه من حدوث أي مشاكل في حيهم ، كما جاء إليه كعب بن أبي كعب الخثعمي وكلفه بضبط جبانة بشر . وأرسل لنفس الغرض زحر بن قيس الكندي الى جبانة كندة وشمر بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم وأرسل عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الى جبانة الصائديين ، ويزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب الى جبانة مراد[(١)] .

وعن بدء عمليات القتال بين أنصار المختار وجماعة ابن الزبير يروي أبو مخنف ان الذي بدأ القتال هو ابراهيم بن الاشتر النخعي اليمني أبرز وجه قيادي في صفوف المختار وكان ذلك عند ما اتجه ابراهيم بن الاشتر على رأس مائة مقاتل الى منزل المختار حيث عترضه قائد شرطته ابن مطيع وأمره بالتوقف ، عندها اقترب ابن الاشتر من رجل يمني من قبيلة همدان يدعى (أبو قطن) كان له علاقة وثيقة في شرطة إبن مطيع والتقط رمحه وطعن به ابن مضارب قائد شرطة ابن مطيع فأرداه قتيلاً فكانت شرارة القتال الأولى التي اشتعلت بيد يمنية والتي بقيت مشتعلة حتى مصرع المختار نفسه[(٢)] .

ومهما يكن من أمر فإن إبن الاشتر طلب من المختار أن يسمح له بالعودة الى قومه في جمعهم ويسير إلى محاربة جماعة ابن مطيع ممثل ابن الزبير في الكوفة فأذن له المختار فقام ابن الاشتر بتعبئة قومه وأنصاره واشتبك مع خيل إبن مطيع بقيادة زحر بن قيس الجعفي فشتت شملهم وهرب من تمكن من النجاة في أحياء الكوفة ، بعدها التقى ابن الاشتر مع قوة لابن مطيع بقيادة أحد رجالات قبيلة منقر اليمنية يدعى سويد بن عبد الرحمن المنقري حيث تمكن ابن الاشتر من الحاق الهزيمة به أيضاً[(٣)] .

تقدم بعد ذلك ابن الاشتر باتجاه منزل المختار فوجد القتال على أشده بين صاحبه حجر بن شميط الأحمسي اليمني وبين قائد ابن مطيع حجار بن أبجر العجلي فما أن سمع ابن ابجر بقدوم ابن الاشتر إليه حتى انهزم وجنده بين أحياء الكوفة . بعدها خرج أحد قادة المختار ويدعى أبا عثمان النهدي من قضاعة اليمنية في بني شاكر بالكوفة يطلب

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ١٨ ـ ١٩ . البلاذري : انساب الأشراف مج ٥ ص ٢٢٤ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ١٩ ـ ٢٠ البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢٤ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ٢١ البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢٤ .

منهم الالتحاق بصفوف جيش المختار فاعترضه كعب بن أبي كعب الخثعمي فقاتله أبو عثمان النهدي حتى أخلى له الطريق . بعدها التحق بجيش المختار عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من خثعم قدرت بمئتي مقاتل اعترضهم أنصار ابن مطيع بقيادة كعب بن أبي كعب الخثعمي فلما علم أنهم من قومه خلى عنهم ولم يقاتلهم . كما خرجت مجموعة من قبيلة شبام الهمدانية إلى المختار ولما علم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني من أنصار ابن مطيع - بخروجهم اتصل بهم وطلب منهم عدم المرور بجبانة السبيع كي يتجنب قتال قومه كما فعل ابن أبي كعب الخثعمي . وقد ذكر أهل الأخبار أنه تجمع للمختار في تلك الليلة قبل انفجار الفجر ثلاثة آلاف وثمانمائة مقاتل وكما هو واضح شكل اليمنيون قوته الضاربة في هذه التعبئة (1) .

أما ابن مطيع فقد أمر أهل الجبابين بالكوفة بالتوجه الى المسجد وطلب من قائد شرطته أن ينادي بالناس : ((ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة ، فتوا فى الناس في المسجد ، فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع (شبث بن ربعي في نحو من ثلاثة الاف الى المختار وبعث راشد بن إياس (قائد شرطته) في أربعة آلاف من الشرط))(2)

فما كان من المختار إلاّ أن جهز جيشاً بقيادة ابراهيم بن الأشتر النخعي اليمني وجعل خزيمة بن نصر العبسي المرادي ساعداً له وأمره بالتوجه لقتال جيش ابن مطيع بقيادة راشد بن إياس حيث اشتبك معه إبن الاشتر على الفور في معركة حامية استطاع ساعده خزيمة بن نصر قتل راشد بن إياس في هذه المعركة فانهزم جيش إبن مطيع بعد مصرع قائده وأخذ ابن الأشتر وخزيمة إبن نصر يلاحقون فلول جيش ابن مطيع (3) ، المنهزم حتى فوجئ خزيمة إبن نصر بإبن عمه حسان بن فائد العبسي المرادي أمامه في جيش ابن مطيع المنهزم فأمنه وطلب إليه فرس والحقه بقومه .

كانت أنباء ونتائج هذه المعركة قاسية جداً على مسمع عامل ابن الزبير على الكوفة

---

(1) - الطبري : ج 6 ص 22 - 23 . البلاذري : مصدر سابق ، ج 5 ص 225 .
(2) - المصدر السابق نفسه ، ج 6 ص 23 . البلاذري : مصدر سابق ، ج 5 ص 225 .
(3) - البلاذري : مصدر سابق : ج 5 ص 225 .

غير أنــــه لم يستسلم لهذه الهزيمة فبعث جيشــاً آخر بقيادة رجل من أهل اليمن يدعى عمرو بن الحجاج الزبيدي المذحجي ذكر تعداده ألفي مقاتل وأمره بقتال جيــش المختار(١) .

فما كان من المختار إلاّ أن استعد لمواجهة هذا الجيش وعبأ جنده مرة أخرى بقيادة يمنيــة خالصة فقد تولى ابراهيم بن الاشتر قيادة الجيش العليا وتولى معه مجابهـــة القيادة اليمنيــة في الطرف المعادي ـ عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ سعيد بن منقــذ الهمداني(٢) وأمر المختار قادة جيشــه بالإشتباك مع جيش ابن مطيع فاشتبكوا معــه وألحقوا به الهزيمة . تقدم على أثر هذه المعركة المختار باتجاه قصر ابن مطيع حيث تولى ابراهيم بن الاشتر مهمة حصار القصر يعاونــه من رجالات أهل اليمن أحمر بن شميط الأحمسي وقد استمرت عملية الحصار بضعة أيام طلب بعدها ابن مطيع الأمان لــه بالخروج من القصر فرضي ابن الاشتر ذلك وغادر على أثرها ابن مطيع قصر الإمارة الى دار أبي موسى بينما بايع صحبه المختار بعد خروج سيدهم منه ويقال ان المختار كان صديقــاً لابن مطيع قبل بدء النزاع بينهما وانه أحسن إليه بعد تمكنه منه وأمر بمائة ألف درهـــم دفعها اليه كي يتجهز بها ويخرج من أرض الكوفـــة(٣) .

يذكر الإخباريون في مصادرهم أن المختار بعد تمكنه من الكوفة وطرد الســلطـة الزبيريـــة منها ، استقبل الناس بالخير ومناهم بالعدل وحسن السيرة ، وســلك سياسة التقرب من أشــراف الكوفـــة ، والتودد اليهم فكانوا جلسـاءه وحداثه وقد بلغ هذا التقرب حداً ضاق منه ذرعا حلفاؤه الموالي وتذمروا ورأوا في تقربه الشديد منهم خرقاً لما تم الاتفاق عليه فيما بينهم قبل ثورته . ولما علم المختار بموقف الموالي هذا أرسل اليهم

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٢٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٩ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٣ البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢٨ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٥٩ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٩٢ .

رســـول من عنده أمره أن يبلغهم أنه ما زال كسابق عهده معهم وقرأ عليهم الآيـة الكريمة ((انا من المجرمين منتقمون))[1] . فما ان سمعها الموالي منه ،حتى قال بعضهم لبعض ((ابشروا ، كأنكم والله به قد قتلهم))[2] .

كان اجراء المختار هذا عبارة عن تجديد ثقة الموالي به مما جعله يلتفت الـــى الشؤون الخارجيـة بتعيين ولاتـه على الأمصار التي أصبحت تحت نفوذه السياسي وقـد أوكل المختار الى عدد من رجال أهل اليمن عدة مناصب في هذا المجال . فقد ذكـر الطبري أن أول رجل عقد له المختار كان من أهل اليمن هو عبدالله بن الحارث أخـو الأشتر النخعي حيث ولاه على أرمينيـة ثم انتخب منهم عدد من الرجال لمناطق أخـرى مثل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني على الموصل ، ومحمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان ، ومحمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الأوسط ، وحبيب بن منقذ الثوري ـ الهمداني على بهقباذ الأسفل[3] .

وذكر ان عبدالله بن الزبير كان قد أوكل أمر ولاية الموصل الى محمد بن الأشعث الكندي ، فلما قدم عليها عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني عاملاً للمختار تنحى لـه عنها وأقبل حتى نزل تكريت ، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم وهو معتزل غير أن اعتزالـه السياسي لم يدم طويلاً إذ سرعان ما شخص الى المختار وبايعه ودخل فيمـا دخل فيه أهل بلده[4] .

أما في مجال القضاء فقد ذكر عن المختار أنه كان يجالس الناس بالكوفة غدوة وعشيـة

---

(١) ـ سورة السجدة : الآيـة ٢٢.

(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٣ . الدينوري : مصدر سابق ص ٣٠٠.

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ٣٣ ـ ٣٤ البلاذري : ج ٥ ص ٢٢٩.

(٤) ـ المصدر السابق نفسه الجزء والصفحة . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢٩ .

فيقضي بينهم خصوماتهم ، غير أن مهمة القضاء هذه وجد نفسه أنه في غنى عنها فأوكل مهمتها الى القاضي اليمني الشهير شريح الكندي فجلس لهذه المهمة وقتاً ليس طويلاً فعزله المختار بقاض يمني آخر هو عبد الله بن عتبة بن مسعود الذي بقي في هذا المنصب حتى أعياه المرض عند ذلك قام المختار بإستعفائه وأجلس مكانه قاض من قبيلة طيء اليمنية أيضاً هو عبد الله بن مالك الطائي (١) .

ويذكر عن المختار أنه بعد انتهائه من ترتيب شؤون الكوفة من الجوانب الادارية كان أول اجراء له تفرغه لقتلة الحسين وآل بيته والمشايعين على قتله ، فقتل من قدر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه (٢) .

وقد روى أبو مخنف رواية في الطبري تظهر إصرار المختار وعزمه الاقتصاص من قتلة الحسين وذلك من خلال ما رواه عنه عندما قال : ((ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين ... ـ فقال لأصحابه ـ سموهم لي ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم)) (٣) فقام عبد الله بن دباس ودل المختار على نفر ممن قتل الحسين ، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني ، ومالك بن النسير البدي ، وحمل بن مالك المحاربي ، فبعث اليهم المختار أحد فرسانه من قبيلة قضاعة اليمنية يدعى أبا نمران مالك بن عمرو النهدي فأتاهم وهم بالقادسية فتمكن من احضارهم الى المختار حيث أمر بقتلهم جميعاً (٤) .

كما قام سعر الحنفي ودل المختار على مجموعة أخرى من قتلة الحسين ظهر منهم من أهل اليمن عبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني فتم احضارهم له فأمر بقتلهم (٥) . وكان السائب بن مالك الأشعري ممن كلفهم المختار بإحضار قتلة

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٤ ـ ٣٥ . البلاذري : ج ٥ ص ٢٢٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ٣٨ . البلاذري : ج ٥ ص ٢٢٨ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ٥٧ . وداد القاضي : الكيسانية ، ص ١٢٠ ومابعدها
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٨ البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٣٨ وما بعدها .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٨ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٥٩ .

الحسين إليه حيث تمكن هذا الفارس اليمني من احضار مجموعة من الرجال قيل أنهم اشتركوا في قتل الحسين برز منهم من قبيلة همدان اليمنية عبدالله بن وهب بن عمرو الهمداني ابن عم أعشى همدان من بني عبد حيث أمر المختار بقتله ورفاقه على الفور(١) .

كما كلف المختار عبدالله بن كامل أحد فرسانه بإحضار عدد ممن ذكر عنهم مشاركتهم في الجيش الأموي بكربلاء عرف منهم من أهل اليمن عثمان بن خالد بن أسير الدهماني من جهينة اليمنية ، وأبو أسماء بشر بن سوط القابضي فتمكن رجل المختار منهم وقتلهم قبل أن يصل الى المختار وهو في طريقه إليه فلما أخبر سيده بما فعل أمر المختار قائده ان يعود إلى جثتيهما فيحرقهما بالنار فكان لهذا العمل أثر حزين في نفس أعشى همدان حيث رثى ابن عمه عثمان بقوله :

يا عين بكي فتى الفتيان عثماناً	لا يبعدن الفتى من آل دهمانا
واذكر فتى ماجداً حلوا شمائله	ما مثله فارس في آل همداناً (٢)

وذكر أن المختار أرسل للغاية نفسها أحد فرسانه من قبيلة كندة ويدعى معاذ بن هانئ ابن عدي الكندي ، ابن أخي حجر بن عدي مع فارس آخر لاحضار صاحب رأس الحسين خولي ابن يزيد الأصبحي ففعلا فأمر بقتله واحراقه .

ثم أمر المختار بقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه فقتلا فذكر أن المختار قال في ذلك : هذا بحسين ـ يعني عمر بن سعد ـ وهذا بعلي بن حسين ـ يعني ابن عمر بن سعد ـ ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا انملة من أنامله))(٣) .

وذكر عن المختار معرفته بمكان وجود (حكيم بن طفيل الطائي السنبسي اليمني) وكان قد رمى الحسين بسهم في معركة كربلاء فأمر المختار عبدالله بن كامل باحضاره ولما تمكن

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٨ . حول موقف المختار من مأساة كربلاء ينظر على الخربوطلي كتاب المختار ص ٧٠ وما بعدها .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ٥٩ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٦١ .

موفد المختار منه أسرع قومه الى سيدهم عدى بن حاتم الطائي يستغيثون به وكان عدى ابن حاتم سيداً شريفاً مطاعاً في قومه ومجتمع أهل الكوفة عامة ، فلما علم عبدالله بن كامل كرامته خاف أن يشفع بمن أمر بإحضاره فقتله قبل أن يصل الى المختار .

وطلب المختار سنان بن أنس النخعي الذى كان يدعي قتل الحسين ، فوجده قد هرب الى البصرة فهدم داره ، وطلب رجلاً يمنياً من قبيلة خثعم يقال له عبدالله بن عزوة الخثعمي فقاتله ولحق بمصعب بن الزبير بالبصرة فهدم داره .

كما طلب المختار محمد بن الاشعث بن قيس في قريبة الاشعث قرب القادسية فلما علم ابن الاشعث بالامر غادر قريته هارباً باتجاه مصعب بن الزبير فأمر المختار بهدم داره وبناء دار حجر بن عدى الكندي بلبنها وطينها وكان زياد بن سمية قد هدمها (١) .

وبعد انتهاء المختار من تطهير الكوفة من قتلة الحسين أجمل أعماله كلها في هذا المجال وكتبه في رسالة بعث بها الى محمد بن الحنفية يطلعه على ما قام به من انتقام لآل بيته ويضع نفسه تحت رأيه وما يرغب (٢) .

في إثناء تلك الفترة وصلت للمختار أنباء من واليه على الموصل عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني تفيد بدخول جيش الامويين بقيادة عبيدالله بن زياد أرض الموصل بأعداد كبيرة ، وتحسباً للموقف والخوف من الخوض في معركة خاسرة قرر عبد الرحمن ابن سعيد مغادرة الموصل الى تكريت منتظر إمدادات المختار ورأيه في هذا الموقف .

أثنى المختار على حسن تصرف عامله على الموصل وأمره بعدم مغادرة تكريت حتى تصله تعليمات بهذا الخصوص . قام على أثر ذلك بتجهيز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة يزيد بن أنس الاسدي ، شارك المقاتلون اليمنيون به قادة وأفراداً من قبائل عديدة مثل قبيلة الأزد وهمدان ومذحج وكندة برز منهم في قيادة هذا الجيش النعمان بن عوف بن ابي جابر الأزدي وعاصم بن قيس بن حبيب الهمداني (٣) وعبدالله بن ضمرة العذرى (٤) .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٦٦ الدينورى : مصدر سابق ، ص ٣٠٠ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٦٢ . حول علاقة المختار بمحمد ابن الحنفية ينظر : وداد القاضي : الكيسانية ، ص ٧٦ وما بعدها . ثم ص ١٠٢ ـ ١٠٣ وما بعدها
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٩ ، البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

توجــه هذا الجيش بعد استكمال اجراءات التعبئة لمواجهة جيش الشام الذي كان متفوقا على جيش المختار من الناحية العددية[1]، وقد شارك اليمنيون أيضاً في جيش ابــن زياد قادة وأفراداً برز منهم الخثعميون بشكل خاص تولى فرســان منهم قيادة ميمنــة وميســرة جيش ابن زياد مثل الزبير بن خزيمة الخثعمي وابن أقيصر القحافي الخثعمي[2].

وذكرت روايات أهل الاخبار أن يزيد بن أنس الأسدي دخل المعركة مع ابن زيــاد وهو يعاني من مرض شديد مما اضطره إلى تعيين ثلاثــة رجال على التوالي خلفاً له فــي قيادة الجيش في حال موتــه ظهر منهم من أهل اليمن عبد اللــه بن ضمرة العذري[3].

وعلى الرغم من كل ذلك خاض جيش المختار معركة شديدة وقاسية مع ابن زياد ألحــق يزيد بن انس برغم اعتلاله خسائر بشرية كبيرة في صفوف ابن زياد غير أن القتال لم يحســم أمره بين الطرفين وذلك بسبب موت قائد جيش المختار[4].

تولى قيادة جيش المختار ورقاء بن عازب الأسدي وكان من رأى هذا القائد الجديــد عدم خوض القتال مع ابن زياد وانسحب بجيشــه الى المواقــع الخلفية وحين علم المختــار بما حدث لجيشــه في المعركة شكل على الفور جيشاً جديداً أسند قيادته إلى ابراهيم بــن الأشتر النخعي الذي يعد من أشهر قادة رجال اليمن شدة وبأساً وخبرة وقد قدر تعــداد هذا الجيش بـ (٧) آلاف مقاتل مهمــة ابن الأشتر النخعي فيه جمع فلول جيش يزيد بــن انس اليه وقتال عبد اللــه بن زياد[5].

غير أن هذا الجيش لم يصل به ابراهيم بن الأشتر الى موقــع يقال له (ساباط) حتى

---

(١) ـ قدر جيش ابن زياد بـ (٨٠) ألف مقاتل . انظر الطبري ج ٦ ص ٤٣ بينما قــدر قدر جيش المختار بـ (٣) ثلاثــة آلاف مقاتل . انظر الطبري : ج ٦ ص ٣٩.

(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٤٢.

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤١ .

(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٢.

(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٣ ذكر في كتاب أنساب الاشراف للبلاذري ان تعداد جيش المختار بقيادة ابن الاشتر بلغ (٩) آلاف مقاتل ينظر في المصــدر المذكور ج ٥ ص ٢٤٨ .

وصله رسول من قبل المختار يخبره بالعودة على جناح السرعة وكامل جيشه الى الكوفة وذلك بسبب انتفاض أشراف الكوفة عليه .

لقد أجمعت معظم المصادر التي عدنا اليها في تقصي أسباب انتفاض أشراف الكوفة في وجه المختار وثورته فوجدنا أنها تعود لسبب جوهري هو تقريبه الموالي منه واعطائهم نصيباً من الفيء ، وكان تعليق الأشراف على هذا ((لقد تأمر هذا الرجل علينا بغير رضى منا ، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب ، وأعطاهم وأطعمهم فيئنا ، ولقد عصتنا عبيدنا ...)) .

فلم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من أن جعل للموالي من الفيء نصيباً(1) .

لقد خشي أشراف الكوفة إزدياد نفوذ الموالي الذين كانوا يشكلون نسبة كبيرة في حركته ، وروى الطبري ان المختار كان يقول للموالي : ((انتم مني وأنا منكم))(2) .

ولكن مهما يكن من أمر ، فإنه يبرز أمامنا سؤال هام هو : ممن تكونت طبقة هؤلاء الاشراف وما هي نسبة أهل اليمن بها ؟ .

ففي واقع الأمر لئن شكل اليمنيون قوة مؤثرة في ثورة المختار في تعداد الجند وقياداتهم في أرض المعارك التي خاضها كما رأينا خلال الصفحات القليلة السابقة فإن قسماً كبير منهم كانوا على خلاف معه وشكلوا أيضاً نسبة لها أهميتها في صفوف أعدائه وساهموا مساهمة فعالة الى جانب ابناء القبائل الاخرى في وضع حد لحركته .

ففي انتفاضة أشراف الكوفة في وجه المختار شكل اليمنيون قسماً كبيراً من هذه الطائفة إن لم نقل انها تكونت منهم بشكل مطلق(3) ، ومن غرائب الأمور أن القوة الحقيقة التي

---

(1) ـ الطبري : ج ٦ ص ٤٣ ـ ٤٤ الدينوري : مصدر سابق ، ص ٣٠٠ .
(2) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٣ الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٨٨ ، ٣٠٠ .
(3) ـ حول أهمية أهل اليمن في أشراف الكوفة ممن وقف في وجه المختار ونسبتهم العالية : ينظر الطبري : ج ٦ ص ٤٣ ـ ٤٤ وما بعدها .

استخدمها المختار في القضاء على طبقة الأشراف هذه كانت من أهل اليمن وقد أثار عمل المختار هذا حفيظة واستغراب أحد أبناء هذه الطبقة عندما كان يقاتل المختار وجيشه ووجد جماعة من أبناء عمه بأمرة المختار ينقضون عليه من الخلف فما تمالك نفسه إلاّ إن قال : ((يا عجباً يقاتلني بقومي من لا قوم له)) يقصد المختار (١) .

غير أن دور أهل اليمن في انتفاضة اشراف الكوفة في وجه المختار سيتضح أكثر فأكثر وذلك من خلال تطور أحداث هذه الانتفاضة .

يروى أبو مخنف رواية في الطبرى يذكر فيها ان أشراف الكوفة استغلوا انكسار جيش المختار أمام عبيد الله بن زياد بقيادة يزيد ابن انس وما تبع ذلك من اضطرابات في صفوفهم وأرادوا قتاله .

وقد اجتمع لهذه الغاية قادة الأشراف كان منهم من أهل اليمن شمر بن ذى الجوشن محمد بن الأشعث الكندى وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وكعب بن أبي كعب الخثعمي ، وتم الاتفاق فيما بينهم على قتال المختار ثم ذهبوا الى عبد الرحمن بن مخنف فدعوه الى ما يرغبون القيام به في أمر المختار غير أن ابن مخنف كان له رأى غير الرأى الذى أرادوه ونصحهم بعدم مواجهة المختار والتريث حتى يأتي اليه جند أهل الشام وجند أهل البصرة فيوقعون به وبالتالي يتجنبون ما يمكن أن تسفر عنه هذه المواجهة من خسائر بشرية (٢) .

ومما يثبت مشاركة اليمنيين بشكل فعال بين صفوف طرفي الصراع ما يمكن للباحث أن يستنتجه من خلال كلام أبي مخنف عندما خاطب رؤوس الأشراف ونصحهم بعدم قتال المختار حيث قال : ((إني أخاف ان تتفرقوا وتختلفوا ... ومع الرجل والله شجعا وكم وفرسانكم من أنفسكم ... فلا تجعلوا بأسكم بينكم)) (٣) .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٥٦ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٤ ـ ٤٥ الدينورى : مصدر سابق ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

(٣) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

غير أن هؤلاء رفضوا نصيحة أبي مخنف وناشدوه الله أن يدخل فيما رآه جماعتهم فما كان منه إلا الرضوخ للأمر الواقع والسير في طريق ما أرادوا .

ويبدو أن اتفاق أشراف الكوفة هذا على قتال المختار كان قد تم قبل خروج قائد جيش المختار ابراهيم بن الاشتر الذي يعد من أشهر فرسان اليمن أيضاً لجمع فل جيش يزيد بن أنس ثم قتال بن زياد الذي كان على رأس جيش الشام . فكان رأيهم أن ينتظرون خروج جيش ابن الاشتر ثم يخرجوا لمواجهته .

فذكر أن جيش المختار لم يصل الى موقع (ساباط) حتى وثب الاشراف به وقد ذكر خرج من أشراف أهل اليمن لهذه الغاية عبد الرحمن بن سعيد الهمداني في همدان في جبانة السبيع ، وزحر بن قيس الجعفي واسحاق بن محمد الاشعث الكندي في جبانة كندة ، وكعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر ، وبشير بن جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة ، وعبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف ، ثم التحق اسحاق بن محمد الكندي وزحر بن قيس الجعفي بجماعة عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني بجبانة السبيع وسارت بجيلة وخثعم الى عبد الرحمن بن مخنف وهو بالأزد . في تلك الآونة بلغ أشراف أهل اليمن ممن كان قد تجمع منهم في جبانة السبيع ان المختار قد عبأ لهم خيلاً يسير اليهم ، فبعثوا الى أبناء عمهم الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبجيلة وخثعم مستنجدين بهم على جناح السرعة فلبى طلبهم واجتمع معظم أشراف أهل اليمن في جبانة السبيع فكان تجمعهم في مكان واحد له أثره الحسن في نفس المختار(١) .

ويذكر أن قسمهم الآخر سار به قادتهم الى عدة مواقع ، فسار شمر بن ذي الجوشن حتى نزل بجبانة بني سلول ، ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مراد بمن تبعه من مذحج ، فأرسل اليه أهل اليمن طالبين التحاقه بهم غير أنه رفض طلبهم(٢) .

ويبدو أن أبا مخنف كان على حق عندما تخوف من مجابهة المختار بسبب الاختلاف ونزعة التفرقة التي كانت تتحكم بهم وقد برز هذا المظهر السلبي في صفوفهم منذ اللحظات

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٥ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٣١ وما بعدها .

(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٤٥ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٣٢ .

الاولى لتجمعهم لقتال المختار فكما ذكرنا قبل قليل فان عمرو بن الحجاج الزبيدي رفض طلب قومه من أهل اليمن الانضمام الى صفوفهم وقد تكرر مظهر التفرد والاختلاف في صفوفهم قبل بدء المعركة في أكثر من مناسبة . فقد ذكر أنه لما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرة الصلاة ، فكره كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف ، قدموا سيد قراء أهل المصر رفاعة بن شداد الفتياني من بجيلة فليصل بكم ، ففعلوا ، فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة (١) .

ومن مظاهر اختلاف كلمة أشراف أهل اليمن ما يرويه أبو مخنف أيضاً من أن شمر بن ذي الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم : إذا اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلاّ فلا والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سكك ضيقة ثم انصرف إلى جماعة قومه في جبانة بني سلول (٢) .

ويبدو أن المختار علم بتفرق كلمتهم واستغل هذه التفرقة لصالحه استغلالاً قوياً مما ساهم في القضاء عليهم دون عناء كبير من قبله .

وحول تعبئة جيشه لهم يذكر أهل الاخبار أن المختار قسم جيشه إلى قسمين قسم جعله بامرته يعاونه في القيادة عدة فرسان منهم من أهل اليمن أحمر بن شميط البجلي الأحمسي وعبد الله بن كامل الشاكري (٣) ، وعبد الله بن قراد الخثعمي (٤) وغيرهم (٥) ، واختار قتال أشراف اليمن بينما جعل ابراهيم بن الاشتر النخعي اليمني على رأس القسم الآخر من جيشه وأمره بقتال الاشراف من مضر فكان تصرفه هذا ينم عن حنكة قيادته عالية اذ كره المختار أن يُسيّر ابراهيم بن الاشتر لقتال قومه من أهل اليمن خشية منه الرفق في قتالهم ففضل توجيهه إلى مضر بينما تولى هو نفسه قتال أهل اليمن (٦) .

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٧ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٣٢.
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٦.
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٧ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٣٢.
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٨.
(٥) ـ فقد استعان المختار أيضاً بفرسان قضاعة من قبيلة نهد بكل من مالك بن عمرو النهدي وعبد الله بن شريك النهدي . ينظر الطبري : ج ٦ ص ٤٩ .
(٦) ـ الطبري : ج ٦ ص ٤٧.

توجه ابن الأشتر وفق ما هو مقرر وأطبق على أشراف الكوفة من مضر فعمل القتل برجالهم حتى ألحق بهم الهزيمة وجاءت البشرى إلى المختار من قبل ابن الأشتر فسر لذلك سروراً عظيماً بحيث شحذت هذه الانتصارات همة مقاتليه في قتال أشراف أهل اليمن (١) .

وجه المختار أحمر بن شميط البجلي اليمني على رأس مجموعة من مقاتليه وأمره بقتال أهل اليمن في جبانة السبيع التي تجمّع بها أشرافاً من قبائل يمنية عديدة قبل المعركة وأمره بقتال هؤلاء حتى يخرج ويخترق دور قومه ، بينما أمر عبدالله بن كامل بالتوجه عن طريق آخر وهو على رأس مجموعة أخرى من المقاتلين الى المكان نفسه (٢) .

بلغ أهل اليمن قدوم جيش المختار اليهم عن طريق محورين رئيسين فقاموا لمواجهته عن طريق محورين أيضاً فقسموا أنفسهم إلى مجموعتين مجموعة سارت تحت قيادة عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني واسحاق بن الأشعث الكندي وزحر بن قيس والمجموعة الثانية سارت تحت قيادة عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، وبشير بن جرير بن عبدالله البجلي ، وكعب بن أبي كعب الخثعمي والتحم الطرفان في معركة حامية قاتل فيها أبناء القبلية اليمنية الواحدة بعضهم بعضاً أشد قتال استطاع المختار فيها سحق أشراف اليمن بعد تدخل قبيلة شبام الهمدانية في القتال لصالحه من خلف أبناء عمومتهم بقيادة أبي القلوص (٣) .

وقد ذكر الطبري (٤) عدداً من رؤوس أشراف اليمن بين قتيل وجريح وأسير نتيجة هذه المعركة فقد ذكر من اللذين قتلوا رفاعة بن شداد بن عوسجة الفتياني من بجيلة ، والفرات ابن زحر بن قيس الجعفي ، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وعمر بن مخنف الأزدي ، وعبدالله بن صهبان الراسبي بينما جرح كل من عبدالرحمن بن مخنف الأزدي وزحر بن قيس : وتم أسر خمسمائة مقاتل من قبيلة وادعة الهمدانية جيء بهم إلى المختار

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٧ وما بعدها .
(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٤٨ ـ ٥٠ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٠ ـ ٥١ .

مكتفيـن فقام هذا الأخير واستعرضهم وأمر بقتل كل فرد منهم اشترك في قتال الحسين فذكر أنه قتل منهم قبل أن يخرج من استعراضهم (٢٤٨) قتيلاً . ثم أخذ أصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم خلوا به فقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم دون معرفة المختار ولما علم المختار بالأمر دعا بمن بقي من الأسارى اليمنيين فاعتقهم ، وأخذ عليهم المواثيق ألاّ يجامعوا عليه عدواً ... إلاّ سراقة بن مرداس البارقي فانه أمر به أن يساق معه الى المسجد ونادى منادي المختار : أنه من أغلق بابه فهو آمن ، إلاّ رجلاً شرك في دم آل محمد صلى الله عليه وسلم[1] .

من جانب آخر فقد روى أبو مخنف رواية ذكر فيها أنه قتل من همدان وحدها الى جانب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني في هذه المعركة (٧٨٠) قتيلاً[2] .

ودون أدنى شك لا بد من وجود عدد من القتلى اليمنيين في صفوف جيش المختار وبالتالي كانت القبائل اليمنية بمثابة وقود هذه المعركة الذي قتل منهم من قتل وجرح من جرح وأسر بنتيجتها من أسر بينما هرب من تمكن منهم الهرب إلى مصعب بن الزبير بالبصرة[3] .

ومما يذكر عن المختار بعد انتصاره على أشراف الكوفة أنه لم يمض إلاّ يومين على انتهاء المعركة حتى أمر قائد جيشه اليمني ابراهيم بن الأشتر النخعي بالتوجه ثانية لقتال الجيش الأموي وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٦٦ هـ حيث أخرج معه من وجوه أصحابه وفرسانهم ممن قد شهد الحرب وجربها وقد ذكرت لنا المصادر بعض أبناء القبائل اليمنية التي شاركت في جيش المختار ضد أهل الشام مثل بعض أبناء قبيلة نهد القضاعية الى جانب من

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥١ ، البلاذري : أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٣٤ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٦ ، النويري : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٢٩ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٥ ، ٥٧ .

خرج معـه من قبائل كنـدة ومذحج وهمـدان وغيرها [1] .

كما برز في مركز القيادة في جيشـه من أهل اليمن كل من قيس بن طهفة النهـدى والاسـود بن جراد الكندى ، وحبيب بن منقذ الثورى الهمداني [2] .

ومن غرائب المصادفات أن يكون جيش الشـام كله تقريباً من أهل اليمن على كون أن القبائل القيسـية جميعها التي كانت وقتذاك بالجزيرة ، كانت على خلاف مع مروان و آل مروان ، من هنا برزت قبائل كلب القوة الحقيقيـة لجيش أهل الشام . وبرز في مركز قيادة جيش عبيد اللـه بن زياد عدد من رجال أهل اليمن مثل الحصين بن نمير السكوني الكندى قائد الميمنـة وشرحبيل بن ذي الكلاع قائد الخيل [3] .

تقدم ابن الاشتر باتجاه ابن زياد حيث التقى الجيشـان في موقع يقال له (الخازر) [4] بعدها عبأ ابراهيم بن الاشتر جنده تعبئـة القتال ، فجعل أخاه لامه عبد الرحمن بن عبد اللـه على الخيل ، وسفيان بن يزيد بن المفضل الأزدى على الميمنة وعلى رجالته الطفيل بن لقيط والتحم بعدها الجيشـان في قتال شديد كان نتيجتها مصرع قائد جيش الشـام عبيد اللـه بن زياد وجميع مساعديـه من القادة اليمنيين . فقد ذكر أن ابراهيم بن الاشتر النخعي تمكن من قتل عبيد اللـه بن زياد بينما نسب قتل الحصين بن نمير السكوني الكندى الى شريك بن جدير التغلبي بينما ادعى قتل شرحبيل بن ذى الكلاع ثلاثـة كانوا قد شاركوا في المعركـة في صفوف جيش المختار هم : سفيان بن يزيد بن المفضل الأزدي ، وورقاء بـن عازب الاسدى ، وعُبيد الله ابن زهير السلمي [5] .

---

(١) ــ الطبرى : ج ٦ ص ٨١ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، الجزء والصفحة .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٨٦ ، ٨٩ .
(٤) ــ من أجل أخبار هذه الموقعة ينظر الطبرى : ج ٦ ص ٨٦ وما بعدها . البلاذرى : أنساب الاشراف ج ٥ ص ٢٤٧ وما بعدها ومن أجل تاريخ وقوعها الذى يحدده الطبرى بمطلع عام ٦٧ هـ . انظر كتاب تاريخ خليفة بن خياط تحقيق : الدكتور سهيل زكار الجزء الاول ص ٣٣٢ حيث يذكر ان هذه الموقعة حدثت في سنة ٦٦ هـ .

يذكر أهل الاخبار أنه بينما كان جند الأمويين يلوذون بالفرار فان أعداداً كبيرة منهم قتلت غرقاً إلى جانب من سقط منهم في أرض المعركة تتقدم ابن الأشتر وجنده من معسكرهم حيث أصابوا غنائم كبيرة وقتوعة منهم (١) .

وهكذا تمكن اليمنون في جيش المختار من تحقيق النصر على الجيش الأموي الذى شكل اليمنيون به نسبة عالية كما ذكرنا آنفاً .

كانت نتائج هذه المعركة سارة جداً لنفس المختار بينما كانت وبالاً على أهل الشام فقد عززت سلطة المختار بالكوفة والمناطق التابعة لها إذ سرعان ما أرسل ابن الأشتر عماله على الموصل وغيرها فقد ذُكر أنه ولّى أخاه عبد الرحمن بن عبد الله نصيبين ، وغلب على سنجار ودارا ، وما ولاها من أرض الجزيرة (٢) .

بينما شكل انتصار المختار هذا على عبد الله بن الزبير كابوساً كبيراً لم يرفع عن كاهله إلاّ بعد تمكنه منه ووضع حد لحركته بوساطة أخيه مصعب ومن استعان فيه من رجال أهل اليمن كالمهلب بن أبي صفرة الأزدي وغيره من قادة أهل اليمن المجربين إلى جانب من شارك معه من أبناء القبائل اليمانية الأخرى وسيتضح لنا دور أهل اليمن في صراع ابن الزبير ـ المختار بشكل أكثر وضوحاً عندما نبحث في الصفحات التالية مراحل تطور هذا الصراع بين الجانبين المتنازعين .

دور أهل اليمن في نزاع ابن الزبير مع المختار :

وجد عبد الله بن الزبير أن استفحال أمر المختار في الكوفة يشكل خطراً كبيراً على مركزه في العراق ، فعهد بولاية البصرة والكوفة إلى أخيه مصعب وأمره أن يقضي على المختار وأن يعيد الامور الى نصابها في العراق .

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٩١ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٥٠ .
الدينوري : مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٩٢ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٥١ .

وما يــذكر عن مصعب قبل مواجهته مع المختار أن الاشراف من أهل الكوفـــة دخلوا عليه وطلبوا مساعدته لهم وشكوا له وثوب عبيدهم ومواليهم عليهم وذلك بدعم من المختار وكان قد ترأس وفد الاشراف هذا رجل من أهل اليمن يدعى محمد بن الاشعث الكندي كان قد هرب بجلدته إلى البصرة من وجه المختار قبل وقعة الكوفـــة (١) .

اســتدعى مصعب لحرب المختار أحد كبار رجالات أهل اليمن شدة وبأساً وحكمـة المهلب بن أبي صفرة الأزدي الذي كان يلي فارس لابن الزبير ويقوم بحرب الخوارج فيها (٢) .

ولما أبطأ المهلب بالقدوم أرسل مصعب إليه محمد بن الأشعث الكندي بكتاب منـه يطلب من المهلب فيه استعجال الخطى ، ولما وصل ابن الاشعث إلى المهلب تعجـب هذا الأخير وقال : ((مثلك يا محمد يأتي بريداً !)) . نظراً لشرفه وعلو منزلته ـ فأجاب ابن الاشعث معللاً سبب قدومه قائلاً : ((اني واللـــه ما أنا ببريد أحد غير أن نسائنا وأبنائنا وحرمنا غلبنا عليهم عبدأننا وموالينا)) (٣) . فخرج المهلب إلى مصعب مقبلاً بجموع كثيرة وأموال عظيمـة معه ولما وصل البصرة جعله مصعب قائد ميســرته (٤) .

ولم يكن المهلب القائد اليمني الوحيد في جيش ابن الزبير في حربه مع المختار ، فقـد ظهر الى جانبـه ابن عمه زياد بن عمرو الأزدي ومحمد بن الاشعث الكندي (٥) .

وبالمقابل لما علم المختار باستعدادات مصعب بن الزبير لملاقاتـه عبأ نفسه استعداداً لمواجهتـه ، وكما استعان مصعب بالقادة اليمنيين سلك المختار أيضاً الطريق نفسه في تعبئة جيشــه فجعل على رأس جيشه قائداً من أهل اليمن هو أحمر بن شـميط

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٩٤ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٥١ وما بعدها .
(٢) ـ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢٥٢.
(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٩٤ اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .
(٤) ـ الطبري : ج ٦ ص ٩٥ البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢٥٣.
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٩٧.

الأحسي من بجيلة ألحق معه رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر حيث شكل اليمنيون قسماً كبيراً في تعداد ذاك الجيش قادة وجنداً الحقهم المختار جميعهم تحت قيادة ابن شميط البجلي (١) . كما تولى كثير بن اسماعيل الكندي قيادة الرجال (٢) .

أما من أبناء القبائل اليمانية فقد ذكرت المصادر مشاركة مجموعات عديدة منهم في جيش المختار مثل همدان وشبام وثور وبجيلة وخثعم (٣) .

تقدم ابن شميط البجلي بجيش المختار الى بلدة (المذار) ، وفي الوقت نفسه تقدم جيش مصعب بقيادة المهلب الى جواره وهكذا تقابل القادة اليمنيون وجهاً إلى وجه الى جانب من كان معهم من القبائل الأخرى في طرفي النزاع وجرت بينهما معركة حامية أسفرت عن اندحار جيش المختار ومصرع قائده ابن شميط وانهزام من بقي من جنده حيث تولى محمد بن الأشعث ملاحقة فل هذا الجيش في خيل من خيول أهل الكوفة فكانوا لا يدركون منهزماً قتلوه . وذكر أنه لم ينج من ذلك الجيش إلاّ طائفة من أصحاب الخيل ، وأما رجالتهم فأبيدوا إلاّ قليلاً . وفي ذلك يقول الأعشى :

ألا هل أتاك والأنباء تنمي	بما لاقت بجيلة بالمذار
كأن سحابة صعقت عليهم	فعمتهم هناك بالدمار
وما ان سرني إهلاك قومي	وان كانوا وجدك في خيار
ولكني سررت بما يلاقي	أبو اسحاق من خزي وعار (٤)

تظهر لنا أمور هامة من معاني أبيات أعشى همدان فهو يصف البلاء الذي أحيق بأبناء قومه ويتحسر لمقتلهم غير أنه لا يحزن عليهم كثيرا لأنه بقتلهم واندحارهم هزم المختار

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٩٥ ، ١٠٨ ، البلاذري : مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢٥٢ وما بعدها .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٩٦ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٥٣ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٩٧ .
(٤) ـ البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٥٤ . الطبري : ج ٦ ص ٩٨ .

وجيشه ، وهذا برهان آخر لأهمية الدور الذى شغله اليمنيون في معركة المختار وابن الزبير .

كان وقع هزيمة ابن شميط اليمني على نفس المختار قاسياً جداً أدرك بحسه القيادى أنه مقتول حتماً لذا فضّل موته في ساحة القتال فعبأ جنده من جديد وتولى هو بنفسه قيادة الجيش بينما جعل على رأس مجموعاته كلها رجال من أهل اليمن . فقد ولى ميمنته سليم بن يزيد الكندى ، والميسرة سعيد بن منقذ الهمداني وعلى خيله عمر بن عبد الله النهدى القضاعي وعلى الرجالة مالك بن عمرو النهدى ، وعبد الله بن قراد الخثعمي على شرطته (١) .

من جانب آخر استقبل مصعب بن الزبير جيش المختار بـ (حروراء) بجيش تولى فيه اليمنيون المراكز القيادية الهامة فقد كان على رأس الميمنة المهلب بن أبي صفرة الأزدي وعلى أهل الكوفة محمد بن الاشعث الكندي ، وعلى الأزد زياد بن عمرو العتكي الى جانب الأحنف بن قيس (٢) .

التحم بعدها الجيشان في معركة حامية أسفرت عن مقتل المختار (٣) ومعظم قادة جيشه كما قتل من أهل اليمن من الرجال المهمين في صفوف ابن الزبير محمد بن الاشعث الكندي ويظهر لنا أهميته في صفوفهم من خلال قول المهلب فيه عندما مر به مصعب بن الزبير ((يا له فتحاً ما أهنأه لو لم يكن محمد بن الاشعث قتل فأجابه مصعب : صدقت رحم الله محمداً)) (٤) .

فالزبيريون يرون انتصارهم ناقص بمقتل ابن الاشعث بالرغم من عظمة هذا الانتصار

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٩٩.
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٠٠.
(٣) ـ من أجل مقتل المختار ينظر المصادر التالية : الطبرى : ج ٦ ص ٩٤ ، ١١٦. ـ البلاذرى : أنساب الاشراف ج ٥ ص ٢٥٦ وما بعدها . أخبار الخلفاء : مصدر سابق ص ١١٣ وما بعدها .
(٤) ـ الطبري : ج ٦ ص ١٠٤ البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٥٩ وما بعدها .

الذي أعيد بموجبه العراق مرة أخرى الى سلطة عبد اللـه بن الزبير .

وذكر الاخباريون أنه عند ما جيء بالاسرى اليه قام بعضهم وتحدثوا اليه طالبين العفو على أن يكونوا في مقدمة جيشه في قتاله المقبل مع جيش أهل الشام ، فقيل انه رقّ لهم وأشفق عندها انتفض كبار رؤوس أصحابه في وجهه مثل محمد بن عبد الرحمن الهمداني وقال : ((قتل أبي وخمسمائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تخلي سبيلهم اخترنا أو اخترهم)) .

وذُكر أن عبد الرحمن بن الاشعث الكندي تكلم بمثل هذا الكلام فما كان من ابن الزبير الا الرضوخ لرغبة أنصاره فأمر بقتلهم جميعاً (١) .

وقد روى الطبري أن عدد من قتل من اسرى جيش المختار عند مصعب بن الزبير ستة آلاف رجل (٢) . كما ذكر أنه بعد الانتهاء من أمر المختار أخذ كل من مصعب ابن الزبير وعبد الملك بن مروان يتنافسان في خطب ود القائد اليمني ابراهيم بن الاشتر النخعي بتقديم الاغراءات الكبيرة له وبعد تفكير ابن الاشتر ومشاورته لاصحابه اليمانيين فضّل السير تحت قيادة مصعب بن الزبير فأقبل اليه ولزم طاعته عندها أرسل مصعب المهلب بن أبي صفرة الازدي إلى عمله في الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية (٣) . كما أرسل رأس المختار ورؤوس وجوه أصحابه إلى عبد اللـه بن الزبير في مكة ، وسمّرت يد المختار على حائط المسجد في الكوفة ، فلم تزل مسمورة حتى قدم الحجاج الكوفة فأمر بدفنها (٤) .

وقبل أن نختم حديثنا عن ثورة المختار لا بد لنا من الاشارة الى رأي فاروق عمر في حركة المختار هذه اذ قال عنها في كتابه طبيعة الدعوة العباسية ، أنها لم تكن غير

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ١٠٩ ـ ١١٠ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١١٦ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٦٣ .

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١١١ ، ١١٦ .

(٤) ـ البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٦٤ وما بعدها ، ٢٦٥ .

امتداد لحركة التشيع التي تزعمها رجل يماني يدعى عبد الله بن سبأ ، وهي على حد قوله : ((تطور مهم في حركة المعارضة العلوية ، ذلك لأنها نقلت الامامة من الفاطميين العلويين الى محمد بن الحنفية ، وهو ابن الامام علي من غير فاطمة (رض)))(١) .

غير أن النتيجة الهامة التي يمكن للباحث أن يصل إليها من خلال تطور أحداث ثورة المختار هي أن اليمنيين شغلوا دوراً بارزاً في صناعة أحداثها ، فقد شكلوا قسطاً كبيراً في جيش المختار قادة وجنداً ، حاربوا تحت قيادة أعدائه فكان لهم الفضل في صنع معظم انتصاراته في مرحلة انطلاقته الأولى .

ومن جانب آخر ، شكّل اليمنيون قوة فعّاله في صفوف أعدائه وكانت النتيجة وقوع ضحايا كبيرة منهم ، ساهموا هم أنفسهم بوقوعها ممن كان منهم إلى جانبه أو من كان بجانب أعدائه . غير أنهم في نهاية المطاف كان لهم اليد الطولى في وضع حد لحركته وقتله .

واذا كان رأي الدكتور فاروق عمر صحيحاً في ثورة المختار على انها امتداد لحركة التشيع التي قادتها زعامة يمنية ـ عبد الله بن سبأ ـ منذ عصر الخلفاء الراشدين (٢) فان هذا دليل آخر على حرص الزعامة اليمنية على أن يكون لها مركز الصدارة في أحداث معظم التاريخ العربي الاسلامي .

وفي واقع الأمر انني لم أجد عبارة دقيقة تحمل بين طياتها المعنى الحقيقي لدور أهل اليمن في كل الثورات والفتن التي بحثتها سابقاً وما سأبحثه لاحقاً كعبارة قالها الحجاج ابن يوسف الثقفي في ثورة عبد الرحمن بن الاشعث الكندي اذ قال : ((لا والله ما كانت

---

(١) ـ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٠٨ . الطبعة الاولى بيروت ١٩٧٠ م
(٢) ـ فاروق عمر : مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

فتنــة قط فخبت حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمن ...)) [1] .

ويبد و أن مصعباً لم ينعم بالراحــة لمدة طويلة بعد انتهائـــه من أمر المختار اذ سرعان ما واجهته أحداث كان أبرزها خروج الخوارج الأزارقــة عليه .

ففي ســنة ٦٨ هـ بدأ خروجهم من فارس باتجــاه العراق حتى قاربوا الكوفة ونــــزلــوا المدائــن .

ومما يذكر عن الأزارقــه قبل قد ومهم إلى العراق أنهم كانوا بفارس وكرمان ونواحـــــي أصبهان بعد ما أوقع بهم القائد اليمني الشهير المهلب بن أبي صفرة الازدي بالاهواز [2] . وقد اســتغل الأزارقــة خروج المهلب عن بلاد الفرس وتوليـــه ولايــة الموصل ونواحيهـــا بدلاً عنها . غير أن عامل بلاد الفرس لابن الزبير عمر بن عبد اللـــه لم يقصّر في قتالهــــم فيذكر أنه لقيهم بسابور وقاتلهم في ذلك الموضع قتالاً شديداً ولكن لم تصل معركتــه معهـــم إلى نتائج حاسمة [3] . وكانت زعامة الازارقــة في حينها تحت قيادة الزبير بن الماحـــــور ولما قتل تولى زعامتهم قطرى بن الفجاءة ، حيث جمع أنصاره وســار بهم الى كرمان فتجمـــع إليه أعداد كثيرة فيها ثم أقبل باتجاه أصبهان والاهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل لمصعب على البصرة فكتب الى سيده خبر قدوم الخوارج الى الاهواز ثم ينصحــه باستقدام الفـــارس اليمني المهلب بن أبي صفرة الأزدي لقتالهم . فبعث مصعب إلى المهلب وهو على الموصـــل والجزيرة يأمره بقتال الخوارج ، وبعث إلى عمله بدلاً منه فارســاً يمنياً مشهوراً أيضاً هـــو ابراهيم بن الاشـــتر النخعي [4] .

وتذكر روايات أهل الأخبار أن المهلب قاتل الخوارج بموضع يدعى (سولاق) لمــــدة ثمانية أشـــهر أشد قتال [5] .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٣٦٠ .

(٢) ـ الطبرى : ج ٦ ص ١١٩ .

(٣) ـ الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٦ ص ١١٩ .

(٤) ـ الطبرى : المصدر نفسه ج ٦ ص ١٢٧ .

(٥) ـ الطبرى : المصدر نفسه ...

ولما ظهرت الخوارج من جديد بقيادة عبدالله بن الحر رأى أصحاب مصعب بن الزبير أن عبدالله بن الحر يشكل خطراً كبيراً على ابن الزبير لا يقل عم شكله من قبل المختار وأشاروا إليه أن يسجنه فقام وأمر بسجنه غير أنه تمكن من الإتصال بمؤيديه من قبيلة مذحج اليمنية وأمرهم بلبس السلاح ولكن بشكل مستتر دون أن يظهر للعيان ثم يذهبوا الى مصعب فيكلموه باخراج ابن الحر من السجن فان قبل شفاعتهم فذلك خيراً وإن لم يفعل فليهدأوا بقتاله .

ويبدو أن مصعباً قبل شفاعتهم دون أن يعلم ما تخفيه ثيابهم وصدورهم وأمر باخراج ابن الحر من السجن وبالتالي لم يحدث أي قتال بين الجانبين والمهم في الأمر هنا هو أن اليمنيين من قبيلة مذحج هم كانوا وراء اخراج ابن الحر من سجن ابن الزبير الذى ندم هذا الاخير فيما بعد لهذا التصرف الذى أقدم عليه . فقد ذكر أنه لم يمض وقت طويل على خروجه من سجن مصعب حتى خرج عليه . وقد كلف مصعب بن الزبير عدداً من فوارس أهل اليمن مهمة قتال ابن الحر كان أبرزهم من قبيلة مراد سيف بن هاني[(١)] ، ودلهم المرادي بأن ومن خثعم الحجاج بن جارية[(٣)] . غير أن هؤلاء جميعاً هُزموا أمام ابن الحر . تقدم[(٢)] بعد ذلك الخوارج باتجاه تكريت فلما سمع عامل المهلب بقدومهم هرب منهم عندها وجه مصعب لقتالهم رجل من أهل اليمن على رأس ألف فارس يدعى الجون بن كعب الهمداني والى جانبه الأبرد بن قرة الرياحي ثم مد هما المهلب بيزيد بن المغفل في خمسمائة مقاتل فقام هؤلاء جميعاً بقتال عبدالله بن الحر وأنصاره من الخوارج حتى قتل ولكن ليس بسيوفهم بل غرقا في الماء أثناء عبوره نهر قرب أرض المعركة[(٤)] . ولكن مهما يكن من أمر فقد شغل اليمنيون دوراً هاماً في أحداث خوارج الأزارقة وقتالهم ووضع حد لأعمالهم كي يعود الصفاء والهدوء في العراق مرة أخرى تحت سلطة ابن الزبير . ولكن يبدو أن هذا الصفاء لم

---

(١) ــ الطبرى : ج ٦ ص ١٣٢ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٣٣ .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ١٣٢ .
(٤) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٣٥ . البلاذري : أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٩٧ .

يدم طويلاً في هذه المنطقـــة ولكن ليس على أيدى الخوارج أو الشيعة هذه المرة بل من الشام بقيادة عبد الملك بـــن مروان ٠

دور أهـل اليمن في نـزاع ابـن الزبير وعبد الملـك بـن مروان :

يذكر الدينوري في الاخبار الطوال أنه : ((لما صفا الأمر لعبد اللـه بن الزبيـر ودانت له البلدان إلاّ أرض الشام ، جمع عبد الملك بن مروان اخوته وعظماء أهل بيتـه فقال لهم : ((ان مصعب بن الزبير قد قتل المختار ، ودانت له أرض العراق وسائر البلدان ولست آمنه أن يغزوكم في عقر بلادكم ، وما من قـوم غزوا في عقر دارهم إلاّ ذلوا ، فمـا ترون[1] ؟)) ، فكانت نصيحتهم إليه ان يجمع رجاله ويعد عدته وان يسير هو الى خصمه قبل أن يسير خصمه اليه ٠ فقبل عبد الملك النصيحـة وأرسل رسله إلى أجناد الشام فاستجاب له الناس وتجمع لديه جيش كبير ٠

وقبل أن يرسـل عبد الملك هذا الجيش إلى العراق لمواجهـة مصعب بن الزبير وجـد أن أمامـه في الداخل عدة أمور هامة يجب معالجتها قبل خروج الجيش من العاصمة الأموية ، أول هذه الأمور الخطر البيزنطي الذى بدأ يهدد حاضرة ملكه من جـراء مساهمة الروم في إشعال ثورة الجراجمة في جبال اللكام ، ثم قيام عمرو بن سعيد الاشدق بالمطالبـة بحقـه في الخلافـة على أثر عدم التزام عبد الملك بمقررات مؤتمر الجابيه وذلك عندما أقدم على خلعه من ولايـة العهد وجعلها لابنه الوليد ٠ أما الأمر الآخـر وهو الأكثر أهميـة ودقـة ما كان من أمر تأجج سعير العصبيات القبليـة بين اليمنيـين والقيسـيين ٠ هذه الأمور جميعها تطلبت حلاً من الخليفـة الأموى عبد الملك بـن مروان قبل فتح باب المجابهـة العسكريـة مع ابن الزبير ٠

ولما أصبحت هذه المجابهـة حقيقة واقعـة لا مناص من القيام بها أسرع عبد الملـك في معالجة هذه المشاكل كي يتفرغ للخطر الأعظم القادم من عند ابن الزبير وهو مطمئـن بعدم طمعنه من الخلف لذا نراه يبدأ بمعالجة المشكلة الأكثر خطراً عليه وهو نزاعه مع الروم ٠ وقد ذكرت المصادر أنه في عام ٧٠هـ ((خرجت خيل الروم الى جبال اللكام وعليها قائد مـن قوادهم ، ثم صارت الى لبنان ، وقد ضوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة ٠٠٠ فاضطـر

---

(١) ـ الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١٠ ٠

عبد الملك الى أن صالحهم على ألف دينار كل جمعة وصالح طاغية الروم على مال يؤديه اليه لشغله عن محاربته وتخوفه ان يخرج إلى الشام فيغلب عليه))[1] .

ويبدو أن عبد الملك ضمن بموجب هذا الاتفاق عدم مهاجمة الروم له . كما جعل له حرية أكبر في معالجة المشاكل الأخرى كفتنة عمرو بن سعيد .

ومما تذكره المصادر عن سبب قيام هذه الفتنة أنه بينما كان عبد الملك بن مروان متوجهاً على رأس جيش لقتال زفر بن الحارث الكلابي أو لحرب مصعب بن الزبير[2] . تحصن عمرو بن سعيد في دمشق وأعلن العصيان على عبد الملك واعتمد في عصيانه على وجوه أهل اليمن وقواتهم من قبيلة كلب ممن وقف بجانبه ورأى رأيه . فذكر أنه كان إلى جانبه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي ، وزهير بن الأبرد الكلبي . ولما سمع عبد الملك بأمر عمرو بن سعيد ترك أمر القتال وعاد أدراجه إلى دمشق واصطدم معه في قتال لعدة أيام ، ومن الطريف بالأمر إن عمراً وعبد الملك قاتلا بعضهما بعضاً بقوات يمنية ، فقد ذكر الطبري انه ((كان إذا أخرج عمرو بن سعيد حميد بن حريث الكلبي على الخيل أخرج إليه عبد الملك ابن عمه سفيان بن الأبرد الكلبي ، واذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج اليه عبد الملك ابن عمه حسان بن مالك بن بحدل الكلبي[3])) .

ويذكر أنه لما طال القتال فيما بينهما جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان ابن الأبرد ولحميد بن بحدل الكلبيين : ((علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش فحلف كل واحد منهما ألا يرجع حتى يرجع صاحبه ، فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث ، فطلبوا الى حريث ، فرجع . ثم ان عبد الملك وعمراً اصطلحا وكتبا بينهما كتاباً وآمنه عبد الملك .

ويبدو أن عبد الملك ظل يضمر الشر لعمرو فجمع أصحابه واستشارهم في أمر عمرو وقد ذكرت المصادر ان مستشاريه جميعهم كانوا من أهل اليمن في هذه القضية

---

(١) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٢١٨ . ط . دار النشر ، بيروت ١٩٥٧ م

(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ١٤٠ .

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٤١ .

مثل كريب بن ابرهة بن الصباح الحميري[1] ، وحسان بن مالك بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، وقد أجمع الرأي على التخلص من عمرو وقتله ولكن ليس بالمواجهة المباشرة بل عن طريق استدراجه بالحيلة[2] .

ومما تذكره المصادر حول هذه القضية ان عبد الملك أرسل الى عمرو بن سعيد يطلب منه القدوم إليه فلما وصل رسوله الى عمرو وجده جالساً مع امرأته الكلبية وحميد بن حريث بن بحدل الكلبي فأبلغه الرسول طلب عبد الملك فقام اليه على الرغم من معارضة زوجته الكلبية وابن عمها حميد ابن بحدل ، ولما وصل إلى القصر أمر بقتله فقتل وأحسّ بعدها أصحاب عمرو بذلك فأرادوا الهجوم عليه لكن عبد الملك أمر باحضار خمسمائة صرة كانت قد هُيئت وجعل في كل منها ألف درهم فأمر بها فأُصعدت إلى أعلى القصر وأُلقيت على أصحاب عمرو ابن سعيد مع رأس عمرو ، فترك أصحابه الرأس وأخذوا المال وتفرقوا[3] .

وهكذا برز دور أهل اليمن في بلاط عبد الملك بن مروان برأيهم الخطير في سياسة البيت الأموي الذي التزم بتنفيذه عبد الملك من بداية فتنة عمرو بن سعيد حتى نهايتها .

وبانتهاء هذه الفتنة لم يبق أمام عبد الملك للبدء بمهاجمة ابن الزبير إلاّ مشكلة واحدة هي كيفية جمع القبائل العربية تحت قيادته في صف واحد وهذا أمر لا يمكن ايجاده إلاّ بمعالجة العصبية القبلية التي كانت محتدمة بين القبائل اليمانية والقبائل القيسية منذ أحداث الفتنة الثانية التي جرى فيها ما جرى بين قيس ويمن في مرج راهط ، هذه المعركة التي كانت وبالاً على القيسية ، والتي كانت خسائرهم فيها العديد من الرجال إلى جانب الكثير من النفوذ . وقد حفظ القيسيون في نفوسهم من جراء ذلك الشيء الكثير من الحقد والضغينة على اليمنية ، وعملوا ما في وسعهم للانتقام من بني كلب وأحلافهم ، وقد تمثل هذا الحقد في العدد الكبير من المنازعات والحروب والوقائع التي قامت بين قيس ويمن . وقد وقف رجال الدولة الأموية من هذه المنازعات ، مواقف تختلف

---

(١) ـ الطبري ج ٦ ص ١٤٢ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ١٤٣ .

(٣) ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٨٦ .

حسب ميولهم وعصبياتهم . إذ أنه كان من العسير على عمال الأمصار عدم الانحياز إلى معسكر من المعسكرين . فحين يكون العامل من قيس يتقدم اليه أبناء قومه ويقولون أنت منا فان لم تقدمنا على غيرنا نبذناك . فكان العامل من أجل ذلك يضطر أن يقدم أبناء قومه ، وأن يواليهم لأنه لو لم يفعل ذلك لوقع تحت نار أعدائه من اليمانيه ونار أبناء عشيرته الذين نقموا عليه . وكما يصح هذا بتمامه على العمال فانه يصح أيضاً على أبناء الخلفاء ، فمن كان منهم بمني الأم قرب أخواله من بني كلب ، ومن كانت أمه قيسية قرب عشيرته لأنه من بني قيس .

ولكن مهما كان من أمر ، فإن اعتماد مروان بن الحكم والد عبد الملك على اليمنية في عهد خلافته وتثبيت أركان حكمه ، دفع بالقبائل القيسية إلى الانغماس في عداء شديد للبيت الأموي الحاكم ، وبالتالي ميلهما لابن الزبير . والطريف في الأمر أن مروان وآله قيسيون من حيث انتسابهم ، وهم كالقيسيين من نسل عدنان . في حين أن بني كلب من الفرع القحطاني . لهذا عزم عبد الملك حين وسدت إليه مقاليد الأمور أن يسلك طريقاً وسطاً في ميدان العصبيات ، فترك التعصب لليمنية وقرب القيسية بقدر ما كان يقرب اليمنية . وقد أدت هذه السياسة الى التخفيف من غلواء السيطرة اليمنية ، وقد عبر أحد الشعراء عن هذا الحال الجديد بقوله :

فلولا أمير المؤمنين لأصبحت   قضاعة أرباباً وقيس عبيدها

وقد أدى هذا الموقف إلى ترك القيسية سياسة المقاومة لعبد الملك والسير في ركابه لأنه أحسن اليهم وقرب رجالهم ، ووسدهم من الأمور ما وسد خصومهم من اليمنية . وأصبح زفر بن الحارث الكلابي وأبناؤه من أبرز شخصيات البلاط الأموي .

وطبيعي أن تغضب هذه السياسة الكلبيين من أهل اليمن بعض الشيء ، ولكن عبد الملك كان حكيما حين أشعرهم أنهم لا يزالون موضع اهتمامه ، وانهم لا يقلون أهمية

عنده عن القيسيين وكما كان زفر بن الحارث ركن البلاط الأموي كان كذلك ابن بحدل وروح بن زنباع الجذامي .

بهذا أظهر عبد الملك حنكة سياسية بارعة لم يسبقه عليها غير معاوية بن أبي سفيان إذ عرف كيف يؤلف بين الخصوم (اليمنيين والقيسيين) ويجعل منهم خداما للدولة المتمثلة بشخصه . كما سار عبد الملك على نهج معاوية ، في الاعتماد على أهل الشام ، وبالتالي كانت مصلحتهم : قيسيهم ويمانيهم في مساعدة بني أمية لأن الأمويين رفعوهم الى مكان السيادة ، واعتمدوا عليهم ، ووسدوا اليهم الوظائف العليا في الجيش والادارة وغير ذلك ، مما ولد عند الشوام روح الجماعة والشعور بأنهم فئة واحدة لها مصلحة واحدة .

وبوصول عبد الملك الى هذه النتيجة الايجابية من التآلف في مجتمع أهل الشام قرر عندها فتح باب المجابهة العسكرية الحاسمة مع ابن الزبير .

قتال عبد الملك لمصعب بن الزبير :

عبأ عبد الملك جيشاً من أهل الشام تولى قيادته بنفسه وجعل على مقدمته محمد بن مروان وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية وعلى ميسرته خالد بن يزيد[1] .

في الوقت نفسه بلغ مصعب اقبال عبد الملك نحوه فطلب من العراقيين النهوض معه لقتالهم فلم يجد بأنفسهم الرغبة القوية في تلبية طلبه بحجة تهديد الخوارج الحرورية ونزولهم الاهواز بقيادة قطري بن الفجاءة على مقربة من البصرة[2] .

---

(١) ـ مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ص ١٢٠ . الطبري : ج ٦ ص ١٥٢ .
(٢) ـ البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ٥ ص ٣٣٢ .

ويبدو أن هذا الادعاء لم يكن إلاّ ذريعة من العراقيين حتى لا يستجيبوا لدعوة مصعب .

غير أنه ربما كان السبب الحقيقي الكامن وراء هذا الاحجام ما قام به الخليفة الأموي من مراسلة العراقيين من البصريين وغيرهم وبذل لهم الأموال ومناهم الأماني ان هم انضموا اليه (١) .

وقد أيد هذا الاتجاه ما ذكره البلاذري من مكاتبة أشراف العراق إلى عبد الملك يدعونه إلى أنفسهم ويخبرونه انهم مبايعوه . فيذكر أنه لم يبق شريف بالبصرة إلاّ كاتبه غير شريف واحد من أهل اليمن هو المهلب بن أبي صفرة الازدي (٢) .

فإن صح ما جاء به البلاذري ، فان هذا دليل على نجاح خطة عبد الملك في فض جموع العراقيين من حول مصعب قبل لقائه على أرض المعركة .

لكن مهما كان من أمر فان عبد الملك توجه بجيشه حتى نزل (مسكن) وسار مصعب للقائه حتى نزل (باجميرا) (٣) . وهنا أيضاً بدأ عبد الملك باستكمال اتصالاته بالعراقيين وذلك من خلال مراسلة قادة جيش مصعب بن الزبير كل على حده وتقديم لهم الأماني والاغراءات الكبيرة وقد ذكر الطبري نجاح عبد الملك بهذه الاتصالات وتلبية جميع قادة مصعب الخليفة الأموي إلاّ قائداً واحداً من أهل اليمن هو ابراهيم بن الاشتر النخعي الذي كشف لمصعب بنفسه عن هذه الاتصالات السرية التي قام بها عبد الملك بين صفوف قادة جيشه ونصحه ابن الأشتر بقتل جميع هؤلاء غير أن ابن الزبير لم يأخذ بهذه النصيحة واكتفى بسجنهم (٤) ، وبعدها جرت معركة غير متكافئة بين مصعب وعبد

---

(١) ـ الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١١ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٣٣٢ .
(٢) ـ البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٣٣٣ .
(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ١٥٧ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٣٣٣ .
(٤) ـ الطبري : ج ٦ ص ١٥٧ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

الملك انفض فيها العراقيون من حول مصعب وغدروا به ولم يبق الى جانبه غير القائد اليمني ابن الاشتر الذي قاتل دفاعاً عنه حتى قتل وكان قد تنكر له من قادته من أهل اليمن في ميدان المعركة كل من قطن بن عبد الله الحارثي المذحجي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وغيرهم[1] ، بعدها تابع مصعب القتال بنفسه حتى قتل دون أن يكون هناك اتفاق في روايات أهل الاخبار في سنة مصرعه[2] .

ومهما كان من أمر فقد ذكر أن عبد الملك بن مروان دخل الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير ثم دعا أهلها الى بيعته فأسرع الناس الى ذلك وكان أهل اليمن أول من بايع فقد ذكر عمر بن شبه في الطبري أن أول من جاء الى مبايعة عبد الملك بالكوفة قبيلة قضاعة اليمنية ، فرأى الخليفة الاموي بهم قلة فقال : ((يا معشر قضاعة كيف سلمتم من مضر مع قلتكم فقال : عبدالله بن يعلى النهدي : نحن أعز منهم وأمنع ، قال : بمن قال : بمن معك منا يا أمير المؤمنين))[3] .

ثم جاءت قبائل اليمن الاخرى مثل مذحج وهمدان وكندة[4] وغيرهم . كما ذكر مبايعة بن أبي صفرة الأزدي له وتثبيته من قبله على عمله الذي كان يشغله زمن ابن الزبير وهو خراج الأهواز ومعونتها[5] .

كما جعل في الوقت نفسه بشر بن مروان على الكوفة وخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد على البصرة .

وذكر الاخباريون أنه تم خروج الخوارج في وجه البيت الاموي في العام نفسه الذي عين فيه عبد الملك بشر بن مروان وخالد بن عبدالله على البصرة أي سنة ٧٢ هـ[6] .
فقام خالد على أثر ذلك بتثبيت المهلب الذي له خبرة طويلة في قتال الخوارج على خراج

---

(١) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٥٨ .
(٢) ــ خليفة بن خياط : التاريخ القسم الأول ، ص ٣٤٠ . البلاذري : مصدر سابق ج ٥ ص ٣٤٢ .
الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣١٢ . الطبري : ج ٦ ص ١٦٢ .
(٣) ــ الطبري : ج ٦ ص ١٦٤ .
(٤) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٦٢ ، ١٦٤ .
(٥) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٦٨ ــ ١٦٩ .
(٦) ــ الطبري : ج ٦ ص ١٦٨ .

الاهواز[1] . وجعل أخاه عبد العزيز على رأس الجيش في قتال الازارقه من الخوارج الذى انهزم هزيمة نكراء أمامهم ولما بلغ خبر هذه الهزيمة عبد الملك بن مروان أرسل كتاباً على الفور الى خالد بن عبدالله يلومه فيه ويقول له : ((قبح الله رأيك حين تبعث أخاك (عبد العزيز) اعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة ، الحسن السياسة ، البصير بالحرب ، المقاسي لها ، ابنها وابن ابنائها[2])) .

وطلب عبد الملك في آخر كتابه من خالد أن يجعل من المهلب مستشاراً في الشؤون العسكرية . فشق الامر على خالد وامتنع عن تنفيذ أوامر الخليفة ، فعزله عبد الملك وضم البصرة الى أخيه بشر بن مروان الذى كان والياً على الكوفة . ولكن بشراً لم يكن أفضل من خالد ، وكان موقفه من المهلب كموقف ابن أسيد . ولعل السبب في موقف بشر هذا ان امرة المهلب جاءت من الخليفة ، ومعنى ذلك أن سلطة بشر عليه غير قائمة والمهلب في هذه الحال يتلقى أوامره من الخليفة لا من بشر ولهذا نلاحظ أن بشراً كان يقف من المهلب أيضاً موقف المعادي عداء مستوراً حتى لا يغضب منه الخليفة . فحين طلب الخليفة من بشر أن يرسل نجدة من أهل الكوفة ليساعدوا المهلب في عمل عسكرى يقوم به ، نجد بشراً يرسل الجند الذين أمره الخليفة أن يرسل ، ولكنه يحرض قائدهم سراً على المهلب ويقول له : ((لا تقبلن له مشورة ولا رأياً وتنقصه وقصره[3])) .

ويشاء حسن حظ المهلب أن يتوفى بشر سنة أربع وسبعين ، وأن يعين الحجاج بن يوسف الثقفي في السنة التي تلت عاملاً على العراق ، فيسر المهلب سروراً عظيماً

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٦٩ . الدينورى : مصدر سابق ص ٢٦٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٧١ . الدينورى : مصدر سابق ص ٢٧١ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٩٦ .

ويبدأ فترة جديدة من تاريخـــه العسكرى في العراق .

ومما يذكره أهل الأخبار في أول خطبـة له بأهل الكوفـة قوله لـهم : ((من وجدت بعد ثالثـة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله))(١) .

وفعلاً بدأ الحجاج بتجنيد أهل العراق وسوقهم لقتال الخوارج مع سـيد الأزد المهلب بن أبي صفرة وكان من أهم معاركـه معهم زمن الحجاج إجلاؤه للأزارقـة عـــن رامهرمز سـنة ٧٥ هـ وكان يشاركه القتال قائد يمني آخر من أبناء عمه هو عبد الرحمن بـــن مخنف الأزدي(٢) ، الذي قتل في هذه المعركـة فاسـتخلف الحجاج بعتاب بن ورقـــاء وأمره أن يكون تحت امرة المهلب وظل القتال مستمراً بين الأزارقـــة والمهلب بعد ذلـــك سنة كاملة ولم ينتـــه خطر الخوارج بالقضاء على الأزارقـة لذا نجد الخوارج يعاودون الكرة مرة أخرى عام ٧٦ هـ بقيادة سيدهم صالح بن مسرح وجماعته الذين أطلق عليهـــم اسم (الصفريـة)(٣) ، وانضم إليهم شبيب بن يزيد وجماعته فقاتلوا معا جيشاً أرســـله محمد بن مروان أمير الجزيرة وهزموه(٤) . ولم تنتـه هذه المناوشـات بين الصفريـــة والسلطة الأمويـــة في العراق رغم مقتل صالح زعيمهم إذ سرعان ما نجدهم يستأنفون قتـال الأمويين بزعامة خلفـه شبيب بن يزيد الشـيباني الذي مات غرقاً سـنة ٧٧هـ أو ٧٨ هـ على ما يزعم الطبري اثر مطاردة الجيش الأموي له(٥) .

ومن بين زعماء الخوارج الذين قضي عليهم زمن الحجاج وعبد الملك قطري بـــن الفجاءة الذي لقبــه أتباعـه بأمير المؤمنين وقد نازل هذا الخارجي الجيش الأموي بقيادة المهلب في عدة معارك غير أن الحجاج تمكن منـــه أخيراً في طبرســتان بواسـطة جيش أرسله لهذا الغرض فاحتز رأســه وأرسل الى عبد الملك(٦) .

---

(١) ــ الطبرى : ج ٦ ص ٢٠٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ص ٤٠ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢١١ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤٠ .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢١٢ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤١ ــ ٤٣ .
(٤) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٢٠ .
(٥) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٧٩ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤٤ وما بعدها

أما القائد اليمني المهلب الذى حقق انتصارات ضخمة على الخوارج فقد كتب إليه الحجاج واستقدمه اليه واكرمه اكراماً شديداً هو وأولاده السبعة . وبعد اقامة قصيرة في البصرة عينه عبد الملك والياً على خراسان فسار اليها فمكث فيها خمس سنين ثم مات فجعل عبد الملك أمر خراسان الى الحجاج فعين الحجاج عليها يزيد بن المهلب[1] .

وفي نفس الوقت اذا كان ما قدمه ذاك القائد اليمني من خدمات كبيرة في خمد فتن وثورات الخوارج وغيرهم في عهد عبد الملك بعهد عامله على العراق الحجاج فان هذه الانتصارات ما كانت لتتم بقوة المهلب الشخصية لوحدها بل كانت نتيجة مشاركة عدد كبير من المقاتلين برز فيهم اليمنيون من قبائل عديدة الى جانب أفراد القبائل الأخرى _ قادة وجنداً بشكل فعال ومؤثر تحت قيادة مواهب المهلب الفذة فكان النصر .

وحتى تستكمل جوانب البحث لا بد لنا من تتبع مساهمات أهل اليمن في تلك الانتصارات التي كان لها وقع السحر والفخر والاعجاب في نفس الحجاج وسيده عبد الملك بن مروان .

أهل اليمن وقتال الخوارج بقيادة المهلب في عهد عبد الملك بن مروان :

عندما جاء أمر تكليف المهلب بقتال الخوارج من الأزارقة[2] من الخليفة عبد الملك ذاته الى واليه بشر بن مروان سنة ٧٤ هـ أمره فيه أن يطلق يد المهلب في اختيار من يراه مناسباً من الناس لمحاربة الأزارقة بيده وأن بشراً قام بتنفيذ تعليمات الخليفة فاحضر المهلب وأطلعه على مضمون كتاب الخليفة وأمر باختيار من يراه مناسباً لهذه المهمة فاختار المهلب رجلاً من أزد اليمن يدعى جديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي وأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس ، وبالمقابل دعا بشر بن مروان عبد الرحمن بن

---

(١) _ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٨٠ .

(٢) _ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧١ وما بعدها .

مخنف ــ رجلاً من الأزد أيضاً ــ فبعثه إلى أهل الكوفة وأمره أن ينتخب فرسان الناس ووجوههم وأولي الفضل منهم والنجدة (1) .

وعندما استكمل المهلب تعبئة جيشه لقتال الخوارج كان فيه مقاتلين وقادة من قبائل اليمن مثل قبيلة الازد وهمدان ومذحج وكندة . كما ظهر منهم في مركز القيادة فرسان معدودون مثل عبد الرحمن بن مخنف الازدي الذي جاء بأهل الكوفة على رأس ربع أهل المدينة ومحمد بن عبد الرحمن الهمداني الذي تولى ربع كندة وربيعة ، كما جاء اسحاق بن محمد الكندي على ربع مذحج (2) . وقد تمكن المهلب بعد خوض معارك عديدة مع الخوارج من نفيهم عن (رامهرمز) سنة ٧٥ هـ وذلك بعد أن صرع أبرز قائد يمني في جيشه هو عبد الرحمن بن مخنف الازدي الذي نعاه سراقة بن مرداس البارقي بقوله :

سوى سيد الازد بن أزد شنوءة	وأزد عمان رهن رمس بكازر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف	وأدبر عنه كل ألوث داثر (3)

وعندما خرجت الخوارج بقيادة صالح بن سرح سنة ٧٦ هـ ضد الخلافة الأموية أرسل الحجاج بن يوسف لملاقاتهم ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الكوفة بقيادة فارس يمني من قبيلة همدان يدعى الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني (4) .

وقد ذكرت المصادر أن هذا القائد قاتل الخوارج حتى تمكن من قتل قائدهم صالح بن سرح .

وعندما جدد الخوارج نشاطهم بقيادة شبيب بن يزيد خليفة صالح بن سرح انتدب الحجاج لقتالهم الى جانب الحارث بن عميرة الهمداني فارس آخر من أهل اليمن أيضاً يدعى سفيان بن أبي العاليه الخثعمي (5) على رأس ألف فارس . حيث نازل الخوارج وتمكنوا

---

(1) ــ الطبري : ج ٦ ص ١٩٦ .
(2) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ١٩٧ . الدينوري : مصدر سابق ص ٢٧٢ .
(3) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢١١ ، ٢١٤ .
(4) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٢٢ .
(5) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٢٣ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٥ .

من دحر جيشـــــه (١) .

ولما كلف الحجاج سورة بن أبجر التميمي قتال الخوارج بعد سفيان بن أبي العالية الخثعمي اليماني ، قاد سورة جيشه واستعمل عليه قائداً أيضاً من قبيلة خثعم اليمانيـــة يدعى حازم بن قدامة الخثعمي (٢) ، حيث التحم هذا الجيش بالخوارج بقيادة شبيب بن يزيد غير أن نصيب هذا الجيش الأموي لم يكن أفضل من نصيب جيشهم السابق اذ لحقت به هزيمة نكراء . ولما وصل فلّ هذا الجيش إلى الحجاج غضب هذا الأخير من قائده سورة بن أبجر فهدده وتوعده وقد روى أنه سجنه ثم أخلى سبيله (٣) . وعاد الحجـــاج مرة أخرى يبحث عن فارس من فرسانه تتوفر فيه المقدرة العسكريـة والخبرة القتالية كي يجعله على رأس جيشـــه في قتال شبيب وأنصاره من الخوارج فلم يجد هذه المواصفات إلاّ فـــي شخص فارس من قبيلة كندة اليمنيـــة يدعى الجزل بن سعيد الكندي فانتدبه الحجاج وجعله على رأس أربعة آلاف مقاتل فقبل الفارس اليمني ذلك بشرط ألاّ يشرك الحجـاج معه جنديـاً واحداً من الجيش السابق المنهزم فقبل الحجـاج ذلك وزوده بتوجيهاتـه ومضى القائـــد اليمني بجيشـــه بعد أن اختار عياض بن أبي لينة الكندي قائداً لمقدمة جيشـه (٤) .

ويبدو أن الحجاج كان محقاً في اختيار هذا القائد لجيشـه في قتال الخوارج فقـد برهنت الأحداث اللاحقة على توليته تمتعـه بمقدرة عسكريـة فائقـة فقد أدرك هذا القائد اليمني قوة خصمه لذا نراه لم يسر إليه إلاّ وهو على تعبئـة غير أن هذه الخطة لم تعجـــب الحجاج لاستغراقها وقتاً طويلاً أنفدت صبر أمير العراق من قائد جيشـــه فما كان منه إلاّ أن وجه إليه كتاباً يلومه فيه ويوبخـه ويأمره بترك قيادة الجيش إلى سعيد بن المجالد (٥) .

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨.
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٢٩.
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٣٠.
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٤ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤٦ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٣٤ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤٧ .

كانت تعليمات الحجاج الى قائده الجديد سعيد بن المجالد بن ذي مران الهمداني[1] محاربة الخوارج دون ابطاء وقد حاول هذا القائد تنفيذ تعليمات الحجاج غير أن النجاح لم يكن حليفه كسابقيه وقاتل شبيباً" الخارجي حتى قتل في أرض المعركة كما قاتل الجزل الكندي تحت قيادته حتى جرح جرحاً بليغاً وانسحب مع من بقي من القوم وأخبر الحجاج بما هو عليه ، فأجابه الحجاج بالثناء وقد وصفه بأنه عنده من رجال أهل السمع والطاعة والنصيحة كما أرسل اليه طبيباً لمعالجة جراحه بالإضافة إلى ألفي درهم .

وهكذا برهن الجزل أنه على حق في صبره لقتال الخوارج باعتراف الحجاج نفسه[2] .

ويذكر الطبرى أن الحجاج أرسل عدة جيوش بعد هذه الموقعة الخاسرة التي قادها الهمداني اليمني سعيد بن مجالد وقد الحقت بهم الهزيمة تلو الهزيمة أيضاً[3] .

ويبدو أن انتصارات شبيب الخارجي هذه على جيوش الحجاج جعلت الناس يقبلون اليه يبايعونه . وقد ذكرت المصادر ان من بايعه في تلك الآونة من وجوه أهل اليمن أبو بردة أبي موسى الاشعرى ، فلما بايعه قال شبيب : ((يا أخلائي ، أبو هذا أحد الحكمين قالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : ان هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه))[4] .

وَيذكر أبو مخنف في الطبرى أن الحجاج لجأ مرة أخرى إلى فرسان أهل اليمن فانتخب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي لقتال الخوارج[5] ، وأرسله لهذه الغاية على رأس ستة آلاف مقاتل من فرسان الناس ووجوههم . ويذكر ان عبد الرحمن أخرج من قومه معه

---

(1) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٢٣٧ . نزار الحديثي : مرجع سابق ص ١٩٨ .

(٢) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٧ .

(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٤٢ ، ٢٤٦ . وما بعدها

(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٤٨ .

(٥) ـ ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٥١ وما بعدها .

ستمائة مقاتل من كندة وحضرموت . واستحث الحجاج قائده فلما أراد الشخوص إلى عدوه أخذ أمير العراق يعنف جنده ويتوعدهم إن هم تساهلوا في قتال عدوهم أو انهزموا أمامه[1] .

وأمر عبد الرحمن بن الاشعث بالخروج الى ملاقاة شبيب فخرج حتى وصل المدائن حيث قام بزيارة ابن عمه الجزل بن سعيد الكندي قائد الحجاج السابق في قتال الخوارج فعاده وسأل عن جراحته وسمع الى نصائحه وفي ختام زيارته قام الجزل وأهداه فرسه السيفساء[2] . ثم سار عبد الرحمن بن الاشعث بجنده لقتال الخوارج ويبدو أنه عمل بنصائح ابن عمه الجزل اذ أطلعه هذا الأخير على قوتهم وشدة بأسهم من خلال تجربته السابقة بقتالهم فسار لمواجهتهم وهو على تعبئة دون أن ينازلهم وهو يريد انهاكهم ثم بطش بهم ولكن خطته هذه انفدت صبر الحجاج فقام بعزله عن الجيش وأمّر أميراً آخر بدلاً منه يدعى عثمان بن قطن[3] .

ومما يذكر عن عثمان بن قطن أنه أبقى تشكيلة الجيش القتالية كما كان عليه الوضع في عهد سلفه ابن الاشعث إذ أبقى الفارس اليمني خالد بن نهيك بن قيس الكندي على الميمنة وجعل في الميمنة من أهل اليمن ربع كندة ومذحج وفي الميسرة همدان . ثم التحم بقتال شديد مع الخوارج قتل على أثر ذلك قائد جيش الحجاج عثمان بن قطن ومعظم قادته وانهزم من بقي من جنده[4] ، ومما يذكره الاخباريون أن اليمنيين أصيبوا اصابات كبيرة في هذه الوقعة اذ قتل من فوارسهم مالك بن عبد الله الهمداني وخالد بن نهيك الكندي ، والأبرد بن ربيعة الكندي . وقد ذكر أن كندة وحدها فقدت في هذه المعركة (١٢٠) مقاتلا .

كما سقط بينهم عبد الرحمن بن الاشعث مثخناً بجراحه قامت مجموعة من أبناء قومه بانقاذه[5] ، حيث التحق بعدها بالكوفة متخفيا فلم يظهر حتى أخذ أماناً من

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٢٤٩ ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥١ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٥٠ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥١ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ . ابن الاثير : ج ٤ ص ٥٢ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٥٤ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥٣ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥ . ابن الاثير : ج ٤ ص ٥٣ .

الحجاج .

وفي سنة ٧٧ هـ عاود الحجاج بن يوسف الثقفي تشكيل جيش من أهل الكوفة بقيادة عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقد ذكرت المصادر تعداد هذا الجيش (٤٠) ألف مقاتل الى جانب (١٠) آلاف من الشباب[١] .

ولما تهيأ عتاب بن ورقاء لقتال شبيب وأنصاره من الخوارج بعث على ميمنته من أهل اليمن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني[٢] . كما كان معه من فرسان اليمن ، المشهورين عبد الرحمن بن الاشعث الكندي ، وعمار بن يزيد الكلبي[٣] .

ويذكر أن جيش الحجاج هذا خاض معركة حامية مع شبيب الخارجي وأنصاره قتل فيها عتاب بن ورقاء وزهرة بن حبوية بعد أن انفض من حولهما عبد الرحمن بن محمد الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن قيس الهمداني ، ولقي مصرعه من فرسان أهل اليمن عمار بن يزيد الكلبي وحوى شبيب على ما في عسكر الحجاج ثم أقبل الى الكوفة فأخاف الحجاج ذلك لولا قدوم جيش الشام لنجدته بقيادة فارسين من أهل اليمن هما سفيان بن الابرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي المذحجي ، فشدوا للحجاج ظهره ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة[٤] .

وعندما دخل شبيب الخارجي الكوفة أرسل الحجاج اليه سبرة ابن عبد الرحمن بن مخنف الازدي من أزد اليمن في مائتي فارس لمواجهته في المدائن .

ويذكر أن الحجاج نفسه أشرف على سير القتال مع شبيب وتمكن من الحاق الهزيمة به وصرع أخيه مصاداً على يد خالد بن عتاب بن ورقاء وزوجة شبيب (غزالة) وكان قد قتلها فروة

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٢٦٢ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥٥ وما بعدها .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٦٣ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٦٤ . ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٥٥ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥٥ .

ابن الدفان الكلبي وحرق عسكره[1] ، وفي أثناء هذه الهزيمة التي الحقت بالخوارج أمر الحجاج حبيب بن عبد الرحمن الحكمي المذحجي[2] بمطاردة وقتال شبيب الخارجي على رأس (٣) آلاف مقاتل من أهل الشام ساعده في قيادة هذا الجيش من أهل اليمن عثمان بن سعيد العذرى ، والنعمان بن سعيد الحميرى واقيصر الخثعمي[3] ، غير أن هذا الجيش لم يتمكن من حسم أمر شبيب الخارجي مما دفع بالحجاج الى تشكيل جيش آخر أوكل أمر قيادته على رجل يماني يدعى سفيان بن الابرد الكلبي ، فتجهز سفيان ، فشق ذلك على القائد اليماني السابق لجيش الحجاج – حبيب بن عبد الرحمن الحكمي المذحجي – فعاتبه وقال له : ((تبعث سفيان الى رجل قد فللته وقتلت فرسان أصحابه))[4] .

ثم أمدّ الحجاج سفيان بأربعة آلاف مقاتل من أهل البصرة بقيادة زياد بن عمرو العتكي كما أوكل ابن الابرد الكلبي قيادة خيله إلى مهاصر بن صيفي العذرى اليمني[5] . كما ظهر من فرسان اليمن بهذا الجيش سبرة بن عبد الرحمن الازدي[6] .

ويبدو أن القتال استمر بين جيوش الحجاج التي كان يبعث بها لقتال الخوارج الواحد يتلو الآخر حتى تولى أمر قتالهم المهلب بن أبي صفرة الازدى في سنة ٧٧ هـ حيث تذكر المصادر أن المهلب في هذا العام حشد لقتالهم كل قواه حتى أبناءه الذي قام بدفعهم الى أرض المعركة على رأس كتائب في جيشه ثم اصطدم معهم في معارك طاحنة تمكن بنتيجتها من اجلائهم عن فارس كلها ، فلما صارت فارس في يدي المهلب بعث الحجاج عليها عماله أخذها من المهلب ، فبلغ ذلك عبد الملك فأظهر عدم رضائه عن تصرف الحجاج فكتب اليه

---

(١) – المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٧١ .
(٢) – ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٥٩ .
(٣) – الطبرى : ج ٦ ص ٢٧٧ .
(٤) – المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٧٩ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٦٠ – ٦٢ .
(٥) – المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٧٩ .
(٦) – المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٨٦ .

يأمره باعادة خراج جبال فارس إلى المهلب حتى تكون عونا له وقوة في قتال الخوارج فلما وصل كتاب الخليفة قام الحجاج بتنفيذ كل ما أمر به (١) .

غير أن أهم نتيجة أسفرت عنها معارك المهلب مع الخوارج هي انقسام الخوارج على أنفسهم فيذكر أن قسماً منهم خرج من سلطة زعيمهم قطرى بن الفجاءة وبايعوا زعيماً جديداً يدعى (عبد ربه) وقد لحق هذا الانقسام قتال بين الجانبين أسرّت الحجاج سروراً عظيماً وذلك من خلال ما أوقع بهم المهلب من خسائر بشرية وغنائم مادية على أثر هذا النزاع (٢) .

وفي الوقت نفسه أعد الحجاج جيشاً بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي اليمني ووجه معه جيشاً عظيماً من أهل الشام وأمره في طلب قطرى بن الفجاءة الذي اتجه بعد خلافه مع أنصاره باتجاه طبرستان كما دعم الحجاج قوات سفيان بن الأبرد بجيش آخر بقيادة فارس يمني أيضاً هو اسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي حيث أمره الحجاج بالزحف لقتال الخوارج بمن معه من أهل الكوفة تحت قيادة سفيان بن الأبرد . فأقبل الى سفيان فسار معه حتى لحقوا بقطري في شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه وتفرق عنه أصحابه ووقع عن دابته في أسفل الشعب فقام معاوية بن محصن الكندي بسبي خمس عشرة أمرأة كن معه ثم أحضرهن إلى سفيان .

بالإضافة الى ذلك نفر إليه مجموعة من مقاتلي أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه منهم من أهل اليمن . جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدى ، والصباح بن محمد الأشعث الكندى ، وباذام مولى بني الأشعث (٣) .

ويبدو أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان سروره عظيماً بانتصاره على الخوارج وقد ظهر سروره هذا بشكل واضح عندما استقبل المهلب سنة ٧٨ هـ في دار إمارته وأجلسه معه

---

(١) _ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٠١ _ ٢٠٢ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٦٤ _ ٦٥ .
(٢) _ الطبري : ج ٦ ص ٣٠٢ _ ٣٠٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ص ٦٤ .
(٣) _ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٠٩ _ ٣١٠ . ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٦٨ .

ثم دعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب فأعطاهم وزاد في اعطياته لهم وهو يقول : ((هؤلاء أصحاب الفعال ، وأحق بالأموال ، هؤلاء حماة الثغور ، وغيظ الأعداء))(1) .

أما المهلب فكان اكرامه عند الحجاج بتوليته سجستان مع خراسان وجعل ابنه المغيرة على ولاية اصطخر(2) .

في الوقت نفسه ذكر عن المهلب أن أعماله العسكرية لم تنته دفاعاً عن الدولة الأموية بعد انتهائه من قتال الخوارج . فقد ذكرت المصادر أنه قام في عام (80) هـ بغزو ما وراء النهر حيث وجه ابنه يزيد بن المهلب إلى غزو قلعة السبل فصالحه أهلها على فدية حملوها إليه بعد أن عبر هو نهر بلخ .

كما وجه ابنه حبيب بن المهلب الى بخارى على رأس أربعة آلاف مقاتل حيث تمكن من الانتصار على مجموعة من قوات العدو وكانوا قد تجمعوا في (قرية) فقام باحراقها ورجع الى ابيه(3) .

وذكر أن المهلب بقي مدة سنتين خلف النهر (بلخ) يقاتل عدوه هناك ، وأن كتاب عبد الرحمن بن الأشعث الكندي كما تذكر المصادر وصل المهلب وهو في هذه المنطقة الذي يدعوه فيه الى خلع الحجاج كما خلعه هو ومساعدته له في مواجهته . ويبدو أن المهلب لم يرق له فعل بن الأشعث فأرسل الكتاب إلى الحجاج وحذره منه(4) .

وهكذا ما كاد الحجاج يهنأ بانتصاره على الخوارج بمختلف تسمياتهم وقاداتهم الذي كان للقادة اليمنيين الدور الفاعل في احراز هذا النصر حتى وجد نفسه من جديد أمام فتنة يقودها قائد من أهل اليمن كان الى وقت قصير قائداً لجنده في قتال عدوه .

---

(1) ـ المصدر السابق نفسه ، ج 6 ص 319 . ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 67 .
(2) ـ الطبري : ج 6 ص 320 . ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 71 .
(3) ـ المصدر السابق نفسه ج 6 ص 325 ـ 326 ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 74 .
(4) ـ المصدر السابق نفسه ج 6 ص 326 ـ 339 . ابن الأثير : الكامل ج 4 ص 74 .

وانه من نافلة القول يجب الإشارة الى هذه الفتنـــة أنها لم تكن أقل شأناً مما واجهه الحجاج من أحداث في العراق نظراً لضخامة عدد المشاركين بها واتساع رقعتها . فما كـان منه كما دتـــه إلاّ إعداد الجيوش لاطفاء لهيبها .

اليمانيـون وثـورة عبـد الرحمن بـن الاشـعث:

تذكر المصادر أن الحجاج ، بعث عبيد اللـه بن أبي بكرة عاملاً له على سـجستان [(١)] وصدف أن قامت في بدء ولاية عبيد اللـه ثورة في كابل بقيادة رجل يدعى (رتبيل) قاد جماعة من المتمنعين عن دفع الجزيـة . وقد استطاع (رتبيل) أن يهزم الجيوش العربيـة وأن يقتل العديد من رجالاتها . ولم تفلح جهود ابن أبي بكرة في إخماد حركة رتبيـل وشاء الصدف أن يتوفى ابن أبي بكرة بعد فترة وجيزة من توليته . فرأى الحجاج أن يبعث الى سـجستان رجلاً مجرباً من أشراف الكوفـة فوقع اختياره على رجل يماني يعود بنسبه الى ملوك كندة هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي . وكان عبد الرحمن يومئذ يقيم في أحد الاقاليم الشرقية بجوار سـجستان .

أمر الحجاج هذا القائد بالتهيء لقتال رتبيل حيث أمدّه بجيش عظيم من أهل البصرة والكوفـة بالغ الحجاج في تجهيزه واعداده بالأسلحة والعدد وكل ما يحتاج إليه حتـى سمي هذا الجيش بجيش الطواويس [(٢)] .

ويبدو أن هناك أكثر من هدف وراء تعيين الحجاج لعبد الرحمن بن الاشعث قائداً لهذا الجيش ، منها ما يتعلق بالمصلحة الشخصيـة ومنها ما يتعلق بمصلحة الدولة . أمـا ما يتعلق بالمصلحة الشخصية فقد ذكر الطبري انه لم يكن في العراق رجل أبغض الى الحجاج من عبد الرحمن بن الاشـعث كما ذكر قوله بعبد الرحمن : ((ما رأيتـه قط إلاّ أردت

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٢٢ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧٤ .
(٢) ـ الطبري : المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ٣٢٩ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧٥ .

قتلــــه))[١] .

وعلى ما يظهر أن الود كان مفقوداً بين الرجلين وليس من طرف الحجاج وحده وأن ابن الاشعث كان يعلم هذه الحقيقة وقد ظهر كرهه الشديد له من خلال رواية رواها أبو مخنف في تاريخ الطبري جاء فيها تهديده الصريح للحجاج في قوله : ((... ان لم أحاول أن أزيله من سلطانه ، فأجهد الجهد اذ طال بي وبه بقاء)) . ويقصد ابن الاشعث ازالة الحجاج [٢] ، ومن هنا يتضح لنا أن كلا الرجلين كان يتربص بالآخر فكان أن وجد الحجاج الفرصة أمامه سانحة بإرساله الى سجستان فهو أن تمكن من القضاء على رتبيل وثورته يكون الحجاج قد حقق مصلحة الدولة وضمن بقاءه بعيداً عن وجهه ، وأن أخفق في احراز النصر وكان مصيره القتل فتلك كانت غاية الحجاج وأعظم أمانيه .

ولكن مهما كان من أمر ، فقد سار عبد الرحمن بن الاشعث بحملته الى سجستان حيث عين والياً عليها من قبل الحجاج ثم تابع سيره منها الى كابل لاخضاع ملكها رتبيل وثورته ولما أن علم رتبيل بقدوم عبد الرحمن اليه حتى أرسل إليه كتاباً يعتذر له فيه من مصاب المسلمين بقيادة عبد الله بن أبي بكرة ويخبره أنه كان كارهاً قتالهم وأنهم ألجئوه الى ذلك ويسأله الصفح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج فلم يجبه عبد الرحمن[٣] .

تقدم ابن الاشعث باتجاه رتبيل وأراد ان يبتدع خطة جديدة في قتاله تخالف الخطط التي سار عليها أسلافه ، فابتعد عن اسلوب الغزوات السريعة وأراد أن يكون فتحه للمنطقة فتحاً مكيناً ثابت الاركان تستقر فيه هيبة الدولة ، وتدخل البلاد المفتوحة نهائياً في عداد البلاد الطائعة[٤] ، لذلك كان يحتل البلاد منطقة منطقة ويسيطر عليها سيطرة أكيدة وتثبت هذه السيطرة بأن يضع حاميات عسكرية في القلاع والاماكن الخطيرة التي كان يخرج منها الاعداء وكلما سقطت في يده بلد كان يبعث إليها بعامل ويبعث معه الاعوان وينظم البريد بينها وبين مركز قيادته حتى يضمن استتباب الأمر فيها . وبحسب هذه الخطة استطاع ان يستولي على جزء كبير من بلاد رتبيل توقف بعدها حتى يعتاد جنده الحياة

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٢٧ . الدينوري : مصدر سابق ص ٣١٧ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٢٧ . الدينوري : مصدر سابق ، ص ٣١٧ .
(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٢٩ .
(٤) ـ الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١٦ وما بعدها . فلهاوزن : تاريخ الدولة

في تلك البلاد الغربية الوعرة وكتب الى الحجاج يعلمه بما فعل ويشرح له خطته ومحاسنها (١) .

غضب الحجاج من عبد الرحمن بن الاشعث الكندي غضباً شديداً وأمره أن يسارع في قتال العدو وأن لا يتأخر عن ذلك ويهدده أن هو تقاعس ولم ينفذ ما أمره به بانه سيعزله ويجعل مكانه أخاه اسحاق بن محمد بن الاشعث (٢) . وقد أغضب لهجة كتاب الحجاج والتهديدات الواردة فيه ابن الاشعث الكندي كثيراً . فجمع رجاله وحدثهم بما ورد في كتاب الحجاج وتبارى الناس في الكلام وفي ذم الحجاج واظهار صواب ابن الاشعث واتفق القوم على مبايعة ابن الاشعث أميراً والتوجه الى العراق لخلع الحجاج (٣) . وهكذا كان كتاب الحجاج الى عبد الرحمن بن الاشعث الذى تضمن تهديداته له فيه بمثابة الشرارة التي ألهبت نار الثورة في أعماق ابن الاشعث ضد الحجاج بادئ الأمر وسيده عبد الملك فيما بعد .

اندلعت ثورة ابن الاشعث في نواحي سجستان ثم امتد شررها الى العراق ، واستطاعت خلال فترة وجيزة أن تحقق نجاحاً باهراً بفضل الاستجابة الجماهيرية القوية التي توفرت لها في وقت بلغ فيه السخط أشده والتذمر أقصاه على الخليفة الأموي وعلى ممثله في العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، وبديهي ان يكون الكوفيون أكثر جند ابن الاشعث حماساً ضد الحجاج والبيت الأموي عموماً نظرا للعداء التاريخي بينهما . كما انضمت اليه عناصر كبيرة من ربيعة ومضر والطريف في الأمر أن هذا التأييد الذى لقيه عبد الرحمن بن الاشعث من رجاله لم يلق له مثيلا من اخوته (٤) .

يبدو أن ثورة عبد الرحمن بن الاشعث ، لم تولد فجأة على أثر خلاف قام بينه وبين الحجاج بسبب الخطة القتالية التي اتبعها عبد الرحمن في قتال رتبيل كما تشير بعض المصادر ، وانما كانت لها أسباب أعمق من ذلك وأدق ، بعضها يعود الى علاقة العراقيين بنظام الحكم الأموي وبعضها الآخر يتعلق بشخصية الحجاج الطاغية وسوء معاملته لأهل

---

(١) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٣٢٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٣٥ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧٧ .
(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٣٥ . الدينورى : مصدر سابق ، ص ٣١٩ . ابن الأثير : الكامل ص ٧٨ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٢٨ . البلاذرى : أنساب الاشراف ج ٥ ص ٣٢٦ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧٩ .

العراق لا سيما الموالي ، ولكي نكون أكثر دقة في التحديد ، نستطيع ان نوجز هذه الأسباب بالنقاط التالية :

١ ـ أسباب شخصية تتعلق بوجود كراهية بين شخصيتي الحجاج وابن الاشعث

٢ ـ اسباب اقليمية : تتعلق بكراهية العراقيين للحكم الاموي واثارة المشاعر القبلية والاسروية .

٣ ـ اسباب اقتصادية : تتعلق بالسياسة الضرائبية ، وسوء احوال الموالي وانهيار الاحوال الاقتصادية ، لانعدام الاستقرار وكثرة النفقات على الجند والادارة .

٤ ـ اسباب سياسية : تنبع من مسألة الاستئثار بالحكم والاضطهاد والعقوبات الجماعية والتجنيد الاجباري لفتوح مزعومة ، ذلك أن عبد الرحمن شعر مع جنده وهم في المشرق انهم نفيوا من العراق ولم يُرسلوا في سبيل تحقيق غاية الفتح والجهاد وكان الحجاج قد عبر عن هذه السياسة التي اتبعها في العراق صراحة حين قال : ((يا أهل العراق اني لم أجد بكم دواء أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث)) . وكانت الحملة التي قادها عبد الرحمن ابن الاشعث أكبر حملات النفي هذه ، ويزيد هذا الاعتقاد رسوخاً انها جاءت في أعقاب حملة مخفقة تشكلت في نفس الظروف وهي حملة عبيد الله ابن أبي بكرة .

وهكذا فان الحملة التي أرسلها الحجاج لقتال رتبيل انقلبت عليه ورفعت راية الثورة في وجهه ، ثم بدا ابن الاشعث اعماله بأن صالح رتبيل وأقام عمالاً له في أهم المدن في سجستان وسار بعد هذا بجيشه سنة ٨١ هـ وانضم اليه في سيره رجال الحاميات الذين مروا بهم اول قدومه وكانوا في غالبيتهم من أهل البصرة والكوفة[١] ، حتى اذا بلغوا فارس وكانت الحماسة على أشدها بين الجنود وخلعوا عبد الملك بن مروان أيضاً ، وبذلك تحولت حركة ابن الاشعث من مجرد عصيان للحجاج لتخليص العراق من استبداده الى ثورة عامة ضد النظام الاموي . وخرجت جموعهم تهدر كالسيل باتجاه العراق وبدا وكأن العملاق

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٣٦ .

العراقي قد استيقظ من جديد لينصب بقوته وبأسه على الشام التي ما فتئت تتربع مكان السيادة منذ حين .

في بداية الثورة بعث ابن الاشعث رسالة الى المهلب والي خراسان يطلب فيها مساعدته ، لكن المهلب رفض الاستجابة له وقال : ((ما كنت لاغدر)) . وحذر ابن الاشعث من مغبة عمله ونصحه بالرجوع عن قراره بقوله : ((انظر الى نفسك فلا تهلكها ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكثها[1])) .

وفي نفس الوقت كتب المهلب الى الحجاج يحذره من الخطر الذي يتقدم نحوه وقال له : ((ان أهل العراق أقبلوا اليك وهم مثل السيل)) ، كما أشار اليه ان يترك رجال ابن الاشعث من أهل العراق وأن لا يتعرض طريقهم أو يناوشهم حتى يصلوا إلى ديارهم فان هم قدموا انصرفوا الى أهلهم فانه لأهل العراق شرة في أول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فليس شيء يردهم حتى يسقطوا الى أهليهم ويشموا أولادهم[2] .

يتضح من هذا أن المهلب أشار على الحجاج أن لا يقاتل جند العراق القادمين مع ابن الاشعث أول الأمر وأن يدعهم ينشقون ريح الأهل حتى تخمد ثورتهم ويتقاعسون عن القتال من تلقاء أنفسهم . ولكن الحجاج رفض العمل بنصيحة المهلب وخرج برجاله من جند الشام لمقابلة الثوار . وبعدما وافت أخبار الثورة عبد الملك أصبح لا يقل جزعاً عن واليه الحجاج فبادر الى اعداد الجيوش وارسالها لنجدته في العراق ، وكانت نجدات عبد الملك تصل الى الحجاج بمعدل (١٥٠) فارس في اليوم ، وكان الحجاج في المقابل يوافي عبد الملك بأخبار ابن الاشعث كل يوم .

جمع الحجاج مقاتلين وجعلهم تحت قيادة فارس يمني يدعى ا مطهر بن حر العكي يساعده في قيادة هذا الجيش رجل يمني أيضاً هو عبدالله بن رميثة الطائي ثم سار بهم جميعاً حتى التقى بابن الاشعث لأول مرة على نهر الدجيل في الأهواز حيث أمر قائده بقتال ابن الاشعث وجرت بين الطرفين معركة في العاشر من ذي الحجة يوم

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٣٦ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧٩ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ص ٣٣٩ .

عرفة سنة ٨١ هـ خرج بنتيجتها ابن الاشعث منتصراً وانهزم أهل الشام ودخلوا البصرة تاركين خلفهم نحو ألف وخمسمائة قتيل منهم وكان وقع هذه الهزيمة على الحجاج مؤلما غير أنه سرعان ما خرج من البصرة بعد أن علم بقدوم ابن الاشعث اليها ثم الاستيلاء عليها وقد لاقى ابن الاشعث ترحيباً من البصريين ودعاهم الى خلع عبد الملك فتجاوب هؤلاء معه وانضموا الى ثورته وقد ندم الحجاج أشد الندم لعدم سماع نصيحة المهلب وقال : ((لله أبوه أي صاحب حرب هو أشار علينا بالرأي ولكنا لم نقبل (١))).

وفي السنة الثانية سنة ٨٢ هـ التحم الفريقان في موقعة الزاوية بالقرب من البصرة واشتد القتال بينهما ، وكان سير المعارك في صالح العراقيين أول الأمر ، لكن الحجاج تمكن بشجاعته وصموده من تحويلها لصالحه وانسحب ابن الاشعث بعد هزيمة الزاوية الى الكوفة فأتاح الفرصة للحجاج لاسترجاع البصرة فعين عليها أحد أقربائه وفي الكوفة استقبل ابن الاشعث استقبالاً رائعاً تجسدت فيه النقمة على الحكم الأموي والواقع أن هذا الترحيب لم يكن يتعلق بشخصية قائد الثورة بقدر ما كان مظهراً لمعاناة عاشها الكوفيون منذ أيام صفين .

وأدرك الحجاج خطورة استيلاء ابن الاشعث على الكوفة ، وراءه التأييد الشديد لثورته فعزم على السير الى الكوفة ، وطلب في الوقت نفسه المساعدة من الخليفة الذي لم يبخل عليه بارسال المزيد من الجيوش الشاميين ، وسلك الحجاج طريق البادية على الضفة اليمنى من الفرات وعسكر في (دير قرة) ليسهل منه وصول الامدادات من دمشق وفي المقابل كانت جيوش ابن الاشعث تعسكر في (دير الجماجم) وأخذ كل فريق من الفريقين يستعد للمعركة الفاصلة ، وكان الناس يخرجون في كل يوم فيقتتلون ، ولكن القتال طال دون أن يسفر عن نتيجة حاسمة . وكان عبد الملك في دمشق يرقب الأحداث بقلب مرتجف ، فآثر أن يستمع الى رأي النصحاء — من زعماء قريش ووجوه أهل الشام — حيث أشاروا عليه التدخل لإيقاف التصارع بين المسلمين ، حتى وان كان ثمن ذلك التخلي عن صديقه الحجاج .

---

(١) — الطبري : ج ٦ ص ٣٤٠ .

وبالفعل سير عبد الملك الى العراق عدداً من المقاتلين بقيادة أخيه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق الحلول التالية :

١ ـ عزل الحجاج إذا كان ذلك مطلب العراقيين .

٢ ـ مساواة العراقيين بالشاميين في العطاء .

٣ ـ ان ينزل ابن الاشعث أي بلد من العراق شاء يكون والياً عليه ما دام حياً وكان عبد الملك خليفة[1] .

وكانت وصية عبد الملك ان يعزل الحجاج عنهم اذا كان هذا هو مطلبهم وان يكون محمد بن مروان أمير العراق ، فإن أبوا أن يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام وولي القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته . وكان رد فعل الحجاج الماً فقد اغتاظ من معاملة عبد الملك له هذه المعاملة وبعث اليه برسالة ينطق كل حرف من حروفها بالمرارة وخيبة الأمل ، وحذره في الوقت نفسه من موادعة العراقيين الذين يستغرون على موقف ونصحه بأن يأخذهم بالشدة[2] . ولكن عبد الملك أبى إلاّ أن يعرض هذه الشروط على أهل العراق ، ولحسن حظ الحجاج لم يقبل العراقيون بها أما ابن الاشعث فقد انحنى أمام وساطة عبد الملك ودعا رفاقه إلى الموافقة عليها ، ولكنهم أصروا على الرفض ، وظنوا أن أهل الشام سينهزمون لقلة الطعام والعدد ولبعدهم عن ديارهم وقاموا وخلعوا الحجاج والخليفة مرة أخرى وأعلنوا العصيان[3] .

فلما رأى محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك ذلك ، نفّذوا وصية عبد الملك فيهما وقالا للحجاج ((شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك فانا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع[4])) .

ولكن الحجاج بدهائه وثاقب نظره رأى أن تكون الامارة اليهما ولو ظاهرياً ، فكان

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٨١ .
(٢) ـ المصدر السابق ص ٣٤٨ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٨١ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٨١ .
(٤) ـ نفس المصدر السابق ص ٣٤٩ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٨٢ .

يسلم عليهما بالامرة اذا لقيهما وهو بالفعل قائد الجيش المطاع وهما كانا بالمقابل يسلمان عليه بالامرة اذا لقياه . كل ذلك كان من حسن حظ الحجاج فاستطاع ان يتخذ من الوقت حليفاً له بينما كانت الحماسة قد فترت في جانب العراقيين ، الذين كانوا في معظمهم جندا غير نظاميين ، على عكس ما آل إليه الحال في جيش الحجاج ، وأخيراً دارت المعركة الفاصلة في دير الجماجم ، وكانت أعظم معركة تشهدها البلاد منذ صفين حيث انتهت بهزيمة عبد الرحمن بن الاشعث وفراره الى البصرة لكن الحجاج لحق به واشتبك معه في معركة عند مسكن انتهت أيضاً بهزيمته وفراره الى سجستان ومنها التجأ الى (رتبيل) ملك الترك ، لكن الحجاج أصر على مطاردته وفاوض رتبيل في أمر تسليمه وأغراه بالاموال فاستجاب بعدما تصلب بادئ الامر ، لكن ابن الاشعث رفض السير الى الحجاج لمواجهة انتقامه فغافل حرسه والقى بنفسه من علو شاهق في مكان يقال له (الرخج) فسقط جثة هامدة وكان ذلك سنة ٨٢ هـ(١) .

فإذا كانت هذه نهاية عبد الرحمن بن الاشعث ، فإنه يجب أن لا يغرب عن بالنا مساهمة أهل اليمن أنفسهم بهذه النهاية سواء من كان منهم مع أهل الشام أم المتواجدين في بلاد الشرق .

والمتتبع لمراحل تطور قتال ابن الاشعث مع الحجاج يرى أن أول من ساهم في فتح باب نصر الحجاج على عدوه كان قائده اليمني الوليد بن نجيب الكلبي كما كان سبب دق أول مسمار في نعش ابن الاشعث هو سقوط أحد فرسانه من أهل اليمن (جبله بن زحر بن قيس الجعفي) الذى قال في مقتله الحجاج على يد رجاله بأنه ((أول الفتح)) بالنسبة اليه لكونه من أعظم رجال أهل اليمن مقدرة على القتال في صفوف ابن الاشعث(٢) .

ومن الملاحظ انه عندما التحم الحجاج في أول مواجهة له مع ابن الاشعث على

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٩١ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٩٥.
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٦٠ .

نهر الدجيل فان جيشه هذا قاتل تحت قيادة يمنية بحته حيث برز على رأسه مطهر بن حر العكي أو الجذامي ومساعده عبدالله بن رميثة الطائي (١) .

وعندما بدأت كفة القتال تميل لصالح الحجاج بعد معركة (الزاوية) التي انهزم بها ابن الاشعث مخلفا وراءه (١١)الف(٢) قتيل نجد ان اليمنيين ساهموا مساهمة كبيرة في صنع هذا الانتصار فقد ذكرت المصادر أن جميع ألويه الحجاج في هذه المعركة كانت تحت قيادة يمنية ، فقد ذكر أنه كان على ميمنة الجيش عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى خيله سفيان بن الابرد الكلبي ، وعلى رجالته عبد الرحمن بن حبيب الحكمي المذحجي ، إلى جانب أعداد كبيرة ـ دون شك ـ من المقاتلين اليمنيين الذين انضووا تحت رايات أسيادهم في تلك الموقعة(٣) .

وعندما دقت ساعة الصفر آذنت بحسم القتال في معركة (دير الجماجم) لصالح الحجاج وتحول جيشه إلى مطاردة فلول ابن الاشعث برز في حينها قادة عديدون من رجالات أهل اليمن على رأس جيش الحجاج وبين صفوفه فقد ذكرت المصادر منهم : سفيان بن الابرد الكلبي ، وعمارة بن تميم اللخمي وأبناء المهلب بن أبي صفرة الأزدي الاربعة عبد الملك بن المهلب ، ويزيد بن المهلب ، والمفضل بن المهلب ، وحبيب بن المهلب حيث قام هؤلاء بسحق آخر قوة لعبد الرحمن بن الاشعث وأسر أعداد كبيرة من جنده اختلف على اثرها أبناء المهلب في كيفية معاملة الاسرى فكان رأي قسم منهم ان يرسلوا الى الحجاج كي يواجهوا عقابهم عنده في حين تأججت نار العصبية القبلية اليمنية في قلوب القسم الآخر منهم ولا سيما حبيب بن المهلب حينما خاطب أخاه يزيد قائلاً : ((... بأي وجه تنظر

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ . بعض الروايات تذكر في المصدر ذاته عدد القتلى (١٢٠) ألف وأخرى (١٣٠) ألف غير أن هذه الأرقام نجد فيها مبالغة كبيرة وقد رجحنا الرواية الاولى التي تقول (١١) الف .

(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٤٩ .

الى اليمانية ؟))[١] ، باعتبار أن معظم هؤلاء الاسرى كانوا من أهل اليمن وأن هــذا ما كان إلاّ تحصيل حاصل على إعتبار إن اليمنيين كانوا يشكلون معظم جيش عبد الرحمن بـن الاشعث أيضاً ، بحكم صلة القربى والعصبية القبلية الى جانب الدوافع الاخرى .

أهل اليمن والحجــاج بعد ثـورة عبد الرحمن بن الاشـعث :

يبدو أن الخدمات التي قدمها أبناء المهلب للحجاج والبيت الاموي في قتــال أعدائهم واخماد الفتن التي قامت ضدهم لم تكن ترقى في نفس الحجاج الى درجة الاطمئنان لهم في بلاد الفرس ، لقد أزعجته تجمعات (اليمانية) وأخافته في تلك المناطق من ديـار الاسـلام وكان للدرس الذي لقنه إياه القائد اليمني عبد الرحمن بن الاشعث أهمية خاصــة في نفســه . لذا نجد الحجاج بمجرد انتهائه من ابن الاشعث يوجه كل طاقته باتجاه تفتيت (اليمانية) في بلاد المشرق[٢] ، على إعتبار إن هذه المنطقة أصبحت بجملتهــا تخضع خضوعاً تاماً له وليس فيها ما يعكر إلاّ أولاد المهلب الذين كانوا أصحاب الســيطرة والنفوذ في خراســان . ويعود نفوذ المهالبة في هذه المنطقــة إلى أسباب عدة أهمهــا قبيلتهم الازد التي نزحت من البصرة وسكنت خراســان حالفت قبائل ربيعة وتألفت منها جبهة يمنية في خراســان . وأن هذا التحالف الذي انضوى تحت زعامة يمانية كان أشد ما يقض مضاجع الحجاج وجوده على إعتباره أنه ربما يشكل خطراً قوياً في وجهه لم يستطع دفع أخطاره كما تمكن في المراحلة الاولى أثناء قيام ابن الاشعث ومن هنا بدأت الإتهامات من قبل الحجاج والي ضد آل المهلب عند الخليفــة الاموي عبد الملك بن مروان وذلك للايقاع بهم والســماح بعزلهم وقد ذكرت المصادر أن من بين التهم التي ألصقها الحجاج بهم عند عبد الملــك اتهامه إياهم بأنهم كانوا من أصحاب ابن الزبير فكان جواب الخليفــة الاموي له : ((إني لا أرى تقصيراً بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم فان طاعتهم ووفاءهم لهم هــو

---

(١) ـ المصدر السابق ذاته ج ٦ ص٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ .
(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص٣٩٦ ـ ٣٩٧ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص٩٦ ، ١١٤٥ .

دعاهم إلى طاعتي والوفاء لي (١))) .

غير أن عبد الملك وافق أخيراً على عزل يزيد بن المهلب عن خراسان تحت الحجاج الحجاج وكان ذلك في سنة ٨٥ هـ فاستقدمه الحجاج إليه وسجنه ، وأمر فاخرج اخوته من خراسان وقطع اصولهم منها وفرق التجمع الأزدي الذي كانوا يرأسونه وتنكر لكل ما قدموه له ولسيده من خدمات . وتذكر المصادر أن الحجاج استمر في عدائه لليمنيين طيلة مدة خلافة عبد الملك والفترة التي عاشها في عهد خلافة ابنه الوليد . وقد بقيت اليمانية بجملها مسلوبة الحق مغمورٌ جانبها حتى خلافة سليمان بن عبد الملك حيث عادت من جديد تتربع مركز الصدارة في الدولة الأموية .

وهنا يجب أن نقف عند حقيقة تاريخية الى جانب كبير من الأهمية هي أنه من غير المعقول أن نفسر جميع أحداث عصر الوليد بن عبد الملك وغيره من الخلفاء الأمويين الذين جاءوا من بعده على ضوء العصبية القبلية لوحدها فقد كان الى جانبها عوامل أخرى ربما كان لوجودها أهمية أكبر منها كوجود عامل التنافس بين رجالات الدولة المختلفين من خلفاء وولاة وقواد فقد كان لهذا العامل الدور الأهم في زيادة الانقسام والاختلاف واستغلال كل ذلك في عهد جميع الخلفاء الامويين . من هنا لا يجوز للباحث الحق أن يلحق بالعصبية القبلية كل القضايا والمنازعات التي قسمت القبائل الى جبهات وجعلتها تقف مواقف مختلفة أملتها عليها مصالحها لاعصبياتها . وستضح هذه الوقائع بشكل جلي أمامنا في محاولتنا التالية التي سنتناول بها دور أهل اليمن في خلافة الوليد بن عبد الملك وفي عهد باقي الخلفاء الأمويين الآخرين .

---

(١) ـ نفس المصدر السابق ص ٣٩٥ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١١٤ وما بعدها .

اعتلى الوليد عرش الخلافة الأموية في وقت كان أبوه عبد الملك قد قضى على الأزمات التي واجهت الدولة ، وثبّت قواعد العرش الأموي بعد أن تزعزعت أركانه بعد موت يزيد ابن معاوية . وكان قد قضى كذلك على المنافسين أمثال ابن الزبير وابن الأشعث فانتهى بذلك أمر الفتن الداخلية والخارجية ، ولذا تمتع المسلمون في عهد الوليد بحياة هادئة مثمرة واتسعت أطراف الدولة الاسلامية شرقاً وغرباً . وأصبح عصره عصر التوسع والفتح ، لأنه في السنوات العشر الذي قضاها في الخلافة استؤنفت الفتوح ـ الاسلامية التي وقفت منذ عصر عثمان بسبب اضطراب أحوال الخلافة ، وأضيفت إلى الدولة الاسلامية أقطار واسعة كان لها أعظم الأثر في نشر المدنية الاسلامية والنفوذ العربي . وتم في عهده فتح اقليم ما وراء النهر ، وحوض نهر السند ، وشمال افريقية والاندلس وقام بهذه المهمة ثلاثة من القادة العرب ـ أحدهم كان من أهل اليمن ـ ممن لهم فضل اتمام تلك الفتوح وهم : قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي وموسى بن نصير والي من قبيلة لخم اليمنية (١) .

وحول مشاركة أهل اليمن في جبهة ما وراء النهر يذكر الطبرى أن قتيبة بن مسلم الباهلي وصل الى خراسان والياً عليها من قبل الحجاج فوجد القائد اليمني المفضل ابن المهلب الأزدي يعرض الجند وهو يريد أن يغزو (أخرون) و (شومان) وكان قد سبق له غزو (باذغيش) و (أخرون) في العام نفسه الذي جعله فيه الحجاج والياً على خراسان سنة ٨٥ هـ (٢) ، وهذا يعني أن قتيبة بن مسلم تسلم ولاية خراسان وجيش المسلمين من القائد الأزدي الذي كان معداً للغزو على التعبئة نفسها الذي كان عليها

(١) ـ من أجل معرفة نسب موسى بن نصير والآراء المختلفة التي قيلت فيه ينظر البلاذري : كتاب فتوح البلدان ، ج ٣ ص ٣٢٢ . عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الأول ص ٢٠ الطبعة الأولى ١٩٤٣ م .

(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٣٩٧ ، ٤٢٤ .

المغضل والذى كان فيـــه لليمنيين دور هام .

وفي أثناء تقدم قتيبة لفتح بخارى ذكرت المصادر مشاركة اليمنيين في عملية الفتـــح وخاصـة من قبائل الازد الى حد جعل هؤلاء يطلبون من قتيبـة أن يدفعهم لوحدهـــم لقتال العدو دون مشاركة أي من الكتل القبلية الاخرى المقاتلة فكان لهم ما أرادوا فـــان دل هذا على شيء فإنـه يدل على كثرة مشاركتهم في عملية الفتح وايمانهم بالنصر وعـدم مشـاركة أحد اياهم في اكتساب الغنائم (١) .

أما في فتح سمرقند فقد ظهر دور أهل اليمن من خلال بيت من الشعر قاله الكميـت في مدح قتيبـة وقيس عامة يخبرنا فيه أن منطقـة سـمرقند كانت الى وقت قصير قبل مجـيء قتيبـة ملكاً للسلطة اليمنيـة لمدة طويلة من الزمن أما الآن وعلى أثر قدوم قتيبـة إليهـــا فقد أصبحت تنسب الى قيس ومضر . ويجب أن لا يغرب عن البال ان زوال السلطان لا يعني زوال السكان ، من هنا لا بد من مشاركتهم في جيش الفتح بأعداد كبيرة طالما هم موجـودون مثل هذه الكثافـة في تلك المنطقة (٢) .

أما على الجبهة الغربيـة فقد كان دور أهل اليمن أعظم وأجل بحيث إذا ما عدنا بنظرة سريعة الى التشكيلة القبلية لمقاتلي جيش عمرو بن العاص من المقاتلين في جبهة الشام لوجدنا أن معظمه كان من القبائل اليمنية وأن هذا الجيش انتقل على التعبئة نفسها بعد اليرموك لفتح مصر وقد اتضح لنا هذا الأمر بشكل أكبر من خلال وجود أعداد كبيرة من القبائل العربية اليمنية في الفسطاط وباقي المناطق المصريـــة الاخرى بعد إتمام عملية الفتح ، وحـــول هذه النقطة يذكر عبد اللـــه البرى في كتابه القبائل العربية في مصر أن العرب القحطانيين كانوا ثلاثـة أضعاف القبائل العدنانية في مصر بعد الفتح .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٤٤٣.

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٤٧٩ قال الكميت :

كانت سمرقند أحقاباً يمانيـــــة   فاليوم تنسبها قيسيّة مضرُ

ويبدو أن صاحب الدراسة توصل إلى هذه النتيجة من خلال عملية احصائية قام بها للقبائل العربية التي استقرت بالفسطاط وباقي المناطق المصرية ، فتبين له أن عدد القبائل اليمنية وبطونها كان مائة واثنين وسبعين قبيلة بينما بلغت القبائل العدنانية مع بطونها ستون قبيلة[1] .

يُستدل من هذا أنه لا مجال للشك في مشاركة أهل اليمن في تشكيلة الجيوش العربية الاسلامية التي انطلقت من مصر لفتح شمال افريقية بشكل فعال ومؤثر على صعيد القادة والجند المقاتلين إلى جانب القبائل العربية الأخرى .

وقد اتضح لنا أهمية الدور الذي شغله اليمنيون بشكل أكبر في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وعهد ابنه الوليد في شمال افريقية ثم الأندلس .

فقد ذكرت المصادر أن عبد الملك جعل ولاية افريقية إلى رجل يماني يدعى زهير بن قيس البلوي في وقت كانت فيه الدولة الأموية تعصف بها ريح الفتنة في الداخل والخارج ويبدو أن هذا الوالي كان عند حسن ظن الخليفة به فقد قاتل أعداءه حتى قتل وكان مقتله من أشد الخطوب التي نزلت بدولة العرب في افريقية .

وما كاد عبد الملك بن مروان ينتهي من هذه الفتن حتى وجه همه ثانية للعناية بافريقية ، لذا نراه يعين سنة ٧٣ هـ أو ٧٤ هـ[2] ، رجلاً يمانياً آخر يدعى حسان بن النعمان الغساني والياً عليها ويسيره بجيش ضخم بقصد استرجاع ما فقد من الأرض إلى جانب توطيد النفوذ العربي فيها والسير بعملية الفتح قدماً . ويذكر أن حسان بن النعمان بقي والياً على افريقية حتى وفاة عبد الملك واعتلاء الوليد عرش الخلافة في دمشق . وقد ولى الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك على مصر ، فعزل عبد الله حساناً عن ولاية افريقية

---

(١) ـ عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية في مصر ، ص ٢٢٤ .
(٢) ـ كانت تولية حسان سنة ٧٣ هـ ، على ما يذكر ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ .
وفي سنة ٧٤ هـ عند ابن الأثير : الكامل ، ص ٣٦٩ .

وولاها موسى بن نصير مولى قبيلة لخم اليمنية[1] لأن ولايـة افريقية كانت تتبع والي مصر .

وكانت ولايـة موسى على افريقية كما يذكر ابن الاثير في الكامل سنة ٨٩ هـ[2] ، ويبـدو أن تعيينـه لم يأت عبثاً بل جاء نتيجة ضلوع هذا الوالي في شؤون افريقية وخبراته الكبيرة في أحوالها . فقد ذكرت المصادر أن عبد العزيز بن مروان والي مصر سنة ٨٤ هـ ، جعـل موسى بن نصير على رأس جيش وجهه باتجاه (برقـة) فتمكن موسى في هذه الحملة مـن افتتاح مدينة (درنـه) وسبي بعض أهلها[3] . تقدم بعدها الى (افريقية) فلما وصل إليها وجدها تضطرم بنيران الثورة البربريـة ، فقام لتوه ببعض التدابير الداخليـة وسار بنفسه لغزو القبائل الثائرة في مناطق الجبال التي تشرق على المحيط في المغـرب الأقصى ، واستطاع سحق مقاومة هذه القبائل ، وأخضع قبائل (زناته) و (كتامة) و (صنهاجه) وغيرها . ثم أرسل مولاه طارق بن زياد لفتح طنجة ، وكان العرب لم يغزوها من قبل ، فافتتحها طارق وتولاها باسم موسى ، وعاد موسى إلى القيروان[4] .

وقد بذل موسى جهوداً كبيرة في نشر الاسلام بين البربر ، وكان يترك معهم مـن يعلمهم القرآن الكريم وشرائع الدين . وقد أدى ذلك الى اعتناق الكثير من البربر للإسـلام واشتراكهم في الجهاد مع الجيوش الإسلامية وبشكل خاص في فتح الاندلس تحت قيادة موسى نفسـه وقيادة مولاه طارق .

وهكذا أصبحت شمال افريقيـة بأجمعها جزءاً من الدولة الاسـلامية بعد جهـود استمرت ما يقرب من سبعين عاماً ، استطاع العرب بقيادة موسى بن نصير عام ٩٠ هـ ، أن

---

(١) ـ ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ٣٧٢ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسـه ، ج ٤ ص ٣٧٢ . وهناك روايات أخرى حول تاريخ ولايـة موسى على افريقيـة . من أجل ذلك ينظر ، عبد اللـه عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الأول ص ٢١ .

(٣) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ٣ ص ٣٢٢ .

(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

يتموا فتح شمال افريقية كله عدا مدينة (سبته) الواقعة في نهاية البحر الأبيض المتوسط شرقي طنجه . ويمكن تعليل بقاء سبته صامدة وحدها في وجه العرب بوضع المدينة الطبيعي ، فهي محاطة بالجبال من ناحية براكثر ومفتوحة على البحر تجاه شبه الجزيرة الايبيرية وهذا يحتم ضرورة الاستعانة بالاسطول من أجل فتحها ولم يكن الجيش الفاتح بقيادة ابن نصير يملك شيئاً منه .

ومهما يكن من أمر فقد كان فتح شمال افريقية فريداً في نوعه بين جميع الفتوحات العربية ، اذ لم يدانيه أي فتح عربي آخر ، سواء في طول المدة التي استغرقها أو في النكسات التي أصابت العرب خلاله أو في كثرة الدماء التي كلفها .

غير أن المتتبع لطريقة الفتح في هذه المنطقة يجدها تتسم بصفة الموجات المتعاقبة فما أن تصل موجه منها إلى مداها حتى تتولد من نهايتها موجة جديدة . وهكذا كان من المنتظر ألَّا يتوقف الفتح في المغرب بعد وصول العرب إلى شاطئ المحيط الاطلسي بل كان من المتوقع تبعاً لسمة هذه الفتوحات أن يتابع الفتح سيرة في اتجاه شبه الجزيرة الايبيرية .

لقد شارك اليمانيون مشاركة كبيرة في فتح المغرب العربي كمشاركتهم في فتح مصر وغيرها وكان لهم الدور نفسه أيضاً في فتح بلاد الأندلس وقد ظهرت أهميتهم في تشكيل جيش الفتح وقيادته ثم في خوض المعارك واحراز النصر الى جانب بروز عدد كبير من رجالات أهل اليمن تولوا حكم الأندلس بعد فتحها ولكن دون أن تطفأ شعلة طموحهم عند حدودها السياسية فقد حاول بعض قادة أهل اليمن التطلع الى ما وراء جبالها ـ جبال البرينية وبلاد الغال ـ لارواء ظمأهم في حب الجهاد ونشر الدعوة وكسب الغنيمة .

ومهما يكن من أمر فإن عملية الفتح ومراحل تطورها خارج موضوع بحثنا وما يهمنا منها هو دور أهل اليمن بها وقد اتضح لنا دورهم الفعّال من خلال تواجد أعداد كبيرة من قبائلهم على الأرض الأندلسية حيث استقروا بها كما استقرت قبائل منهم في

بقيـة الأمصـار الأخرى المفتوحـة .

ولكي تظهر لنا حقيقـة عظمة تواجدهم في الأندلس وجدنا أنه من الأهمية بمكان التعرف على أماكن اسـتقرار اليمانيين في تلك البلاد .

اســـــتقرار أهل اليمن بالأندلـــــس :

قبل الدخول في بحث توزع القبائل اليمانية على الأرض الأندلســية لا بدَّ لنا من إلقاء نظرة سريعة على كيفية تقسـيم الأرض بعد سيطرة المسلمين عليها .

من المعروف تاريخياً أن المسلمين سيطروا على أراضي الأندلس بأشكال مختلفة بعضهـا سـقط عنوة وبعضها وجده المسلمون خالياً فاحتلوه ، وبعضها نزل أهله على الصلح فاحتفظوا بأرضهم وجرى التعامل بينهم وبين الفاتحين بموجب شروط معاهدات بين الطرفين تضمنـت دفع هؤلاء جزيـة على رؤوسـهم وخراجاً على أرضهم كان على الأغلب جزءاً من غلة الأرض يعادل الثلث حيناً والربع حيناً آخر حسب طيب الأرض وغلتها (١) .

وما عدا ذلك فان جميع الأراضي الأخرى التي وقعت بيد المسلمين سواء منها المفتوحة عنوة أو الخالية فان الفاتحين تقاسموه على أساس نزول كل قوم فيما طاب له من الأرض (٢) .

أما حق بيت المال في هذه الأراضي فلم يحاول قائد جيش الفتح موسى بن نصير أن يقتطعه من الأراضي بحسب سقوطها ، أي أن يعامل قسماً كفيء ويعامل القسم الآخـر كغنيمة . بل عاملها كلها معاملة الغنيمة ولم يحاول أن يأخذ من الأراضي والسبي إلاَّ الخمس وبعد أن أخذ من خمس السبي ما اختاره لحمله إلى دمشق ترك بقيـة على أرض الخمـس كي يفلح مال المسلمين وعرف هؤلاء باسـم الأخمـاس وأطلق على أبنائهم لقـب

---

(١) ـ روايـة الرازي في الرسالة الشريفية : لابن القوطية (محمد بن عمر بن عبد العزيز) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٢١١ ، بيروت ١٩٥٧ م .

(٢) ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ص٢٥٨ . ط . القاهرة ، ١٩٤٩ م

الأخماس(١) .

ولكي يحتفظ الفاتحون بما حصلوا عليه من الأراضي لجؤوا إلى إظهار رغبتهم في ترك هذه الأراضي البعيدة فأرضاهم الخليفة الوليد بإقرارهم على ما بأيديهم معتبراً هذه الأراضي ثغراً ،وتوجد دلائل على قيامه بإقطاع أراض لغيرهم تشجيعاً لهم على الاقامة في الاندلس(٢) .

أما في عهد عمر بن عبد العزيز فقد أرسل رجلاً من أهل اليمن هو السمح بن مالك الخولاني من دمشق كوالٍ للأندلس مكلف بالقيام باكمال التخميس وتمييز أرض العنوة عن أرض الصلح ليصح التخميس ، وفي هذه الأوامر المعطاة له ما يفسح المجال للاعتقاد بأن عمر كان يرى أن بعض أراضي الأخماس كانت في أيدي الفاتحين ، كما أن بعض أراضي الخراج أي أراضي الصلح اختلطت بغيرها أي ربما اشتراها الفاتحون من أصحابها فانقلبت من أراض خراجية تدفع نسبة عالية من الضرائب (مثالثة أو مرابعة) الى أراض عشرية وقد منع عمر بن عبد العزيز هذا العمل في المشرق وربما أراد أن يطبقه على المغرب . وفي كلا العملين ما يعرض مصالح النازلين في الأندلس الى الخطر فلجؤوا إلى نفس أسلوبهم السابق في عهد الوليد فأظهروا رغبتهم في العودة الى المشرق كما أظهروا خوفهم من أن يشاركهم القادمون الجدد في أراضيهم فأقرهم عمر على ما بأيديهم وعلى ما سجله لهم الوليد وموسى بن نصير .

هذه الطريقة في تقسيم أراضي الأندلس جعلت بعض الفقهاء يعدون أرض الأندلس لم تقسم تقسيماً شرعياً بل تحكمت فيه الغلبة ، ومن الطبيعي أن يحصل النزاع حول ملكيتها وأن تحاول الأطراف المختلفة من عناصر وقبائل الفاتحين أن تقتطع أكبر قسم منها ، وما يهمنا

---

(١) ــ ابن القوطية : الرسالة الشريفية ، افتتاح الأندلس ، ص٢٠٤ ــ ٢٠٥ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ص٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

هنا معرفته ليس كل ما يتعلق بكيفية تقسيم الأرض بين جميع عناصر الفتح وانما ينحصر اهتمامنا بما يتلق بأهل اليمن والمناطق التي استقروا بها وهذا أمر تستدعيه ضرورة الموضوع الذي نقوم ببحثه دون الدخول في تفاصيل أخرى خارج هذا البحث .

ولكي نتوصل إلى نتيجة مرضية في هذا المجال لا بدّ لنا من القاء نظرة فاحصة على أخبار الأندلس الأولى التي تشير في قسم منها إلى قسمة الأراضي المفتوحة واستيطان العرب والبربر فيها .

ففي كتاب نفح الطيب للمقرى جاء في حديث عن عودة موسى وطارق الى دمشق ((... ومضيا ـ أى موسى وطارق ـ جميعاً ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا اختطوها واستوطنوها)) . وفيه أيضاً ((وكان العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين فاتسع نطاق الاسلام بالأندلس)) (١)

وجاء في أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم لمؤلف مجهول (٢) ((ان الثغر لليمن)) أى سرقسطة وما حولها ، وقد سكن اليمنيون في هذا الثغر الأعلى (الشمال الشرقي) وانتشروا في قرطبة واقليمها ، واقليم اشبيلية ومرسيه وكان اليمنيون في جيش موسى بن نصير أكثرية ، لأن صلب الجيش من إفريقية ، وغالب العرب في افريقية والمغرب من أهل اليمن .

وحول نزاع كان محتملاً حدوثه بين عرب الأندلس القديمين الذين أطلق عليهم المؤرخون اسم (البلديين) حيث كان اليمنيون يشكلون غالبيتهم وبين العرب الشاميين الذين أتوا مع طالعة بلج بن بشر واستقروا في قرطبة وكان غالبيتهم من العرب القيسيين ، تحدثت المصادر أن الشاميين الجدد هددوا مصالح اليمنيين البلديين باستقرارهم في

---

(١) ـ المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٧٦ .
(٢) ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص ٦٢ . ط . مدريد ١٨٦٧ م

قرطبة وكاد النزاع ينشب بين الجانبين فلما جاء أبو الخطار الكلبي ـ من أهل اليمن ـ واليا على الاندلس حل المشكلة بين طرفي النزاع دون أن يلحق أى ضرر في مصلحة أي منهما وذلك بتفريقه كل قوم من الشاميين بناحية تشبه مواطنهم في المشرق فأنزل أهل حمص في اشبيلية لشبه اقليم اشبيلية بحمص ، وسميت اشبيلية منذ ذلك الحين : حمص ، وأنزل أهل قنسرين في كورة جيان ، وسماها قنسرين ، وأنزل أهل الأردن في كورة ريه فسمي شذونة ومالقة وسماها الأردن ، وأنزل أهل مصر في كورة باجة وكورة تدمير (مرسيه) وأكشونبة ، وأنزل أهل دمشق في كورة البيرة ، وهكذا أرضى أبو الخطار بهذا التوزيع أهل اليمن من عرب البلديين القدماء لانه لم يمس مصالحهم ، وأرضى الشاميين الذين نزلوا في بلاد تشبه بلادهم .

وذكر حسين مؤنس في كتاب (فجر الاندلس)[1] ، أن أبا الخطار اقترح على الشاميين القيسيين أن ينتقلوا الى الأرياف في الكور على أن يجعل لهم ثلث ما يجبى من أهل الذمة في نواحيهم تلك[2] .

والمتتبع في المصادر الجغرافية الاندلسية يجد كثرة أسماء حصون وضياع وقرى خاصة ببعض القبائل اليمنية في الاندلس ربما اتخذوا لنفسهم هذه المواقع نظراً لبعدهم عن المدن الكبرى فظهر من المواقع اليمنية قلعة (يحصب) في (اقليم غرناطة) ، وقلعة (خولان) (بين الجزيرة الخضراء واشبيلية) وقلعة (أيوب) في الثغر الأعلى الى جانب قرى كثيرة يمنية تحمل أسماء أصحابها مثل (كنتش معافر) ، و (منزل همدان) ، و (وأرش اليمن) الى غير ذلك من الضيع والقرى والمنازل والقلاع والحصون والابراج ... التي تدل على توطن أصحابها ونزولهم بها ، والتي توارثوها جيل عن جيل .

---

(۱) ـ حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ۲۲۱ .

(۲) ـ ابن خلدون : ج ٤ ص ۱۱۹ ـ ۱۲۰ .

وفي كتاب (الروض المعطار) في مادة (بجانة) ذكر الحميري[1] ، أن بجانة كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن ، وانما سمي الاقليم أرش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا الأندلس أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الاقليم ، وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحراسة الساحل . ومعنى ارش اليمن : عطيتهم ونحلتهم .

وحين ذكر ابن حزم في (جمهرة أنساب العرب) فروع القحطانية قال عن كهلان وحمير أن فيهما العدد والجمهرة ، يعني من اليمانية القحطانية[2] ، ومن المناطق التي كان أغلب أهلها من قبائل اليمن : الثغر الاعلى (سرقسطة وأقاليمها) فقد كان فيها من الانصار ، وعذرة ، وقضاعة ، وتجيب ، وكندة ، وجذام . وكورة تدمير (مرسية) وكان فيها من اليمنيين من جذام ، ودوس ، وغافق ، ومن أهل حضرموت . وبكورة رية (وتعرف فيما بعد بكورة مالقة) من الخزرج وذي رعين ومن جزيلة بن لخم ومن الحضرميين ، وبكورة شذونة من جذام ، وجزيلة ، وعومرم بن جميل من الخزرج ينتمون الى سعد بن عبادة الانصاري ، وفي استجة موررور من لخم وخثعم وفي الجزيرة الخضراء من خولان وبني عذرة ولخم وجذام . وفي وادي آش : من بني حسان وبني عمر الغسانيين وفي جيان بنو ميسرة وبحطبة الطائيون .

بالإضافة الى ما ذكرته هذه المصادر عن مواطن استقرار أهل اليمن في الاندلس بشكل إجمالي غير أن هناك عدد من أهل الاخبار يتطرقون لذكر استقرار طوائف قبائل أهل اليمن وما تفرع منها في الديار الاندلسية بشكل أكثر تفصيلاً كما يظهر لنا فيما يلي :

١ ـ حمير : سكنت مجموعات من حمير أبين بن زهير في قرطبة وأشبيلية واشتهر منهم في قرطبة قاضيها يحيى بن معمراً ما في أشبيلية فقد اشتهر منهم عبد الله بن محمد

---

(١) ـ الحميري : (محمد بن عبد الله) ، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق بروفنسال ، ص ٧٩ . طبع القاهرة ١٩٣٧ م .

(٢) ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢٩ .

ابن زكريا بن القاضي يحيى[1] .

ومن حمير من ينتسب إلى (ذي أصبح) الذين استقروا في مدينة قرطبة وقد وصفتهم المصادر بأنهم كانوا من أعيانها[2] .

ومنهم بنو لعوزن وبنو حراز ، ودار بني هوزن بالاندلس : القريتان المذكورتان بهما باشبيلية ، ودار بني حراز بـ (لبله)[3] .

قال ابن غالب : ودار بني هوزن بشرق اشبيلية ، والهوزنيون أعيان أشبيلية .

ومن شعبان بن عمرو بن الهميسع بن حمير مجموعة سكنت في قرطبة وجيان ، واشتهروا بأنهم عائلة قضاة . وقد عرف من كان منهم بالكوفة باسم (الشعبيين) ، ومن كان منهم باليمن انتسبوا إلى آل ذي شعبين ، ومن كان منهم بالشام والاندلس انتسبوا الى الشعبانيين ، ومن كان منهم بمصر والقيروان سموا الاشعوب[4] .

كما سكن منهم آل جرش من ولد أسلم بن زيد بن أخي ذي رعين في وادي بجانه . أما قضاعة بن مالك بن حمير فقد استقر منها بالاندلس عدة قبائل مثل قبيلة بلى في مدينة اشبيلية[5] ، وشمال قرطبة[6] .

---

(1) ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٣٣ .
(2) ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٩٧ .
(3) ـ ابن حزم : مصدر سابق ، ص ٤٣٤ .
(4) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٤٣٣ .
(5) ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٩٧ .
(6) ـ ابن الفرضي : (عبدالله محمد بن يوسف الازدي (أبو الوليد) ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس نشر عزت العطار الحسيني ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ٤٥٤ .

ومن قضاعة من ينتسب إلى قبيلة جهينة القضاعية وقد استقرت جماعة منهم بقرطبة[1].

ومن قضاعة عذرة التي ذكر استقرارها الاخباريون في موقع دلاية وجيان ، ولهم عدد بمدينة سرقسطة .

والى عذرة ينتسب أحمد بن عمر بن انس العذرى صاحب كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ... وكان بعض أجداده قد نزل دلاية أيام عبد الرحمن الداخل[2] . وقال ابن غالب : ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة . ومنهم بنو القين الذين استقروا بأعداد كبيرة في منطقة رية . وعرف منهم بنو خشين الذين استقروا بجيان وأعمال البيرة ومنهم أيضاً بنو كلب بن وبرة .... بن قضاعة من ولد عدي بن جناب من بني كلب القضاعية الذين استقروا في مدينة إشبيلية حيث برز منهم أمير الاندلس أبو الخطار الحسام بن ضرار ، والعريف سعيد بن وارث بن أبي الخطار[3] ، وعنبسة بن سحيم بن شجاس ، ولي الاندلس من الشام ،ومنهم بنو أبي عبده الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها[4] . كما اشتهر من قضاعة بالاندلس بنو مهرة بن حيدان في مرسية[5] .

قبيلة كندة : اشتهر منها في بلاد الاندلس قبيلة تجيب وأسلم . أما تجيب فقد استقر أبناؤها في سرقسطة ، ودروقة وقلعة أيوب[6] . وقد اشتهر منهم عميرة بن المهاجر الذي تولى برشلونة لبعض أمراء الاندلس . ونزل بنو أسلم بمدينة وشقة[7] .

ومن كهلان قبيلة خولان الذي اشتهر منهم اسحاق بن قاسم بن السمح الخولاني من أهل قرطبة وسكن قسم كبير منهم في قلعة خولان المعروفة باسمهم الواقعة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ، ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة قال ابن حزم : ((ومنهم بقرطبة أهل بيت منهم المحدث المشهور عمر بن عبد المالك الخولاني . ومنهم بالبيرة : بنو نجيح

---

(1) ـ المقري : نفح الطيب ،ج 1 ص198 .

(2) ـ ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ،ج 3ص61.

(3) ـ ابن حزم : الجمهرة ، ص456.

(4) ـ المقري : نفح الطيب ،ج 1 ص 298.

(5) ـ المصدر السابق نفسه ،ج 1 ص297.

ومنهم من ينتسب إلى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة . ومنهم المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس[1] ، ولي الاندلس هو وأبناءه عبد الملك وعبد الرحمن[2] . وقال ابن حزم : وآل جحاف ببلنسية ، وبنو مغوز بـ (ينبسة) وبنو شخل بـ (جيان) ، وهم بيوت متفرقة بالأندلس ، ليست لهم دار جامعة[3] .

وعرف بالاندلس من قبائل كهلان بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة[4] ، ومنهم من ينتسب الى قبيلة (عاملة) منهم بنو سماك القضاة من أهل غرناطة[5] . كما استقر من بني عاملة عدد في موقع (يلة)[6] .

واستقر من كهلان قبيلة بجيلة بمنطقة أريونة[7] ، كما استقرت قبيلة خثعم (بشذونة)[8] وعرف من ولد الخيار بن مالك بن سبأ بالأندلس (بنو بشتغير) وبنو كريم وغيرهم ودارهم كانت اشبيلية .

أما استقرار همدان بن الخيار بن كهلان فقد كان بمنطقة البيرة[9] . ويذكر ان منزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة[10] . وهناك قرية همدان إلى الجنوب من غرناطة[11] ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى .

وفي تاريخ ابن القوطية أن باقليم البيرة بني أضحى الهمدانيون ، وفي وادي آش منهم بنو حسان وبنو عمر الغسانيون[12] .

واستقر من قبيلة مذحج في قرطبة بنو سراج الاعيان قال ابن غالب : بنو سراج

---

(١) ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٩٥ .
(٢) ـ ابن حزم : مصدر سابق ، ص ٤١٨ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٤١٨ .
(٤) ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٩٥ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه .
(٦) ـ ابن حزم : مصدر سابق ، ص ٤١٩ .
(٧) ـ المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .
(٨) ـ المصدر السابق نفسه ، ٣٩٢ .
(٩) ـ المصدر السابق نفسه ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ .

ينتسبون إلى مذحج (١).

أما قبيلة طيء فقد استقر منها بنو ميسرة وبنو قحطبة في كورة جيان (٢).

وقد عرفت دار قبيلة طيء بالأندلس بشكل عام في بسطه، وتاجلة، وغليار (٣). قال ابن غالب: ومنزل طيء بقبلي موسية، ومنهم من ينتسب الى مراد بن مالك بن ادد. وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور (٤). وقد عرفت ديار عنس بالأندلس بجهة قلعة يحصب (٥).

واستقر من قبيلة لخم بالأندلس بني عباد باشبيلية، وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة. ومنهم بنو وافد الأعيان، وبنو الباجي أعيان اشبيلية (٦). كما استقر من لخم بنو ثوابة بن عدي باشبيلية (٧). وقال ابن حزم: دار لخم بالشام حوالي العريش ودارهم بالأندلس، شذونة، والجزيرة، واشبيلية. ومنهم آل عباد وآل نمارة. وبنو حجاج المنتذون باشبيلية وقرمونة (٨). وبنو بحر في قرية البحريين في شرق اشبيلية (٩).

أما قبيلة جذام فقد استقرت بـ (شذونة، والجزيرة، وتدمير، واشبيلية، ومن الجذاميين المشهورين بالأندلس. ثوابة بن سلامة الجذامي، وبنو هود ملوك شرقي الأندلس وذكر ابن غالب انه كان لجذام جزء من قلعة رباح (١٠).

ومما يذكر عن قبيلة حضرموت نزول قسم منها في منطقة اشبيلية وقد عرف منهم هناك رجالات عظام. وقيل أن العلامة ابن خلدون صاحب التاريخ المشهور ينتمي

---

(١) ـ المقري: نفح الطيب، ج ١ ص ٢٩٥.
(٢) ـ ابن القوطية: مصدر سابق، ص ٦٠.
(٣) ـ ابن حزم: مصدر سابق، ص ٤٠٤.
(٤) ـ المقري: نفح الطيب، ج ١ ص ٢٩٤.
(٥) ـ ابن حزم: مصدر سابق، ص ٤٠٦
(٦) ـ المقري: نفح الطيب، ج ١ ص ٢٩٥
(٧) ـ ابن حزم: مصدر سابق، ص ٤٢٣.
(٨) ـ المقري: نفح الطيب، ج ١ ص ٢٩٥.
(٩) ـ ابن حزم: مصدر سابق، ص ٤٢٤.
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه، ص ٤٢٨.

اليهم (١) .

أما المقرى فقد ذكر عن الحضارمة انهم استقروا في مدينة موسية ، وغرناطة ،واشبيلية وبطليوس ، وقرطبة . ووصفهم بن غالب بأنهم كثيرون بأرض الاندلس (٢) .

أما قبائل اليمن من الانصار (الاوس والخزرج) فقد ذكر استقرارهم بالاندلس عدد من أصحاب المصادر أبرزهم ابن حزم في الجمهرة فقال : عرف من الأوس بنو ربيع بن محمد ... ابن حنظلة غسيل الملائكة كانوا بقرطبة . ومنهم آل حفص بن أحمد بن عمار بموقع (باجة) وبقلعة رباح من ولد محمد بن سلمة بن الاوس ، محمد بن أحمد بن حزم (محدث) بقرية شوش الانصار من (اشبيلية)رهط عبد الله بن عمر من الاوس . كما استقرت (عك) (غافق) في مناطق متعددة من أرض الاندلس مثل شقورة وشمال قرطبة ، منهم كان أمير الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله بن مخشي بن زيد بن جبلة بن ظهير بن الشاهد (عبد الرحمن الغافقي) حيث استقر وقسم من قومه بموقع يقال له (مونيانة) بقرب اشبيلية على النهر الاكبر أي الوادي الكبير (٣) .

أما الخزرج فقد استقر جماعة منهم من بني مالك بن النجار بموقع (رية) وعرف منهم في هذه المدينة بنو عيشم بن سفيان ابن النجار وهم من سكان (قَرْطَمة) كما سكن بنو هارون بباب العطارين بمدينة قرطبة (٤) . واستقر بنو عوف بقرية شوش الانصار من اشبيلية (٥) وقد عرف بـ (غرناطة) سلاطين بنو الاحمر الذين ينتسبون الى قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ومن ولد مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج : بنو خبيب ، وبنو قطنين البيازون الساكنون بقرية (اختيانة) من قبره (٦) .

---

(١) ـ ابن حزم : مصدر سابق ، ص ٤٦٠ .
(٢) ـ المقري : نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٩٨ .
(٣) ـ الهمداني : عجالة المبتدى ، ص ٩٧ ثم تاريخ ابن القوطية ، ص ٤٠ .
(٤) ـ ابن حزم : جمهرة ، ص ٣٥٤ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٣٦٤ .
(٦) ـ ابن حزم : الجمهرة : ص ٣٦٣ .

وفي ختام حديثنا عن استقرار القبائل اليمنية في الاندلس تقول : ان دراسة توضع القبائل العربية يساعد بلا شك في تبين أثر التوزع الديمغرافي في عدد كبير من الشؤون الاجتماعية ، والثقافية والسياسية . فإن نشوب الفتنة بين جذمي العرب في مدة غير قليلة من أول ثلث القرن الهجرى الثاني هو في أصله مشكلة سياسية ـ اقتصادية ، شغلت العصبية القبلية اليمنية والقيسية فيها دوراً بارزاً ، وأثرت في سير الأحداث التي تمخضت عنها تأثيراً واضحاً .

كما أن دخول عبد الرحمن بن معاوية الاندلس كان بتأييد أطراف من العرب الذين وجدوا فيه مخلصاً من الفتنة التي استشرت ، وكان لليمنية الاثر القوى في دخوله وقبوله واحلاله محل المتوليين على السلطة في الاندلس (١) .

غير أن العبارة الأخيرة التي يمكن قولها عن دور أهل اليمن في عصر الوليد بن عبد الملك هي أن ما قام به أهل اليمن في عهد هذا الخليفة الأموى لا يعدّ من أهم منجزات عصره فحسب بل من أعظم ما كان في عصر الدولة الأموية (٢) .

ولما مات الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٩٦ هـ ، بويع سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد أخيه وذلك تنفيذاً لوصية أبيهما عبد الملك بن مروان (٣) . وباعتلاء سليمان بن عبد الملك عرش الخلافة الأموية في دمشق ، سيكون لهذا الحدث وقعة الخاص في نفوس أهل اليمن . إذ أن الكثير من المؤرخين يعدّون هذا الخليفة صديقاً وفياً لليمنيين حامياً لهم (٤) . وسنحاول في الصفحات القادمة بحث هذه العلاقة بشكل موضوعي على قدر ما نستطيع إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) ـ بدر (أحمد) : دراسات في تاريخ الاندلس ، ص ٧٠ .

(٢) ـ هذا لا يعني انتقاصاً لما تحقق من فتوحات على جبهة الهند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي أو ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم غير ان فتوحات المغرب ومن قبلها افريقية وانتهاء ببلاد الاندلس كان له وقعاً خاصاً كما قد أشرنا الى أهميته في حينه .

(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٤١٦ .

(٤) ـ انظر رأى دوزى هذا في كتاب تاريخ مسلمي اسبانيا مج ١ ص ١٢٩ . ترجمة حسن

اليمانيـــون وخـلافـة سليمان بن عبد الملك :

واجه الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك منذ اليوم الأول لاعتلائه عرش الخلافة أمرين هامين أحدهما يتعلق بالسياسة الخارجية كان أخوه الوليد قد بدأه وهو تجهيز جيش هدفه حصار القصطنطينية وفتحها ، والأمر الثاني يتعلق بالسياسة الداخلية للدولة الأموية وبشكل خاص في جناحها الشرقي العراق وما يتبعه .

ويبدو أن سليمان سار بخطين متوازيين في معالجة هاتين النقطتين . غير أن دور أهل اليمن تجلى بشكل أوضح وأدق في معالجة الخليفة لأمر العراق في زمن الحجاج .

إن ما يعرف عن الخليفة سليمان أنه لم يكن راضياً عن سياسة أخيه الوليد الذى فوض إلى الحجاج سلطات واسعة ، وأفرط في الاعتماد عليه في حكم العراق وبقية اقطار المشرق .

وقد فسّر عدد من المؤرخين اعتماد الوليد على الحجاج كان بدافع العصبية القبلية النابع من حبه للقيسية وكرهه لليمانية _ علماً انني لا أميل إلى الأخذ بهذا الرأي وسيكون لنا مع هذه النقطة وقفة خاصة _ لذا ذكر بعض هؤلاء المؤرخين أن سليمان أراد ابعاد محاباة القيسية من بلاط الخلافة الأموية التي كانت سائدة فيه طيلة عهد فترة حكم أخيه الوليد فعمد على استئصال كل من يمت الى الحجاج بصلة في حين قرب أهل اليمن إليه الذي كان أبرز قادتهم في عهد خلافته يزيد بن المهلب الأزدي عدو الحجاج وسجينه حيث ذكرت المصادر عن سجن الحجاج لابن المهلب وتمكن هذا الأخير من الهرب سنة ٩٠هـ من سجنه وتوجهه إلى فلسطين قاصداً سليمان الذى كان يقيم بالرملة أثناء خلافة أخيه وقد احتفى سليمان بيزيد بن المهلب وأكرمه أيما اكرام وتوسط له عند أخيه ، فعفا هذا عنه ودفع عنه المال الذى طلبه منه الحجاج . وقد بقي ابن المهلب في ضيافة سليمان في الرملة مدة تسعة أشهر ، رسما في أثنائها الخطط وعملا على مناوئة الحجاج . ولما أصبح سليمان على عرش الخلافة بدأت مرحلة تنفيذ ما تفق عليه .

ويبدو أن الحجاج كان يتوقع الشر من سليمان إذا هو تولى الخلافة بعد أخيه لدرجة أنه كان يدعو الله ان يميته في خلافة الوليد حتى لا يصيبه سوء على يد عدوه سليمان . وقد استجاب الله دعاء الحجاج فمات في آخر خلافة الوليد ، وظل أصحابه من بعده لينصب عليهم غضب سليمان وليصبحوا عرضة لانتقامه . وفعلاً أمر سليمان بعد توليه الخلافة بعزل رجالات الحجاج وصحابته ، فعزل عثمان بن حيان المري عن ولاية المدينة وخالد بن عبد الله القسري عن ولاية مكة[1] . أما قتيبة بن مسلم الباهلي عامل خراسان فقد أراد استباق ما قد ينتظره من شر على يد الخليفة الجديد ، لذا دعا جنده إلى الخروج عليه . فوافقه بعضهم وخالفه البعض الآخر وكان على رأس القبائل التي وقفت في وجهه وعارضته قبيلة الأزد اليمنية[2] حيث انتهى أمره بتآمر معارضيه عليه وقتلهم اياه سنة ٩٦ هـ وأرسلوا رأسه الى الخليفة بدمشق[3] . كذلك انتهت حياة محمد بن القاسم الثقفي نهاية مماثلة ، إذ أنه أُحضر إلى واسط حيث سُجن وقتل على يد صالح بن عبد الرحمن الذي كان يتولى خراج العراق لسليمان بن عبد الملك . وغير خاف أن السبب الرئيسي لنقمة سليمان على محمد بن القاسم هو قرابته للحجاج .

والسؤال الذي يطرح نفسه أمامنا الآن هو لماذا كل هذه الاجراءات الصارمة التي اتخذها سليمان بحق رجالات الحجاج ؟ .

تعزو بعض المصادر سبب غضب سليمان على الحجاج إلى مسعى هذا الاخير لحمل الوليد على عزل سليمان عن ولاية العهد وتولية ابنه مكانه ، ولكن الحقيقة هي أن الخلاف بين الحجاج وسليمان أقدم من هذا وأن عزم الوليد على خلع أخيه لم يذكر إلاّ في نهاية ولايته وذلك سنة ٩٥ هـ ، في حين أن الجفاء بين الاثنين يعود الى سنة ٩٠ هـ حين قدم يزيد بن المهلب على سليمان في الرملة .

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٠٥ ، ٥٢٢ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥١١ وما بعدها .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٠٦ ـ ٥٢٢ .

بالإضافة إلى ذلك فقد اعتقد سليمان أن سياسة الحجاج في العراق أضرت بمصالح البيت الأموي ضرراً بليغاً ، وأن نقمة العراقيين على الأمويين قد تضاعفت بسبب الاسلوب الذي ساس فيه الحجاج أمور العراق . وأن الهدوء الذي ساد العراق في أخريات حكم الحجاج كان هدوءاً مصطنعاً سببه سياسة الفتك والبطش التي انتهجها الحجاج .

كل هذا دعا سليمان الى كره الحجاج والى البطش بأعوانه الذين ساعدوه في سياسته هذه . ومن هنا نقول باننا نبدي شكنا الكبير في إمكانية أخذ سليمان بالعصبية القبلية بكرهه للقيسية الذي جعل الحجاج أكثرية رجالاته منهم في تنفيذ سياسته القمعية .

وأن المتتبع لسياسة الحجاج في إعتماده على القيسيين بشكل عام والثقفيين بشكل خاص يجد أن هذه السياسة لم تكن عنده خطة دائمة وثابتة تمسك بها ولم يحد عنها .

من هنا يأتي ترجيحنا إلى الاخذ بالرأي الذي يقول ان الخلاف بين سليمان والحجاج من أساسه خلاف شخصي إلى حد كبير وان العصبية القبلية في هذا الأمر تأتي بالدرجة الثانية .

أما ما يتعلق بجانب سليمان فإن من الحقائق التي تؤيد وجهة النظر هذه التي نحن في صدد عرضها ان سليمان عزل خالد بن عبدالله القسري عن ولاية مكة ، واليمنية يعدون خالداً منهم . فلو كان الأمر أمر عصبية يمنية ضد عصبية قيسية سلفت لما عزل خالد زمن سليمان ولما استعمل زمن الوليد .

وهناك أمر موسى بن نصير فاتح الأندلس فقد لاقى هو وابنه عبد العزيز بن موسى أشنع مصير على يد سليمان . لقد أغرم موسى بن نصير من قبل سليمان بأموال كبيرة تقدرها بعض الروايات بمائتي ألف دينار . وتقول بعض الروايات ان يزيد بن المهلب حامي اليمانية في بلاط سليمان بن عبد الملك تحملها عنه بينما تقول روايات أخرى ان قبيلته لخم قدمت له (٩٠) ألف دينار من اعطياتها ، ومات موسى وهو يستعطف ويستمطي أبناء قبيلته للوفاء بما أغرم به أما

موته فكان بوادي القرى في حوالي ٩٧ هـ ـ ٧١٦ م [١] . وقبل موته قتل ابنه عبد العزيز أمير الاندلس بايعاز من الخليفة سليمان ونقل رأسه الى دمشق [٢] . كما عزل ابناه ، عبد الملك عن ولاية المغرب وعبد الله عن ولاية افريقية .

بعد كل هذا هل يجوز ان نلصق بالخليفة سليمان بن عبد الملك تهمة تعصبه ضد القيسية ومحاباته لليمنية في عهد خلافته ؟ .

فمن المعتقد أن الذين يقولون بهذا الرأي لا يجارون الحقيقة التاريخية في تقييم سياسة سليمان وكذلك سياسة أخيه الوليد من قبله اذ لم يكن سبب اعتماد الوليد على الحجاج لانه كان قيسياً ، بل لأنه كان شخصية قوية تفوض اليها الأمور ويتكل عليها . فقيادة الحجاج نابعة من شخصيته لا من عشيرته . واعتماد الخلفاء عليه كان لذاته لا لقوة قبيلته .

إذن الأمر في مجمله قناعة شخصية في تبني سياسة معينه لم تسر على نهج واحد عند الخليفة الوليد وخلفه سليمان .

ومهما كان من أمر ، فقد وجد سليمان بن عبد الملك أن خير من يطبق وجهة نظره السياسية في القسم الشرقي من دولته ـ العراق وما يتبعه ـ هو رجل من أهل اليمن ارتبط معه بعلاقات خاصة يعود تاريخها الى ما قبل اعتلائه عرش الخلافة ، هو يزيد بن المهلب الأزدي الذي يذكره المؤرخون بأنه تبوأ في عهد سليمان المكانة نفسها التي كان عليها الحجاج في خلافة الوليد .

---

(١) ـ ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ص ٢٢ . ط بيدن ١٩٤٨ م .
المقري : نفح الطيب ، ج ٢ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٩ .

(٢) ـ عن مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير واسباب قتله : انظر . أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ت ٧٥٤ و ت ١٠٩٨ مدريد ١٨٨٥ ، ثم انظر . الطبري : ج ٦ ص ٥٢٣ .

وبالفعل أصبح لأهل اليمن دور مميز في عهد الخليفة سليمان نظراً لتقريبه يزيد ابن المهلب الذي كان زعيم اليمانية في عهده فكان له ولقومه من أبناء قحطان دور من الأهمية بمكان التعرف عليه وعلى مراحل تطور أحداثه التاريخية .

ولاية يزيد بن المهلب على العراق :

تنقسم أعمال هذا القائد اليمني - يزيد بن المهلب - في عهد خلافة سليمان بن عبد الملك الى قسمين :

الأول : ما يتعلق بالعراق وادارة شؤونه .

والثاني : ما يتعلق بشؤون القتال وأعمال الغزو والفتوحات في جرجان وطبرستان

أصبح يزيد بن المهلب سيد الموقف بالعراق وكان أول ما ظهر من سياسته بمنطقة العراق هو تتبع آل الحجاج وأنصاره وزجهم بالسجون وتعذيبهم أشد العذاب ، ويبدو أن العراقيين سروا لهذه السياسة لكرههم الشديد للحجاج وسيده الوليد بن عبد الملك وقد زاد سرورهم موت هذين الاثنين في وقت متقارب وظنوا انهم سيكونون أحسن حالاً في ظل أميرهم الجديد وسيده سليمان ولكنهم ما لبثوا أن اكتشفوا أن اختلاف الرجال لا يعني بالضرورة تغير الحال الى أحسن وذلك بسبب سير يزيد بن المهلب على نفس النهج الذى كان عليه سلفه الحجاج في ادارة شؤون البلاد .

فقد ذكر عنه اقامته في مدينة الحجاج بـ (واسط) واحتفاظه بجند من الشام في العراق كما فعل سلفه .

ويبدو أن هذه السياسة لم ترق للعراقيين فأظهروا استياءهم وتذمرهم ، وقد حاول يزيد بن المهلب فهم سر هذا الاستياء عندهم فتبين له أن الطريقة التي تجبى بها الأموال التي كانت عند سلفه وسار عليها هو ، هي السبب بذلك فتقدم إلى الخليفة سليمان بطلب اعفائه من جمع الأموال وان يعهد الى غيره بهذه المهمة . فتم له ما أراد وعهد الخليفة الى رجل كان يعمل في ديوان الخراج عند الحجاج وهو صالح بن عبد الرحمن بأمر

جبايـة الخراج[1].

غير أن هذا الموقف لم يحل المشكلة ولم يستطع بالتالي سدّ الفراغ الذي شغره سلفـه الحجاج وما يؤيد هذا الرأي ما ذكره البلاذري من امتناع رتبيل أمير سجستان عن دفع الاتاوة المتفق عليها . ولما سئل عن سبب امتناعه أجاب قائلا : ((كان الحجاج رجلاً لا ينظر فيما أنفق إذا ظفر ببغيته ولو لم يرجع اليه درهم ، وأنتم لاتنفقون درهماً إلاّ إذا طمعتم في أن يرجع اليكم مكانه عشـرة))[2] .

وهكذا لم يستطع يزيد جمع الناس حوله وكسب احترامهم كما كان عليه حال الحجاج . وقد رغب ابن المهلب في تحقيق انتصارات عسكريـة تعوضـه عن اخفاق سياسـته في حكم العراق وتجعله في مركز الصدارة عند الخليفـة سليمان .[3] فأخذ يعدّ العدة لغزو جرجان وطبرستان ويذكر الطبري[4] ، وكذلك ابن الاثير[5] أثناء حديثهما عن فتح جرجان وطبرستان زمـن سليمان بن عبد الملك وذلك في أحداث عام ٩٨ هـ ، أن سبب غزوهما من قبل يزيد بن المهلب اهتمامـه بهما ، أنه لما كان عند سليمان بالشام كان سليمان كلما فتح قتيبة فتحاً يقول ليزيد ((ألا ترى الى ما يفتح اللـه على قتيبة ؟ فيقول يزيد : مافعلت جرجان ... هذه الفتـوح ليست بشيء ، الشأن هي جرجان)) .

ولما ولي سليمان يزيداً خراسـان لم يكن له هم غير جرجان وكان العرب قد أخذوا مـن أهلها الجزيـة عام ١٨ هـ . وفي عهد عثمان بن عفان دخلها سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٢٣ . النويري ، نهاية الأرب ج ٢١ ص ٣٤٤ .
(٢) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ٥ ص ٥٦٤ .
(٣) ـ النويري : نهايـة الأرب ج ٢١ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٢ .
(٤) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٣٩ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٤٤ ، ١٤٧ ـ ١٥٠ .
(٥) ـ ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ص ٢٩ .

وصالح أهلها قبل أن يغزو قوهستان . وظلت جرجان بعيدة عن المخططات العسكرية العربية حتى كانت ولاية يزيد بن المهلب الأزدي على خراسان . لذا نجده لم يمض في ولايته هذه أكثر من ثلاثة أو أربعة أشهر حتى بدأ بتجهيز جيش اسلامي عظيم حشد فيه كل طاقاته ابتداء من أبنائه واخوته وابناء قومه من أهل اليمن (١) ، وما استطاع تجنيده من أهل الكوفة والبصرة والشام وانتهاء بوجوه أهل خراسان والري ومن معهم من ماليكهم ومواليهم وقد ذكرت المصادر أنه بلغ قوام هذا الجيش مائة الف مقاتل سار هو على رأسه قاصداً فتح جرجان وطبرستان (٢) .

وقد ذكرت المصادر أن يزيد بن المهلب اصطحب معه في هذه الحملة عدداً من فرسان أهل اليمن اللامعين مثل أبنائه مخلد بن يزيد (٣) ، ومعاوية (٤) وخالد (٥) . وأخيه أبي عيينه (٦) ، وأبناء اخوته عثمان بن المفضل بن المهلب (٧) ، وحاتم بن قبيصة بن المهلب (٨) ومن أبناء عمه أسد بن عبد الله الازدي (٩) ، ومن فرسان أهل اليمن المشهورين محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي (١٠) وابن عمه جهم بن زحر الجعفي (١١) ، والحجاج بن جارية الخثعمي (١٢) ، وابو الجهم الكلبي (١٣) .

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٣٢ ، ٥٣٧ . النويري : نهاية الأرب ، ج ٢١ ص ٣٥٠ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ص ٥٣٢ . النويري : نهاية الأرب ج ٢١ ص ٣٥٠ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٣٢ ، ٥٣٧ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٣٧ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٤٠ .
(٦) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٤٠ .
(٧) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٣٣ .
(٨) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٣٧ .
(٩) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٣٤ .
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٣٢ ، ٥٣٤ .
(١١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٤٣ .
(١٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٣٣ .
(١٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٤٠ .

وقد شغل هؤلاء الفرسان أدواراً مهمة في قيادة جيش يزيد بن المهلب في مناطق جرجان وطبرستان سواء في قيادة هذا الجيش أو حكاماً وولاة على المناطق المفتوحة

ومهما كان من أمر فقد تقدم ابن المهلب بجيشه إلى دهستان ثم ابتدأ بقهستان وحاصرها وكان أهلها طائفة من الترك ، وقد قتل عدداً كبيراً منهم . وتمكن في النهاية من أن يجبر زعيمهم الـ (صول) على الصلح أو لعله قتله[1] .

ولكن أهل جرجان لم يلبثوا أن ثاروا ثانية ونقضوا الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين . فعاد يزيد الى جرجان ثانية ، وقتل عدداً كبيراً من أهلها وحلف وأعطى الله عهداً لئن ظفر بهم ألا يقلع عنهم ، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ، ويختبز من ذلك الطحين ويأكل منه .

وهذا ما يعرف عند المؤرخين بفتح جرجان الثاني[2] .

ولما فرغ يزيد بن المهلب من فتح جرجان واخضاعها هاجم طبرستان واستطاع ان يجبر حاكمها (الاصبهبذ) على الصلح على أن يدفع جزية مقدارها أربعة ملايين درهم وشرط عليه شروطاً أخرى[3] . وقد كان ولاء أهل طبرستان للدولة العربية الاسلامية يتذبذب بين الخضوع والتمرد حتى نهاية عصر الدولة الأموية .

ولكن مهما كان من أمر فقد كان وقع هذا الانتصار في نفس هذا القائد اليمني عظيماً مما دفع بهذا القائد إلى الكتابة إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك يعلمه فيه بالفتح العظيم والغنائم والثروات الطائلة التي حصل عليها وانه بقي معه من خمس ما أفاء الله (٢٥) ألف ألف درهم[4] .

---

(١) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ٤ ص ٤٦٩ .
(٢) ـ ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٣٤ . ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٤٩ .
(٣) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ٤ ص ٤٧٢ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٧١ . الطبري ج ٦ ص ٥٤٤ . حيث جاء فيه ان مقدار ما بقي معه هو مبلغ ستة آلاف ألف

وقد نصحه كاتبه بعدم ذكر أرقام المبالغ في كتابه غير أن يزيداً رفض ذلك وكتب هذه المبالغ في كتابه حتى يظهر مقدار حجم انتصاراته وأنه لم يكن يعلم ان هذا الاقرار سيعرضه لاستجواب الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز سنة (١٠٠) هـ ولما تبين للخليفة عدم تسديد هذه المبالغ الى بيت المال أمر الخليفة عمر بسجنه حيث بقي في السجن حتى مرض الخليفة مرض الموت[1] .

وهكذا كانت نهاية هذا القائد كما كانت نهاية معظم قادة فتوح الدولة الأموية في المشرق والمغرب . غير أن هذه النهاية لا تخفي أهمية ما قدمه هذا القائد اليمني مع أبنائه واخوته وأبناء قومه من أهل اليمن الى جانب الأعداد الأخرى التي سارت تحت قيادته من انتصارات وخدمات للدولة الأموية في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الذى بقي على عرش الخلافة حتى مات في سنة ٩٩ هـ حيث أوصى أن تكون الخلافة من بعده لعمر بن عبد العزيز .

أهل اليمن في عهد خلافة عمر بن عبد العزيز :

حين آلت الخلافة الأموية الى عمر بن عبد العزيز لم يسر على نهج سلفه سليمان بن عبد الملك ، ولم يقبل على الدنيا . وكان لا يرغب في الفتوح لاعتقاده أن أسلافه من الأمويين لم يقوموا بها لرفع راية الدين ، ولنشر كلمة الاسلام ، واشهار دين الله ، ولكن من أجل المغانم التي يحصلون عليها .

وانسجاماً مع رأيه هذا أمر بعودة الجيش الذى كان قد أرسل زمن سليمان لحصار القسطنطينية[2] ، كما همّ بايقاف القتال في منطقة ما وراء النهر ، وأمر قادة الجيش الاسلامي بأن لا يتوغلوا أكثر مما فعلوا[3] .

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٦٤ .

(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٥٣ .

على أن هذا لا يعني ان العرب في عهده قد أوقفوا كل نشاط عسكري لهم ، ففي الاندلس مثلاً فتحت في عهده مدينة ناربو ن الفرنسية وحصونها وبيد وأن هدف الخليفة الأول لم يكن ايقاف الفتح بل الانصراف الى معالجة الشؤون والقضايا الداخلية والأمور التي لها مساس بشعبه والاكتفاء بالحروب التي لا بد منها والتي تفرض عليه فرضاً .

من خلال هذا المنطلق اننا لا نجد أسماء قادة يمنيين كثر يبرزون في عهد خلافته واقتصرت المصادر على ذكر تولي عمرو بن قيس الكندي قيادة الصائفة في عهده سنة ١٠٠ هـ (١)

كما برز في نفس هذا العام القائد اليمني محمد بن جرير بن عبد الله البجلي على أس الجيش الأموي الذي أعده والي العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن لعمر بن عبد العزيز لمواجهة الخوارج بقيادة شوذب الخارجي غير أن هذا الجيش لم يتح له القتال وذلك بسبب المناظرة التي حدثت بين الخليفة وممثلي الخوارج (٢) .

وما دمنا نبحث في دور أهل اليمن من الناحية السياسية في عهد عمر بن عبد العزيز نجد أنه من الواجب علينا التطرق الى مشكلة يزيد بن المهلب فكما مر معنا سابقاً أن عمر بن عبد العزيز لما وقع كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بيده والذي يتضمن المبالغ المالية الكبيرة التي حصلها لصالح بيت مال المسلمين في أثناء فتحه لجرجان وطبرستان ووجد أنه لم يؤد الى الدولة هذا الحق أمر عندها الخليفة عمر بإحضاره ومما يذكر أن الذي أحضره الى الخليفة هو رجل من أهل اليمن يدعى عدي بن موسى بن الوجيه الحميري (٣) . ولما قابله عمر لم يقتنع بوجهة نظره فأمر بسجنه . وقد حاول ابن يزيد مخلد أن يتوسط لأبيه عند الخليفة ولكن وساطته لم تنجح . وبقي في سجنه حتى تمكن من الهرب في أواخر أيام عمر وقد علل يزيد بن المهلب هربه بأنه جاء نتيجة خوفه من يزيد بن عبد الملك ولي عهد عمر في حال موته (٤) .

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٥٦ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٥٦ .
(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٥٦ .

ولم تمض فترة طويلة من الزمن بعد هرب ابن المهلب الازدي حتى توفي الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز .

ومن الأمور الملفتة للنظر أن عمر بن عبد العزيز لم يكن لأمر العصبية القبلية عنده أي دور ، فقد اعتمد على رجال دستوره العام في اختيارهم التقوى والمعرفة والعدل والشجاعة ومن هنا نجد أن أشخاصاً عديدين تومدوا أعمالاً إدارية لعمر من القيسيين واليمنيين على السواء . وبما أن طبيعة البحث تقتضي معرفة من اعتمد عليهم الخليفة الأموي من أهل اليمن دون غيرهم فقد وجدنا عدداً من المصادر تذكر أن عمر بن عبد العزيز ولى خراسان رجل من أهل اليمن هو الجراح بن عبد الله الحكمي من الأزد[1] ولما اشتد به المرض اعتذر لغير فعزله وولى بدلاً عنه عبد الرحمن بن نعيم الغامدي القشري من الأزد اليمنية أيضاً[2] كما عيّن على خراج خراسان رجل من اليمن هو أحد بني الاعور بن قشير الأزدي[3]. الذي لم يبق طويلاً في منصبه حيث عزل برجل يمني آخر من قبيلة طيء هو عقبة بن زرعة الطائي[4].

وفي مجال أعمال عمر بن عبد العزيز المالية أصاب اليمن من التنظيم ما أصاب بقية أقاليم الدولة الاسلامية وحول هذه النقطة فقد ذكر البلاذري أن محمد بن يوسف الثقفي أخا الحجاج عامل اليمن قد أساء السيرة ، وأخذ أراضي الناس بغير حق ، وضرب على أهل اليمن خراجا جعله وظيفة عليهم (فريضة) . فلم ولى عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بالغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر[5].

كما ذكر أن عشور عمان كانت ترسل إلى البصرة ، فأمر عمر أن تبقى في عمان نفسها ، وتوزع على فقرائها . وقد جاء في رسالته إلى عامله هناك أن يقسم ما وجد بعمان من العشور

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٥٧

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٥٨ .

(٣) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٦١ .

(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٦٨ .

(٥) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٩٦ .

والتمر والحب على فقراء أهلها ، ومن سقط إليها من أهل البادية ، ومن أضافته إليهـــا الحاجة بالمسكنة وانقطاع السبيل [1] .

وفي ختام حديثنا نقول : انه على الرغم من المدة القصيرة التي توسد بها عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة الأموية فإن سياسته بمختلف جوانبها تفاعلت بأوضاع أهل اليمن من حيث اعتماده على عدد من رجالاتهم قادة لجيشه ، وحكاماً لبعض ولاياته ، الى جانب اعتنائه بإصلاح أمورهم الادارية وابطال ما كان يفرض عليهم من ضرائب مالية بغير حق .

أهل اليمن في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك :

آلت مقاليد الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك بعد موت عمر بن عبد العزيز . وكان سليمان بن عبد الملك قد أوصى أن تكون له الخلافة بعد عمر .

ومما يذكر عن يزيد أنه كان حين ولي الخلافة في التاسعة والعشرين من عمره [2] . وقد استغل بعض أهل الأخبار شبابه وبعض أخبار حياته ليظهروه بمظهر الفاسق الفاجر الذي لا تهمه شؤون الدولة بل ينصرف بكليته الى الحياة العابثة مع جاريتيه حبابة وسلامة اللتين غدا لهما أوسع النفوذ في كل الأمور ، حتى أن حبابة كانت تولي وتعزل العمال بغير إذنه [3] .

ولكن مهما كان من أمر شؤونه الخاصة فإن هذا لا يعنينا بشيء إلاّ ما كان له علاقة بأحداث تاريخية لها صلة فيما نقوم ببحثه .

وقد ذكرت المصادر أن أول أمر واجهه يزيد بن عبد الملك في خلافته من الناحية السياسية وكان لأهل اليمن دور فيه هو حربه مع الخوارج وتمكنه من قتل زعيمهم شوذب الخارجي ، وقد ذكر الطبري انه في سنة ١٠١ هـ كان من أهل اليمن نجدة بن الحكم الأزدي على رأس مقاتلي البيت الأموي ضد الخوارج وقاتلهم حتى قتل . غير أنه لم يمض وقت طويل

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ١ ص ١٠٦ .
(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٧٤ .

حتى أرسل مسلمة بن عبد الملك جيشاً لقتالهم تمكن من دحرهم وقتل زعيمهم شوذب (١) .

لكن أهم حدث واجهه أهل اليمن في عهد خلافة يزيد بن عبد الملك هو ما يعرف بفتنة يزيد بن المهلب التي تعد أهم حدث داخلي في عصره . ونظراً لأهمية هذا الحدث رأينا أنه من الواجب الوقوف على تفاصيل أحداثه ودراسة مسبباته وتقصي أبعاده ومعرفة النتائج التي ترتبت على انتهائه .

فتنة يزيد بن المهلب الأزدي :

في واقع الأمر ، تعد فتنة يزيد بن المهلب من أصعب المشاكل التي واجهها البيت الأموي في عصره ، وقد واجهها يزيد بكل ما يملك من طاقة حتى تمكن من اخمادها وقتل قائدها .

ونحن لو حاولنا استقصاء جذور أسبابها لوجدنا أنه ربما كان لصلة المصاهرة التي كانت تربط هذا الخليفة بأسرة الحجاج (٢) ، أثرها في إساءة العلاقات بينه وبين ابن المهلب ، لأن ابن المهلب حين ولي العراق زمن سليمان بن عبد الملك عذّب آل الحجاج ونكل بهم ، فعاهد يزيد بن عبد الملك الله لئن مكنه من يزيد بن المهلب ((ليقطعن منه طابقاً)) (٣) .

ومن هنا فسَّر المؤرخون سبب هروب يزيد بن المهلب من سجن عمر بن عبد العزيز ،حينما علم ابن المهلب بدنو أجله وان الخلافة ستؤول من بعده إلى يزيد بن عبد الملك .

ويبدو أن وجهة ابن المهلب بعد هربه كانت مدينة البصرة وهذا أمر طبيعي لكون هذه المدينة موطن اسرته من المهالبة ومستقر قبيلته الأزد اليمنية . وتذكر المصادر أنه لم يمض على دخول ابن المهلب وقت طويل حتى تمكن من السيطرة على هذه المدينة ولكنه فوجئ باجراءات عدي بن ارطاة عامل الخليفة على البصرة قبل دخول ابن المهلب المدينة التي

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٧٦ .
(٢) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٦٤ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه .

تتلخص بأخذ أهل بيته الموجودين في البصرة وزجهم في السجن بناء على أوامر الخليفة الأموي يزيد .

حاول ابن المهلب الاتصال بعدي بن أرطاة من خلال مراسلات عدة عرض فيها ابن المهلب على عدي اخلاء اهله وجماعته مقابل أن يصالحه على البصرة ، ويقوم هو بتصفية حسابه مع الخليفة يزيد ولكن عدياً رفض هذا العرض . فلجأ ابن المهلب إلى استمالة الناس إليه فانضمت إليه القبائل اليمنية كالأزد وربيعة أما بقية تميم وقيس فقد ظلت في صف الوالي الأموي للعداء الذي كان بين هذه القبائل والقبائل اليمنية . ولكن هذا الولاء لعدي لم يدم طويلاً لأنه في الوقت الذي كان فيه ابن المهلب يوزع الذهب والفضة على من ينضم إليه من الناس ، كان عدي لا يعطي مؤيديه إلا درهمين درهمين ، الأمر الذي أدى إلى تراخي أنصاره من قيس وتميم ، بل وبعض جند الشام ، وأخذوا يتفرقون عنه ، فانتهت الحال بعدي إلى أن غدا قليل الأنصار واضطر إلى الإلتجاء الى قصر الامارة الذي كان يضم أيضاً من كان قد سجنهم من المهالبة (١) .

ولكن قبل الوصول الى هذه النتيجة لا بد لنا من تتبع دور القبائل اليمنية وقياداتهم في تطور الأحداث التي جعلت بالنهاية والي الأمويين يلتجئ الى معقله الأخير القصر .

فيذكر أنه لما فشلت مفاوضات ابن المهلب مع والي الأمويين بدأ ابن المهلب يعد نفسه لمواجهته عسكرياً فأخذ يجمع قواته ويعبأهم تحت قيادة اخوته مثل عبد الملك بن المهلب ومحمد ابن المهلب .

بينما واجه والي الأمويين جيش ابن المهلب بجيش منظم تعداده من أهل اليمن قيادة وجنداً فقد ذكرت المصادر وجود اعداد من قبائل الأزد ، وبجيلة ، وخثعم ، وكان أبرز قادة جنده زياد بن عمر العتكي (٢) الأزدي اليمني .

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٨٠ .

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٧٩ ـ ٥٨٠ .

ولما التقى الجانبان على أرض المعركة لم يدم القتال طويلاً حيث تمكن ابن المهلب من دحر عدي بن أرطاة وجيشه وانسحابه الى قصره متحصناً به . لكن ابن المهلب لم يتركه ولحق به في موقع القصر وجرت بين الطرفين معركة أخرى تمكن خلالها ابن المهلب من قتل بعض فرسان عدي وقد كان معظمهم من أهل اليمن مثل موسى بن وجيه الحميري ، ثم تقدم ابن المهلب نحو السجن فأخرج أهله وآل عشيرته منه وزج بابن ارطاة مكانهم (١) .

وفي تلك الفترة كان يزيد بن عبد الملك ، بناء على وساطة أحد أقرباء ابن المهلب ، قد بعث بأمان للمهالبة جميعاً ، ولكن حين عاد الوسيط بالأمان من دمشق كان يزيد بن المهلب قد حقق نصراً كبيراً واستولى على قصر الإمارة وحبس عدي بن أرطاة وحث الناس على جهاد أهل الشام لأن جهادهم في رأيه أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم (٢) . وقد أثارت هذه الدعوة الحسن البصري الذي ما تزال ذاكرته عامرة بأخبار ما ارتكبه يزيد بن المهلب من أعمال حين كان والياً على العراق زمن سليمان بن عبد الملك ، فدعا الناس إلى الانفضاض من حوله . ولكن دعوة حسن البصري هذه لم تلق قبولاً من الناس ، وظل أمر ابن المهلب في صعود فخرج من البصرة بعد أن تمت له السيطرة عليها وولى مروان بن المهلب ، وتوجه الى واسط حيث بقي فيها بضعة أيام وذلك في أواخر عام ١٠١ هـ ، ثم تركها بعد أن ولى عليها ابنه معاوية وسار الى الكوفة للقاء جيش الشام بقيادة مسلمة بن عبد الملك الذي وجهه الخليفة لحربه (٣) .

كان لوقع انتصارات ابن المهلب هذه وقع ايجابي في نفوس الناس فازداد تجمعهم حوله وقام ابن المهلب بدوره فعبأهم في كتائب مقاتلة جعل على رأس كل كتيبة قائداً من أهل اليمن فقد جعل على ربع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن المغفل الأزدي ، وعلى ربع مذحج وأسد النعمان بن ابراهيم بن الأشتر النخعي ، وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحاق

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٨٢ ـ ٥٨٣ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٨٧ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٨٧ ، ٥٩٠ .

ابن محمد بن الاشعث الكندي ولم يخرج عن هذه التعبئة اليمنية إلاّ همدان فقد كانت تحت قيادة عتاب بن ورقاء التيمي كما كانت قيادة هذه الكتائب جميعها تحت قيادة المفضل ابن المهلب(١).

ومن جانب آخر لو تفحصنا تشكيل الجيش الأموي لوجدنا ثقل أهل اليمن به واضحاً فقد كان بين صفوفه ، سيف بن هانئ الهمداني على رأس بعث من الكوفة ، وسبرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي على رأس بعث آخر ، ثم عبد الرحمن بن سليم الكلبي(٢).

ولما التحم الجيش الأموي بجيش ابن المهلب جعل مسلمة بن عبد الملك على ميمنته من أهل اليمن جبلة بن مخرمة الكندي وعلى ميسرته زفر بن الحارث العامري وسيف بن هانئ الهمداني .

أما يزيد بن المهلب فقد خرج لمواجهته وعلى ميمنته أخيه حبيب بن المهلب وعلى ميسرته أخيه المفضل بن المهلب(٣).

ويبدو أن الجيشين خاضا معركة حامية أسفرت عن مقتل يزيد بن المهلب وانهزام جيشه وقد ذكر أن الذي قتل يزيد بن المهلب رجل من أهل اليمن كان في جيش بني أمية من بني جابر بن جناب الكلبي . ثم احتزَّ رأسه وأرسل إلى يزيد بن عبد الملك كما قتل في نفس المعركة أخويه حبيب ومحمد(٤).

وتحولت المعركة من المجابهة إلى عمليات مطاردة فلول ابن المهلب وتمكن الجيش الشامي من دخول معسكر يزيد بن المهلب حيث أسر ثلاث مائة رجل ضربت رقابهم جميعاً(٥).

كما أرسل مسلمة بن عبد الملك قائد من أهل اليمن هو مدرك بن ضب الكلبي في طلب

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٥٩١ ـ ٥٩٢ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ج ٦ ص ٥٨٤ ، ٥٩٣ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه : ج ٦ ص ٥٩٥ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨ .

من بقي من آل المهلب فأدرك مدرك المفضل بن المهلب وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم ، فقاتلهم فتمكن من قتل المفضل بن المهلب والنعمان بن ابراهيم بن الاشتر النخعي ومحمد بن اسحاق ابن الاشعث الكندي وجرح عثمان بن اسحاق بن الاشعث الكندي جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى الى حلوان ، فدل عليه ، فقتل وحمل رأسه الى سلمة بالحيرة وكان ممن أعطي له الأمان من رجالات أهل اليمن عند مسلمة بن عبد الملك مالك بن ابراهيم بن الاشتر النخعي وكان الذي طلب لمالك الأمان رجل من بني قومه يدعى الحسن ابن عبد الله الحضرمي (١) .

ولما وصلت فلول آل المهلب الى موقع قندابيل من شاطئ السند استدعى مسلمة بن عبد الملك قائده اليمني الذي أوكل إليه مهمة مطاردتهم مدرك بن ضب الكلبي وأمر هلال بن أحوز التميمي ان يقوم بمتابعة هذه المهمة حيث التقى بهم وقاتلهم حتى تمكن من قتلهم جميعاً باستثناء اثنين منهم استطاعا النجاة هما أبو عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل ولحقا بخاقان ورتبيل (٢) . وأرسلت رؤوس القتلى إلى يزيد بن عبد الملك فعلقها في الشام وحلب . أما النساء فقد أراد مسلمة أول الأمر أن يبيعهن بيع الرقيق ، ولكنه تخلى عن ذلك بعد أن تدخل رجل من وجوه أهل الأزد كان الى جانبه في قتال ابن المهلب هو الجراح بن عبد الله الحكمي . وأرسل مسلمة تسعة فتية أحداث الى يزيد بن عبد الملك فأمر هذا بأن تضرب أعناقهم كما صودرت أموال المهالبة امعانا في التنكيل بهم (٣) .

وهكذا انتهت أسرة يمنية عظيمة ، كان للكثير من أبنائها دور بارز في الأحداث السياسية والعسكرية التي جرت زمن الأسرة الأموية .

وفي ختام هذا البحث نجد أنفسنا أمام تساؤل مهم هو : هل فعل الخليفة الأموي

---

(١) ـ الطبري : ج ٦ ص ٦٠١ ،
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٦٠٢ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٦٠٢ ـ ٦٠٣ ، ٦٠٦ .

يزيد بن عبد الملك كل ما فعله بآل المهلب بسبب علاقة شخصية أم بفعل عصبية قبلية ؟ .

في واقع الأمر فإن الباحث لا يستطيع أن يحذف دافعاً ويبقي على الآخر من هذين الدافعين ، لذلك نقول : إن هذين الأمرين جاءا مكملين لبعضهما بعضاً في سياسة يزيد ابن عبد الملك تجاه المهالبة بشكل خاص وأهل اليمن بشكل عام .

وان المتتبع لتطور مراحل صراع أزمة العصبية القبلية في بلاط البيت الأموي ، يجد أن الخليفة عبد الملك بن مروان عند ما اعتلى عرش الخلافة حاول أن يعيد للقيسية شيئاً من نفوذها وسلطانها التي فقدتهما بعد معركة مرج راهط وقد أراد عبد الملك بتصرفه هذا إيجاد نوع من التوازن بين القوتين اليمنية والقيسية ، غير أن هذا التوازن الذي أوجده عبد الملك لم يدم طويلاً واستمر نفوذ القيسيين بالازدياد ولا سيما في عصر الحجاج حيث بلغ نفوذهم درجة عالية ، ولما جاء يزيد بن عبد الملك عاد ارتقاء القيسيين ورعاه نظراً لما كان بينه وبين آل الحجاج من صهر ، فكان ما ذكرناه في الصفحات السابقة من قضائه على قوة كبيرة من أهل اليمن كان لها شأنها العظيم في تاريخ الدولة الأموية يزيد بن المهلب الأزدي ، وجاء بعد ذلك تعيينه لعمر بن هبيرة على العراق وخراسان . فعمر بن هبيرة ، وقيس يتعصب لقيسيته ، وقد أثار تعيينه حفيظة الكثيرين ، لأنه لم يأل جهداً في الإساءة الى قبائل الأزد والقبائل اليمنية الأخرى بوجه عام ولا سيما من كان منهم يقطن خراسان . وقد عد القيسيون أن النصر الذي تحقق ضد المهالبة هو نصر لهم . ولسنا نشك في ان النزاع الشخصي الذي احتدم زمن الحجاج بن يوسف بينه وبين ابن الأشعث وابن المهلب كان من جملة العوامل التي زادت في شقة الخلاف بين قبائل قيس ويمن ، وواضح مما ذكرناه عن نفسية يزيد بن المهلب ان انتماء الخليفة الجديد الى آل الحجاج وصهره لهم كان من بين العوامل التي حدت بابن المهلب الى الهرب من سجنه واعلان العصيان على الدولة . وحين تم له النصر عليهم وضربهم تلك الضربة القاصمة ، بدا وكأن الخليفة يريد بالقضاء عليهم القضاء على العصبية اليمنية بكاملها واقتلاعها من جذورها . واكتملت هذه الصورة حين ولي العراق

ابن هبيرة وأطلق يده ـ وهو القيسي المتعصب ـ في حكم هذا الاقليم يعيث فيه قتلاً وجوراً وظلماً .

وقد يكون من الانصاف أن نقول ان ما تم في العراق بأهل اليمن زمن يزيد بن عبد الملك ليس بالضرورة نتيجة لخطة سياسية مدبرة مسبقاً وتهدف الى القضاء على اليمنية ، بل ربما كانت مجرد رغبة في الانتقام من المهالبة الذين صبوا سهامهم نحو ملكه واعلنوها عليه حرباً هددت وجود دولته بل وشخصه بالذات . والسبب الذي يدعونا الى هذه الفرضية النهج السياسي الذي سار عليه في دمشق . ففي الشام لا نجد يزيداً يحابي القيسية على اليمانية ، بل نراه يعتمد على اليمنية اعتماداً كلياً ، حتى الجيش الذي أرسله لمحاربة المهالبة كان في غالبيته من القبائل اليمنية ، وكان قاتل يزيد بن المهلب يمني رجل من كلب كما يذكر الطبرى ، وكان الكلبيون هم الذين تعقبوا المهالبة الهاربين وأبادوهم . وكل ذلك يظهر أن التهمة التي يوجهها البعض إلى يزيد بن عبد الملك من أنه بعث روح العصبية القبلية بين اليمنيين والقيسيين تهمة مبنية على بعض المظاهر والاحداث دون التعمق في جميع جوانب حكم هذا الخليفة .

وفي نهاية الحديث عن دور اليمنيين في خلافة يزيد بن عبد الملك لا بد لنا أن نذكر أن عهد هذا الخليفة لم يكن عهداً متميزاً بالاعمال العسكرية الكبيرة في الخارج من هنا جاء ذكر قادة أهل اليمن في عهده مقتضبا ولم يكن لهم أى ذكر ما عدا قائد واحد هو الجراح بن عبدالله الحكمي من الازد حيث استعمله الخليفة يزيد على أرمينية وأمده بجيش كبير ، الأمر الذي ساعد الجراح على تحقيق بعض الفتوح في تلك البلاد النائية (1)

ويبدو أنه كان يريد أن تكون الخلافة من بعده لابنه الوليد ، ولكن ابنه كان صغير السن ، فنُصح بأن يجعل الخلافة من بعده لأخيه هشام ، فقبل النصيحة وعهد بالخلافة لأخيه ومن بعده لابنه الوليد .

---

(1) ـ الطبرى : ج ٧ ص ٢١ . ويذكر أن الخليفة هشام أبقى الجراح على أرمينية حتى قتل في حربه مع الترك سنة ١١٢ هـ ، بنظر الطبرى : ج ٧ ص ٦٧ .

اليمانيـــون في عهد الخليفـة هشـام بن عبد الملك :

يذكر الاخباريـون في مصادرهم أن هشاماً وصلته شارات الخلافـة الأموية بعد وفـاة أخيه يزيد وهو في مدينة الرصافة وكان هشام على ما يبدو يحب هذه المدينة بدليل أنه أقام بها بعد أن أصبح خليفـة .

وعن صفاته يتحدث الإخباريون فيذكرون أنه كان على عكس أخيه يزيد بعيد النظر في سياسـته ، طيب السيرة ، جرئياً في تنفيذ مشروعاته ، كما يصفونه بأنه لم يكن كسلفه عمر ابن عبد العزيز من حيث التدين والاعراض عن كل ما هو دنيوي (١) .

أما عن علاقته باليمانيين وهو جوهر ما نريد التعرف عليه ، فقد ذكر أن هشاماً أظهـر ميلاً واضحاً لليمانية منذ مطلع حكمه ، وجفوة للقيسـية الذين عاثوا في الأرض فساداً زمن أخيه وكان أول ما فعله بعد توليه الخلافـة أن عزل عمر بن هبيرة القيسـي المتعصب لقيسـيتـه في أخيه يزيد على العراق ، وعيّن بدلاً منه رجل يمانياً من قبيلة قسر هو خالد بن عبد الله القسري وذلك في شهر شوال سنة ١٠٥ هـ (٢) .

وتعدّ ولايـة خالد على العراق في نظر كثير من المؤرخين من أهم أحداث فترة خلافـة هشام فقد ذكر أنه كان في مصاف زياد بن أبيـه والحجاج بن يوسـف الثقفي ، وذلك من خلال ما قدمه هذا القائد اليمني من خدمات عظيمة للبيت الأموي في عهد الخليفـة هشـام الى جانب ما قدمه أبناء قومه من عرب الجنوب .

وحول تعيين خالد بن عبد اللـه في هذا المنصب يذكر الطبري أنه لم يكن لهذا الأمـر رد فعل إيجابي في نفوس القيسـيين بل على العكس من ذلك اذ أشعل في صدورهم ناراً من

---

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٠١ وما بعدها .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٦ .

الضغينة والضيق والحسد بإعتباره آتياً بدلاً من أحد زعمائهم المتعصبين لهم والمدافعين عنهم بالإضافة لعدم تفاؤلهم بولايته ظناً منهم بأنه سينتقم لكل ما فعله زعيمهم عمر بن هبيرة بحق أهل اليمن . وقد تجلى سخطهم على تعيين هذا الوالي اليمني بقول أحد ساداتهم ((... والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلاّ بأهل اليمن ، هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وأن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب))[1] .

ولم يكن هذا السيد القيسي هو أول من صرح بكرهه لأهل اليمن بسبب تبوئهم المناصب العالية في الدولة الأموية ، بل سبقه الى ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي عند ما قال في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث ((... والله ما كانت فتنة قط فخبت حتى قتل عظيم من عظماء أهل اليمن))[2] .

ولكن مهما يكن من أمر القيسيين ، فيبدو أن هشاماً لم يكتف بجعل السلطة السياسية بيد أهل اليمن بالعراق بل أوكل اليهم أيضاً قضاء الكوفة والبصرة ، فقد جعل على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس[3] .

وفي منطقة دمشق كان لأهل اليمن نفس المركز السياسي الذي توسده في القسم الشرقي من حاضرة الخلافة الأموية ، فقد عين الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ولاة منهم على كل من فلسطين وحمص والجزيرة[4] . وأصبح أهل اليمن بذلك حكاماً لمعظم أمصار الدولة الأموية .

ومما يذكره المؤرخون عن دور أهل اليمن في عهد الخليفة هشام ، أن خالد بن عبد الله القسري عين أخاه أسداً على ولاية خراسان في العام التالي من ولايته على

---

(١) ــ الطبري : ج ٧ ص ٢٦ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٣٦٠ .
(٣) ــ الطبري ج ٧ ص ٢٨ .
(٤) ــ السمعاني : الأنساب ، ص ٤٨٩ .

العراق وذلك في سنة ١٠٦ هـ . وقام على أثر ذلك أسد بن عبد الله القسري بتوطيد سلطة رجال أهل اليمن في منطقة خراسان ، فقام بعزل عاصم بن هانيء عن سمرقند وجعل مكانه رجل من بني قومه هو الحسن بن أبي العمرط الكندي وانتقل بعد ذلك مباشرة الى اعداد الجيوش وتعبئتها للقيام بأعمال الفتوح والجهاد ونشر الرسالة وتحقيق أكبر كمية ممكنة من المكاسب والغنائم المادية . من هنا نجد أن أعماله العسكرية لم تأخذ منه انتظاراً طويلاً بعد توليته أمر خراسان ، ففي عام ١٠٧ هـ غزا أسد بن عبد الله المنطقة المسماة بجبال نمرون ما يلي جبال الطالقان ، فصالحه ملكها وأسلم على يديه ، ثم تابع تقدمه إلى منطقة الغور[١] . وفي العام التالي غزا منطقة الختل ومنطقة غورين[٢] .

بيد وأن جهاده هذا لم يشفع له عند الخليفة الأموي فقام بعزله عن ولاية خراسان وذلك بسبب تعصبه الأعمى ليمنيته وضربه القيسية ، وقد اعتقد أن سياسته هذه لم تجد من يقف في وجهها نظراً لقرابته من الخليفة الأموي ووالي العراق الى جانب القوة اليمنية الكبيرة التي كانت تأتمر بأمره .

وقد أوضح هذا الجانب الطبري في تاريخه وذلك عندما سئل أسد بن عبد الله عن أمر القيسيين حيث قال فيهم : ((... أهل الشقاق والنفاق ، والشغب والفساد اللهم فرق بيني وبينهم ، واخرجني الى مهاجري ووطني ، وقل من يروم ما قبلي أو يترمرم ، وأمير المؤمنين خالي وخالد بن عبد الله أخي ومعي اثنا عشر ألف سيف يمان))[٣] .

ومهما كان من أمر ، فإن الخليفة عزل أسداً عن خراسان ولكن لم يعن هذا العزل تحولاً في سياسته تجاه اليمانية في تلك المنطقة اذ سرعان ما أرسل إليها رجلاً يمنياً آخر لتولي أمرها هو الحكم بن عوانه الكلبي[٤] .

---

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٤٠ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٤٣ ، ٤٦ .
(٣) ـ الطبري : ج ٧ ص ٤٧ ، ٤٩ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٤٩ .

ولم يقف هشام عند هذا الحد في تلك الفترة في محاباته لليمنين بل نجده يعزز مكانتهم بتوليته منهم الجراح بن عبدالله الحكمي — من الازد — على أرمينية ، حيث بقي عليها والياً حتى قتل في احدى معاركه مع الترك سنة ١١٢ هـ . وقد أبلى قومه الازد بلاءً حسناً في المعارك اللاحقة لاستشهاده فأصابوا من الترك مقتلة عظيمة الى جانب استشهاد أعداد كبيرة منهم أيضاً (١) . وقد استدعت هذه المعارك طلب نجدات من والي الكوفة فجهز خالد بن عبدالله جيشاً تعداده (٢٠) عشرون ألف مقاتل بقيادة فارس من أهل اليمن هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الازدي لهذا الغرض (٢) .

وقد ذكر الطبري أن أسد بن عبدالله القسري بقي دون أي منصب سياسي بعد عزله عن خراسان حتى سنة ١١٧ هـ حيث أعيد اليها ثانية بعد أن أمر الخليفة بعزل واليها عاصم بن عبدالله وضمها الى خالد بن عبدالله أمير العراق فقام هذا الاخير باعادة أخيه أسد عليها (٣) .

كان أول عمل قام به أسد بن عبدالله في بداية ولايته الثانية على خراسان هو قتاله لدعاة العباسيين ، ثم استئنافه قتال الترك وسحق قواتهم على أثر خوض معارك عديدة جنى منهم بنتيجتها أرباحاً مادية كبيرة وغنائم كثيرة إلى جانب مشاركة يمنية واسعة نالت هذه الانتصارات كل تقدير واعجاب من الخليفة هشام (٤) . وذلك في عام ١١٩ هـ .

غير أن قمة انتصارات والي خراسان اليمني كانت في تلك الفترة تتجلى في تمكن هذا الوالي من قتل ملك الختل كما قام أخوه أمير العراق في نفس العام بمحاربة الخوارج من الحرورية وتمكن من القضاء عليهم (٥) .

---

(١) — المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٧٣ — ٧٥ .
(٢) — الطبري : ج ٧ ص ٧٩ — ٨٠ .
(٣) — المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٩٩ .
(٤) — المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ١١٣ — ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ .
(٥) — المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٣٤ ، ١٣٧ — ١٣٨ .

ويذكر الطبري أن أسد بن عبد الله القسري استمر في تقديم خدماته الى البيت الأموي وهو وال على خراسان حتى مات فيها في عام ١٢٠ هـ(١).

أما أخوه خالد فقد عاش العراق في فترة ولايته هدوءاً لم يكن مألوفاً في فترات حكم الذين سبقوه فانعكس ذلك بشكل إيجابي على حياة المجتمع الاقتصادية ، وكان سبباً رئيسياً في استقطاب حب الناس على اختلاف مشاربهم على الرغم من عدم خلو فترة حكمه من بعض الفتن من جانب الشيعة والخوارج(٢).

إلى جانب ذلك فقد عرف عن خالد بن عبد الله القسري تسامحه الديني ، فقد ذكر أنه سمح للنصارى بوجه عام أن يبنوا كنائس جديدة كما أمر بنفسه ببناء كنيسة قبالة المسجد الجامع ارضاء لأمه النصرانية وتحمل ما ترتب من سخط عليه من جراء سلوكه هذه السياسة من قبل رجال الدين المسلمين .

أما مع اليهود فلم يكن بتسامحه معهم أقل من أصحاب الديانة النصرانية ، واستعمل أشخاصاً ذميين ومجوس في أعمال الخراج وبعض الأعمال الادارية(٣).

وقد أثارت سياسته وتصرفاته كثيراً من الاقاويل ونسبت إليه أحاديث في ذم المسلمين وتقد ساتهم(٤).

وقد جاء طعن خالد أيضاً من ناحية أخرى ما كان يظن أنها ستسبب له طعناً وهذه الناحية هي قضية اهتمامه الشديد بأمور الزراعة إذ أنه قيل في ذلك أنه كان ينافس الخليفة هشام بن عبد الملك نفسه ونسبت إليه أخبار كثيرة تتحدث عن تجفيف مستنقعات باستملاك

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ١٣٩ .
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ١٣٠ وما بعدها .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ١٣١.
(٤) ـ ابو الفرج : الاغاني ، ج ١٩ ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ، ط . بولاق .

أرضيها ، واصطفائه للأراضي الجيدة الخصبة وتملكه لها قسراً وعند الطبرى قائمة بأسماء ضياعه الكثيرة التي حصل عليها بشكل غير شرعي [1].

كل هذه الأمور جعلت من خالد موضع شكوى الناس ، وكثر الساخطون عليه ، وفسرت أعماله وإصلاحاته الاقتصادية الخيرة بأنها أعمال ليس المقصود منها الصالح العام ، وانما مصالحه الخاصة وزيادة ثروته . ولم تكن خصلة الاهتمام بالزراعة ، واستملاك الأراضي خاصة بهذا الوالي اليمني ، بل كان يجاريه بهذا أمراء البيت الأموى المالك ويفوقه فيها الخليفة ، غير أن المنافسة بين والي العراق والخليفة هشام في هذا المجال كانت جادة على ما يبدو الى درجة كان فيها الخليفة يمنع خالداً من انزال غلاله إلى السوق قبل أن تنزل غلات الخليفة وتباع [2].

على أن الناس لم يتجرؤوا على الخليفة ، فتجرؤوا على عامله الذي كان مركزه محط حديث الناس للأسباب التي ذكرناها من قبل . وقد زاد من سخط الناس عليه اعتقادهم بأن الأموال التي كان يبعثرها لم تكن من غلات ضياعه فقط بل كانت من بيت المال الذى استباحه على حد زعمهم لمآربه وأغراضه الخاصة [3].

وعلى الرغم من كل هذا التذمر الذى تعرض له هذا الوالي اليمني فإنه لبث في امرته على العراق ما يقرب الخمسة عشر عاماً ، وهي باستثناء ولاية الحجاج أطول مدة قضاها والٍ في هذا العصر .

ولكن في النهاية لم يستطع الخليفة صمّ آذانه عن صرخات المتذمرين التي تعالت بفعل تضافر قوم من أشراف قريش كان خالد قد استخف بهم وأهانهم تضافروا مع أعدائه من

---

(١) ـ الطبرى : ج ٧ ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
(٢) ـ الطبرى : ج ٧ ص ١٥٤ .
(٣) ـ فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

القيسيين ، وأوغروا صدر الخليفة عليه وأثاروا في نفس الخليفة الرعب مما قد يقع له هو نفسه نتيجة لازدياد نفوذ خالد . وزاد في شكوك الخليفة وريبته في أمر خالد ظهور هذا الاخير بمظهر الرئيس الكريم السيد ، وتفوهه بكلمات يُشتم منها استخفافه بالخليفة مما جعل الخليفة يعزله ويعين مكانه رجل من قيس هو يوسف بن عمر الثقفي الذي شغل منصب امرة بلاد اليمن لسنين طويلة (١) .

لم يمض وقت طويل على تسلم والي العراق الجديد مهام منصبه في العراق حتى أمر بالقاء القبض على خالد بن عبد الله القسري وزجه في السجن الى جانب عدد من أقاربه وأبنائه مثل أخيه اسماعيل وابنه يزيد وابن أخيه المنذر بن أسد وقد بقي في السجن مدة ثمانية عشر شهراً خرج بعدها دون أن يجد من يقف بجانبه غير أن هذا العقاب لم يكن الوحيد لخالد من قبل يوسف بن عمر الثقفي فقد تردد خالد الى سجنه مرات عديدة . غير أن هناك ما يشبه الإجماع على أن كل قصاص نزل بخالد زمن هشام كان دون رضى الخليفة الأموي ، وأنه كان يندم في كل مرة يوقع فيها قصاصاً بخادمه القديم . وفي السنوات الاخيرة من خلافته أذن له أن يقيم في دمشق آمناً مطمئناً غير هيّاب لأي دسيسة توقع ضده (٢) .

وفي ختام حديثنا نقول : ان هذا الوالي كان له حظوة عالية وقوة عند الخليفة هشام قبل تولي هذا الأخير عرش الخلافة وبعدها . ولكننا لا نستطيع أن نفسر هذه المنزلة التي تبوءها بدافع تعصبه لليمنيين وحبهم وكرهه للقيسية . فمن المثبت تاريخياً عن الخليفة هشام محاولته التنزه عن الحزبية أو العصبية وذلك باقامة نوع من التوازن بين الفرقاء المختلفين في دولته بشكل خاص بين الحزبين القويين القيسيين واليمنيين ومن هنا جعل مكان خالد في العراق يوسف بن عمر الثقفي من كبار رجالات القيسيين ولم يكتف بذلك بل جعل على خراسان أيضاً رجلاً من قيس أيضاً هو نصر بن سيار الذي يقول عنه الطبري في تاريخه أنه لم يستعمل على مناطق خراسان طيلة فترة ولايته عليها غير رجالات مضر (٣) .

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ١٤٧ وما بعدها
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٥٤ وما بعدها
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

- الفصل السادس :

١ ـ أهل اليمن في الخلفاء الامويين والمتأخريـــن ابتداء من عصــــــر الوليد الثانـــي وانتهاء بعصر مروان بن محمد : ٣٥٩ ـ ٣٩٣

أهل اليمن في عهد الوليد الثاني :

تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعروف بـ (الوليد الثاني) عرش الخلافة الأموي بعد موت عمه هشام وذلك بموجب نص الوصية التي أوصى بها أبوه يزيد عندما جعل ولي عهده أخاه هشام ومن بعده ابنه الوليد .

والوليد الثاني في نظر كثير من المؤرخين من أكثر الخلفاء الأمويين شهرة في ميدان اللهو والفسق والمجون[1] .

وقد نشأ الوليد في بلاط عمه هشام . وكان يعرف أن الوليد يشكل حجر عثرة بالنسبة لآماله في ولاية العهد ، فعامله معاملة قاسية وأسرف في ابعاده عن السلطة ، ودفعه الى المجون واللهو أملا منه في أن يسعد في هذا المسلك فيبتعد عن المطالبة في العرش . وقد استغل عمه هشام مجونه وجعله موضع الحديث في مجالسه ليسيء سمعته أمام الناس ويتهيأ الجو لبيعة ابنه[2] .

ولما مات معاوية بن هشام الذي كان يعلق عليه هشام آماله بالنسبة لولاية العهد بدا واضحاً أن الخليفة لن يستطيع ان يقدم بديلاً صالحاً عن الوليد ، اتجه همه لاصلاح ابن أخيه الوليد ، لكن الوقت كان قد فات ، وكانت شخصية الوليد قد تبلورت ولم يعد من السهل تغييرها . فقامت نتيجة لذلك مشاحنات وخصومات بين الخليفة وولي عهده . بغية اجباره للتنازل عن هذا المنصب غير أن الوليد رفض كل هذه الضغوطات ووقف باصرار دون ذلك . وقام على أثر ذلك بترك قصر عمه هشام في الرصافة وانطلق وحاشيته إلى مكان منعزل في الشرق من فلسطين هو (الأزرق)[3] ، حيث نزل عند ماء يقال له (الاغدق) وهناك أمضى وقته ممعنا أكثر من ذي قبل في لهوه ومجونه . وكان في أثناء اقامته يترقب موت عمه بفارغ الصبر . وكان كلما أتاه البريد يسرع الى صاحبه متسائلاً : هل مات الأحوال ؟ .....

---

(١) ـ الاغاني : أبو الفرج ، ج ٧ ص ٢ ، ط . دار الكتب

(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢ .

وبعد انتظار طال على الوليد ، مات هشام فتنفس هو وصحبه الصعداء واحتفلوا بهذه المناسبة بشراب كثير ولهو أكثر (١) . وكان هشام قد سجن في أثناء حياته عياض بن مسلم كاتب الوليد فما كاد الموت يغمض جفني هشام حتى ترك عياض سجنه وأسرع الى القصر فختم أبواب الخزائن بما فيها واتخذ اجراءات عديدة كان اعظمها انزال الخليفة هشام المتوفي عن فراشه الذي كان مسجاً عليه . وأمر بأن يحمل الى خارج الغرفة التي كان فيها (٢) . وسارع عياض لإرسال شارات الخلافة إلى الوليد ، كما أبلغه بتفاصيل ما قام به . وكان أول ما فعله الوليد بعد أن آلت إليه الخلافة أن أمر بأن تُحصى أموال هشام ، وأن تصادر ، وأن يؤخذ أبناؤه وعماله وحاشيته وأن يعاملوه أشنع معاملة . فضرب سليمان بن هشام مائة سوط ونفاه إلى عمان حيث أمر بسجنه هناك ،كما سجن يزيد بن هشام (٣) . وحاول أن ينتقم من بني القعقاع لأنهم وافقوا هشاماً على خلعه . وكان أحد رجالهم عاملاً على قنسرين ، وكان آخر عامل على حمص فعزلهما الوليد ودفعهما الى عدوهما يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري فتولى تعذيبهما حتى ماتا . وكانت بينه وبين بني القعقاع عداوة لأنّ رجلاً من بني القعقاع كان قبل عشرين عاماً قد ضرب عمر بن هبيرة أباه مائة سوط بأمر الخليفة هشام (٤) .

وقام الوليد الثاني بعزل جميع عمال عمه هشام وجعل معظم ولاته على اقاليم الدولة من رجالات قيس وأبعد رجالات أهل اليمن ولم يستبق منهم غير الابرش الكلبي في منصب مستشار واعتمد عليه كما اعتمد عليه عمه هشام من قبل .

غير أن اجراءات الوليد الثاني وسياسته التي اتبعها في ادارة شؤون الدولة لم تحجب عنه صوت المعارضة وكانت أولى حركات المعارضة التي واجهها في خلافته ثورة يحيى بن

---

(١) ـ ابو الفرج : الاغاني ، ج ٧ ص ١٦ وما بعدها
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢١٥
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٣٢ .

زيد الذي رأى أن الفرصة مواتية ليعلن ثورته ضد البيت الأموي ، ونفذ يحيى ما اعتزم القيام به من اعلان الثورة ولكنه أخفق واستطاعت قوى الدولة الأموية أن تقبض عليه وأن تقتله ـ كما قتلت أباه من قبله ـ وتحتز رأسه ، وترسله الى الخليفة الوليد .

ولما وصل رأس يحيى بن زيد الى الوليد أمر بجمع رجالات الدولة ليروا الرأس منحوسا عبرة لمن تسول له نفسه التجرؤ على سلطان الخليفة واعتبرت المناسبة لتجديد الولاء للخليفة فأخذ الناس يقبلون على دار الخلافة مهنئين . ووصلت أخبار هذه التظاهرة السياسية التي استغل فيها رأس حفيد الرسول (ص) الى المشرق فازدادت نقمة الناس، وكثر القيل والقال فيهم . وزاد في تأزم الوضع أن الخليفة الوليد أرسل كتاباً إلى واليه على العراق يوسف بن عمر الثقفي يقول له فيه : ((فانظر عجل العراق فاحرقه ، ثم انسفه في اليم نسفاً))[1] . فعمل يوسف ما أمر به سيده ، وأنزل جثة يحيى بن زيد وكانت معلقة وأحرقها ثم ذرها في نهر الفرات .

كانت هذه الحادثة نقطة البدء في استشراء النقمة على الوليد وقد زاد الأمور سوءاً ما كان من تعذيب والي العراق السابق خالد بن عبدالله القسري أحد أبرز زعماء اليمنيين في تلك الفترة ثم مقتله بالحيرة فيما بعد سنة ١٢٦ هـ[2] . وقد أدت هذه العملية الثانية إلى قيام موجة استياء عامة في نفوس اليمنية كان وقعها أشد من مقتل يحيى وأبيه ذلك لأن خالداً كان أشد الناس اخلاصاً لبني أمية وحلفائهم ، ولأنه كان وقومه من الذين عانوا في خدمة هذا البيت فهو اذن لا يستحق هذا المصير الذي انتهى إليه .

واذا أضفنا إلى اخلاص هذا القائد اليمني للبيت الأموي بشكل عام فإن لخالد يداً على الوليد الثاني كان عليه ألا ينساها ، وهي أنه أبى أن يوافق هشاماً على خلع الوليد الثاني

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٣٠ .
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٥٨ وما بعدها .

وظل مخلصاً له بعد خلافته ورفض نصيحة رجاله بالثورة ضده وقال لهم :
((فإني أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي))[1] .

وقد عدّ اليمنيون مقتل خالد إهانة لهم ، واعتبروا الخليفة الوليد ويوسف بن عمر الثقفي وآل الحجاج مسؤولين عنه . ولأول مرة في تاريخ النزاعات القبلية تتوحد القبائل اليمانية بالعراق والشام وتتخذ موقفاً موحداً من الخليفة الأموي بسبب الذي حل بخالد وكان أشد القبائل اليمانية نقمة على الخليفة بنو كلب بالشام ، لأنهم عرفوا خالداً بعد أن قضى أيامه الأخيرة عندهم بدمشق ، وصار له بينهم أصدقاء كثر . وتحولت نقمة أهل اليمن من صراع بينهم وبين القيسية إلى نقمة فاعلة محصورة بالخليفة بالذات الذي عدّ مسؤولاً عن دمه أهدر لا عن إثارة عصبية قيسية ضده .

والدليل على أن النقمة اليمانية انحصرت بالخليفة ، أن هذه النقمة لم تصدر عن اليمانية فحسب ، بل انضم إليهم بعض من قبائل قيس مثل بني عبس ، لأن الخليفة بالنسبة إليهم مسؤول أيضاً عن نكبة آل القعقاع الذين هم منهم ، كما أشرنا آنفاً .

وهكذا انقسم عالم القبائل العربية في هذه الفترة الى قسمين : قسم مع الخليفة ويضم رجالاً قلائل من اليمانية بينهم بهرانية حمص وبعض من بني عامر من كلب ، وبعض من بني سليم بن كيسان ، وأضيفت إلى هذه الدماء التي سفكت باسم الخليفة أقوال واشاعات تتهم الخليفة بالزندقة ، وعدم الايمان بالاسلام .

وخلاصة القول كما يقول الطبري : ((فاجتمع على قتل الوليد (الثاني) جماعة من قضاعة واليمانية من أهل دمشق))[2] . وكان أبرز وجوه أهل اليمن في هذه المؤامرة حريث وشبيب بن أبي مالك الغساني ومنصور بن جمهور الكلبي ويعقوب بن عبد الرحمن وحبال

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٥٨ .
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٢٣ .

ابن عمرو ، ابن عم منصور الكلبي ، وحميد بن نصير اللخمي وغيرهم (١) .

ويبدو أن اليمنيين حاولوا جمع جميع المعارضين ضد الوليد وتنظيمهم وجعلهم قوة واحدة تقف في وجهه وبشكل خاص من كان على خلاف مع الخليفة من البيت الأموي كيزيد بن الوليد الأول ومن رأى رأيه .

وكان أول اجراء اقترحته اليمانية ضد الوليد الثاني هو محاولة خلعه ومبايعة يزيد بن الوليد بدلاً منه (٢) . ولما بلغ يزيد بهذا الأمر سُرَّ سروراً عظيماً ولجأ إلى أقرب المقربين إليه يشاورهم وكان هؤلاء المقربين معظمهم من أهل اليمن كما يذكرهم الطبري مثل عمرو بن يزيد الحكمي والأحنف الكلبي ويزيد بن عنبسة السكسكي حيث تولى هؤلاء أخذ البيعة ليزيد بن الوليد سراً (٣) .

وقد زاد في شعور الناس الناقمين على الوليد أن عليهم أن يعملوا بسرعة للتخلص من الخليفة ، وأن شائعات بدأت تتسرب مفادها أن الخليفة عازم على أن يجعل ولاية العهد من بعده لابنيه الحكم وعثمان ، وكانا غلامين صغيرين دون سن الحكم (٤) ، وهما لأمين من الجوارى . وكان التقليد حتى الآن أن لا يكون الملك لابن جاريه . وانضم إلى يزيد أبناء هشام وغيرهم من رجالات الأسرة المروانية ، لا سيما بعد أن سرت شائعة مفادها أن الوليد الثاني يريد قتلهم وأنه ((اتخذ مائة جامعة وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني أمية ليقتله بها)) (٥) .

وقد التف هؤلاء الأمراء الناقمون من أبناء الوليد الأول وهشام حول بعضهم البعض وانضم إليهم رجال من وجوه أهل اليمن وبشكل خاص من بني كلب قاموا بمساعدتهم وتنظيمهم وتسهيل

...

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، نفس الجزء والصفحة .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٣٧ .
(٣) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٣٧ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ج ٧ ص ٢١٨ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٣٢ .

حركتهم في دمشق ، وكانوا في غالبيتهم من طبقة العمال المعزولين ، وهم الذين أرادوا أن يشركوا معهم خالداً القسري ولكنه أبى[1] .

ولم يمض وقت طويل حتى هيأ المتآمرون كل شيء لاغتصاب الخلافة التي شغل اليمنيون بها القوة الضاربة[2] ، وعينوا يوماً للقيام بها[3] . وفي اليوم المتفق عليه أقبل يزيد بن الوليد إلى دمشق مع سبعة رجال على حمير ولبثوا في المزة خارجها حيث بايعه سيدها رجل من أهل اليمن هو معاوية بن مصاد الكلبي[4] ، وفي الليل دخل يزيد دمشق سراً وبدأ اتصالاته بأصحابه ، وكان أكثرهم في أطرافها وقراها ونال مبايعتهم أيضاً ثم توجه إلى المسجد مع أصحابه فدخلوه وتغلبوا على حراسه ، ووجدوا فيه سلاحاً كثيراً أخذوه وقلدوا أمرهم ، وحبسوا خازن بيت المال وصاحب البريد وكل من كانوا يحذرونه من رجال الدولة وعمالها . وصادف أن كان في هذه الفترة بالذات عامل دمشق وهو عبد الملك بن محمد ابن الحجاج بن يوسف الثقفي قد خاف وباءاً انتشر في دمشق فتركها وذهب إلى قطنا (قطن) حيث أقام ومن ثم فتحت أبواب دمشق للانقلابيين فدخل من باب الجابية زهاء ألف وخمسمائة رجل من قبيلة كلب اليمنية ، ثم دخل حوالي ثلاثمائة مقاتل يمني آخر من قبيلة السكاسك الكندية من باب شرقي ، كما جاءت قوة يمنية أخرى بقيادة حميد بن حبيب اللخمي في أعداد من مقاتلي أهل اليمن كانوا يسكنون دير المران والأرزة وسطرا فدخلوا من باب الفراديس ، وأقبل يحيى بن هاشم الحارثي في جماعة من بني عذرة اليمنية ودخل مع قبيلة جهينة ومن والاها من باب توما .

وهكذا فتحت كل الأبواب وتدفقت منها خيول الثوار التي شكل اليمنيون قوتها الضاربة إلى جانب من شاركهم من بعض قبائل قيس القليلة جداً بالنسبة لحجم قبائل اليمن في هذه

---

(١) ــ الطبري : ج ٧ ص ٢٣٣ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٣٩ وما بعدها .
(٤) ــ الطبري : ج ٧ ص ٢٤٠ .

الثورة (١) .

ولم يجد يزيد مقاومة تذكر حين دخوله برجاله إلى دمشق لأن أغلب رجال حامية المدينة كانوا في الاقاليم . وفي اليوم التالي بايع أهل دمشق يزيد الثالث ، وأتموا بيعتهم له قبل الظهر .

وبعد أن تولى يزيد الثالث الخلافة في دمشق ، أخذ يعد العدة لمحاربة الوليد الثاني فدعا الناس التطوع وأعلن أن من سار إلى القتال فله ألفان ، فاجتمع الناس فقام يزيد الثالث بتقسيمهم وجعل على رأس كل مجموعة قائداً من أهل اليمن حيث ولى منصور بن جمهور الكلبي طائفة وابن عمه يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي على طائفة وحميد بن حبيب اللخمي على طائفة وجعل القيادة العليا لهذا الجيش بيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمه (٢) .

وعلم الناس بأمر هذه الحملة فخرج رجل من موالي الوليد الثاني على فرس لينقل الخبر إلى سيده في الاغدق . فلما وصل اليه وأبلغه الخبر كان جزاؤه أنه ضربه مائة سوط وعنفه أشد التعنيف . وتدارس الوليد الامر مع أصحابه فأشاروا عليه أن ينسحب إلى حمص أو إلى تدمر أو إلى حصن قريب (٣) . ولكنه لم يفعل . وحين علم باقتراب زحف أهل اليمن بقيادة عبد العزيز بن عبد الملك من دياره ترك الاغدق والتجأ إلى حصن قريب ومعه مئتا رجل . ثم أمده من تدمر بعض فوارس بني عامر من كلب بقيادة ابن أخ الابرش الكلبي .

وكان الرسل يأتون إلى الوليد الواحد بعد الآخر حاملين له أخبار الحملة القادمة إليه ، ولكنه كان قليل الاكتراث لا يعد للأمر ما يستحقه من عدة . وظل حاله كذلك حتى شاهد جند الحملة بأم عينه . وعوضاً عن أن يلتف حوله جنده ، نجدهم يطالبونه بدفع الأموال لهم

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٤٣
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٤٣ .

ويلحون في طلب الدفع ، سيما وأنهم علموا أن ما عنده من أموال قد قل وبدأت البلبلة في صفوف جنده ، وأخذ رجاله ينفضون من حوله ، وقد سهل هذا مهمة المقاتلين اليمنيين ورغم أن الوليد الثاني قد قاتل قتالاً شديداً إلاّ أن انفضاض جنده عنه جعله يبقى في الميدان وحيداً . فانسحب إلى داخل الحصن وحاول أن يخاطب الجند الموجودين في الخارج ، وأن يستثير نخوتهم ، ولكن دونما جدوى . فعاد إلى غرفة في داخل الحصن وجلس وقال : ((يوم كيوم عثمان)) فدخلوا عليه وقتلوه[1].

وذكر الطبري أن الذي تولى عملية القتل رجال من أهل اليمن كان أبرزهم الذي ضرب رأسه بالسيف هو عبد السلام اللخمي واحتز أبو علاقة القضاعي رأسه وقد شاركهم في هذه العملية رجال من بني قومهم اليمنيين مثل يزيد بن عنبسة السكسكي الذي كان أول فارس علا جدار الحصن ونزل بداخله ثم نزل بعده منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبيان ، وحميد بن نصر اللخمي وكان أول من نادى يزيد الثالث بالخلافة بعد قتل الوليد الثاني يزيد بن عنبسة السكسكي اليمني[2].

وقد أثبت اليمنيون الذين دعموا البيت الأموي لمدة طويلة من الزمن مقدرتهم على ترجيح الكفة التي يكونون بجانبها ، وترتب على أثر قتلهم الخليفة الأموي الوليد الثاني أمور كثيرة ، كان أهمها ازدياد البغض والعداوة بين القبائل ، وانهيار الجبهة الأموية في الشام ، وضياع هيبة الخلافة وقد حدثت هذه الأحداث الكبيرة في صرح الخلافة الأموية سنة ١٢٦ هـ وهي السنة نفسها التي اعتلى فيها يزيد الثالث عرش الخلافة الأموية وابراهيم بن الوليد .

ومهما يكن من أمر ، فقد استهل يزيد الثالث فترة بدء خلافته بالقاء خطبة شرح فيها

---

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٤٧ .

الظروف التي جاءت به الى الحكم ، والمنهاج الذي سيعتمده في الحكم ، وخطته في العمل بشكل عام ، وما كاد ينتهي من هذه الخطبة حتى تقدم الناس منه يجددون له البيعة . وعلى الرغم أن عهده لم يطل فاننا نستطيع القول انه كان اجمالا يعتمد على اليمانية ، وخصوصاً بني كلب اعتماداً كلياً . فقد عزل في زمنه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق ، وولى هذا القطر عوضاً عنه رجل من أهل اليمن هو منصور بن جمهور الكلبي . أما يوسف بن عمر فقد لاقى نفس المصير الذي آل إليه خلفه خالد بن عبد الله القسري فقد ألقي القبض عليه وزج في السجن في دمشق حتى مات الخليفة يزيد الثالث ، ولقي مصرعه قبيل دخول مروان الثاني دمشق على يد يزيد بن خالد القسري ثأراً لأبيه.(1)

وقد دخل الوالي اليمن منصور بن جمهور الكلبي العراق وحط رحاله في مدينة البصرة ثم انتقل إلى الكوفة واستولى على ما في بيت المال من أموال ، وأمر باخلاء المساجين ، ودفع المتأخر من العطاء لأصحابه . ولم يلق مقاومة تذكر في هذا الاقليم . على أن ولايته لم تطل إذ أن يزيداً قد عزله ، وأرسل عوضاً عنه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز(2).

أما في سجستان والسند فقد استسلم الناس إلى العهد الجديد دونما مقاومة تذكر وولى الأمر في هذه البقعة رجل من أهل اليمن من قبيلة كلب . أما نصر بن سيار والي خراسان ومروان بن محمد والي أرمينية والجزيرة فقد رفضا الاعتراف بالأمر الواقع ولم يسلما بالتسليم ما بأيديهما من صلاحيات لممثلي الخليفة الجديد(3). ولم يتح للأمور أن تتعقد أكثر من ذلك لأن يزيد الثالث ما لبث أن توفي في سنة ١٢٦ هـ نفسها ، بعد حكم لم يدم سوى ستة أشهر وكان قبل وفاته قد أخذ البيعة من الناس لأخيه ابراهيم بتشجيع من جماعة القدريسة كما يروي الطبري(4).

---

(١) ــ الطبري : ج ٧ ص ٢٧٤.
(٢) ــ المصدر السابق نفسه ج ٧ ص ٢٨٤ .
(٣) ــ الطبري : ج ٧ ص ٢٧٧ ــ ٢٨٠ ، ٢٨١ ــ ٢٨٤ ، ٢٩٥.
(٤) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٢٩٥ .

وكان الناس يلقبون يزيداً هذا بيزيد الناقص، ويقول الطبري ((وانما قيل يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادهموها الوليد بن يزيد في أعطياتهم، وذلك عشرة عشرة فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة، ورد أعطياتهم الى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك. وقيل ان أول من سماه بهذا الإسم مروان بن محمد))[1].

أما أخوة ابراهيم فيبدو أن أمر الخلافة لم يتم له، فقد كان يسلم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالامْرة، وجمعه لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالامْرة[2]. وظل حاله كذلك حتى قدم مروان بن محمد فخلعه، وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك لأن يزيد الثالث كان قد بايع لعبد العزيز، بعد أخيه ابراهيم[3].

---

(١) ـ الطبري ج ٧، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.
(٢) ـ المصدر السابق نفسه، ج ٧ ص ٢٩٩.
(٣) ـ المصدر السابق نفسه، ج ٧ ص ٢٩٥.

أهل اليمن ومروان بن محمد :

كثيراً من المؤرخين يعدون مقتل الوليد الثاني نذيراً بانهيار الأسرة الأموية ونقطة البدء في تحدي فكرة الشرعية وقد أصابت مؤامرة قتل الخليفة الوليد الثاني الأسس المكينة التي اعتمد عليها الحكم الأموي بشكل عام إذ كان معظم القائمين بها من يمانية أهل الشام الذي قام الحكم الأموي على تأييدهم منذ قيام الخلافة الأموية وقد انضم إليهم جموع الأمويين المعارضين لسياسة الخليفة المقتول وكلا العنصرين أساسيين في تثبيت السلطان الأموي .

وبعد أن كان الحكم الأموي يقوم على قاعدة قوية متراصة أصبح هذا الحكم بعد مصرع الوليد الثاني يستند على جماعات متفرقة ، غير متجانسة وليس لها من هدف يوحدها فقد اعتمد الأمويون منذ أن قامت خلافتهم في بلاد الشام على أهل الشام كمجموعة واحدة بلغها هوى واحد ، تؤيد البيت الحاكم وتمنحه ثقتها . وكان اليمنيون من بني كلب العنصر البارز في هذا التجمع الشامي المساند للبيت الأموي على أن الأحداث الأخيرة فرقت هذه الجماعة الموحدة وخلقت بينها عدة تيارات يرتبط كل منها بفئة وجد أن مصالحه معها وطبيعي أن ضعف القاعدة وتفككها سيؤدي إلى تصدع البناء الأموي بكامله ، لا في المركز فحسب ، ولكن في الأطراف بشكل أوضح وأدق .

وكان الذي يقف في وجه ثورة الأطراف خوف هذه الأطراف من الجبهة الشامية الموحدة التي تتفانى في حب آل أمية ، وتنطلق في نصرتهم في كل قطر ومصر . ولكن حين تخلخلت هذه القاعدة المؤيدة للبيت الأموي في الشام كان طبيعياً أن تتخلخل هيبة هذا البيت في جميع الأطراف ، وأن يشعر الناقمون والثائرون الذين يعملون في الخفاء والمتآمرون الذين يعدون العدة لاستلاب السلطة ان فرصة ذهبية قد سنحت ، وأن هذه الفرصة يجب أن تستغل وأن تكون الضربة قاضية لأن البيت الحاكم لن يستطيع الرد عليها .

وهكذا كثر المتاعبون ، وعمت الفتن الأطراف وظهر على مسرح الأحداث مغامرون

يريدون أن يحققوا لأنفسهم في هذا الظرف ما عجزوا عن تحقيقه حين كان الجسد الأموي جسداً معافى صلباً متماسكاً . في هذا الجو المضطرب الذي فقدت فيه مقومات الدولة وانقسمت فيه الجبهة الواحدة ظهر مروان بن محمد سليل فرع من البيت المرواني كان يضمر النقمة على عبد الملك وأبنائه وخاصة على أبناء الوليد الأول وهشام لأنهم هم قتلة الوليد الثاني ولأنهم كانوا قبلا قد حرموه والفرع الذي ينتمي إليه من الوصول إلى الخلافة.

وبدون شك كانت وفاة يزيد الثالث من المشاكل الخطيرة التي حلت بدولة بني أمية بالشام والتي أدت إلى مضاعفات كثيرة كان أهمها انتكاء الجروح الميتة التي كانت تنخر الجسد الأموي المتداعي وقد أثار هذا الجو المضطرب والصراع على السلطة بين أفراد البيت الأموي مطامع الأحزاب والأشخاص التواقين لانتزاع السلطة من أصحابها الأمويين .

فإلى جانب ما كانت تقوم به الأجهزة السرية العباسية من استغلال منظم لهذه الفوضى بغية الوصول إلى غايتها ، ظهرت مرة أخرى فئة الخوارج التي استغل زعيمها سعيد بن بحدل هذه الفوضى ، فخرج بالجزيرة في شعبان سنة ١٢٦ هـ . ويذكر خليفة ابن خياط أنه قطع دجلة الى قردا[1] ثم سار حتى نزل المرج من كور الموصل ، فوجد أن شخصاً آخر من قبيلة حمير اليمنية يدعى أبو كرب قد خرج في ناس كثيرون وتلقب بأمير المؤمنين ، وبعد مداولات بين الاثنين تبين أن سعيداً خرج قبل أبي كرب فقبل أبو كرب أن يتنازل عن الأمر لسعيد ونزل سعيد على مدينة الموصل ثم ما لبث أن تركها وارتحل الى شهرزور حيث وجد شخصاً آخر اسمه شيبان بن عبد العزيز اليشكري اجتمع الناس حوله ولقبوه بأمير المؤمنين . وبعد نقاش بين الاثنين تبين أن سعيداً خرج قبل شيبان ، فتنازل له شيبان وسار معه . وكان شيبان قد قتل شخصاً آخر من أهل الشام ادعى الخلافة قبله ، وهزم أصحابه[2] وهذا الخبر الذي نقرأ فيه أسماء أربعة أشخاص ادعوا الخلافة في وقت واحد وليس بينهم من له نباهة أو ذكر عال على صعيد الجماعة الاسلامية بكاملها أو يستطيع أن

---

(1) خليفة بن خياط : القسم الثاني ، ص٥٦٢ . تحقيق الدكتور سهيل زكار .

يستقطب ولاء هذه الجماعة ، خير دليل على ما سقنا من قول بأن الحال بعد مقتل الوليد الثاني وموت يزيد الثالث وخلافة ابراهيم ابن الوليد كانت تستدعي علاجاً سريعاً لا يقبل التأجيل .

وكان مروان بن محمد خير من يقوم بالمهمة الذي استغل مقتل الوليد الثاني أحسن استغلال ، وكما طالب معاوية من قبل بدم عثمان قام هو ليطالب بدم الوليد وسماه الخليفة المظلوم (١) . وقد أظهر في أول الأمر انه أعطى البيعة ليزيد الثالث ، وانه لن يخالف اجماع أهل دمشق . ثم ما لبث أن جاء من أرمينية إلى الجزيرة قاصداً حران ، مظهراً البيعة ليزيد بن الوليد (٢) ، ومحاولاً الانتظار حتى تنجلي له الأمور .

وقد ثار في هذه الفترة على مروان بن محمد جنوده من اليمانية من أهل الشام ، لانه تركهم لحماية الثغور في آسيا الصغرى ، ولانه كان لا يعتمد عليهم ولا يكل إليهم المهام الجسيمة . وقد ظهر بين هؤلاء الجند زعيم يمني من فلسطين هو ثابت بن نعيم الجذامي فقد دعا ثابت الجند إلى التمرد والعصيان فوافقوه على دعوته وطلبوا من مروان ان يعيدهم إلى ديارهم بالشام وقالوا له انهم يريدون من عودتهم مبايعة الخليفة الذي بايعه أهلوهم واخوانهم ، ورأى مروان أنه لا بد من قمع هذا العصيان ، فتآمر مع فريق من الجند وتمكن من القبض على ثابت بن نعيم الجذامي وأولاده ، فحبسهم وسرح اليمانية وأقام بحران منتظراً ما تنجلي عنه الأمور في دمشق (٣) .

ولما كان في حران جاءه كتاب من الخليفة الجديد يزيد الثالث ، يطلب منه فيه البيعة ، ويعده مقابل ذلك انه سيوليه ما كان بيد أبيه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان ، فقبل مروان وبايع للخليفة الجديد ووجه للخليفة وفداً يضم بعض زعماء الجزيرة ورجالاتها مظهر أحسن نيته تجاهه (٤) . غير أن النية

(١) ـ البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٨٧ .
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٨٣ ، ٢٩٥ .
(٣) ـ الطبري : ج ٧ ص ٢٩٥ وما بعدها .

وافت الخليفة قبل وصول هذا الوفد إليه وعاد أدراجه إلى مروان قبل وصوله الى دمشق عندها خرج مروان بن محمد من حران بجيش من أنصاره قاصداً جيش ابراهيم أخو يزيد وفي طريقه انضم إليه أعداد من جند قنسرين كانت غالبيتهم من القيسية وبايعوه وكان على رأسهم يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري كما انضم إليه عدد من أهل الجزيرة وحمص وفي موقع عين الجر بين دمشق وبعلبك التقى مروان بن محمد وجيشه بجيش ابراهيم بقيادة سليمان ابن هشام[1] وتمكن من الحاق الهزيمة به ولكنه لم يقتلهم ما عدا اثنين منهم كان لهما يد في مقتل الوليد . وبعد أن أخذ البيعة منهم لابني الوليد الحكم وعثمان اللذين كانا سجونيين في دمشق مظهراً بذلك أنه لم يكن يطالب بالخلافة لنفسه ، وانما قام ثأراً للوليد ، ومن أجل عودة الشرعية إلى نصابها ، وتسليم الخلافة إلى ابني الوليد اللذين كانت لهما بيعة في أعناق الناس منذ أن كان أبوهما حياً[2] .

ويقول البعض ان هذه المظاهرة التي قام بها مروان كانت مظاهرة مقصودة وانه انما قصد منها أن ينبه أنظار السلطة في دمشق إلى ابني الوليد فتتملكهم الغيرة والخوف فيقتلونهما وهكذا يصفو له الجو وتصبح مطالبته بالخلافة عملية شرعية بعد وفاة اللذين كانا أحق بها منه .

وفعلاً فقد تم ما توقع مروان ، وأمر سليمان بن هشام بقتلهما بعد أن وصل إلى دمشق وتم ذلك بنتيجة مؤامرة دبرها أحد زعماء اليمانية هو يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد ذكر عنه أنه أرسل رجلاً من قبله إلى السجن وأمره بقتلهما وقتل يوسف بن عمر الثقفي معهما انتقاماً لمقتل أبيه[3] .

خلا الجو لمروان بعد مقتل الغلامين ابني الوليد ولما أصبح على أبواب دمشق تدبر سليمان وابراهيم أمر خروجهما من دمشق وفي يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٢٧ هـ بايعه

---

(١) ــ الطبري : ج ٧ ص ٣٠٠ ــ ٣٠١ ، خليفة بن خياط : القسم الثاني ص ٥٦٤ ــ ٥٦٥ .
(٢) ــ الطبري : ج ٧ ص ٣٠٠ ــ ٣٠٢ ، خليفة بن خياط : القسم الثاني ص ٥٦٤ ــ ٥٦٥ .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٠١ ــ ٣٠٢ .

الناس بالخلافة .

كان أول عمل قام بـه مروان بعد مبايعته بالخلافة الإقتصاص من الذين قتلوا الوليد .[1]
ولم يظهر سياسة العنف بعد ها إلاّ مع قلة قليلة من ألدّ خصومه ، وقد حاول استرضاء اليمانية بكل الوسائل وكسبها إلى جانبه ولا سيما المتواجدين منهم في دمشق وفلسطين والاردن وحمص . وحتى يثبت لهم حسن نيته تجاههم ترك إليهم أمر اختيار ولاتهم دونما تدخل منه . وكدليل على هذه الخطة المتسامحة ، وبنتيجة ترك مروان لرجالات الأجناد أمر اختيار ولاتهم ، فقد ظفر الوالي اليمني ثابت بن نعيم الجذامي بولاية فلسطين ، على الرغم انه كان من ألد أعداء مروان ، وأنه قد ثار عليه من قبل في أرمينية[2] .

بعد أن تم الأمر لمروان بالشام انصرف إلى حران بالجزيرة وأقام بها وجعلها عاصمة له . وكان ذلك خطأ كبيراً ارتكبه الخليفة بنظر عدد كبير من المؤرخين حيث أساء بهذه العملية إلى أهل الشام وعدّ الشاميون أنفسهم مجردين من كل امتيازاتهم التي كانت متوفرة لهم في أثناء حكم الخلفاء الأمويين السابقين وقد أثار في نفوسهم حب النقمة والكراهية له وزاد الجو الناقم على مروان انه كان ابن أمة[3] ، وهم لم يعتادوا أن توسد خلافتهم إلاّ إلى صريح من جهة الأب والأم . كما أنه مغتصب للخلافة لم تصله عن طريق إرث شرعي أو بيعة كما تعارف الناس من قبل .

كل هذا خلق جواً جديداً مفعم بالتوتر والثورات الدائمة التي قام بغالبيتها المطلقة اليمنيون في أرجاء مختلفة من أرض الامبراطورية الاسلامية فكانت تشغل الخليفة الشاغل الى جانب القضايا الاخرى طوال حياته وكانت هذه الثورات أحد أبرز الأسباب في وضع حد لنهايته ونهاية حكم البيت الأموي بشكل عام .

(١) ـ خليفة بن خياط : القسم الثاني ص ٥٦٦ . الطبري : ج ٧ ص ٣١١ .
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣١٢ .
(٣) ـ البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٨٦ .

ثـورات أهـل اليمـن ضـد الخليفـة مروان بـن محمـد :

تذكر عدد كبير من المصادر أنه ما كادت الخلافة تؤول إلى مروان ، وما كاد يقـوم ببعض التدابير التي أغضبت أهل اليمن في بلاد الشام وأهل الشام أنفسهم حتى اشتعلت نيران الثورة في وجهه منذ مطلع عام ١٢٧ هـ وقد تميزت هذه الثورات جميعها التي نشبت في أرجاء مختلفة من الدولة الاسلامية بأن رجالاتها وقادتها كان معظمهم من اليمنيين .

وقد بدأت هذه الثورات جميعها بفلسطين وكان يليها في تلك الفترة رجل من أهل اليمن هو ثابت بن نعيم الجذامي الذي كان يكنّ عداوة قديمة لمروان وتذكر المصادر عن والي فلسطين اليمني هذا ، أنه خرج بمن تبعه من فلسطين على طبرية فحاصر أهلها وعليهما الوليد بن معاوية بن مروان ، فقاتلوه أياماً ، فكتب مروان إلى قائده رجل من قيس يدعى أبا الورد - حفيد زفر بن الحارث الكلابي - أن يشخص لقتال أهل فلسطين ممن ثاروا بقيادة ثابت بن نعيم ، ويذكر الطبري أن أبا الورد استطاع أن يلحق الهزيمة بثابت وتفريق من معه وأسر ثلاثة رجال من أبنائه ، وهم نعيم وبكر وعمران فبعث بهم إلى مروان بن محمد فقدم بهم عليه جرحى ، فأمر بمداواة جراحاتهم ، وتغيب ثابت بن نعيم ، فولّى الرُّماحس بن عبد العزيز الكناني فلسطين ، وأفلت مع ثابت من ولده رفاعة بن ثابت فلحق بمنصور بن جمهور الكلبي ، فأكرمه وولاه وخلفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور ، فوثب عليه فقتله ، فبلغ منصوراً وهو متوجه إلى الملتان ، فرجع إلى أخيه فأخذه ، فبنى له أسطوانة من آجر مجوفة وأدخله فيها ، ثم سمره إليها ، وبنى عليه [1] .

أما الخليفة مروان بن محمد فقد كتب إلى عامله الجديد على فلسطين الرُّماحس بن عبد العزيز في طلب الوالي اليمني ثابت بن نعيم والتلطف له فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر ، فأتي به مروان موثقاً بعد شهرين فأمر به وبنيه الذين كانوا في يديه فقطعت أيديهم وأرجلهم ، ثم حملوا إلى دمشق ، فأقيموا على باب مسجدها ، لأنه كان

يبلغـه أنهم يرجفون من ثابت ، ويقولون : انه أتى مصر ، فغلب عليها وقتل عامل مروان بها .(١)

وكانت حمص قد ثارت في وجه الخليفة مروان بن محمد تحت تأثير دعوة والي فلسطين اليمني ثابت بن نعيم الجذامي ، واتصل يمني حمص بيمنيي تدمر من بني كلب ، فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي ومعه أبناؤه حمزة بن ذؤالة وفرافصه ومعاوية السكسكي ـ وكان فارس أهل الشام ، بالإضافة إلى عصمة بن المقشعر وهشام بن مصاد الكلبي وطفيل بن حارثة ونحو ألف من فرسانهم اليمنيين ، فدخلوا مدينة حمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة وذكر الطبري أن مروان بن محمد علم بخبر ثورة اليمنيين بحمص صبيحة يوم الفطر وهو في مدينة حماه ، فجد بنفسه في السير نحوها ، ومعه يومئذ ابراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام ، وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان ، فصاروا معه في عسكره يكرمهما ويدنيهما ويجلسان معه على طعامه ويسيران معه في موكبه فانتهى إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين والكلبية من أهل اليمن فيها قد ردموا أبوابها من الداخل ، فأحدقت خيله بالمدينة وتمكن من اقتحامها ، فقتل عامتهم ، وأفلت من اليمنية الأصبغ بن ذؤالة والسكسكي وأسر ابنا الأصبغ : ذؤالة وفرافصه في نيف وثلاثين رجلاً منهم ، فأتي بهم مروان فقتلهم وهو واقف ثم أمر بجمع قتلاهم وهم (٥٠٠) أو (٦٠٠) ، فصلبوا حول المدينة وأمر بهدم قسم من سورها(٢) .

ولم يكتف أهل اليمن بثوراتهم ضد مروان بن محمد في فلسطين وحمص وتدمر(٣) بل امتدت معظم ثوراتهم إلى مناطق أخرى من بلاد الشام وغيرها مثل الغوطة ، فقد ذكر الطبري أن الغوطة ثارت في وجه مروان بن محمد تحت زعامة رجل من أهل اليمن هو يزيد بن خالد القسري حيث تمكن هذا الأخير من محاصرة دمشق ، فوجه إليه مروان قائداً من زعماء القيسية هو أبو الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث واسمه مجزأة في عشرة آلاف مقاتل

---

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣١٤ .
(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣١٢ ـ ٣١٣ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣١٥ .

حيث تمكن هذا القائد القيسي من الحاق الهزيمة بجيش الزعيم اليمني يزيد بن خالد القسري واستباح عسكره وحرق المزة من أكبر قرى أهل اليمن في دمشق ، عندها لجأ يزيد إبن خالد إلى رجل من بني قومه من قبيلة لخم فدلّ عليه فجيء به وتم قتله وأرسل رأسه إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد في مدينة حمص.(١)

أما تدمر فكان طبيعياً أن تشتعل بها نيران ثورة يمنية أيضاً ضد مروان بن محمد فهي مستقر أكبر قبائل اليمن عدداً في بلاد الشام (بني كلب) وكان الخليفة الأموي مروان بن محمد يعرف أن ثورة تدمر ستكون أشد من غيرها ، لذلك سار إليها بنفسه وفي نيته أن يفتك بالثائرين فتكاً يردعهم ويردع غيرهم ممن تسوّل له نفسه الثورة عليه . وعرف اليمانية نوايا مروان فآثروا السلامة والعافية ، وتقدم الأبرش الكلبي زعيم يمانية تدمر من مروان طالباً العفو عن أهله . فقبل مروان التوبة ، وصفح عن التدمريين ، وأمر بهدم سور المدينة . ثم جاء ، وفد من رجالاتها ، كما أن فريقاً من أهلها الذين لم يثقوا بعفو مروان هربوا على ما يزعم الطبري إلى برية كلب وبواديهم (٢).

ومهما يكن من أمر فقد توجه مروان بن محمد إلى دمشق بعد أن تمكن من اخماد الثورات التي أقضت مضجعه وجمع فيها الناس وأخذ منهم البيعة لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتي هشام بن عبد الملك وظن أنه قد أمن بهذا مستقبلاً هادئاً له ولأولاده ولكن كانت الأقدار تخبيء له أشياء كثيرة لم تكن بحسبانه .

توجه مروان بن محمد إلى العراق لإخماد الفتن التي كانت فيها بعد إنتهائه من مقاتل بلاد الشام ودعا الناس فيها إلى السير معه إلى العراق ، فاجتمع له منهم عشرة آلاف مقاتل . أعطاهم الخيل والسلاح ، وأمرهم باللحاق بابن هبيرة (يزيد بن عمر بن هبيرة

---

(١) ــ الطبري : ج ٧ ص ٣١٣ ــ ٣١٤ .

(٢) ــ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣١٥ .

الفزاري) الذي كان قد وجهه إلى العراق في عشرين ألفاً من أهل قنسرين والجزيرة[1] .

ولما وصل الجيش الشامي إلى الرصافة التقوا بسليمان بن هشام الذي كان يقيم في قصر أبيه فيها ، ودعوه إلى خلع مروان ومبايعته بالخلافة على أن يخرج معهم لقتال مروان ، فيذكر أنه أجابهم على هذا الأمر وطلبمن الناس مبايعته . وسار سليمان بن هشام مع الجيش إلى قنسرين فاستولى عليها ، وكتب الى أهل الشام يدعوهم لمبايعته والقدوم عليه ولقيت دعوة سليمان قبولاً حسناً في دمشق ، وأخذت أعداد كبيرة من القبائل اليمنية ومن الشام تتوجه للإنضمام إلى سليمان في قنسرين واجتمع على ما يذكره الطبري تحت رايته نحوا من (٧٠) سبعين الفاً رجل من أهل الشام عسكروا جميعاً في قرية خساف من قنسرين[2] .

وصلت أخبار هذا العصيان إلى الخليفة مروان بن محمد فقرر المسير بنفسه على رأس جيشه لملاقاة سليمان ، وقد التقى فيه بالفعل في موقع قرب قنسرين وجرت بين الطرفين معركة كتب فيها النصر لمروان وهزم سليمان ومن معه[3]

وبالقضاء على عصيان سليمان بن هشام تمكن مروان بن محمد من انهاء عملياته العسكرية في الشام في صيف سنة ١٢٨ هـ . ووجه اهتمامه إلى العراق الذي كان يضطرب بالفوضى .

كان عامل العراق يومئذ عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وقد بعثه يزيد الثالث الى العراق سنة ١٢٦ هـ بعد أن عزل منصور بن جمهور الكلبي[4] . وكانت الحيرة يومئذ مقر الحكومة ومعسكر جند أهل الشام يراقبون فيها تحركات أهل الكوفة . وقد أراد ابن عمر أن يتهيل أهل الكوفة بتلبية مطاليبهم المتنوعة بالإضافة إلى توزيعه عليهم الأموال وزيادة العطاء لهم .

---

(١) ــ الطبري : ج ٧ ص ٣١٤ .
(٢) ــ الطبري : ج ٧ ص ٣٢٤ .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ج ٧ ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥ .
(٤) ــ خليفة بن خياط : القسم الثاني ، ص ٥٧٨ .

غير أن هذه السياسة لم تنفع ابن عمر ، لأنّ الشيعة من أهل الكوفة لما رأوا أفعال ابن عمر هذه بالعراق فسروها ضعفاً منه فجترؤوا عليه ، وطمعوا فيه ، ودعوا الى عبد اللـه ابن معاوية ، خاصة بعد أن علموا بوفاة يزيد الثالث(١).

وكان ابن معاوية وهو عبد اللـه بن معاوية بن عبد اللـه بن جعفر بن أبي طالب قد قدم على ابن عمر مع أخوته ، فأكرمهم وأحسن وفادتهم . وقيل ان سبب قدوم ابن معاوية الى الكوفة انه انما جاء زائراً لابن عمر ملتمساً لصلته وانه ما كان ليريد مخالفته(٢).

وفي الكوفة تزوج ابن معاوية فتاة من أسرة كريمة فمال إليه فريق من أهلها ثم التف من حوله لأنّه من بني هاشم آل الرسول . فعظم قدره في نظرهم واجتمع حوله الناس ، ووجدوا فيه مرشحاً للخلافة يناوئون به الأمويين وقد أيد اليمنيون ابن معاوية برئاسة زعيمهم منصور بن جمهور الكلبي إلى جانب القوى السياسية الأخرى(٣).

غير أن ابن عمر تمكن من الإنتصار على ابن معاوية وذلك في شهر محرم من سنة ١٢٧ هـ(٤) خرج ابن معاوية على أثر هذه الهزيمة من الكوفة وتوجه إلى المدائن ، فبايعه أهلها ، ثم انضم إليه جماعات مختلفة من الموالي والعبيد والفرس ، كان هدفهم واسقاط مروان بن محمد .

وبعد أن خرج ابن معاوية من العراق واتجه إلى أقاليم الشرق ، ظل ابن عمر في مدينة الحيرة ، وهو صاحب الأمر والسلطان . وقد دعاه أمر التغلب على ابن معاوية إلى حد الشعور بالقوة التي دفعت به الإنتقاض على الخليفة الأموي مروان بن محمد ، وعدم مبايعته والاعتراف به . وكان في كل ذلك يعتمد على اليمانية من أهل الشام المقيمين بالكوفة

---

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣٠٥ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، وفي ص ٣٠٤ .
(٣) ـ نبيه عاقل : خلافة بني أمية ، ص ٣٦٦ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

والحيرة ، الذين هم في الأساس من جند الدولة في العراق منذ أيام يوسف بن عمر وقد عظم شأنهم الآن بعد أن أصبحت أوطانهم الشامية تحت سيطرة القيسية ، رجال مروان . ولم يعودوا يستطيعون العودة إليها ، لأنها تحت امرة اعدائهم من القيسية . بل نرى أن الذي حدث هو نقيض ذلك ، إذ جاء هم منها أصحابهم الذين غضب عليهم مروان من أهل اليمن كأخوة خالد بن عبد الله القسري وأبنائه ومنصور بن جمهور الكلبي وغيره ممن رجالات بني كلب اليمنية[1] .

تطلب عصيان ابن عمر حلاً من قبل مروان بن محمد فقرر أن يرسل إليه جيشاً بقيادة رجل نشأ في مدرسة الحجاج هو النضر بن سعيد الحرشي أحد رجالات القيسية المشاهير وقد تمكن النضر من استمالة المضرية إليه بعد أن كانوا في صفوف ابن عمر في جيش أهل الشام أما اليمانية منهم وخاصة بنو كلب ، فقد ظلوا على ولائهم لابن عمر وكانوا أكثر عدداً من المضرية . وكانت الحيرة معقل اليمانية من أهل الشام وابن عمر ، وكانت الكوفة معقل المضرية والنضر بن سعيد الحرشي .

وقد قامت بين الفريقين منازعات متلاحقة لم تؤد إلى نتيجة حاسمة . وظل الفريقان على هذه الحال إلى أن ظهر الخوارج كعنصر جديد في الميدان السياسي في العراق .

غير أن الأمر المهم الذي شهدته حركة الخوارج في العراق في هذه المرحلة هو أنها لم تعد حركتهم تقتصر على المؤمنين الصادقين في ايمانهم ، بل أصبحت حركة سياسية أكثر منها دينية . وبالتالي غدت مستمدة لأن تقبل في صفوفها كل من يجيء إليها ، صادقاً كان أم غير صادق . وعندما برز الخوارج قوة لا منازع لها في العراق ضد مروان بن محمد والبيت الأموي ، انضوى تحت رايتهم اليمنيون المعارضون للأمويين[2] ، .

والمتتبع لتطور أحداث الخوارج في هذه الفترة يجد أن حركتهم الجديدة في مبادئها بدأت في الجزيرة موطن مروان بن محمد ، وكان دعاتها من أبناء ربيعة حلفاء اليمنيين

---

(١) فلهاوزن : مرجع سابق ، ص ٢٧١ – ٢٧٢ .

المقيمين في شمال الجزيرة ، لا من قيس المقيمين في جنوبها .

ولما قتل الوليد الثاني خرج في الجزيرة رجل من الخوارج من بني شيبان ، اسمه سعيد بن بحدل الشيباني . وقد بايعه الناس خليفة ثم توجه بعدها نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها واختلاف أهل الشام وقتال بعضهم بعضاً كما يذكر خليفة بن خياط[1] .

وهكذا ترك الجزيرة معقل مروان وموطن القيسية وذهب إلى الكوفة وفي طريقه إليها مات من طاعون أصابه ، فتولى الأمر بعده الضحاك بن قيس الشيباني الذي قام بالتوجه نحو الكوفة بعد أن انضم إليه جماعات أخرى من خوارج أرمينية وأذربيجان .

كان بالكوفة يومئذ النضر بن سعيد الحرشي ومعه المضرية وبالحيرة عبد الله بن عمر ومعه اليمانية ، وبين الفريقين يومئذ حزازات يقتتلون من أجلها . فلما دنا منهم الخوارج بقيادة الضحاك اصطلح ابن عمر والحرشي ضد الخطر المشترك وصار أمرهم واحداً واتفقوا على قتال الضحاك . وفعلاً جرت بين جيش مشترك لابن عمر والحرشي وجيش الضحاك موقعة هزم فيها ابن عمر ومن معه من اليمانية والحرشي أقبح هزيمة ، حتى اضطر الحرشي إلى الخروج من الكوفة واللحاق بمروان بن محمد . أما ابن عمر فذهب إلى واسط وكان قد سبقه إليها رجاله من كلبية أهل اليمن .

وفي شعبان سنة ١٢٧ هـ ، توجه جيش الخوارج بقيادة الضحاك بن قيس إلى واسط وأطبق الحصار على ابن عمر واليمانية فيها وشدد حصاره عليها حتى خرج إليه أحد أبرز زعماء اليمنية وهو منصور بن جمهور الكلبي ، أحد قادة ابن عمر البارزين طالباً الأمان مقابل مبايعة الضحاك بن قيس الخارجي خليفة ، وأقر أنه كان على ضلال وانه خالف الاسلام وكفر (والخوارج لا يعدون الرجل مسلماً إلاّ إذا كان على مذهبهم . فالمسلمون الذين لم يكونوا معهم عدّوهم كفاراً مشركين) . وأخيراً ، فعل ابن عمر ما فعله منصور وانضم الى الخوارج

---

(١) ـ خليفة بن خياط : القسم الثاني ، ص ٥٦٢ .

وبايع الضحاك بالخلافة وقد قال أحد الشعراء في بيعته هذه ساخراً :

ألم تر أن الله أظهر دينه | فصلّت قريشٌ خلف بكر بن وائل (1)

وقبل ابن عمر أن يكون عاملاً من عمال الخوارج بعد انهزامه أمامهم وتم تعيينه من قبل زعيمهم الضحاك بن قيس والياً على كسكر وميسان والأهواز وفارس (2) ، ثم أخذ الضحاك يعد نفسه لملاقاة الخليفة الأموي مروان بن محمد وجيشه بعد أن فرغ من الشام ، واستولى على الموصل وطرد منها عمال مروان .

في تلك الآونة أخذت أعداد المقاتلين تتوالى إلى الزعيم الخارجي الضحاك بن قيس بعد أن زاد العطاء حتى بلغ (١٢٠) مائة وعشرين ألفاً وأصبح جيشه يضم سليمان بن هشام وفرقته الذكوانية بالإضافة إلى أعداد كبيرة من قبيلة كلب اليمنية ، وكان مروان في هذا الوقت ما يزال محاصراً مدينة حمص ، وطلب من ابنه عبد الله الذي كان بحران أن يتقدم ويحارب الضحاك ، فتوجه عبد الله بن مروان إلى نصيبين ولكنه حوصر فيها . وفي هذه الأثناء كان مروان قد انتهى من أمر حمص ، فجاء إلى الرقة والتقى بجيش الخوارج ، وكانت معركة كبيرة قتل الضحاك فيها ، وقتل من بعده خليفته الخيبري وتفرقت جموع اليمانية التي كانت بين صفوف الخوارج . وقد ذكر الطبري في تاريخه أن مروان انتهى من أمر ثورة الخوارج في سنة ١٢٩ هـ (٣) .

وفي نفس العام الذي تمكن فيه مروان بن محمد من القضاء على الخوارج تقدم قائده يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري بأمر من مروان باتجاه مدينة واسط ، ودخلها وأسر عاملها ابن عمر الذي كان يتولى أمرها من قبل الضحاك الخارجي . وكان اليمنيون من الكلبية بزعامة منصور بن جمهور الكلبي يحاربون في صفوف الخوارج ، فلما انهزموا فرّ هو وأصحابه الكلبيين الى الشرق ، والتحقوا بعبد الله بن معاوية ابن أبي طالب ، وكان ابن معاوية قد كثر

---

(١) ـ الشاعر هو شبيل بن عَزرة الضُبعي ، انظر ، تاريخ خليفة بن خياط ، القسم الثاني ص٥٧١ . ثم تاريخ الطبري : ج ٧ ص ٣٢٧ .

(٢) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣٢٧ .

أتباعه في الشرق وعظم شأنه وكان من بين من انضم إليه جماعات كبيرة من كلبية اليمانية .

غير أن قوة ابن معاوية لم تثبت طويلاً أمام الهجمات التي تلقتها من المشرق والمغرب وحين تناهت إلى أسماعهم أخبار خراسان . وبعد أن تم أمر مروان ، وقمع الفتن في الشام والعراق ، عاد إلى حران طلباً للراحة وتجميع قواه . واعتقد بأن أقاليم الدولة في الجزيرة والعراق والشام ومصر تدين له بالولاء التام . وحتى يثبت أركان حكمه تابع الذين خرجوا ضده من خوارج أهل اليمن في صنعاء ومكة والمدينة سنة ١٣٠ هـ ، وأعمل فيهم يد القتل والابادة .

لقد اختلفت معارضة اليمنيين للخليفة الأموي مروان بن محمد في بلاد اليمن عما كان عليه وضعهم في طريقة معارضتهم له في مناطق عديدة من بلاد الشام ، وبشكل خاص عندما انضووا تحت سلطة الخوارج . فقد رضي اليمنيون السير تحت قيادة قيسية في هذا الحزب السياسي المعارض أبداً للأمويين منذ قيام دولتهم وحتى سقوطها بهدف ضرب سلطة مروان بن محمد .

أما في بلادهم اليمن ، فقد تكوّن الخوارج من اليمنيين أنفسهم دون أن يكون هناك اشتراك من قبائل أخرى قيسية معهم عناصر وقيادات وقد قامت ثورة خوارج اليمنيين ضد الخليفة الأموي مروان بن محمد تحت تأثير عوامل سياسية دينية مشتركة ولم تكن كباقي ثورات الخوارج السابقة التي كان منطلقها ديني بحت[1] .

لقد كان زعيم خوارج اليمن عبد الله بن يحيى الكندي في حضرموت على صلة وثيقة بخوارج البصرة الإباضية ، وكان على ما يبدو متذمراً كثيراً من جور الحكام الأمويين في بلاده فرغب بالانتفاضة عليهم وطردهم من بلاده فلاقى رأيه هذا قبولاً واستحساناً وتأييداً عظيماً من خوارج البصرة فشجعوه على الخروج ومحاربة الأمويين . ولم يكتف خوارج البصرة بتأييد عبد الله بن يحيى الكندي بالكلام بل أقبل إلى نصرته أعضاء بارزون منهم في حزب الإباضية من بينهم بلج بن عقبة ابن الهيصم الأسدي[2] ، وأبو حمزة المختار بن عوف الأزدي

---

(١) ـ فلهاوزن : الخوارج والشيعة ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

وكان هذا الأخير اليد اليمنى لعبد اللـــه بن يحيى في مقارعته البيت الأموى في منطقـــة الجزيرة العربيـــــة .

ففي عام ١٢٩ هـ بويـع عبد اللـه بن يحيى الكندي خليفـة للخوارج ولقب بلقب ((طالب الحق)) ، بينما لقبه خصومه بـ (الاعور) ولعل ذلك لأنّ هذه علامة (الدجال) وهم كانوا ينظرون إليـه على أنه كذلك (١) .

استولى خوارج اليمن بقيادة زعيمهم عبد اللـه الكندي على حضرموت وتمكن زعيمهم من التقدم باتجاه اليمن فدخلها وانتصر على واليها الأموى ثم توقف بجيشـه بعاصمتها صنعـــاء وذلك في النصف الثاني من سنة ١٢٩ هـ (٢) فأقام حكمه هناك وأبقى على الموظفين السابقين وظهر لين الجانب فاستطاع ان يمتلك قلوب أهل اليمن وكان منطلقه السياسي ـ الديني أن لا اختلاف بين مذهب الخوارج ومذهب أهل السنة والجماعة في الجوهر ، ولكنه اشتد على مرتكبي الذنوب التي نص عليها القرآن . وكان ارتكابها شائعاً في ذلك الحين . وقد اكتسبت سياسته هذه مدأ شـعبياً كبيراً إنضم إليه بنتيجتها كثير من الخوارج جاؤوه من مناطـــق مختلفـة من أرض اليمن (٣) .

وعند نهايـة سنة ١٢٩ هـ عندما كان موسـم الحج أرسل قائد خوارج أهل اليمن عبـد اللـه بن يحيى الكندي جيشـاً إلى مكة بقيادة أبي حمزة الخارجي يتألف من ألف مقاتل على رؤوسهم عمائم سود وحمر (٤) . وكان الذي يحج بالناس في ذلك العام هو عبد الواحد بـــن سليمان بن عبد الله الأموى ، والي المدينـة ، فلم يتعرض لجيش عبد الله بن يحيى ولقائده أبي حمزة بل عقد معه هدنـة طوال أيام الحج ثم عاد الى المدينة ، وفي المدينة أرســـل جيشـاً ضد أبي حمزة تحت امرة عبد العزيز بن عبد اللـه ابن عمر بن عثمان الأموى (٥) .

---

(١) ـ أبو الفرج : الاغاني ، ج ٢٠ ص ١٠٨ .
(٢) ـ فلهاوزن : مصدر سابق ، ص ١٣٨ .
(٣) ـ فلهاوزن : مرجع سابق ، ص ١٣٩ .
(٤) ـ أبو الفرج : الاغاني ، ج ٢٠ ص ٩٩ .

تألف هذا الجيش من ثمانية آلاف مقاتل ليس عليهم سيماء المقاتلين الحقيقيين وكان فيهم كثير من القرشيين يلبسون فاخر الثياب ، وقد ظنوا أن الامر لا يعدو أن يكون مجرد نزهة حربية مع رجال عبدالله بن يحيى وقد كان هذا رأي الاموبين بشكل خاص حيث كان ما يزال بالمدينة منهم عدد كبير . كما كانوا متكبرين متعجرفين في حديثهم عن عبد الله بن يحيى وجماعته واصفينه وجماعته بـ (هذه الخشارة من الرعاع) هكذا كانوا يتصورون خوارج أهل اليمن فما دنى من جيش عبدالله بن يحيى بقيادة أبي حمزة إلاّ وبدأ بالزحف ضد جيش أهل المدينة والتقى الجمعان في يوم الخميس التاسع من صفر سنة ١٣٠ هـ . وحاول أبو حمزة أولا اقناعهم بالحسنى أن قضية الخوارج هي بعينها قضية أهل المدينة وهي مقاومة البيت الاموي ، ولم يبدأ القتال إلاّ بعد أن هاجمه جيش المدينة وجرح أحد رجاله فتبين له حينئذ أن اراقة دمائهم حلال . فوثب على جيش المدينة وثبة نكراء ألحق بهم هزيمة شنعاء وفرّ من بقي منهم ، ولكنه وقف عند هذا الحد ولم يرغب بمطاردة المنهزمين من هذا الجيش . أما القرشيون وهم يمثلون البيت الاموي فلم يراع معهم أي اعتبار واستلأ ميدان المعركة بجثث قتلاهم ومن بينهم قائدهم عبد العزيز ، أما الاسرى الذين رفضوا التنصل من مذهبهم فكان جزاؤهم القتل ومن هنا كانت الضجة حول هذه المعركة .

كان وقع هذه المعركة التي خاضها جيش خوارج أهل اليمن على الجيش الاموي المتكبر مثاراً ومفرحاً على الصعيد الجماهيري في كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية ، فبعد انتصارهم هذا أصبح الطريق أمامهم مفتوحاً إلى المدينة ، فدخلها القائد الخارجي دون قتال بعد أن خلاها الوالي عبد الواحد بن سليمان(١) .

لقد كان أبو حمزة محارباً ممتازاً ، بقي في المدينة قرابة ثلاثة أشهر ، كما كان كاتباً وخطيباً وواعظاً . التى خطبة قوية على منبر الرسول (ص) في المدينة نقل عنها هارون في روايته طائفة كبيرة ، يصور فيها بالامثلة والادلة مدى البعد بين حكومة الامويين

---

(١) ـ في كتاب الاغاني يذكر بلج الاسدي كما يذكر من قواد جيش أبي حمزة قائداً من كندة هو أبرهة بن الصباح الكندي وابن حصين ج ٢٠ ص ١٠٢ .

وبين نموذج الحكم كما رسمه الرسول (ص) والخليفتان الأول والثاني (أبو بكر وعمر) .

وكان يهدف من وراء ذلك افهام أهل المدينة أن ماضيهم كله يقضي عليهم بأن يكونوا على وفاق مع الخوارج في محاربة بني أمية ولكن أهل المدينة لم يستخلصوا النتيجة العملية لذلك ولم يساعدوا على اسقاط البيت الأموي .كما راح يقارنهم بآبائهم الذين تقبلوا الرسول (ص) وآووه ونصروه مع أن الناس كلهم كانوا أعداؤه ولم يكن معه إلاّ قلة من الشباب ، وما يعلونه الآن ضد الخوارج كان أهل مكة يعيرون به جيش عبدالله بن يحيى الكندي لم يرفع علم الاسلام وحده في ميدان المعركة ضد البيت الأموي ، بل طالب أيضاً كل فرد بأن يراعي الأوامر الالهية التي جاءت في القرآن بالإضافة إلى النواحي الدينية والأخلاقية (١) .

قال أبو حمزة : (فمن زعم أن الله يكلفنا ما لا طاقة لنا به فهو عدو الله وعدونا) . وشدد في أمر الزنا وشرب الخمر ، وكان يعجب بعمر بن الخطاب لأنه وقع حد الخمر في ثماني عشرة حالة دون إعتبار الشخص الشارب (٢) . وهو أمر لم يكن يستهوي أهل المدينة لأن المدينة كانت قد اشتهرت في ذلك العهد بأنها أشد بلاد الإسلام إغراقاً في اللهو والمجون على الرغم من اعترافهم بأن قائد خوارج أهل اليمن يحكم بالعدل ويريد الخير للناس ، فقد بقيت الأغلبية معرضة عنه . ولكنه كسب لنفسه بعض الأنصار ، الذين لم يقتصروا على الفقراء والمساكين من أمثال عبد العزيز بشكت النحوي القارئ (إيراني المولد) بل كان فيهم أمثال أبي بكر بن محمد حفيد عبدالله بن عمرو ابن حفيد عمر بن الخطاب .

ومن أجل القضاء على هذه الثورة الخارجية اليمنية التي امتد سلطانها إلى منطقة الحجاز ، كان لا بد من الالتجاء إلى أهل الشام مرة أخرى . ففي مستهل جمادى الأول سنة ١٣٠ هـ زحف من أهل الشام جيش يبلغ تعداده أربعة آلاف مقاتل متوجهاً إلى المدينة بقيادة عبد الملك بن عطية من بني سعد هوازن (٣) . وانتظرهم خوارج اليمن في وادي القرى

---

(١) ـ فلهاوزن : مرجع سابق ، ص ١٤٢ .
(٢) ـ فلهاوزن : مرجع سابق ، ص ١٤٢ .
(٣) ـ أبو الفرج : الأغاني ، ج ١١ ص ٨٣ وما بعدها .

والتحم الطرفان في قتال شديد أسفر عنه انهزام الخوارج وقتل معظمهم وذلك في أواسط جمادى الأولى سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م . ونجا أبو حمزة الخارجي ومعه ثلاثون رجلاً حيث تمكن من الوصول إلى مكة . فلما بلغ قائد جيش الشام ابن عطية المدينة وجدها نظيفة من الخوارج (١) ، أما أبو حمزة فقام يدافع عن مكة مرة أخرى غير أن مقاومته هذه كانت عبثاً حيث انتصر عليه ابن عطية مرة أخرى وأمر بقتل الأسرى وصلب زعماء خوارج اليمن ومن بينهم أبو حمزة .

بعد أن أقام مدة طويلة في الطائف هجم على خليفة خوارج أهل اليمن عبد الله بن يحيى الكندي فهزمه وقتله واستولى على عاصمته صنعاء بعد حصار لم يدم طويلاً واستولى كذلك على حضرموت حاضرة الكنديين من اليمن (٢) .

غير أن الأمر المهم في هذه الثورة اليمنية أنه ترافق زمن زوالها بزوال الدولة الأموية نفسها جنباً إلى جنب .

ولكن مهما يكن من أمر فإن الخليفة الأموي مروان بن محمد بقي يحارب ثلاث سنوات أعداءه حتى قهرهم جميعاً . وقد أظهر في هذه الحروب التي تزعم اليمنيون معظمها بسالة وثباتاً عجيبين ، وحقق ما لم يستطعه أحد من قبل في ظروف كمثل ظروفه .

أما الفتن التي وقعت في المشرق فقد ترك أمر اخمادها مروان بن محمد إلى عامله الجديد في العراق ابن هبيرة ، الذي تولى حرب بقية الخوارج والقضاء على ابن معاوية بن جعفر بن أبي طالب وجموعه ، وقتل زعيم الخوارج هناك شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، وإلحاق الهزيمة بـ (سليمان بن هشام) و (منصور بن جمهور الكلبي) اليمني اللذين ركبا البحر وذهبا الى بلاد السند .

---

(١) ـ ابو الفرج : الاغاني ، ج ٢٠ ص ١٠٦ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٢٠ ص ١١١ .

ولما انتهى كل شيء وقضى على رجال الفتنة جميعاً في الشام والجزيرة والعراق واليمن وحضرموت وغربي إيران ، وظن مروان بن محمد أنه قد انجز عمله الاول ، وهو اخراس الاصوات المعارضة ، ظهر له مالم يكن بالحسبان . فقد رُفعت آنذاك الرايات السوداء ، وتقدم أبو مسلم الخراساني باسم الدين . وباسم آل البيت ظاهراً ، ونيابة عن طبقة الموالي المغلوبة باطناً ، ليدك آخر آمال مروان ، وآخر آمال بني أمية في عرش بدأت أسسه تتزعزع منذ أمد ليس بالقصير .

غير أن المتتبع لمراحل انتصار الدعوة العباسية وأفول نجم الدولة الأموية تحت ضربات هذه الدعوة المتلاحقة يجد أن لليمنيين دوراً بارزاً في انتصار العباسيين وسقوط الأمويين .

رأى كثير من المؤرخين أن السند الرئيسي لأبي مسلم الخراساني جاء من العرب اليمنيين الذين كانوا يقطنون مرو وضواحيها الذين أدركوا بأن لا مفر من الثورة من أجل تغيير جذري لا في خراسان وحدها ، بل في كل الامبراطورية ولا ينكر هؤلاء وجود الموالي ضمن أنصار أبي مسلم والدور الذي شغلوه في انجاح حركته ويتضح من هذا ومن الأدلة التي يتخذ منها القائلون بهذا الرأي أن العرب لم يكونوا جميعاً من طبقة الحكام أو المستفيدين من خيرات الدولة الأموية ومناصبها التي قامت بالأصل على دعم وتأييد عرب أهل اليمن . بل كانت منهم فئات تعيش الأزمات التي يعيشها سكان البلاد المفتوحة . وقد انضمت هذه الفئة من العرب المستقرين والذين كانوا لا يتمتعون بأي امتيازات الى صفوف الثائرين على الدولة الأموية وأيدوا الثورة العباسية ووقفوا ضد الفئة العربية الأخرى وبشكل خاص القبائل القيسية ممن نبه ذكره منهم في ظل الحكم الأموي . ويؤكد كاتب مادة ((أبو مسلم)) في الطبعة الجديدة من الموسوعة الاسلامية هذا الرأي ويذهب الى القول بأن أبا مسلم لقي تأييداً شديداً من القبائل اليمانية .

لقد أدرك دعاة العباسيين أن العرب وحدهم مصدر السلطة والقوة الضاربة الوحيدة

في خراسان ، ومن أجل الوصول إلى السلطة يجب أولاً كسبهم إلى الدعوة العباسية (1) .

وطبيعي ألا تلقى هذه الدعوة صدى في نفوس عرب أهل اليمن في خراسان ، إلاّ إذا كانت تخاطب أشياء يتحسسونها ويشكون منها .

بالإضافة إلى ذلك بأن العرب من المقاتليين من أهل اليمن كان لهم أيضاً ما يدعوهم إلى التذمر والشكوى . ولعل أهم هذه الأشياء التي كانوا يشكون منها هي تجميدهم في الثغور وفي خطوط القتال وعدم السماح لهم في العودة إلى مرو والقرى التابعة لها للعيش مع أسرهم وقضاء فصل الشتاء بينهم . كما أن بعض الحكام الأمويين كانوا لا يعطونهم ما يحق لهم من الفيء والغنائم ، ويستلبون منهم بعض النفائس ويحتفظون بها لأنفسهم أو يرسلونها إلى الخليفة ، الأمر الذي كان كثيراً ما يؤدي إلى ثورة القواد وشيوخ القبائل وأفرادها شعوراً منهم بالغبن المادي الذي كان يلحق بهم . وإذا أضفنا إلى كل ذلك المنازعات القبلية ولاسيما ما كان منها بين رؤساء القبائل بسبب طموحهم السياسي في الوصول إلى ولاية خراسان وما كان يؤدي إليه من مصادمات مستمرة بين عرب أهل اليمن وإخوانهم عرب الشمال من قيس ، لوجدنا أن هذه الأمور بمجموعها قد جعلت هؤلاء العرب يرون في الدعوة العباسية أملاً في حياة أفضل . وقد زاد هذه الأمور كلها سوءاً وأضاف في الشعور بفقد الأمل في الحكم الأموي الحال المتردية التي آلت إليها الأمور في دمشق والصراع الدموي الذي كان يجرى بين أفراد الأسرة الحاكمة منذ زمن الوليد الثاني ، فأدّى كل ذلك إلى إفساح المجال لاستعمال فعالية القوى الثورية المضادة التي أحسنت استغلال هذه الظروف وانطلق دعاتها يزرعون الحقد والكراهية ضد الأمويين فلاقت دعوتهم استجابة في النفوس وبشكل خاص عند العرب الجنوبيين ، وتضافرت هذه الجهود العباسية مع ما كان موجوداً من عوامل النقمة الأخرى لتخط الصفحة الأخيرة في حياة الأسرة الأموية .

---

(1) ـ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٩٨ .

ولكن مهما يكن من أمر فنحن أمام ثوابت تاريخية هامة قام اليمنيون بها في نصرة الدعـوة العباسـية منذ انطلاقتها الأولى وتحقيق أول انتصار مروراً بجميع مراحل تطوراتها وانتهـاء بقتل آخر خليفـة للأمويين وزوال سلطانهم . وحول هذا الأمر يذكر لنا الطبري في تاريخـه أن انطلاقة أبو مسلم الخرساني الأولى في دعوته العباسـية ضد الدولة الأموية كانت مـن قريـة من قرى أهل اليمن الخزاعيـة في المشرق تدعى (سفيذنج) حيث بث دعاته منهـا ثم انتقل بعدها إلى قريـة (اللين) الخزاعية نوافاه في يوم واحد أهل ستين قريـة فكان أول فتح أبي مسلم (١) .

وقد نشط اليمنيون منذ اللحظة الأولى في نشر الدعوة العباسـية وبرزت شخصيات مـن رجالاتهم تذكرها لنا مصادر عديدة مثل سليمان بن كثير الخزاعي وأخوة غيلان ومواليه منهـم حميد بن رزين وأخوة عثمان (٢) .

وعندما انتقلت الدعوة العباسـية إلى مرحلة المجابهة العسكريـة ظهر اليمنيون جنـداً وقادة تحت رايـة أبي مسلم واشتهر منهم زياد بن سيّار الأزدي ـ من أزد اليمن ـ وخذام بن عمار الكندي ـ من كندة ـ ومالك بن الهيثم الخزاعي ـ من خزاعـة ـ وعبد الله الطائي ـ من طيء (٣) .

ومما تذكره المصادر أن أبا مسلم فتح مرو بجيش كان قادته وجنده من أهل اليمن ويشكـل معظمه من قبيلة الأزد اليمنية (٤) . وقد اشتهر من اليمنيين قادة في صفوف جيشـه علي بـن الكرماني الأزدي ، وأسيد بن عبد اللـه الخزاعي على المقدمة وابن عمه مالك بن الهيثـم

---

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣٥٥ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٥٦ ، ٣٦٣ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .
(٤) ـ فيليب حتي : تاريخ العرب ، ص ٣٤٩ ، ط . لندن ، ١٩٢٤ . ثم ينظر في تاريـخ الطبري ج ٧ ص ٣٧٧ وما بعدها .

الخزاعي على الميمنة[1] . وبعد إتمام عملية الفتح كان في استقباله أشراف أهل اليمن ومن حالفهم من ربيعة[2] . ولما صفت إلى أبي مسلم خراسان وزع عماله عليها وكان نصيب اليمنيين منها كبيراً فقد ذكر الطبري انه استعمل على سمرقند سباع بن النعمان الأزدي ، وعلى الطبسين وفارس محمد بن الاشعث وعلى طوس (قحطبة) (واسمه زياد بن شبيب بن خالد ابن معدان الطائي)[3] ، وبعد عدد من قادة أهل اليمن[4] . وعلى طخارستان أبو داود خالد بن ابراهيم ، واستعمل على شرطته مالك بن الهيثم الخزاعي[5] .

وفي أثناء مواجهة أبي مسلم نصر بن سيّار والي مروان بن محمد على خراسان قاد عملياته العسكرية جميعها ضد والي الأمويين بواسطة رجال من أهل اليمن حتى تمكن من القضاء عليه[6] .

والأمر نفسه يمكن أن نقوله في أثناء فتح جرجان وأصبهان والكوفة من قبل أبي مسلم[7] . ولما دقت ساعة نهاية مروان بن محمد نجد ان العباسيين حشدوا كل مؤيديهم من أهل اليمن استعداداً لهذا اللقاء ووسدوهم مراكز قيادية حساسة كأبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وعبد الله الطائي وابنا عمه عبد الحميد بن ربعي وحياش بن حبيب الطائيين وغيرهم[8] .

ومن جهة أخرى نجد مروان بن محمد يجمع ما استطاع جمعه من مؤيديه استعداداً

---

(1) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣٧٩ .
(2) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٨٣ .
(3) ـ الطبري : ج ٧ ص ٣٨٩ . ومن أجل معرفة اسمه ينظر بنفس المصدر ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .
(4) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٨٩ .
(5) ـ نفس المصدر السابق الجزء والصفحة .
(6) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٨٩ وما بعدها .
(7) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ ، ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ، ٤١٧ ـ ٤٢٠ .
(8) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ص ٤٣٢ .

لمواجهة أعدائه في موقعة الزاب وقد ذكر لنا الطبري مشاركة أعداد من قبائل متفرقة من أهل اليمن في بلاد الشام مثل قبيلة السكاسك والسكون من كندة لكن الشيء الملفت للنظر هنا هو أن أنصار العباسيين من اليمنيين قاتلوا في صفوف جيش بني العباس جنداً وقادة واستماتوا في نصرة الدعوة العباسية ، بينما نجد عكس هذا الامر تماماً في صفوف جيش الخليفة الأموي مروان بن محمد فعندما التقى الجيشان وبدأ القتال بين الجانبين نجد أن أهل اليمن عند مروان يتمردون على أوامره ولم يلبوا له طلباً أو يسمعوا له أمراً قتالياً (١) ، مما عجل بهزيمته في معركة الزاب الشهيرة وانهزام أهل الشام بعد أن أوقع الجيش العباسي الذي يمثل اليمنيون به قوة كبيرة خسائر كبيرة بين صفوفهم واستباحوا عسكره بما فيه من غنائم كبيرة من الأموال والسلاح غير أن الخليفة مروان تمكن من الهرب . وأخذت مدن بلاد الشام تسقط بيد العباسيين الواحدة تلو الأخرى بعد اندحار الأمويين في معركة الزاب إلّا مدينة دمشق فإنها أبت فحوصرت واضطرت العاصمة الفخورة ان تستسلم بعد بضعة أيام . ومن فلسطين أرسل العباسيون سرية تتأثر الخليفة الهارب فقبض عليه خارج كنيسة في بوصير من أعمال مصر كان قد التجأ اليها وتم قتله على حدّ زعم عدد كبير من المؤرخين بيد رجل من أهل اليمن من قبيلة بلحارث اليمنية ثم احتز رأسه وأرسل مع شارات الخلافة إلى الخليفة أبي العباس (٢) .

وهكذا فكما كان اليمنيون دعامة أساسية في قيام الدولة الأموية وديمومتها لفترة طويلة من الزمن كانوا أيضاً عاملاً أساسياً في سقوطها وقيام دولة بني العباس الذين ساهموا بقسط وافر في دعمهم حتى توسدوا عرش الخلافة .

---

(١) ـ الطبري : ج ٧ ص ٤٣٤ .

(٢) ـ حول مصرع آخر خلفاء الأمويين مروان بن محمد انظر المصادر والمراجع التالية :
فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ص ٤٣٤ . ط . دمشق ١٩٥٦ م . أبو الفرج : الأغاني : ج ٤ ص ٩٢ ، ط . بولاق . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٦ ص ٧٦ وما بعدها .
ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ٣٢٦ وما بعدها . ط . ليدن ١٨٧٤ م
اليعقوبي : التاريخ ، ج ٢ ص ٤١٤ . ط . ليدن ١٨٨٣ م .

وقبل ختام هذا البحث يجب الإشارة إلى أمر مهم هو أن سقوط الدولة الأموية لم يكن حصيلة سبب واحد أو بفعل فئة بعينها كتأييد اليمنيين للعباسيين وانفضاضهم عن الأمويين ، بل كان مخاضاً طويلاً شغلت فيه أدوار عديدة تنوعت أسبابها وأشكالها وقد انتهى هذا المخاض بتداعي هذه الدولة وقيام دولة بني العباس التي قدر لها أن تتسلم مقاليد الأمور في الإمبراطورية العربية الاسلامية .

وبقيام هذه الدولة الجديدة ينتهي موضوع بحثنا بما يتعلق بتاريخ أهل اليمن واليمانيون منذ المبعث وحتى سقوط الدولة الأموية ولم يبق أمامنا إلاّ بحث أمر واحد هو التعرف على أوضاع اليمن من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية ... وغيرها في الفترة الاسلامية حتى نهاية الدولة الأموية وسيكون ذلك خاتم فصول هذا البحث .

ـ الفصـــــل الســـــــــابع ـ

أوضاع اليمن في ظل الدولة الاسلامية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافيـــة حتى نهايـــة الدولة الأمويـــة .

أوضاع اليمن في ظل الدولة الاسلامية من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية والادارية حتى نهاية الدولة الأموية :

قبل الدخول في بحث تطور أوضاع اليمن في ظل الإسلام من الجانب الإقتصادي والاجتماعي والسياسي والإداري وغيره · لا بد لنا من القاء الضوء على ظاهرة جوهرية هامة امتازت بها بلاد العرب الجنوبية تدخل في تفسير جميع العوامل السابقة بشكل أساسي منذ عصر ما قبل الإسلام وبعده لفترة طويلة من الزمن ألا وهي ظاهرة الهجرة والبشرية ·

من المثبت تاريخياً أن الهجرة من شبه الجزيرة العربية بشكل عام ومن اليمن بشكل خاص كانت قائمة منذ عصور قديمة باتجاه مختلف المناطق الشمالية التي كانت أكثر ملاءمة لقيام حياة أفضل في مراحل مختلفة من مراحل التاريخ لإعتبارات عديدة نحن في غنى عن ذكرها (١).

ولما كانت دراسة هذه الظاهرة على درجة من الأهمية في بلاد العرب الجنوبية ،وجدنا أن من الأهمية بمكان التعرض بشكل سريع إلى أهم القبائل اليمنية التي هاجرت إلى مناطق متفرقة من بلاد الشام وبلاد الرافدين وغيرهما ، فقد كان لبعض هذه القبائل ثقل بشري وسياسي وحضاري مميز في عصر ما قبل الإسلام في مناطق وجودهم ·

ولما جاء الاسلام وأصبحت اليمن جزءاً من دولته ، لم تتوقف هذه الهجرة حتى نهاية فترة بحثنا وقد ترتب على ذلك تأثيرات مختلفة على جوانب حياة مجتمع اليمن الاسلامي وهذا الأمر هو ما يعنينا بحثه والتعرف عليه في الصفحات القادمة ·

أهم القبائل اليمنية المهاجرة منذ ما قبل الاسلام وحتى بداية القرن الأول الهجري :

تذكر المصادر القديمة هجرة عدد من القبائل اليمنية من مواطنها الأصلية إلى أماكن جديدة متفرقة أهم هذه القبائل هي :

قبيلة الأزد : فقد اتفقت روايات عديدة على أن سبب هجرتها كان خراب سد مارب

---

(١) ـ يمكن اجمال دوافع الهجرة اليمنية بأنها كانت تحت تأثير عوامل عديدة ومتشابكة مثل تقهقر الاقتصاد اليمني كتحول طرق التجارة عن بلادهم وخراب سد ودهم وما تبعه من أضرار في مزروعاتهم · إلى جانب التفكك السياسي والاجتماعي وقيام الحروب والصراعات القبلية فيما بينها إلى جانب العوامل الطبيعية التي ضربت اليمن مثل القحط والجدب

وكان هناك أكثر من رأي حول تاريخ خروج الازد من اليمن[1] غير أن معظم الروايات تتفق على أن خروج الازد من اليمن كان بعد سيل العرم[2] ، وقد اتجه قسم منهم باتجاه البحرين وقسم آخر باتجاه وسط الجزيرة العربية وشمالها[3] ، حيث انقسم هؤلاء إلى مجموعات قبلية ثلاث هم : بنو خزاعة ، وبنو قيلة (الأوس والخزرج) ، وبنو غسان .

أما خزاعة : فيذكر عنها أنها قامت بالإستيلاء على مكة من قبيلة جرهم[4] ثم هاجرت عشائر منها إلى الشام ومصر[5] .

ويرى ابن قتيبة في (المعارف) ان (قيلة) أم (للأوس والخزرج) نسبا اليها[6] ثم استوطنوا مدينة يثرب . وكان لهم بعد ذلك دور بارز في نصرة الدعوة الاسلامية[7] .

---

1) ـ الخزرجي : العسجد المسبوك ج ١ ص الحوفي (أحمد محمد) : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص ٨٩ . رينيه ديسو : تاريخ سورية قبل الإسلام ، ص ١٠ ، القاهرة ١٩٥٩ م .

٢) ـ ابو الفرج (الاصفهاني) : الاغاني ، ١٠ ص ٤٧ . ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٦٨ . ابن هشام : السيرة ، ج ١ ص ١٣ . البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ١ ص ٨ . فتوح البلدان ص ١٥ ـ ١٦ .

٣) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٣٧٤ . النويري : نهاية الأرب ، ج ١ ص ٢٧٢ . ابن هشام : السيرة ، ج ١ ص ١٤ .

٤) ـ ابن خلدون العبر ، ج ٢ ص ٤٧ . البلاذري : أنساب الاشراف ج ١ ص ٨ .

٥) ـ الأصفهاني : الاغاني ، ج ١٣ ص ٥

٦) ـ ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٠٩ .

٧) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٣٧٤ ، ابن خلدون : ج ١ ص ٢٧٢ .

وتعدّ قبيلة غسان من القبائل الرئيسية في مأرب قبل هجرة سيل العرم، وقد استقرت في بداية هجرتها في تهامة[1]، ثم اتجهت بعد ذلك إلى بادية الشام[2]، حيث سيطرت على مناطق كبيرة حتى مقدم الإسلام، كما نلمحها ضمن القبائل التي سكنت مدينة الفسطاط إبان الفتح[3].

أما قبيلة قضاعة بعد أن حسم أمر انتسابها إلى قحطان من قبل عدد كبير من النسابين[4] فإن عدداً كبيراً من قبائلها هاجر إلى مناطق مختلفة من بلاد العرب ولعل أبرز هذه القبائل كانت قبيلة (كلب) التي تذكر المصادر بأنها هاجرت من اليمن قبل الإسلام واستوطنت بلاد الشام واعتبرت مدينة تدمر وباديتها من أهم مستقراتها قبيل الإسلام وعند الفتح[5]. كما كان لها أهمية خاصة في حياة الدولة الأموية فيما بعد.

أما قبيلة (تنوخ) القضاعية فقد أشارت المصادر العربية إلى استيطانها منذ عصر ما قبل الإسلام بالجزيرة الشامية وبشكل خاص في حاضر قنسرين والمعرة وضمن القبائل القاطنة حاضر حلب[6]، بينما يذكر الهمداني استقرار قسم من هذه القبيلة في مدينة اللاذقية وما حولها بعد الاسلام[7]، اما ابن عبد الحكم فإنه يذكر استقرارها في الفسطاط إبان فتح العرب لمصر[8].

---

(1) ـ الهمداني : الصفة ، ص ١٢٢ . ابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٥٣ .
(2) ـ ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٤٦٨ . نولدكه : أمراء غسان ، ص ١ .
(3) ـ ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٣ . عبد الله خورشيد : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .
(4) ـ نشوان الحميري : ملوك حمير ص ٥٣ ـ ٥٤ . ابن هشام : السيرة ج ١ ص ١١ . ابن خلدون ج ٢ ص ٢٤٧ .
(5) ـ اليعقوبي : البلدان ص ٣٢٤ . الهمداني : الصفة ، ص ٢٧٥ .
(6) ـ اليعقوبي : البلدان ، ص ٣٢٤ . ابن خلدون : ج ٢ ص ٢٧٨ . البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ١٦٤ .
(7) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٢٧٥ .
(8) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٦ . ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٤ . المقريزي الخطط ، ج ١ ص ٢٩٧ .

ومن قضاعة أيضاً قبيلة (سليح) التي لها تاريخ قديم في بلاد الشام حيث تذكر المصادر سكنها بفلسطين وقد برز منها الضجاعمة التي كان منها ملوك سورية قبل الغساسنة (١)

وتعدّ قبيلة (بهراء) من أهم قبائل قضاعة التي هاجرت قبل الاسلام إلى شمال الحجاز ثم نجد وجودها مع بداية الفتح في حاضر حلب ومنطقتي البارة وأفاميه (٢) . كما ذكرت المصادر سكن جهينة (احدى عشائرها) في الكوفة والبصرة (٣) . بينما هاجرت عشائر أخرى منها مثل خشين ، جرم ، عليص ، علاف ، القين الى الشام قبل الإسلام (٤) .

ومن قضاعة قبيلة (بلي) التي هاجرت أيضاً من اليمن وانتهى بها المطاف إلى عقبة أيلة ومناطق أخرى من بادية الشام (٥)

أما قبيلة (لخم) فقد اختلفت المصادر حول كيفية هجرتها من اليمن وتاريخ هذه الهجرة فمنها من يرى خروجها بعد خراب سدّ مأرب إلى العراق ومنها من يرى انها هاجرت وقت لاحق لهجرة عمرو بن عامر (مزيقياء) (٦) .

بينما ذكرت قبيلة (جذام) اليمنية قبل الإسلام في مدينة الحيرة بالعراق (٧) . كما تشير المصادر إلى وجود هذه القبيلة في الشام عند الفتح (٨) .

كما تذكر قبيلة (عاملة) ضمن القبائل اليمنية التي هاجرت إلى العراق ـ الحيرة والشام ـ قبل الاسلام (٩) .

---

(١) ـ ابن خلدون : ج ٢ ص ٢٧٨ . نشوان الحميري : ملوك حمير ، ص ٥٤ . ديسو : مرجع سابق ص ١٠ .

(٢) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٠ ـ اليعقوبي : البلدان ص ٣٢٤ .

(٣) ـ الطبري : التاريخ ج ٤ ص ٤٥ . ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٣ . المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٩٧ .

(٤) ـ حول توزع هذه العشائر في بلاد الشام ينظر : ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٣٩٧ .
الأصفهاني : الاغاني ، ج ٢١ ص ١٢٩ . الهمداني : الاكليل ، ج ١ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ . البغدادي : خزانة الأدب ج ١ ص ٤٢٢ . ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٥٤٤ . الهمداني : الصفة ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٥) ـ الهمداني : الصفة ، ص ٢٧٣ . نشوان الحميري : ملوك حمير ، ص ٥٤ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٢ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٤٠٣ .

(٦) ـ النويري : نهاية الأرب ، ج ١ ص ٣٢٢ . ابن هشام : السيرة ج ١ ص ١٣ .

وتعدّ قبيلة (طيء) من أهم القبائل اليمنيـة التي تركت مواطنها الأصلية في بلاد العرب الجنوبيـة واتجهت نحو شمال بلاد العرب الى جبلي أجا وسلمى[1] ، ثم نجـد عشائر منها ـ قبل الاسـلام ـ في كل من مدينـة الحيرة بالعراق[2] وقنسرين في الشام[3] والحيرة عند الفتح[4] .

ولم تشر المصادر المتوفرة لدينا إلى الأسباب الحقيقيـة لهجرة طيء من اليمن وان لمح أبو الفرج في (الاغاني) إلى أن رغبـة طيء في الحصول على مناطق خصبة وآمنة قـد دفعتها إلى الهجرة ، مضيفـا إن هجرتها كانت لاحقـة لهجرة الأزد الشهيرة بفترة لا بأس بها ربما كان القرن الخامس الميلادي هو تاريخها المقبول[5] .

هجرة القبائـل اليمنيـة بعد قيام الدعـوة الإسـلامية :

لم تتوقف الهجرة اليمنيـة بعد أن أصبحت اليمن جزءاً من الدولة الاسلامية غير أن الأمر المستجد على هذه الهجرة في تلك الفترة هو تنوع دوافعها ، وصعوبة تتبع مراحلهـا وذلك نتيجـة أسباب عديدة أبرزها :

اهتمت المصادر العربيـة فقط بالهجرة التي قادتها زعامات قبليـة يمنيـة هامـة أمثال عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي وجرير بن عبد اللـه البجلي ، والأشـعث بن قيس الكندي ، وقيس بن مكشوح المرادي والسمط بن الأسـود الكندي ، ومعاوية بـن حديج السكوني ، وذي الكلاع الحميري وغيرهم من الشخصيات القبليـة اليمنيـة البارزة غير ملتفتين إلى الهجرات اليمنيـة غير المرؤسـة التي يسـميها الطبري في تاريخـه (باللواحق والروادف)[6] .

---

(١) ـ الهمداني : الصفة: ص ٤٢٣ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٠ .
(٢) ـ ابن خلدون : ج ٢ ص ٥٣ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١ ص ٢٧٧ .
(٣) ـ البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٥ .
(٤) ـ اليعقوبي : البلدان ، ص ٣١٠ .
(٥) ـ أبو الفرج (الاصفهاني) : الاغاني ، ج ١٠ ص ٤٧ .
(٦) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٤ ص ٢٨٩ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ٦ ص ١٦٣ ، ج ٧ ص ٤٢٤ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٠٢ ، ١٢٨ .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن قلة الوثائق التي تتحدث عن هذه الظاهرة من الأمور السلبية التي تقف في وجه الباحث كحجر عثرة في طريق تتبع هجرة القبائل اليمنية وحجمها ، غير أن هذا لا يعفينا من محاولة التعرف لهذه الهجرة في الفترة الاسلامية التي تدخل ضمن نطاق بحثنا التي اتخذت طريقاً لها باتجاه المناطق المفتوحة في العراق والشام ومصر والاندلس كأمر ضروري وهام لمعرفة ودراسة حجم وأبعاد الهجرة ومدى شموليتها لكافة القبائل اليمنية .

ومما لا يدع مجال للشك إن هجرة القبائل اليمنية من مواطنها الأصلية كان كبيراً جداً في صدر الإسلام ودليلنا على ذلك ظاهر بشكل جلي من خلال استعراضنا للقبائل اليمنية التي استقرت بعد عمليات الفتح في الشام والعراق ومصر والاندلس[1] ، ومن هنا لا نجد ضرورة لذكرها مرة أخرى تجنباً للتكرار ونكتفي بذكر مثالين اثنين فقط أوردهما ابن عساكر في تاريخه للدلالة على كبر عدد القبائل اليمنية التي تركت مواقعها الأصلية إبان معركة اليرموك وبعد الانتصار الذي حققه الجيش العربي الإسلامي فيها .

فحول مشاركة أهل اليمن الفاعلة في معركة اليرموك قال ابن عساكر[2] : ((وخرج الناس على راياتهم وفيها أشراف العرب فيها الأزد وهم ثلث الناس وفيها حمير وهمدان ومذحج وخولان بخثعم ، وفيها كنانة ، وقضاعة ولخم وجذام وكندة وحضرموت وليس فيها أسد ولا تميم ولا ربيعة . ولم تكن الشام دارهم انما كانت دارهم عراقية[3])) .

أما حول عددهم الكبير ـ عدد أهل اليمن ـ بعد وقعة اليرموك فقد ذكر ابن عساكر استقرارهم بأكثر من ثلاثين قرية (يمنية) حول دمشق أهمها :

---

(١) ـ ينظر الفصل من البحث ص
(٢) ـ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٥٣٥ .
(٣) ـ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٥٣٥ .

كفرسوسة ، بيت لهيا ، عقرباء ، عين ترما ، الأوزاع ، بيت الأبار ، مقرى ، بيت البلاط ، قرى حكم ، قرى جرش ، ماجد ، الحرجلة ، الحديثة ، جسر بني الأوصاب ، حرلان ، الحميريين صنماء وغيرها(١) .

وحول الغوطة وحدها كانت القرى اليمنية هي التالية :

داعية ، بيت سوا ، حمورية ، حجرا ، زملكا ، حوارة ، عربين ، أرزونا ، دقانية ، بيت قونا ، بيت أبيات ، كوكبا ، داريا ، وهي أعظم قرى أهل اليمن بغوطة دمشق .

ولعل ما سبق يدل دلالة واضحة على اتساع نطاق الهجرة اليمنية بعد قيام الدعوة الإسلامية . وقد ذكر مرجع حديث عدد السكان المهاجرين من اليمن بالأرقام وفق استقرائه بعض المصادر القديمة في قوله(٢) : ((يمكن وضع تقدير لعدد اليمنيين بحوالي ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ (مليونين وسبعمائة ألف) كان منهم سبعمائة ألف من هجرات سابقة للاسلام في كل من العراق والشام ومصر . وحوالي مليون من مجموع مليونيين خرجوا في صدر الاسلام من اليمن))(٣)

وبدون أدنى شك إذا كان هذا الرقم صحيحاً أو قريباً من الصحة فإنه كان لظاهرة الهجرة هذه آثارها المختلفة على جميع جوانب حياة اليمنيين المختلفة . ولعل أهم الميادين التي برز فيها تأثير الهجرة هو الميدان الإقتصادي .

فقد ذكر عدد من الاخباريين في مؤلفاتهم الدمار الكبير الذي لحق بالقوى المنتجة اليمنية ، كون غالبية المهاجرين من الفلاحين والشباب والعمال والحرفيين والعبيد(٤) . وهؤلاء جميعاً هم القوة العاملة الفاعلة في عملية الانتاج ببلاد اليمن .

فعلى صعيد الزراعة : نجد تقلص في مساحة الأرض الزراعية اليمنية إلى جانب تصحر

(١) ـ ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ١ ص ٤٠٤ وما بعدها ، ٤٠٩ .
(٢) ـ محمد سعيد شكري : الأوضاع القبلية في اليمن ، ص ٣٢٩ ، الهامش .
(٣) ـ = = = : مرجع سابق ، ص ٣٢٩ . الهامش .
(٤) ـ الكلاعي : الاكتفاء ، ص ٢٩٦ . الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ص ٢٥٨ .

وتصلب قسم آخر منها وذلك بسبب هجرة المزارعين والعمال والعبيد .

بالإضافة إلى ذلك فقد كان للهجرة اليمنية مردود سلبي في الريف اليمني فقد ذكرت لنا بعض المصادر خراب العديد من القرى وتحطم عدد كبير من السدود وقنوات الري فانعكست هذه الأمور بشكل غير ايجابي على المنتوج الزراعي اليمني كماً وكيفاً (١)

أما الصناعة : فلم يكن حظها أفضل مما كان عليه الوضع الزراعي في اليمن فقد ذكر اندثار عدد كبير من الصناعات المعدنية في اليمن بسبب هجرة الحرفيين والعمال ورخص معادن الأمصار المفتوحة . مما جعل اليمن تعاني إلى أمد طويل من أزمة خانقة في صناعاتها التقليدية والتي غزت بها عالم العصور القديمة (٢) .

وتحدثنا مراجع عديدة عن تأثر الحياة التجارية في بلاد العرب الجنوبية تأثراً كبيراً بفعل رحيل اليمنيين عن أرضهم في الفترة الأولى من قيام الدعوة الإسلامية وبعد معارك الفتح الرئيسة . إذ كانت هذه الهجرة سبباً رئيساً في تحول الإهتمام بالطرق التجارية اليمنية الغربية . خاصة البحر الأحمر لحساب طريق الخليج العربي التي أصبحت الطريق الدولي للتجارة مع العراق والشام فأدى ذلك إلى تقليص قوة حركة التجارة اليمنية ، وسبب مردوداً عكسياً على أصناف التجارة اليمنية القديمة (٣) .

إلى جانب ذلك ، فقد تأثرت الثروة الحيوانية اليمنية تأثراً كبيراً بظاهرة الهجرة اليمنية نظراً لاصطحاب القبائل المهاجرة حيواناتها معها وبأعداد كبيرة من (ابل وخيول وبراذين وأغنام) إلى مناطق استقرارها الجديدة في الأمصار المفتوحة . مما أوجد نقصاً كبيراً في ثروة اليمن الحيوانية (٤) . فانعكس ذلك بشكل سلبي على الزراعة اليمنية بسبب قلة

---

(١) ـ الكلاعي : الإكتفاء ، ص٢٩٦ . الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ص٢٥٨ .
جواد علي : المفصل ، ج ١ ص١٩٦ ، ٢٥١ ، ج ٤ ص٢٨١ .

(٢) ـ جواد علي : مرجع سابق ، ج ١ ص١٩٦ .

(٣) ـ حسين مروة : النزعات المادية في الفلسفة العربية ، ج ١ ص٤١٨ . بيروت ١٩٧٨م
شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ج ١ ص١٣٥ . بيروت ١٩٧٨ م .

(٤) ـ الطبري : ج ٤ ص٥٤٢ . الواقدي : فتوح الشام ج ١ ص٤ ، ٢٥٨ .
أبو الفرج : الأصفهاني : الأغاني : ج ١٤ ص٢٩ .

الحيوانات التي تستخدم في حراسة الأرض وعلى الصناعات الجلدية ودباغتها التي كان لليمن شهرة واسعة في تصنيعها[1].

أما الوضع الاجتماعي : فقد تأثر مجتمع اليمن تأثراً كبيراً بظاهرة الهجرة التي تعرض لها في صدر الإسلام وذلك بسبب كبر حجمها وطابعها الجماعي إلى جانب تدفق استمرارها طيلة فترة الخلفاء الثلاثة الأول (١٢ ـ ٣٥ هـ) . ولا تخفي المصادر الحجم الكبير لهذه الهجرة الجماعية . فهي تفوق مثيلاتها من الهجرات السابقة ، من حيث مشاركة كافة القبائل اليمنية فيها دون استثناء وذلك ما لم يحدث في تاريخ الهجرة اليمنية قبل الإسلام . وتقدم هذه المصادر أرقاماً لأعداد المهاجرين العرب عامة واليمنيين خاصة . غير ان ما يعيب هذه الأرقام عدم دقتها وفقدان شموليتها إذ إن العديد من الهجرات لم يشر إلى اعدادها[2] ومهما يكن من أمر ، فقد كان أثر هذه الهجرة على المجتمع اليمني بيناً وواضحاً فقد أخرجت فئات من مجتمع اليمن كان لها وضع اجتماعي مميز وثقل كبير وقد أشار الى هذه الناحية الطبري في تاريخه حيث قال : ((ان الخليفة عمر بن الخطاب لم يدع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سطه ولا خطيباً ولا شاعراً إلاّ رماهم (العجم) به ، فرماهم بوجوه الناس وخيارهم))[3].

والظاهرة الأخرى التي عمت المجتمع اليمني بسبب هذه الهجرة هو ما أصاب الأسرة اليمنية من تفكك وذلك أثر خروج غالبية كبيرة من الشباب إلى الأمصار المفتوحة ، وترك قسم منهم نساءهم في اليمن وقاموا بالزواج من بنات القبائل العربية الأخرى أو من بنات الروم أو عن طريق شراء الإماء من الامصار[4].

---

(١) ـ البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ١ص٣٧١ . ابن حوقل : مصدر سابق ص ٢٣ ، ٤٣ . المقدسي : مصدر سابق ، ص٩٨ . الهمداني : الصفة ، ص٦٩ ، ٣٦٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٤١٦ ـ ٤١٧ ، ٣٦٢ ، ٣٥٢ .

(٢) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٢ ، ١٢٨ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٦ص١٦٣ ، ج ٧ص٤٢٤ . الطبرى : ج ٤ ص٢٧٩ . ابن الأثير : اللباب ج ٣ص٤١٧ . البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٠٥ . جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ج ١ ص١٨٤ . ماسينوس : خطط الكوفة ص١٥ . خطط البصرة وبغداد ، ص١٦ . الواقدي : فتوح الشام

كما سببت المعارك الكبيرة قتل اعداد كبيرة أيضاً من مقاتلي أهل اليمن مما سبب مشكلة اجتماعيـة بالنسبة للزواج عند اليمنيين اذ قل كثيراً عدد المتقدمين للزواج من الفتيات مما أوجد مشكلة واضحة إبان خلافـة عمر بن الخطاب(١).

وسط جزع العديد من الآباء على أبنائهم ـ نتيجة هجرتهم ومشاركتهم في حروب الفتح ـ طالبوا بإعادة أبنائهم(٢).

وكنتيجة طبيعية لهذه الهجرة أصبح هناك نوع من التمازج السكاني بين أبناء القبائـل اليمنيـة وأبناء الأمصار المفتوحة ، وقد ذكر الطبري في تاريخـه وصول عدد من سبي المعارك الى اليمن(٣).

من جانب آخر ، كان لهذه الهجرة تأثير واضح على التوزع الجغرافي لسكن القبائـــل اليمنيـة بالمقارنة مع ما كانت عليه من توضع قبل الإسلام وبعده ، بالإضافة إلى ذلك فقد اختفت أبناء قبائل وعشائر يمنيـة برمتها عن الخارطة القبلية اليمنية(٤) كقبيلة سبأ ، وقتبان ، والأحبوس والصنابح(٥).

ونظراً لوجود فراغات ـ نتيجة الهجرة ـ في بعض ديار القبائل ، فقد ملئت بقبائل أخرى قبيلة مذحج وتحركاتها القبلية الأخير دليل على ذلك(٦).

ولم تكن وحدها القبائل اليمنيـة تقوم بملء الفراغ القبلي التي أحدثته الهجرة بــــل تسرب إلى هذه الأمكنة الخالية قبائل ومجاميع سكانية عربيـة وغير عربية ، مثل قريش وعنز في عسير

---

(١) ـ الطبري : التاريخ ج ٤ ص ٢٨٧ .
(٢) ـ ابو الفرج (الاصفهاني) : الاغاني ج ١٢ ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ج ١٨ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(٣) ـ الطبري : ج ٤ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، ١٠٩ .
(٤) ـ محمود طـه أبو العلا : مرجع سابق ، ج ٢ ص ١٤٧ .
(٥) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٢ ص ٨٤١ .
(٦) ـ جواد علي : المفصل ، ج ٢ ص ٥٤٨ ، ٥٥٢ .

والفرس في صحار وعدن ، والأحباش في تهامة (١) .

واذا ما حاولنا اقتفاء أثر الهجرة اليمنيــة على المجتمع اليمني في صدر الاســلام مــن الناحية السياسية والحضاريــة لوجدنا ان خروج زعماء القبائل اليمنيــة من أرضهم الـــى مناطق جديدة مع ما رافق ذلك من افراغ سكاني كان سبباً رئيسـاً في عدم المشاركة السياسية في ادارة حكم المقاطعات اليمنيــة الإســلامية من قبل زعامات أو رجال من أهل اليمن . فقد كان غالبيــة ولاة اليمن من مكــة والمدينــة واستمر ذلك طيلة عهد الخلفاء الراشدين (٢) .

أما من الجانب الحضاري : فقد كان للهجرة اليمنية دور كبير في اخراج أعداد كثيـرة ممن يملكون الخبرة عن حياة المدن . إذ نجد على صفحات مؤلفات أهل الأخبار ذكراً واضحاً للدور الذي شغله اليمنيــون في عمليــة الاستقرار الحضري وتخطيط الخطط للقبائل العربية في كل من الشام ومصر والعراق والاندلس (٣) .

غير أن أبرز مظاهر تأثر مجتمع اليمن في هذه الفترة ـ بعد الدعوة ـ وحدوث الهجرة اليمنيــة الواسعة هو انتقال مركز ثقل الجزيرة العربيــة من اليمن إلى الحجاز ونظراً لهــذا التطور التاريخي فقد بقي شأن بلاد اليمن ضئيلاً وأمورها ثانويــة في نظر حكومات الخلافــة المتعاقبــة (٤) .

---

(١) ـ أبو الفرج (الأصفهاني) : الأغاني ج ٦ ص ٣٠ ـ ٣١ . عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص ١٣٤ .
جواد علي : المفصل ، ج ١ ص ٥٢٠ ـ ٥٢١ . ج ٤ ص ٣٠٣ . لطفي عبد الوهاب يحيى : مرجع سابق ص ٩١ .

(٢) ـ الطبري : ج ٢ ص ١٤٨ ، ١٧١ ـ ١٧٢ ـ ٢١٥ . القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٥ .

(٣) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ . ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٣ القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٢١ . المقريزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٩٧ .
ماسينيون : خطط البصرة وبغداد ، ص ١٨ . نزار الحديثي : مرجع سابق ص ١٤٧ ، ١٦٥ .

(٤) ـ فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ، ج ١ ص ٨٧ .

ولم تنج الحياة الثقافية اليمنية من مسالب الهجرة اليمنية بعد الدعوة الإسلامية بل أصابها ما أصاب الجانب الإقتصادي والإجتماعي والسياسي . وحول هذا الجانب ذكرت لنا مصادر عديدة رحيل عدد كبير من أهل العلم مع من رحل من أهل اليمن إلى الأمصار المفتوحة وكان هؤلاء العلماء متنوعون في ثقافاتهم وعلومهم فكان منهم الخطباء ، والشعراء ورواة الحديث ، والقضاة ، والفقهاء . وعلى سبيل المثال برز من شعراء اليمن المهاجرين عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي . ومن علماء الدين والفقه ، عبدالله ابن سبأ وعبد الرحمن بن ملجم . ثم كعب الأحبار ، وعبيد بن شريه اللذين عنوا بكتابة الأخبار التاريخية .

ويبدو ان خروج بعض المؤرخين اليمنيين من أرضهم إلى مناطق جديدة كان له دور كبير في نقل أفكار تاريخية أسطورية عن بلادهم(1) . كما أشارت بعض المصادر الى خمول الأدب اليمني المحلي بفعل هذه الهجرة واضمحل الشعر بوجه عام(2) .

من جهة أخرى فقد ساهم اليمنيون المهاجرون في نقل المذاهب الدينية والأهواء السياسية إلى بلادهم بعد عودة بعضهم اليها ثانية(3) . وعلى الرغم من ذلك فقد شهدت الساحة اليمنية في ظل الدولة الاسلامية تيارات فكرية متنوعة أثرت جميعها وتأثرت بالثقافة الإسلامية غير انه كان لتلك الثقافة ما يميزها ويطبعها بطابع خاص إلاّ وهو الطابع الديني .

ومما هو معروف تاريخياً ان الديانتين اليهودية والنصرانية تسربتا إلى بلاد اليمن واعتنق قسم كبير من أبناء اليمن هاتين الديانتين ولما جاء الاسلام وانتشر في بلاد العرب الجنوبية بقي قسم من أبناء اليمن على ما كانوا عليه قبل ظهور الدعوة مقابل جزية يدفعونها

---

(1) _ شاكر مصطفى : مرجع سابق ، ج 1 ص 135 _ 136 .
(2) _ ابن سعد : الطبقات ، ج 5 ص 491 _ 492 .
(3) _ محمد بن أحمد : الشاطري : أدوار التاريخ الحضرمي ، ج 1 ص 98 _ 99 . نشر بيروت مكتبة الارشاد ، جدة بلا تاريخ .

للدولة الاسلامية انطلاقاً من تعاليم الدين الحنيف ((لا اكراه في الدين)) واستمر أصحاب هاتين الديانتين بالعيش جنباً إلى جنب مع المسلمين اليمنيين وكانت لهما ثقافتهما وعلومهما الخاصة منطلقين من اسس دينية بحتة كالتوارة والانجيل وما لحق بهما من كتب تفسيرية وجدت في اليمن وتناقلها اليمنيون أباً عن جد (١).

وتذكر لنا مؤلفات الاخباريين علماء دين كثيرون قاموا بنشر هذه الأفكار في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية ، وبين أتباعهم ومؤيديهم عبر مدارس خاصة أو في الكنائس والبيع (٢).

وقد تناولت علومهم أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم (٣) وأخبار الأنبياء ، وخروج آدم من الجنة (٤) ، وذكر انساب بني نوح (سام وحام ويافث) ، وكلام الأنبياء وأحاديث بني (٥) ، اسرائيل ، وأخبار الملوك الماضين وصراع ذي نواس مع أذواء نجران النصارى فيها (٥).

وينسب إلى وهب بن منبه وهو من أبرز اعلام الثقافة اليهودية ـ النصرانية المتأثرة بالثقافة الاسلامية في صدر الإسلام اسطورة مكتملة عن تاريخ اليمن القديم فيما يختص بسكن أولاد قحطان اليمن ، وصراعهم ضد أعدائهم سواء في أزربيجان شمالاً أو المغرب غرباً (٦).

---

(١) ـ وهب بن منبه : التيجان ، ص٢٥ . الهمداني : الاكليل ج ١ ص ١٣٠ . الرازي : تاريخ صنعاء ، ص٣٨٥ ـ ٣٨٦ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٧ ص٣٦١ .

(٢) ـ ابن هشام : السيرة ، ج ٢ ص٢٢٢ . الرازي : تاريخ صنعاء ، ص٣٨٥ . ابن خلدون : المقدمة ص٣٤٨ .

(٣) ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص٣٤٨ . جرجس داود : أديان العرب قبل الاسلام ص ٢٤٥ . ط أولى بيروت ١٩٨١ م .

(٤) ـ الهمداني : الاكليل ج ١ ص١٢٩ ابو الفرج (الاصفهاني) ، : الاغاني ج ١٠ ص ١٣٧ .

وهب بن منبه : التيجان ص٢ ـ ٣ ، ٨ ـ ٩ ابن هشام : السيرة ، ج ٢ ص١٩٧ . الواقدي : فتوح الشام ج ٢ ص١٥ ـ ١٦ . ابن سعد : الطبقات ج ٧ ص٣٦١ .

(٥) ـ وهب بن منبه : التيجان ص٢٥ . ابن سعد : الطبقات ج ٧ ص٣٦١ . جواد علي : المفصل ج ١ ص٨٠ .

(٦) ـ محمد سعيد شكري : الاوضاع القبلية ، ص٣٥٤ .

وعلى الرغم مما شاب هذه الاسطورة من خيال إلاّ أن (وهب) وفق في وضع اســــطورة جيلة يمكن أن تكون نموذجاً هاماً للثقافة اليمنيـــة في صدر الإسلام وبداية عهد الدولة الأموية (١).

ومن جهة أخرى فقد أثرت الثقافة النصرانية في نجران على مجالات شتى سواء أكانت فـي الجانب التعليمي (٢) أو الشعر ، فعلى سبيل المثال تأثر الشاعر الأعشى بثقافة أساقفة ورهبان نجران في كثير من شعره (٣).

بالإضافـة إلى ذلك فقد ذكرت بعض المراجع الحديثـة تأثر الفكر اليمني بمؤثرات ثنائيـة مجوسـية وبشكل خاص في المناطق التي وجد بها الفرس كالمنطقة الشرقية (عمان) و (صنعاء) (عدن) و (ذمار) و (جيشـان) (٤) . وقد عبّر عن هذا التأثر عبر مجرى الثقافة اليمنية العامة في صدر الإســلام (٥) .

وتعترف العديد من المصادر القديمة والمراجع الحديثـة بتأثير الثقافة اليمنية الدينيـــة (اليهوديـــة والنصرانية) في الثقافة العربية الإسلامية . وردت في شرح القرآن الكريم ، والتي عرفت باسم ((الاسرائيليات)) (٦) كما اتخذت لها مشارب إلى الحديث (٧) ، وشكلت القاعدة العامة للتاريخ القديم لدى المؤرخين العرب والمسلمين ، الذين أرخوا الفترة ما قبل الاســلام بدء الخليقة ، وتاريخ الرسالات والأنبياء والملوك القدماء والأنساب اليمنية القديمة (٨) .

وقد ذكر عدد كبير من أهل الأخبار أن الذي قاد هذه التأثيرات ونقلها ، تيار الهجرة الجماعي في صدر الاسلام ، واخباريين وعلماء يمنيين أمثال كعب الاحبار ، ووهب بن منبــه

---

(١) ـ وهب بن منبه : التيجان ، ص١٠ ، حيث جاء لوهب قوله : ((أول ما تكاثف مـــن الأرض وانعقد وصار أرض ـ البيت ـ حيث كانت الأرض زبدا)) .

(٢) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، ابن هشام : السيرة ، ج ٢ ص ٢٢٢

(٣) ـ الأغاني : ج ١٠ ص ١٣٦ ، جرجس داود : مرجع سابق ، ص ٢٤٨ ، وما بعدها .

(٤) ـ حمود العودي : المنظور العلمي للثقافة ، ص ١١٦ .

(٥) ـ المرجع السابق نفسه ، ص١١٥ ، ديتلف نلسن : تاريخ العرب القديم ، ص ٤١ ـ ٤٢ ، ١٥ .

(٦) ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص٣٤٨ ، جواد علي : المفصل ، ج ١ ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٧) ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٨ ، جواد علي : المفصل ، ج ١ ص ٨٤ .

(٨) ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص٣٤٨ ، شاكر مصطفى : مرجع سابق ، ج ١ ص ١٢ ، ١٥٥

وعبيد بن شريه ، وعبد اللــه بن سبأ[1] ، ويزيد ابن مفرغ وغيرهم كثير[2] . وأضحت هـــذه الثقافــة الدينيــة النصرانيــة ـ اليهوديــة الممزوجة بالتاريخ الحضاري اليمني القديم رافدا من روافد الفكر العربي الإســـلامي بعد ذلك[3] .

بعد هذا كله كيف يمكننا وضع تصور عن الحياة الثقافية اليمنيــة في ظل الدولـــــة الإســـلامية ابتداء من بزوغ فجر الدعوة وحتى نهايــة الدولة الأموية ؟ .

من الأمور التاريخيــة التي أصبحت معروفــة لدينا ان اليمنيين علموا بأخبار الدعـــوة الإســـلامية منذ بدايــة انطلاقتها الأولى[4] عن طريق رسائل مختلفــة وما يتعلق بطبيعتها التي تدعو إليه من نبذ عبادة الأصنام والتجوء إلى عبادة إله واحد ، اليه يبعث جميع خلقـــه يوم القيامــة كي يحاسب عباده بادخال المحسنين الجنة والمسيئين النار[5] .

وفي الســـنة السابعة للهجرة تم اعتناق العديد من أفراد القبائل اليمنية للدعـــوة الإســـلامية[6] من مناطق جغرافيــة مختلفــة ، وتبنى هؤلاء المسلمون اليمنيون معانـــــي الإيمان بإله واحد ، ونبي مرسل ، وأعطوا الصدقــة وخمس الغنيمة ، وقاتلوا المشركين ووثنيتهم وأخذوا الجزيــة من اليهود والنصارى اليمنيين . وهذا دليل على تغلغل مثل اسلامية وثقافــة جديدة متكاملـــة .

---

(1) ـ تاريخ الخلفاء : لمجهول ، ص ٣٧ . مرتضى العسكري : عبدالله بن سبأ ، ط . الثانيــة دار الكتاب العربي بمصر ١٣٨١ هـ .

(2) ـ محمـد سعيد شكرى : الأوضاع القبليــة ، ص ٣٣٤ .

(3) ـ المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

(4) ـ ينظر الفصل الذى يتناول دخول أهل اليمن بالاسلام من البحث ، ص

(5) ـ ينظر القرآن الكريم ، سورة الأعراف الآيــة : ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ .

(6) ـ ينظر محمد سعيد شكرى : مرجع سابق ص ٢٠٣ وما بعدها ، كما ينظر من البحــث الفصل المتعلق بكيفية دخول أهل اليمن الاسلام ص

(7) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ص ٥٣٠ .

غير أن السنة العاشرة للهجرة كانت نقلة نوعية في حياة المجتمع اليمني تمثلت بتعـرف معظم القبائل اليمنيـة على الدعوة الإسلاميـة وتبنت الكثير منها كثقافـة ومثل الإسـلام فالوفود التي قدمت المدينـة من مختلف أرجاء اليمن معلنة إسلامها تعلمت القرآن والسنة في المدينـة قبل عودتها إلى ديارها [1]، كما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم لعماله علـى الصدقات صلاحيات تعليميـة وثقافيـة واسعة ، لنشر الثقافـة الإسـلامية وتعاليم الدين في أوساط القبائل اليمنيـة في كل ما يتعلق بشؤون المجتمع من الأمور الشرعيـة والقانونيـة على كافـة الصعد حسب ما ورد في القرآن والسنة [2].

وفي مرحلة لاحقـة لم يمض وقت طويل حتى أصبحت اليمن جميعها جزءاً من الدولـة الإسـلاميـة وقد رافق هذا التطور توحيد شبه كامل للثقافـة في اليمن تحت مظلة الاسلام [3] كما تميزت أيضاً باستمرار تعايش الثقافـة اليهوديـة والنصرانيـة معه . وشهدت هذه الفترة امتزاج التيارات الثقافيـة اليمنيـة ـ اليهوديـة والنصرانيـة ـ بالثقافة الإسـلامية وبذا شكلت الثقافـة اليمنيـة الاسلامية الأولى (بعد ذلك) رافداً هاماً من روافد الفكر والثقافـة الإسلامية في جوانبها الدينيـة والأدبيـة والتاريخيـة [4].

وبدهي أن يكون لهذه الثقافة مراكز انتشـار في بلاد العرب الجنوبيـة . فمثلما ارتبط الجانب التعليمي لدى اليهوديـة والنصرانيـة في اليمن بمراكز العبادة (الكنائس والبيع [5]) قام المسجد في الاسـلام بالدور نفسه على مدى العصور الاسلامية [6] في اليمن واستمر هـذا الدور حتى وقت متأخر [7].

---

(1) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٣ ص ١٢٠٣ . ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٢٧ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

(2) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٢٦٤ وما بعدها . الكلاعي : الاكتفاء ص ٢٩٦ . ابن سلام : الأموال ، ص ٣٨ ـ ٣٩ . الخزرجي : المسجد المسبول ص ٩ ـ ١٠ .

(3) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ص ٥٤٠ ، ٥٤٢ . ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٥٥ .

(4) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٤ ص ٣٤٠ . مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٧ .

(5) ـ أبو الفرج (الاصفهاني) الاغاني ، ج ١٦ ص ١٥ . ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ١٦٥ ابن هشام : السيرة ج ٢ ص ١٩٦ ـ ٢٠٢ ، ٢٢٢ .

(6) ـ مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص ٧ . اسماعيل الاكوع : المدارس الاسلامية في اليمن ص ٧ ـ ٨ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ص ٣٨١ ، ٥٠١ .

(7) ـ اسماعيل الاكوع : مرجع سابق ، ص ٧ ـ ٨ .

وتركز التعليم الاسلامي في اليمن على القرآن الكريم والسنة والكتب الدينيــة التي يقوم مدرســون بتدريسها(١).

ومن الجدير بالذكر الإشــارة إليــه أن حركة التعليم وانتشــار الثقافة في اليمن تركــز في المدن الرئيســة أكثر من المناطق البدوية وذلك بسبب تمركز عمال النبي وولاة الخلفـاء من بعده فيها(٢). كما لا يخفى دور المدينة ومكة كمركزين علميين هامين استقى منهما العديد من أبناء اليمن علومهم الثقافية في القرآن والسـنة(٣).

فقد أشارت عدد من المصادر إلى تلقي يمنيين كثر تعليماً دينيــاً على يد العديد مــن الشخصيات الإسلامية في المدينة وعلى رأسهم النبي نفسه (ص) . وقد اشتهر من هــؤلاء المتعلمين اليمنيين أبو موسى الاشعري ، وأبناء عمه عبيد بن وهبة (أبو عامر) ، وكعــب بن عاصم ، وفروة بن مسيك المرادي ، وأبيض بن حمال الحميري(٤).

من جانب آخر قام رسـل النبي (ص) إلى اليمن بتعليم الناس وتثقيفهم في علوم القرآن والسـنة(٥) ، وبلغت عملية التعليم والتثقيف الديني ذروتها على يد علي بن أبي طالب (رض)(٦) ومعاذ بن جبل(٧) ، وعمرو بن حزم(٨) ، وولاة الخلفاء بعد ذلك(٩).

ولا يخفى دور معاذ بن جبل الثقافي في اليمن فقد كان كبيراً ورئيسـاً ، إذ قدم اليمــن لشؤون التعليم إلى جانب قبض الصدقات ــ حيث يشير البلاذري إلى ذلك قائلاً ((ولى رســول الله (ص) .... معاذ بن جبل الانصاري الجند ، والقضاء ، وتعليم الناس الاسـلام

---

(١) ــ ابن هشام : السيرة ، ج ٤ ص ٢٤١ . ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٣٢٧ ، ٣٤٤ .
الرازي : تاريخ صنعاء ، ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦ . البلاذري : أنساب الاشراف : ج ٢ ص ٢٩٤ .
(٢) ــ الهمداني : الصفة ، ص ٧٩ ــ ٨٠ ، ٨٢ .
(٣) ــ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص ٢٢ ابن سمرة الجعدي : مصدر سابق ص ٥٦ ــ ٥٧ .
(٤) ــ ابن سمرة الجعدي : مصدر سابق ، ص ٢٥ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ص ٥٢٤ .
(٥) ــ ابن خلدون : ج ٢ ص ٢٢
(٦) ــ ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ص ٤١٣ .
(٧) ــ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٣ ص ١٤٠٢ . ابن خلدون : ج ٢ ص ٦٦ .
(٨) ــ محمد حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوي ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤ .
(٩) ــ ابن سعد : الطبقات : ج ٣ ص ٦٢٦ .

وشـــرائعــه ، وقراءة القرآن)) [1] .

ويضيف ابن خلدون في تاريخه العبر قائلاً : ((كان معاذ بن جبل يعلم القـــرآن باليمن)) [2] .

ويبدو أن أعداداً كبيرة من علماء أهل اليمن تلقوا علومهم على يدي هذا الصحابـــي الجليل وكانوا مرجعاً للعلم والمعرفـة في الأمصار المفتوحة التي استقروا بها بعد عمليـــات الفتح الكبرى [3] .

غير أن معارف أهل اليمن بعد قيام الدعوة لم تقتصر على التفقه بالدين وعلومه فحسب بل اشتهر منهم اخباريون ، وعلماء بالانساب ، والشعر ، وعلم الانواء وغير ذلك .

فعلى سبيل المثال اشتهر من الشخصيات الاخباريـة اليمنيـة في الدولة الاسلامية كعب الاحبار الذي ينتهي نسبه بقبيلة حمير الذي تتحدث عنه المصادر بأنه أسلم زمن الخليفـة الأول (أبي بكر) (رضي) وقدم المدينة زمن الخليفـة الثاني عمر بن الخطاب (رضي) . هاجر إلى الشام وتوفي في مدينة (حمص) عام ٣٢ هـ [4] .

يذكر أن كبار صحابة رسول الله (ص) حدثوا عنه مثل : أبو هريرة ، ومعاوية وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وهذا أمر نادر أن يحدث صحابي عن تابعي [5] .

كما اشتهر من رجال أخبار أهل اليمن (وهب بن منبه) الذي يصفـه الاخباريون بسعة اطلاعه [6] ومعرفته للغات سامية كاللغة العبريـة والسريانية [7] . وقد تأثر بعلمه عدد من المؤرخين العرب والمسلمين ، فظهر تأثيره في تفسيرهم للذكر الحكيم والحديث الشريف وفي

---

(١) ـ البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ١ ص ٥٢٩ .
(٢) ـ ابن خلدون : ج ٢ ص ٦٦ .
(٣) ـ من أجل معرفة أعداد العلماء اليمنيين الذين تلقوا علومهم على يدي معاذ بن جبل ينظر محمد سعيد شكري : الاوضاع القبلية ، ص ٢٦٧ وما بعدها .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٧ ص ٤٤٥ . نشوان : منتخبات ، ص ٢٤ . ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٣٠ ، الهمداني : الاكليل ، ج ١ ص ١٢٠ .
(٥) ـ نور الدين حاطوم وغيره : المدخل إلى التاريخ ، ص ١٤٥ ، دمشق ١٩٦٥ م .
(٦) ـ وهب بن منبه : التيجان ، ص ٢
(٧) ـ المصدر السابق ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

كتبهم عن السيرة والتاريخ . ومن أشهر هؤلاء المؤرخين : ابن اسحاق ، وابن قتيبة والطبرى ، والمسعودي ، والبلخي ، والكسائي ، والثعلبي ، والبغوى ، والزمخشري وغيرهم[1].

كما برز في الفترة نفسها من أهل اليمن عبيد بن شريه الجرهمي . الذى أدرك النبي (ص)[2] ، واستقدمه معاوية بن أبي سفيان من صنعاء[3] في عهد خلافته . ولا يستبعد تأثر الخليفة الأموي هذا بالروايات التي قدمها عبيد بن شرية عن نظام الحكم في اليمن القديم ، ونظام الوراثة الملكية[4] . مما أدى إلى ظهور فكرة ولاية العهد لابنه يزيد عام ٥٦ هـ[5] . وقد بقي معاصراً لعدد من الخلفاء الأمويين حتى توفي في عهد عبد الملك ابن مروان عام ٧٠ هـ[6] .

ثم ظهر يزيد بن مفرغ الحميري . من منطقة يحصب في بلاد الكلاع من حمير ألف كتاباً في عهد معاوية بن أبي سفيان سماه (سيرة تبع وأشعاره) ، وعاصر في حياته عدد من الخلفاء الأمويين حتى توفي عام ٦٩ هـ[7] .

إلى جانب ذلك فقد برز عدد من شعراء اليمن في هذه الحقبة كان أبرزهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي[8] ، والطفيل بن عمرو الدوسي[9] ، وفروة بن مسيك المرادي[10] ومالك بن حارثة النخعي[11] ، ومالك بن نميط الهمداني[12] وغيرهم . فقد مثل هؤلاء الشعراء اليمنيون رسل حضارة بلاد اليمن إلى الأمصار المفتوحة[13] بعد قيام الدعوة

---

(١) ـ نور الدين حاطوم : مرجع سابق ، ص١٥١ . شاكر مصطفى : مرجع سابق ، ص١٥٥
(٢) ـ النديم : الفهرست ، ص١٠٢ .
(٣) ـ المصدر السابق نفسه ، ص١٠٢ . حاطوم : مرجع سابق ، ص ١٥٢ .
(٤) ـ أخبار عبيد بن شريه : ص ٣٠٣ ، ٤١١ . ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ، ٤٢٩ .
(٥) ـ الطبرى : التاريخ ج٥ ص٣٠١ ـ ٣٠٢ .
(٦) ـ النديم : الفهرست ، ص١٠٢ . حاطوم : مرجع سابق ، ص ١٥٢ .
(٧) ـ شاكر مصطفى : مرجع سابق ج ١ ص١٣٧ .
(٨) ـ ابو الفرج (الاصفهاني) : الاغاني ، ج ١٤ ص ٢٤ ، ٣٢ . جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ج ١ ص١٤٧ .
(٩) ـ أبو الفرج (الاغاني) : ج ١٢ ص ٥١ .
(١٠) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ١٢ ص ٥١ .

الإسلامية وانتهاء معارك الفتح الكبرى في اليرموك والقادسية وغيرها .

بالإضافة إلى هذه العلوم التي اشتهر بها رجالات أهل اليمن في هذه الفترة فقد برز منهم علماء بمعرفة علم الانواء [1] لتحديد فصول السنة الملائمة للزراعة [2] . كما اشتهر عدد منهم بعلم الأنساب العربية [3] .

وفي ختام دراسة الحياة الثقافية والعلمية في بلاد اليمن بعد قيام الدعوة الاسلامية نحاول التعرف ـ في ختام بحثنا ـ إلى الجانب الاداري ونظمه في بلاد العرب الجنوبية في ظل الدولة الاسلامية حتى نهاية الدولة الأموية على الرغم من عدم وجود مصادر متوفرة من يمنية وغيرها ما يوضح خصوصية تتعلق بأنظمة الادارة في اليمن ولذلك افترضنا بشكل منطقي أن الادارة في اليمن كانت مثلها مثل بقية الأمصار الأخرى في الدولة الاسلامية وعلى هذا بنينا دراسة هذا الجانب بشكل عام .

الادارة الإسلامية في اليمن حتى نهاية الدولة الأموية :

بدأت بوادر التنظيم الاداري في الاسلام بالظهور منذ بيعة العقبة الثانية [4] وتجلت آثاره في الصحيفة التي وضعها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ويهود يثرب ومن بقي من العرب على الشرك إذ رسمت هذه الصحيفة اسلوب العمل بين جميع الفئات المدينة ، وتتوضح القواعد الأساسية لهذا الترابط في النص على ((أن المؤمنين أمة من دون الناس)) وأن أفراد هذه الأمة عليهم تنظيم العمل فيما بينهم من أجل السهر على الأمن والقضاء على المفسدين [5] .

فلما كان فتح مكة وما أعقبه من استسلام هوازن وثقيف ، بدأت القبائل تدخل في دين الله أفواجاً وترسل وفودها منذ نهاية العام الثامن للهجرة وطوال العام التاسع ، واقتضى

---

(١) ـ الهمداني : الاكليل ، ج ١٠ ص ١٤ ـ ١٥ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ص ٣٢١ .
(٢) ـ اغناطيوس كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ج ١ ص ٤١ . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، طبع مصر ، بدون تاريخ .
(٣) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٤ ص ١٦٢٣ .
(٤) ـ ابن هشام : السيرة ، ج ٢ ص ٨٥ ، ط ، ١٣٥٥ هـ
(٥) ـ نجدة خماش : مرجع سابق ، ص ١٣ . ط . دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠ م .

هذا التطور تعديلاً واسعاً في النظام السياسي ـ الإداري الذي سبق أن أقامه الرسول صلى اللـه عليه وسلم بمقتضى الصحيفة ويتجلى هذا التطور بشكل واضح في سورة التوبة التي تضمنت أحكاماً نهائية خاصة فيما يتعلق بموضوع الجهاد ، وعلاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى . أما القبائل التي تلكأت في اعلان إسلامها أو إرسال وفود من قبلها لبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد غدت عرضة لغزو المسلمين حتى تقر بالإسلام وتعترف برئاسة الرسول كما كان حال بعض القبائل اليمنية كبني الحارث بن كعب ، إذ بعث الرسول الكريم صلى اللـه عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول أو في جمادى الأولى من السنة العاشرة للهجرة إلى نجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فإن استجابوا قبل منهم إسلامهم وإلاّ وجب عليه قتالهم[1] . كما وجه الرسول صلى اللّه عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضي اللّهُ عنه في سرية إلى اليمن في رمضان[2] فأسلمت همدان ثم تبع أهل اليمن على الأسلام وأما من بقي على يهوديته أو نصرانيته فعليه الجزية ، على حالم ذكر أو أنثى حرًا أو عبد دينار واف من قيمة المعافر أو عرضة ثياباً[3] .

بدأت طبقة العمال الاداريين في الدولة الاسلامية بالظهور منذ السنة التاسعة للهجرة نظراً لاتساع سلطانها على جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية ، كما ظهر العمال الذين كان يرسلهم لجمع الزكاة والصدقات والجزية فضلاً عن تعليم القرآن الكريم للناس وما يتصل بشؤون الدين من معاملات ، وكان الرسول صلّى اللّهُ عليه وسلم يختارهم من صحابته حسب مواهبه واستعداده . وكانت القدرة على نشر الدعوة هي الأساس الأول للعمل في الميدان الاداري[4] .

فما هو نصيب اليمن من هذا التنظيم الذي جاء به الإسلام وكيف حكمت من الناحية الإدارية حتى نهاية الدولة الأموية ؟ .

---

(١) ـ الطبري : ج ٣ ص١٢٦ . ط . ثانية . نجدة خماش : مرجع سابق ، ص١٧ .
(٢) ـ الطبري : ج ٣ ص١٣٢ .
(٣) ـ محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ، ص١٧ .
(٤) ـ نجدة خماش : مرجع سابق ، ص ١٧

يرى بعض الإخباريين أن بلاد العرب الجنوبية قسمت من الناحية الادارية في العصر الإسلامي إلى مناطق عديدة لسهولة ادارة شوءونها أطلق على كل قسم من أقسامها اسم (مخلاف) وقد أشار المقدسي في مؤلفه (أحسن التقاسيم) إلى هذه التسمية بقوله : ((اليمن موضع واسع يميز بالمخاليف)) (١) .

غير أن الإخباريين العرب لم يتفقوا في مؤلفاتهم على تعريف موحد للوحدات الإدارية اليمن . فعلى سبيل المثال يرى ياقوت الحموي في معجمه أن مخاليف اليمن هي بمنزلة الكور أو الرساتيق (٢) .

أما الديار بكرى فيرى أن المخلاف بلغة أهل اليمن يعني : الكورة والاقليم والرستاق (٣) .
بينما يعتبر ابن المجاور المخلاف بمعنى (أعمال) جاعلاً (الحصن) مركزاً هاماً المخلاف الذي يجمع عدة (أعمال) موضحاً أنه ما كان حول كل حصن من القرى والزراعات فهو مخلاف (٤) .

وقد اتفق اليعقوبي مع ياقوت الحموي والديار بكري في تعريف المخلاف وذكر أنه يعني الكور (٥) . غير أن عمارة اليمني اختلف مع هؤلاء قائلاً : ((المخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع)) (٦) .

وفي تطور لاحق أصبحت المخاليف اليمنية تنسب في المصادر العربية القديمة إلى نسب مختلفة ، فتارة ينسب المخلاف إلى أودية خصبة (٧) ، أو حصون قوية (٨) أو إلى قبيلة من القبائل كأن يقال : مخلاف كندة ، أو خولان ، أو مهرة (٩) ... إلخ .

---

(١) ـ المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٨٨ .
(٢) ـ ياقوت الحموي : المعجم ، ج ١ ص٣٧ ، ج ٥ ص٦٧ .
(٣) ـ الديار بكرى : تاريخ الخميس ، ج ٢ ص١٤٢ .
(٤) ـ ابن المجاور : مصدر سابق ، ج ٢ ص١٦٩ ـ ١٧٠ .
(٥) ـ اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص٢٠١ . نشوان الحميرى : منتخبات ص٣٤ .
(٦) ـ عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٤٨ . ط ٣ ، ١٩٧٩ م .
(٧) ـ الهمداني : الصفة ، ص٢٥٨ .
(٨) ـ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ج ٢ ص١٧٠ . ط . ليدن ، ١٩٥١ـ١٩٥٤م .
(٩) ـ الهمداني : الصفة ، ص٢٠٧ ، ٢٣٠ . اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص٢٠١ .

من جانب آخر تشير بعض المصادر اليمنية القديمة ككتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ومنتخبات نشوان الحميري إلى تقسيم إداري أصغر في بلاد اليمن من تلك الفترة ألا وهو (المحفد) الذي يعني القصر الملكي .

وكما اختلف الإخباريون حول معنى المخلاف فقد وقعوا في الإختلاف ذاته من حيث عدد المخاليف اليمنية . فقد جاء عددها عند اليعقوبي أربعة وثمانين مخلافاً[1] . بينما ورد عددها عند المقدسي وابن خرداذبة ما يزيد عن (١٠٠) مخلاف[2] . بينما يذكر ياقوت عددهم (٧٠) مخلافاً[3] . أما الهمداني فلم يذكر في كتابه صفة جزيرة العرب أكثر من (٣٥) مخلافاً[4] .

ومهما اختلفت تقديرات الاخباريين لمخاليف اليمن . فإن مخاليفها كانت في صدر الإسلام وفق ما يلي :

صنعاء ومخاليفها ، الجند ومخاليفها ، حضرموت ومخاليفها[5] ، عمان[6] . أما ادارة هذه الأقسام الادارية في الدولة الاسلامية فكانت في عهد الرسول (ص) جميعها تحت امرة باذام ، فلما مات قسمها الرسول بين جماعة من أصحابه ، وأفرد كل رجل بحيزه ، ووجه على أعمال حضرموت ثلاثة : فرقها فيما بينهم فجعل على السكاسك والسكون عكاشة بن ثور وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله بن قيس (أبو موسى الاشعري) أو المهاجر فاشتكى فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر . وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي ، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر . واستعمل عمرو بن حزم على نجران وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد ، وعامر بن شهر على همدان ، وعلى صنعاء شهر بن باذام ، وعلى عك والاشعريين الطاهر بن أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسى الاشعري ، وعلى الجند يعلى بن أمية .

---

(١) ــ اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ٢٠١ .
(٢) ــ المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٨٨ وما بعدها . ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٣٦ . وما بعدها .
(٣) ــ ياقوت الحموي : المعجم ، ج ١ ص ٨٦ ، ١١٨ ، ١٤٤ ، ٢٤٧ ، ٤٧٥ .
(٤) ــ الهمداني : الصفة ، ص ٢٠٦ ، ٢٥٨ . الاكليل : ج ٢ ص ١٨ ، ٢٤٠ .
(٥) ــ المقدسي : مصدر سابق ، ص ١٠٥ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٤ .

وكان معاذ معلماً يتنقل في عماله كل عامل باليمن وحضرموت[1].

وفي مكان آخر الخزرجي أن معاذاً عين على جمع صدقة الجند وحيير وجزية أهل الذمة[2] فيها . بينما ذكرت مجموعة من المصادر تعيين عليّ بن أبي طالب على جمع صدقة نجران وجزية النصارى فيها[3].

وبوفاة الرسول (ص) أصبح الخليفة رأس المجتمع السياسي والمالك لزمام الحكومة الدينوية وتذكر (نجدة خماش) في كتابها الإدارة في العصر الأموي[4]. ((إن الخلافة في الاسلام لا تعتمد على تفويض الهي بل على إرادة المؤمنين ، إذ أن الخليفة لا يتسلم منصب الخلافة بتعيين إلهي أو بحق الوراثة ، وحصر الوراثة بالأسرة الأموية لا يعني أنهم اتبعوا المبدأ الوراثي بالمعنى الذي نفهمه في العصر الحديث ، إذ لم يكن من المحتم أن يعقب الابن أباه في المنصب ، كما انه لا بد من أخذ البيعة من الشعب ، وان كانت الموافقة صورية على الأغلب وان عبر عنها بأساليب مختلفة ما بين الانتخاب الشعبي العام إلى مجرد الاعتراف بشخص قد عين سابقاً)) .

كما انه كان على الخليفة أن يسير وفقا لما ورد في كتاب الله وسنة نبيه . إلّا أن الخليفة لم يكن مسؤولاً قانونياً تجاه أي شخص أو مؤسسة دينوية ولم تكن آنذاك قيود قانونية لمحاسبة أو عقابة إذ أخطأ ، ولذلك كانت سلطاته واسعة[5].

ويذكر صالح أحمد العلي أن الخلفاء كافة وخاصة عمر كانوا يستشيرون في أغلب الأحيان فيما يعرض لهم من قضايا ، إلّا أنهم لم يكونوا ملزمين بقبول آراء المستشارين ... ثم أن اختيار هؤلاء المستشارين كان يعتمد على رغبات الخليفة لا على قانون عام معترف به .

---

(١) ــ الطبري : ج ٣ ص ٢٢٨ .
(٢) ــ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص ١٣ ــ ١٤ . البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٩ .
(٣) ــ ابن هشام : السيرة ، ج ٤ ص ٢٤٧ . البلاذري : أنساب الأشراف مج ١ ص ٣٨٤ .
(٤) ــ الدكتورة نجدة خماش : الادارة في العصر الاموي ، ص ٩٨ ــ ٩٩ .
(٥) ــ صالح أحمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، ص ١٠٤ ــ ١٠٥ . نقلاً عن نجدة خماش ص ٩٨ ــ ٩٩ .

وللخليفة بإعتباره رئيساً للدولة والمهيمن على أزمة النظام الاداري حق اختيار من يشاء لتصريف شؤون الادارة والحكم ، وهو المسؤول عن أعمال من يختارهم لانهم خاضعون له ويعلمون باسمه[1] .

بعد هذه المقدمة العامة عن كيفية ادارة الدولة الاسلامية في ظل الخلافة الراشدية ننتقل إلى بحث ادارة جزء من هذه الدولة في ظل الخلفاء الراشدين إلا وهو بلاد اليمن .

أ ـ إدارة اليمن في عهد أبي بكر (رض) . (ربيع الأول ١١هـ إلى جمادى الآخرة ١٣هـ)

في واقع الأمر لم تتضح التقسيمات الادارية تماماً في الدولة الاسلامية بشكل عام في فترة خلافة أبي بكر ولا في عهد من خلفه من الخلفاء الراشدين لأن الفتوحات وان تم قسم كبير منها في عهد عمر بن الخطاب إلا إنها لم تستقر وتتخذ معالمها إلا في العهد الأموي واتسمت تلك التقسيمات بالطابع العسكري عندما أوجد عمر ما يسمى بالأمصار . وقد اتفق معظم المؤرخين على ان هذه الأمصار سبعة . غير أن المؤرخ الدمشقي ابن عساكر جمع في تاريخه روايات مختلفة عن أسماء الأمصار[2] ، فالبعض يضيف مكة ويجعل الأمصار ثمانية ، والبعض يجعلها سبعة فيضيف مكة واليمن ولا يذكر مصر والجزيرة ، ويعرف ابو عبيد القاسم كلمة المصر بقوله : ((يكون التمصير على وجوه ، فمنها البلاد التي يسلم عليها أهلها مثل المدينة والطائف واليمن ومنها كل أرض لم يكن لها أهل فاختطها المسلمون اختطاطاً ثم نزلوها مثل الكوفة والبصرة والفسطاط[3] ...)) . وفي مكان آخر يشير المستشرق الروسي بارتولد إلى أن كلمة مصر يمنية تعني المدينة[4] .

وقد ذكر صالح أحمد العلي أن الطابع العسكري صفة بارزة لهذه الأمصار طوال القرن

---

(١) ـ نجدة خماش : مرجع سابق ، ص ٩٩ .
(٢) ـ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، المجلد الأول ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ . مطبوعات المجمع العلمي بدمشق .
(٣) ـ ابي عبيد القاسم : الاموال ، ص٩٧ ، القاهرة بدون تاريخ .
(٤) ـ بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٣٧ ، ترجمة حمزة طاهر . ط . دار المعارف بمصر بدون تاريخ .
نقلاً عن كتاب الادارة في العصر الأموي للدكتورة نجدة خماش .

الاول الهجري . وهذه الأمصار رغم سعة البلاد التي تتبعها إدارياً ، لم تكن مركزاً للدولة الاسلامية بل كانت كلها تابعة للخلفاء الذين كانوا يقيمون في المدينة أولاً ثم في دمشق ويتمتعون بسلطات تشريعية وتنفيذية واسعة تخضع لها الأمصار(١) .

ومهما يكن من أمر فإن البلاذري يذكر أنه لما كانت خلافة أبي بكر جمع كندة والصدف وحضرموت لوال واحد(٢) . وقد جمعت اليمن كلها لوال واحد في خلافة عمر بن الخطاب واستمر الأمر على هذا الشكل إلى نهاية العصر الأموي ، وأصبح والي اليمن يعين من قبل الخليفة الأموي في دمشق(٣) .

إلى جانب ذلك فقد ذكرت مصادر عديدة إنه في عهد الخليفة الأول أبي بكر تعيين عدد من الولاة على مناطق مختلفة من اليمن كالمهاجر بن أبي أمية على صنعاء أثناء الردة وقيس بن مكشوح المرادي(٤) . بعيد وفاة النبي صلّى اللّهُ عليه وسلم ، وزياد بن لبيد الانصاري على حضرموت(٥) ، وأبو موسى الاشعري على زبيد ورمع(٦) . ومعاذ بن جبل على الجند ومخالفيها حتى ذي الحجة ١١ هـ(٧) ، حيث خلفه عليها عبد الله بن أبي ربيعة(٨) . وفيروز الديلمي(٩) على صنعاء أثناء ردة قيس بن مكشوح المرادي . وفي سنة ١١ هـ نقل اليها أبي بكر يعلى بن منبه الذي كان يشغل منصب عامل خولان صعدة أثناء الردة(١٠) .

كما عين حذيفة بن محصن الغلفاني على عمان(١١) ، وعبد الله بن ثور على جرش(١٢) .

---

(١) ـ صالح أحمد العلي : مرجع سابق ، ص١٤ ، ١٧ .
(٢) ـ البلاذري : أنساب الاشراف ، ج ١ ص٥٢٩ .
(٣) ـ خليفة بن خياط : مصدر سابق ، ج ١ ص٣٨٤ ، ٤٢٨ ، ج ٢ ص٥٣٤ ، ٥٥٢ .
(٤) ـ القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ص٢٦ .
(٥) ـ ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ص٧٢ . الرازي : تاريخ صنعاء ، ص٧٩ . الخزرجي : ص١٥ .
(٦) ـ الطبري : ج ٣ ص٤٢٧ .
(٧) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ص٥٨٨ . الطبري : ج ٣ ص٤٢٧ .
(٨) ـ الاغاني : ج ١ ص٣٠ . الخزرجي : ص١٥ . ابن الديبع : مصدر سابق ج ١ ص٧٠
(٩) ـ القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ص٢٦ .
(١٠) ـ ابن قتيبة : المعارف ، ص٢٧٦ .
(١١) ـ الاغاني : ج ٣ ص١٢٩ .
(١٢) ـ [illegible]

٢ ـ إدارة اليمن في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (جمادى الاخرة ١٣ هـ إلى ذي الحجة ٢٣ هـ) .

لم تظهر الإدارة المركزية بجلاء في الدولة الاسلامية في عهد الخليفة أبي بكر نظراً لقصر فترة خلافته التي لم تدم أكثر من سنتين واربعة أشهر[١] ، وانما ظهرت في خلافة عمر ، ولا يعتقد أن هذه المركزية كانت ناجمة عن رغبة الخليفة في التدخل في شؤون كل ولاية قدر اهتمامه باحلال الحق والعدل في كل منطقة وصل المدّ الإسلامي إليها ، وخوفاً من أن لا يطبق ولاته وعماله توصياته ، لأنه كان يؤمن إيماناً عميقاً إن المسؤولية أولاً وأخيراً هي مسؤولية الخليفة ، وقد ظهر ذلك بوضوح في الولاة الذين كان يتنقيهم وفي مراقبة الشديدة لهم ومحاسبته إياهم وفي ربط أكبر عدد ممكن من الولاة مباشرة به ، فهو الذى كان يعين ولاة مكة والطائف واليمن والكوفة والبصرة وأجناد الشام ومصر والبحرين والموصل واذربيجان[٢] .

ولم يكن عمر يعين الولاة فقط ، وانما كان يعين عمال الخراج وكتاب الدواوين والقضاة في الأمصار ، أي لم يكن الأمير أو الوالي يتمتع بالصلاحيات الواسعة التي أصبح يتمتع بها في خلافة بني أمية . كما سنرى فيما بعد .

وكثيراً ما كانت تنحصر صلاحيات الوالي في عهد هذا الخليفة بنص التعيين الذى يصدره بتعيين وال من الولاة على الصلاة أو الحرب أو الخراج أو ثلاثتهما معاً . ويذكر الطبرى في تاريخه إن ولاة عمر على اليمن وغيرها كانوا مسؤولين عن أعمالهم مباشرة تجاهه[٣] وحول الأمر ذاته يذكر صاحب الوثائق السياسية اليمنية إن عمراً كتب إلى عماله إن يوافوه المواسم (الحج) فوافوه فقال : أيها الناس اني بعثت عمالي هؤلاء ولاة بالحق عليكم ولم استعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من دمائكم ولا من أموالكم فمن كان له مظلمة عند أحد منهم فليقم : أقيده منه))[٤] .

---

(١) ـ صالح أحمد العلي : مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

(٢) ـ الطبري : ج ٤ ص ٢٤١ . البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٢٢ .
نجدة خماش : مرجع سابق ، ص ٩٩ وما بعدها .

(٣) ـ الطبري : ج ٤ ص ٦٧ .

بهذه الطريقة وعلى هذا النهج من الحكمة والعدل حكم الخليفة عمر اليمن وباقي أجزاء الدولة الاسلامية . وقد ذكرت مصادر عديدة عماله على بلاد العرب الجنوبية وفق ما يلي :

عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخاليفها [1] ، زياد بن لبيد الانصاري على حضرموت [2] يعلى بن منبه على صنعاء ومخاليفها [3] ، ولم يعزل عنها سوى عام واحد سنة ١٥ هـ حيث عين بدلاً عنه المغيرة بن أبي شعبة [4] . حذيفة بن محصن الغلفاني على عمان في الفترة ما بين (١٣ ـ ٢٠ هـ) [5] . ويشير كل من البلاذري وابن عبد البر إلى تولية عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين عام ١٥ هـ [6] . عكس ما جاء في الطبرى من أن ولاية عثمان بن أبي العاص الثقفي بدأت على عمان عام ٢٣ هـ [7] . كما يشير ابن سعد إلى أن عمر بن الخطاب (رض) قد استعمل على اليمن خلاد بن سويد دون أن يحدد مركز حكمه فيها [8]

٣ ـ إدارة اليمن في عهد الخليفة عثمان بن عفان : (محرم سنة ٢٤ هـ إلى ذي الحجة ٣٥ هـ)

تميزت إدارة الخليفة عثمان للدولة الإسلامية بشكل عام واليمن بشكل خاص بمرحلتين أساسيتين الأولى : وهي فترة زمنية ليست طويلة وقد بدأت عندما تسلم أمر خلافة المسلمين بعد عمر وأبقى حالة الأمصار على ما كانت عليه زمن سلفه .

أما المرحلة الثانية فهي الفترة التي بدأ فيها بعزل الولاة السابقين وتعيين أقربائه من بني أمية لهذه المناصب ضارباً بنهج الخليفة عمر في عملية انتقاء الولاة ومبدأ تكافىء الفرص الذي سار عليه من قبله أبي بكر وعمر عرض الحائط وقد سببت له هذه الادارة وهذه

---

(١) ـ الطبرى : ج ٤ ص ٢٤١ ، ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٤٤٤ ـ الاصفهاني : الاغاني ج ١ ص ٣٠
(٢) ـ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص ١٨ .
(٣) ـ اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ١٥٧ ، الطبرى : ج ٣ ص ٤٧٩ ، ٥٩٧ .
(٤) ـ الخزرجي : مصدر سابق ، ص ١٨
(٥) ـ الطبري : التاريخ ، ج ٣ ص ٤٧٩ ، ٥٩٧ ، ٦٢٣ ، ج ٤ ص ٣٩ ، ٩٤
(٦) ـ ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٣ ص ١٠٣٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٨٦ .
(٧) ـ الطبرى : ج ٤ ص ٢٤١ .
(٨) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ ص ٥٣٠ .

السياسة في أمور ولايات الدولة الاسلامية ومن ضمنها بلاد العرب الجنوبية ما يعرف في التاريخ الاسلامي باسم الفتنة الكبرى التي لم تنته إلاّ بقتله .

من هنا بدهي القول : أن تشهد ولايات الدولة العربية الاسلامية في عهده حالة من عدم الاستقرار والفوضى والاضطراب . ولكن مهما يكن من أمر فقد ذكرت المصادر انه كان على اليمن في عهده يعلى بن منبه على صنعاء[1] ، وعلى الجند عبدالله بن أبي ربيعة[2] وعلى حضرموت عدي بن نوفل[3] ، وعلى عمان عثمان بن أبي العاص[4] .

---

(1) ـ الرازي : تاريخ صنعاء ، ص ١٦٥ . الطبري : ج ٤ ص ٤٢١ .
(2) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٢١ . الخزرجي : ص ٢٠ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ص ٤٤٤ .
(3) ـ الاغاني : ج ٣ ص ١٢٩ .
(4) ـ الطبري : ج ٤ ص ٢٦٦ .

٤ ـ عمال الخليفة علي بن أبي طالب (٣٥هـ ـ ٤٠هـ) على اليمن :

يبدو أن التنظيم الاداري للدولة الاسلامية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (رضي) كان مضطرباً . فقد كانت وجهة نظر هذا الخليفة أن يعزل كافة عمال عثمان ومن بينهم يعلى ابن منبه والي اليمن ، حيث أرسل بدلاً عنه عبدالله بن عباس[١] . ويذكر عن (يعلى بن منبه) في عدد من المصادر القديمة أنه قام بنهب أموال بيت المسلمين في اليمن وخرج إلى مكة لتحويل المعارضة التي قامت في وجه علي يوم معركة الجمل سنة ٣٦هـ[٢] .

وبعد احتدام الصراع السياسي بين الخليفة علي ومعاوية ابن أبي سفيان نجد ان هذا الصراع لم يقتصر على المناطق الشمالية من بلاد العرب بل تعداها إلى بلاد العرب الجنوبية عند ما أرسل معاوية من قبله بسر بن أبي أرطاة[٣] في ثلاثة آلاف مقاتل إليها حيث تذكر المصادر هرب عاملها عبدالله بن عباس إلى الكوفة واستخلف عليها نيابة عنه عبدالله بن عبد المدان الحارثي[٤] . غير أن صاحب معاوية ابن ارطاة تمكن من السيطرة على اليمن حتى أخرجه منها الخليفة علي بواسطة مجموعتين من انصاره بقيادة جارية بن قدامة ووهب بن مسعود[٥] . غير أن هذا الاستقرار في بلاد اليمن لم يدم طويلاً لعلي حيث لقي مصرعه على يد عبد الرحمن بن ملجم ، وانتقلت الخلافة بعدها إلى معاوية المؤسس الأول للخلافة الأموية فدخلت الدولة الاسلامية بما فيها اليمن مرحلة جديدة من الحكم والإدارة .

وبما أن طبيعة البحث تقتضي منا بحث جانب واحد من هذه المرحلة إلا وهو إدارة اليمن في عصر الدولة الأموية فإننا هنا سنحاول التعميق في دراسة هذا الجانب من حيث التعرف إلى ولاة اليمن والمهام الملقاة على عاتقهم وكيفية إدارتهم لهذا المصر في هذا العهد .

---

(١) ـ الطبري : ج ٤ ص ٤٤٣ . ج ٥ ص ١٥٥ .
(٢) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ص ٤٤٣ .
(٣) ـ المصدر السابق ج ٥ ص ١٣٩ .
(٤) ـ المصدر السابق نفسه الجزء والصفحة .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ص ١٤٠

إدارة اليمن في العصر الأموي :

لم تتضح التقسيمات الادارية تماماً في العهد الراشدي لأن الفتوحات وان تم قسم كبير منها في عهد عمر بن الخطاب ، إلا انها لم تستقر وتتخذ معالمها إلا في العهد الأموي . واتسمت تلك التقسيمات بالطابع العسكري عندما أوجد عمر ما يسمى بالأمصار . واتفق معظم المؤرخين في مؤلفاتهم على أن هذه الأمصار سبعة وقد جمع ابن عساكر في تاريخه روايات مختلفة عن أسماء هذه الأمصار ، فبعض المؤرخين يضيف مكة ويجعل الأمصار ثمانية وبعضهم الآخر يجعلها سبعة فيضيف مكة واليمن ولا يذكر مصر والجزيرة .

ويعرف ابن سلام كلمة المصر بقوله : ((يكون التمصير على وجوه فمنها البلاد التي يسلم عليها أهلها مثل المدينة والطائف واليمن ، ومنها كل أرض لم يكن لها أهل فاختطها المسلمون اختطاطاً ثم نزلوها مثل الكوفة والبصرة والفسطاط[1])) .

ويشير المستشرق الروسي (بارتولد) في كتابه تاريخ الحضارة الإسلامية إلى أن كلمة مصر تعني (المدينة)[2] .

وقد وصف صالح أحمد العلي هذه الأمصار بأنها كانت تمتاز بطابع عسكري طوال القرن الأول الهجري . وان هذه الأمصار رغم سعة البلاد التي تتبعها من الناحية الادارية فإنها لم تكن مركزاً للدولة الاسلامية بل كانت كلها تابعة للخلفاء الذين كانوا يقيمون في المدينة أولاً ثم في دمشق ويتمتعون بسلطات تشريعية وتنفيذية واسعة تخضع لها الأمصار[3] .

أما في عهد الأمويين فقد انقسمت الدولة الاسلامية إلى ولايات سبعة كانت اليمن احداها هي : الشام ، الجزيرة ، الحجاز ، اليمن ، العراق ، مصر افريقية والمغرب .

---

(١) ـ ابن سلام : الأموال ، ص٩٧ ، ط . القاهرة بدون تاريخ .
(٢) ـ بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٣٧ .
(٣) ـ صالح احمد العلي : مرجع سابق ، ص ١٤ ، ١٧ . ط . بيروت بدون تاريخ .

هذه الولايات كانت تدار إدارة مركزيـة منذ العهد الراشدي مروراً بعصر الخلافـة الأموية . على إعتبار أن الخليفـة كان بمثابـة رئيسـاً للدولة والمهيمن على أزمة النظـام الاداري فكان من حقه اختيار من يشاء لتصريف شؤون الادارة والحكم ، وهو المسؤول عـن أعمال من يختارهم لأنهم خاضعون له ويعملون بإسمه وقد ظهرت هذه الادارة بشكل واضح في عصر الخليفـة عمر أكثر من عهد أبي بكر نظراً لقصر فترة خلافته (١) .

يتعلق (نجدة خماش) في كتابها الإدارة في العصر الأموي حول الادارة المركزيـة عهد الخليفـة الثاني قائلة : ((ولا أعتقد ان هذه المركزيـة كانت ناجمة عن رغبـة الخليفـة في التدخل في شؤون كل ولايـة قدر اهتمامه بإحلال الحق والعدل في كـل منطقة وصل المد الإسلامي إليها وخوفاً من أن لا يطبق ولاته وعماله توصياته ، لأنه كـان يؤمن إيماناً عميقاً إن المسؤولية أولاً وأخيراً هي مسؤولية الخليفـة ، وقد ظهر ذلك بوضوح الولاة الذين كان ينتقيهم وفي مراقبتـه الشديدة لهم ومحاسبته إياهم وفي ربط أكبـر عدد ممكن من الولاة مباشرة به (٢))) .

ولم يكن عمر يعين الولاة فقط ، وانما كان يعين عمال الخراج وكتاب الدواوين والقضاة الأمصار ، أي لم يكن الأمير أو الوالي يتمتع بالصلاحيات الواسعة التي أصبح يتمتع بهـا في خلافـة بني أميـة كما سنرى .

وكثيراً ما كانت تنحصر صلاحيات الوالي في عهد هذا الخليفـة بنص التعيـين الـذي يصدره بتعيـين والي من الولاة على الصلاة أو الحرب أو الخراج أو ثلاثتهما معاً (٣) .

ويذكر الطبري في تاريخه أن ولاة عمر وعماله كانوا مسؤولين عن أعمالهم مباشرة تجـاه الخليفـة الذي كان يراقبهم مراقبة شديدة (٤) .

---

(١) ــ الطبري : ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٢) ــ نجدة خماش : الادارة في العصر الأموي ، ص ٩٩ . ط . دار الفكر ١٩٨٠ م

(٣) ــ المرجع السابق نفسه .

(٤) ــ الطبري : ج ٤ ص ٦٧ .

وحول الأمر ذاته يذكر صاحب كتاب الوثائق السياسية اليمنية إن عمراً كتب إلى عماله أن يوافوه بالموسم (الحج) فوافوه فقال : ((أيها الناس اني بعثت عمالي هؤلاء ولاة بالحق عليكم ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من دمائكم ولا من أموالكم فمن كان له مظلمة عند أحد منهم فليقم : أقيده منه)) (١) .

وفي العصر الأموي تعددت مهام الوالي وتنوعت فكثيراً ما كان يوكل إليه جمع الضرائب (٢) والقضاة ، ونشر التعليم ، وامامة الناس في الصلاة ، وأخذ البيعة للخليفة ، وحث اليمنيين إلى وجوب الطاعة للخليفة والمشاركة في خدمة الدولة في مجالاتها المختلفة ، كما يقوم الخليفة بتعيين مساعدين للولاة في اليمن في المناطق والمراكز الادارية الصغرى (٣) من جانب آخر كان عمال اليمن يختارون مساعديهم بأنفسهم (٤) . وكانت صلاحياتهم في بعض الأوقات تتعدى إلى قيامهم باستخلاف عمال جدد مثلما حصل لعبد الله بن أبي ربيعة ويعلى بن منبه وقامت حاضرة الخلافة بالموافقة على تعيينهما (٥) .

كما شملت صلاحيات الولاة جواز الحكم بالإعدام في قضايا القصاص أو الرجمة عن الإسلام (٦) دون الرجوع إلى الخليفة . بالإضافة إلى ذلك كثيراً ما كان الوالي يرفع إلى الخليفة بعض قضاياه التي يكون فيها بعض الاشكالات لاعطاء توجيهاته بحلها (٧) .

وقد رأينا أنه من الأهمية بمكان بحث هذه المهام التي تولاها ولاة أهل اليمن بشيء من التفصيل التي كان أبرزها :

ـ نشر الدين الاسلامي :

يبدو أن الإدارة العربية الاسلامية في الولايات لم تقتصر على الجانب المالي

---

(١) ـ محمد بن علي الأكوع : الوثائق السياسية اليمنية ، ص ١٧٢ .

(٢) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٩ . أنساب الاشراف ج ١ ص ٥٢٩ .
ياقوت الحموي : مصدر سابق ج ١ ص ٣٧ . النويري : نهاية الأرب ج ١٨ ص ١١٩ .

(٣) ـ الرازي : تاريخ صنعاء ، ص ١٦٣ ، ٢٩٥ . ابن سلام : الأموال ، ص ٧٨٥ ـ ٧٨٦

(٤) ـ الشاطري : ادوار التاريخ الحضرمي ج ١ ص ٨٣ .

(٥) ـ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص ١٥ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ص ٧٠ ـ ٧١

(٦) ـ أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٥ ص ٢٣٢ . الخزرجي : مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٧) ـ ... : الاستيعاب ج ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ١١٢ ، ٤١٢ ، ج ٣ ص ٣٤٤ .

وانما كان لها مسؤوليات أخرى كان في مقدمتها نشر الدين الحنيف وتعليم الناس أصول دينهم وسنن نبيهم . وحول هذا الأمر أورد ابن الجوزي قول لعمر بن الخطاب (رض) جاء فيه : ((والله ما أرسل عمالي اليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم اليكم ليعلموكم دينكم وسننكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي (١))) .

كما ذكر أبو يوسف (٢) والطبري (٣) قولاً آخر لعمر بن الخطاب يؤكد هذا القول جاء فيه ((اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار فإني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويقسموا فيهم فيأهم ويعدلوا عليهم فمن أشكل عليه شيء رفعه الي)) .

وبدهي أن ينشط ولاة اليمن في هذه المهمة ويقومون بكل ما في وسعهم بنشر الدين الحنيف بين سكان أهل اليمن ممن بقي متمسكاً بيهوديته أو نصرانيته ثم يقومون بتعزيز التمسك بأهداب الدين عن طريق تعليم الناس دين الاسلام وسنن نبيه . وكان للمساجد في هذا الجانب الدور الرئيسي في إيصال هذه المعرفة إلى اتباع هذا الدين فلم تكن هناك مدارس في العصر الراشدي والأموي كالتي ظهرت في القرن الخامس الهجري لذا فإن المسلمين اتخذوا مساجدهم للصلاة والعبادة وجعلوها مركزاً للادارة العامة والقضاء ومعهداً علمياً لتلقي القرآن والحديث (٤) .

ولم يلبث ان تشعب عن هذه المساجد علوم الدين وعلوم اللسان وما يتعلق بذلك من المطالب التي فيها خدمة دينهم أولا ولغتهم ثانياً (٥) .

ويبدو أن الادارة المركزية للدولة الإسلامية كانت تسهم في الاشراف على التعليم وان لم يكن في ذلك الحين ديوان خاص بالتعليم وقد أكد ذلك ماذكره (حسين مولوي) في كتابه (الادارة العربية) إذ قال : ((استعمل المسجد دائماً مدرسة حيث احتلت

---

(١) ــ ابن الجوزي : (ت٥٩٧ هـ) : تاريخ عمر بن الخطاب ، ص١١٤ . طبع دار احياء علوم الدين بدمشق .
(٢) ــ ابو يوسف : الخراج ، ص١٦ .
(٣) ــ الطبري : ج ٤ ص ٢٠٤ .
(٤) ــ
(٥) ــ كرد علي : خطط الشام ، ج ٦ ص٦٧ . نجدة خماش : الادارة ، ص٥٩ .

دراسة القرآن المكان الأول وتلته دراسة الفقه وأرسل القراء المشهورون لأرجاء مختلفة لتعليم القرآن ونال أولئك الفقهاء رواتب من الدولة ولم يقم بتدريس الفقه غير الأشخاص الذين كان يؤذن لهم بتدريسه[1]. واهتم الخلفاء الراشدون ببناء المساجد ، فقد بني في عهد عمر بن الخطاب (رض) (٤٠٠٠) مسجد في بلاد العرب وحدها[2] ، وكان المسلمون يحرصون على بناء المساجد الجامعة في ولاياتهم كمسجد الجند وصنعاء في بلاد اليمن .

فالمساجد إذن كانت بمثابة مدارس يفد إليها الراغبون في العلم ويجتمعون حلقات حول أستاذهم ، وتكبر الحلقة وتصغر تبعا لقدر الاستاذ ، ولكننا لا نسمع بتأسيس مدارس في العصر الأموي إلّا ما نقل المقريزي عن الواقدي إن عبدالله بن ام كلثوم قدم مهاجرا إلى المدينة مع مصعب بن عمير ، وقيل قدم بعد بدر بقليل فنزل دار القراء ، ولم نعلم عن دار القراء هذه وهل خصصت للمدارسة أولاً[3].

ويتابع أحمد أمين القول : ((والذي نعرفه ان بعض المدارس التي كانت في الممالك قبل الفتح ظلت على حالها بعد الفتح كبعض مدارس السريانيين أما الأمويين فلا نعلم انهم أنشأوا مدارس ولكن كانت الدراسة العلمية في المساجد والبيوت[4].

ــ جباية الأموال :

من المعروف تاريخياً أن اليمن كانت تخضع بشكل مباشر للحكم الفارسي قبيل الدعوة الاسلامية وبالتالي كان نظام الادارة الضريبية في اليمن هو ذاته المتبع في بلاد الفرس. كانت المصادر الرئيسية لايراد الدولة الفارسية تتكون من ضريبتين رئيسيتين هما الضريبة العقارية والضريبة الشخصية أي ضريبتي الخراج والجزية[5]. إلّا أنه لما كانت

---

(١) ــ حسين مولوي : الادارة العربية ، ص ١٠٥ . ترجمة ابراهيم العدوي . نشر مكتبة الاداب بمصر .

(٢) ــ المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

(٣) ــ احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦٥ . نقلاً عن كتاب الادارة للدكتورة نجدة خماش ص ١٦٢ .

(٤) ــ نجدة خماش : ص ١٦٣ .

جباية هاتين الضريبتين غير مضبوطة ومقاديرها متفاوتة كان ينتج عن ذلك غالباً أن تفاجئ الحرب الدولة فيعوزها المال فتضطر إلى فرض ضرائب استثنائية كان عبؤها يقع على الأقاليم . ويضاف إلى الضرائب المنظمة الهبات التي كانت تسمى (آيين) والتي كانت تقدم للملك جبراً في عيدي النيروز والمهرجان (١) ، وغنائم الحروب التي كانت مورداً غير منتظم ولكنه مورد هائل في الواقع . يضاف إلى ذلك كله الضرائب والجباة التي كان يفرضها رجال الدين على الأفراد (٢) .

ولما جاء الاسلام وأصبحت اليمن جزءاً من دولته ألغيت مختلف هذه الضرائب ولم يبق منها سوى الجزية والخراج أي أنه بسط نظام الضرائب وخفف الأعباء ، كما أنه ساوى بين الجميع في تحمل العبء فألغى الامتيازات التي كانت تتمتع بها طوائف خاصة كانت تعفى من دفع ضريبة الرأس أو غيرها كالطبقات الأرستقراطية وأهل البيوتات والعظماء والهرابذة والأساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك (٣) .

وفي العصر الأموي كانت أهم الأموال التي تجبى في بلاد العرب الجنوبية ـ شأنها شأن سائر الأمصار الأخرى ـ هي ما أطلق عليه الفقهاء اسم الفيء والخمس والصدقة ، وقد طبق الأمويون إلى حد بعيد القواعد الأساسية التي أوجدها الخليفة عمر بن الخطاب وكان في رأسها :

نظام الفيء :

يعرف الفيء بأنه المال المجتبى من أموال أهل الذمة مما صالحوا عليه من جزية رؤوسهم ومن خراج الأرض التي افتتحت عنوة ومن وظيفة أرض الصلح التي منعها أهلها حتى صالحوا على خراج مسمى ، ومنه ما يأخذه العاشر من أموال أهل الذمة التي يمرون بها

---

(١) ـ كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ، ص ١١٢ ، ترجمة يحيى خشاب ، القاهرة ١٩٥٧ م .

(٢) ـ المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٤ .

(٣) ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٧٥ . نجدة خماش : الادارة ص ١٦٧ .

عليه لتجارتهم ومنه ما يؤخذ من أهل الحرب إذا دخلوا بلاد الإسلام للتجارة [١] .

وقد فرض هذا النوع من النظام الضريبي على منطقة نجران باليمن وكتب الرسول (ص) لأهل هذه المنطقة عهداً أورده صاحب كتاب الوثائق السياسية اليمنية جاء فيه أنه فرض عليهم ألفي حلة في كل صفر ألف حلة ، وفي كل رجب ألف حلة بالإضافة إلى شروط اخرى [٢] .

وفي العصر الأموي كان المال في كل ولاية يصرف على مرافقها الخاصة ويرسل الباقي إلى بيت المال العام للمصالح العامة .

الجزيـــــة :

- تعرف الجزيـة بأنها الضريبـة المالية المفروضة على الرأس . وقد اتبع الأمويون القواعد نفسها التي كانت متبعة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، فقد أمر الرسول (ص) أن يقاتل العرب من عبدة الأوثان حتى يسلموا ولا تقبل منهم الجزيـة [٣] ، وأن يقاتل أهـل الكتاب من العرب وغير العرب حتى يعطوا الجزيـة عن يد وهم صاغرون ، وقد قبل الرسـول الجزيـة من أهل الكتاب من العرب ، فقد قبلها من أهل الذمة في اليمن بمقدار دينار أو ما يساويـه من قيمة أقمشة المعافر ، على من بلغ الحلم منهم ذكراً أو انثى حراً [٤] او عبداً [٥] .

وكان نصارى نجران اليمن أول من أعطى الجزيـة . وتورد المصادر كتاب النبي (ص) لنصارى نجران الذي حول مقدار الجزيـة عليهم ((... في كل ثمرة ، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق ـ فأفضل ذلك عليهم ـ وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة من حلل الأواقي . في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة ، كل حلة اوقية من الفضة [٦] ، وقد استمرت هذه الخامسة الضريبـة على نصارى نجران في أيام أبي بكر (رض) أيضاً [٧] .

---

(١) ـ أبو يوسف الخراج ، ص٢٨ . نجدة خماش : الادارة ، ص١٦٨ .
(٢) ـ محمد بن علي الاكوع الحوالي : الوثائق السياسية اليمنية ، ص٩٤ وما بعدها .
(٣) ـ يحيى بن آدم القرشي : مصدر سابق ،ص٦٠ .
(٤) ـ أبو يوسف : الخراج ، ص٥٨ ـ ٥٩ ، ٦٦ـ٦٧ . ابن سلام : الاموال ص٥٨٤ . البلاذري : فتوح البلدان ،ص٥٩ ، ٧٠ ـ ٧١ ، ٧٧ . الخزرجي : العسجد المسبول ص١٣
(٥) ـ الخزرجي : مصدر سابق ، ص١٣ . ابن سلام : الاموال ،ص٣٨
(٦) ـ محمد بن علي الاكوع الحوالي : مصدر سابق ص ٩٤ وما بعدها . ابن سلام : الاموال

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (الأموال) أن الجزية اختلفت بقدر يسار أهل المنطقة وطاقتهم ، وفي هذا يعلق (أبو عبيد) أن الرسول (ص) فرض على أهل اليمن ديناراً على كل حالم ، وقيمة الدينار يومئذ انما كانت عشرة دراهم أو اثنتي عشر درهماً ، فهذا دون ما فرضه عمر رحمه الله على أهل الشام والعراق وان عمر فعل ذلك وزاد عليهم بقدر يسارهم وطاقتهم [١] .

الخراج :

يعرف الخراج بأنه الضريبة المالية المفروضة على الأرض وقد فرضت هذه الضريبة على أراض يمنية في منطقة نجران فقد ذكر أن الأرض التي أجلي سكانها عنها من النصارى اليمنيين كان لها طابعاً جديداً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب إذ تورد المصادر رواية مرجوعة إلى (يعلى بن منبه) يقول فيها : ((لما بعثني عمر بن الخطاب على خراج أرض نجران كتب إلي أن أنظر كل أرض جلا أهلها عنها فما كان من أرض بيضاء تسقى سيحاً أو تسقيها السماء فما أخرجت فلعمر وللمسلمين منه ثلثان ولهم الثلث وما كان منها يسقى بغرب ، فلهم الثلثان ولعمر وللمسلمين الثلث [٢] .

ويبدو أن الأمويين لم يسيروا على هذا النهج في عصر خلافتهم في اليمن وقاموا بتعديل هذا النظام الضريبي بحيث أصبح إذا افتقر اليمنيون لم ينقصوا شيئاً من ضريبتهم وان استغنوا زيد عليهم ، فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كتب إلى واليه على اليمن أن يبطل هذا الحيف وأن يأخذ منهم ما يرى عليهم من الحق وأن يقسم ذلك على فقرائهم [٣] .

ضريبة العشر : تعد بلاد اليمن أرض عشرية وليست خراجية عدا أرض نجران التي تعد أرض صلح ولهذا فما أخرجت الأرض يسلم العشر ، ان كانت تشرب سيحاً أو تسقيها السماء ونصف العشر ان كانت تشرب بغرب أو دالية [٤] .

---

(١) ـ ابن سلام : الأموال ، ص٣٩ ـ ٤٠ .
(٢) ـ ابو يوسف : الخراج ، ص٧٥ .
(٣) ـ ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص٥٦ . نقلاً عن نجدة خماش : الادارة ص٢٠٦ .
(٤) ـ ابو يوسف : الخراج ، ص٥٤ ، ابن سلام : الاموال ، ص٦٤٤ .

وقد شملت ضريبة العشر كل محاصيل ومنتوجات الأرض منها : الحنطة ، الشعير ، التمور ، الكروم ، الزبيب ، السلت ، الفستق ، الزيتون ، العسل ، الجوز ، اللوز البندق ، قصب السكر ... الخ))[1] .

كما فرضت الضرائب على الحيوانات كالابل ، والابقار ، والاغنام . فكانت ضريبة الابل يدفع لكل خمس من الابل شاة وعلى العشرة شاتان وعلى الخمس عشر ثلاث شياة ، وعلى العشرين أربع شياة وعلى الخمس والعشرين بنت مخاض إلى خمس وثلاثين ، فإن زادت ففيها بنت لبون إلى التسعين ، فإن زادت ففيها حقتان إلى عشرين ومائة فإن زادت على مائة وعشرين ففي كل خمسين حقه وفي كل أربعين بنت لبون))[2] .

أما ضريبة البقر فقد حددت من كل ثلاثين بقرة تبيع أو تبيعة ومن كل أربعين مسنه[3] . كما حددت بالنسبة للاغنام عن كل أربعين شاة شاة إلى مائة وعشرين فإذا زادت فشاتان إلى مائتين ، فإذا زادت فثلاث شياة إلى ثلاثمائة ، فإذا زادت ففي مائة شاة شاة وليس فيها شيء حتى تبلغ المائة .

الخمس : ونعني بذلك خمس الغنيمة ، وهو ما غلب عليه المسلمون بالقتال قل أو كثر ، أما الأرض فإلى (الإمام) إن رأى أن يخمسها ويقسم أربعة أخماسها للذين ظهروا عليه فعل ذلك ، وان رأى أن يدعها فيئاً للمسلمين فعل بعد أن يشاور في ذلك ويجتهد فيه لأن الرسول (ص) قد وقف بعض ما ظهر عليه من الأرض فلم يقسمها وقد قسم بعض ما ظهر عليه[4] .

والواجب في المغنم تخميسه إذ يقول اللّه تعالى في سورة الانفال : ((واعلموا أنما

---

(١) ــ ابو يوسف : الخراج ، ص٥٥ ــ ٥٦ . ابن سلام : الاموال ص ٦٣٤ ــ ٦٣٥ .
(٢) ــ أبو يوسف : الخراج ، ص ٧٦ .
(٣) ــ المصدر السابق نفسه ، ص ٧٧ . ابن سلام : الأموال ، ص ٣٨ .
(٤) ــ يحيى بن آدم القرشي : كتاب الخراج ، ص ٥ . بريل ١٨٩٥ م . نجدة خماش: الادارة ، ص ٢٠٣ .

غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل))[1] .

أما الباقي فيقسم بين الجند من أهل الديوان وغيرهم . إذ قال عمر بن الخطاب ((الغنيمة لمن شهد الوقعة)) ، وقد بقيت الغنائم تقسم بين الغانمين في عهد بني أمية ولكن تقدير الخمس كان يعتمد إلى حد كبير على أمانة قائد الحملة ودقته في تسجيل الغنائم وقد طبق هذا النظام الضريبي في اليمن فقد أخذ المسلمون خمس الغنائم من أموال المشركين والمرتدين المعارضين للإسلام في اليمن في السنة التاسعة للهجرة بعد أن غزا المسلمون بقيادة قطبة بن عامر معادي الإسلام من قبيلة خثعم في أرض تبالة[2] . وقد تكررت حملات الرسول (ص) على أبناء الهضبة الشمالية الشرقية من اليمن من قبائل خثعم وبني الحارث بن كعب بعد ذلك[3] .

وعندما نشبت معارك الردة في اليمن وانتهت بهزيمة المشركين ومصادرة أموالهم أرسل خمس الغنيمة إلى بيت مال المسلمين . كما كان يدفع خمس المعادن التي تستخرج من باطن الأرض مثل الذهب والفضة كما أخذ الخمس من النحاس والرصاص وغيره[4] .

الزكاة : كانت الزكاة في العصر الراشدي تؤخذ من المسلمين المسجلين في العطاء[5] وكذلك فعل معاوية الذي سن أخذ الزكاة من الأعطية[6] ، وقد أخذت الزكاة من مائتي درهم ، أو عشرون مثقالاً ذهباً فصاعدا وإذا كان أقل من ذلك فليست فيه زكاة ولا فيما دون خمس أواق من الورق صدقة وما كان من رقيق أو بز يراد به التجارة ففيه الزكاة[7] .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب أخذ من كل أربعين درهما درهم ومن أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهم[8] .

---

(١) ـ سورة الانفال : الآية ٤١
(٢) ـ ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ١٦٢ ، البلاذري : أنساب الاشراف ج ١ ص ٣٨٠ . النويري : نهاية الأرب ج ١٧ ص ٣٥٠ .
(٣) ـ ابن حبيب : المحبر ، ص ١١٧ . أبو يوسف : الخراج ، ص ١٩٤ .
(٤) ـ أبو يوسف : الخراج ، ص ٦٧ ، ٢١ ـ ٢٢ ، ٧٠ . ابن سلام : الأموال ، ص ٥٨٤ . البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤ .
(٥) ـ ابن سلام : الاموال ، ص ٢٥٩ .
(٦) ـ اليعقوبي : التاريخ ج ٢ ص ٢٠٧ .

ويبدو أنه كان عند الأمويين نية في تغيير مبدأ الزكاة ، فقد ذكر (ابن سلام)
ان معاوية حاول أن يعطي أهل المدينة أعطياتهم وافرة غير منقوصة ولكنه وجد عجزاً في
المال ، فكتب إلى مروان بن الحكم أن يأخذ من صدقة مال اليمن ، فرفض أهل المدينة
ذلك لأن مال اليمن صدقة ، والصدقة لليتامى والمساكين وعطاؤهم من الجزية[1] .
إلى جانب ذلك ، فقد عرف في العصر الأموي نوع من الجباية سمي بنظام (الاصطفاء)
وهو عبارة عن أراض ليس لها مالك ، جلا عنها أهلها ، أو كانت تابعة للملوك او لرجال الدين
النبلاء[2] .
وفي واقع الأمر أن هذا النظام لم يبتدعه الأمويون في خلافتهم بل كان معروفا منذ عصر
الخليفة عمر بن الخطاب وبشكل خاص بعد عمليات الفتوح . فقد ذكرت المصادر استملاك
عمر لهذا النوع من الأراضي في كل من العراق والشام والجزيرة ومصر وضمها الى بيت مال
المسلمين وقد عرفت هذه الأراضي باسمي (الصوافي) - لأن عمر استصفاها أي جعلها
خالصة للمسلمين - ، أو (القطائع) لأنها أقتطعت فيما بعد لمن يتعهد منها[3] .
ويقول أبو يوسف في كتاب الخراج أن ((الصوافي بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد ولا
في يد وارث فللامام العادل أن يجيز منه ويعطي من كان له غناء في الاسلام ويضع ذلك موضعه
لا يحابي به ، فكذلك هذه الأرض ...))[4] .
وفي العصر الأموي فعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثلما فعل بالعراق من
استصفاء ما للملوك من الضياع وتصييرها خالصة لنفسه وأقطعها أهل بيته وخاصته[5]
وبالتالي قام بضرب المبدأ الذي كان متبع في عهد عمر ومن خلفه في هذه القضية .
بالاضافة الى ذلك فقد فرض الخلفاء الأمويون ضرائب جديدة عديدة ومتنوعة في الولايات

---

(١) - ابن سلام : الأموال ، ص٢٥٦ .
(٢) - نجدة خماش : الادارة ، ص١٩٧ .
(٣) - المرجع السابق نفسه .
(٤) - أبو يوسف : الخراج ، ص٦٩ .
(٥) - اليعقوبي : التاريخ ، ج٢ ص٢٣٤ .

الاسلامية لم تكن معروفة في الدولة الاسلامية قبل عهدهم . تفرض ضرائب على الأراضي المزروعة وغير المزروعة ، وتحصيل ضرائب اضافية بعضها كان احياء لرسوم تقليدية ساسانية كهدايا النيروز والمهرجان ، وتحصيل ثمن الورق المستخدم في الطلبات الرسمية والاجور التي تدفع للعمال المشتغلين في دور ضرب النقود ، وفرض ضرائب على البقايا وعلى بعض البيوت ، وأخيرا اشتراط العمال تحصيل الضرائب لعملات ذات وزن معين بدلا من العملات المتوفرة لدى الاهالي والاستيلاء على فروق النقد بينهم . ولما جاء عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أمر بتوقيف ذلك(1) .

ـ القضاء :

أول من تولى القضاء في الاسلام الرسول الكريم اذ نص في الصحيفة)) على أن الله والرسول هما المرجع في الخلاف الذي ينشب بين أهل هذه الصحيفة وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدوث واشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله (ص)))(2) .

وحين اتسعت حدود دولة الاسلام من الناحية الجغرافية عهد الرسول إلى الولاة الذين بعث بهم الى ولايات دولته بالقيام بمهمة القضاء بين الناس ، كما رسم لهم أمثل السبل للتصدي لهذه المهمة الجليلة ، فحين بعث النبي معاذ بن جبل الى اليمن سأله النبي : بم تحكم ؟ أجاب معاذ : بكتاب الله ، قال : فاذا لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . وأقره النبي على ذلك وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله(3) .

ويزعم أن أبا بكر أول من دفع القضاء إلى غيره ، دفعه الى عمر بن الخطاب ، فجلس سنة أو سنتين لا يأتيه أحد . أما أكثر المؤلفين فيتفقون على أن عمر بن الخطاب هو اول من اتخذ قاضيا ، وقد روى عن الزهري وابن المسيب انهما قالا : ما اتخذ رسول الله

---

(1) ـ نجدة خماش : الادارة ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(2) ـ نجدة خماش : الادارة ، ص ٢٢٦ . كما وتشير في بداية كتابتها لهذه الفقرة ان معظم المعلومات المتعلقة بكتابتها مأخوذة من هذا المرجع .

(3) ـ محمد بن علي الاكوع : مرجع سابق ، ص ١٢٧ . ابن سعد : الطبقات ، ج ٣ قسم

قاضيا ولا أبو بكر ولا عمر حتى كان في وسط خلافة عمر قال لعلي : ((أكفني بعض الأمور _ لأنّ عليا كان أقضى الصحابة وأعلمهم[1] .

أما في عصر الدولة الأموية فقد ذكر أن معاوية كان أول خليفة امتنع عن القضاء ودفعه الى غيره ، فكان له قضاة في قاعدة ملكه فضلا عن قضاته في الامصار ، أي أن معاوية أول من استقضى في موضعه الذي كان فيه لاشتغاله بما هو سوى ذلك من أمور المسلمين كبعث البعوث وسد الثغور وفرض العطا[2] .

كان الخلفاء الأمويين يختارون هم أنفسهم القضاة في عاصمة الخلافة ويتركون اختيار القضاة في الأمصار الى امرائهم وكثيرا ما كان واليهم على اليمن يقوم بهذه المهمة الى جانب مهامه الاخرى[3] .

ويذكر جرجي زيدان ان وظيفة القاضي في صدر الاسلام كانت محصورة في الفصل بين الخصوم[4] أما القضاء في المسائل الجزائية فقد بقي من اختصاص الخلفاء والولاة ، وان كانت لا توجد في ذلك العصر حدود دقيقة واضحة بين الاختصاصات القضائية لكل من الولاة والقضاة[5] .

كان القاضي كباقي قضاة الأمصار الاخرى في عصر الدولة الأموية يجلس في المسجد[6] أو السوق ، وربما ركب وتجول في البلد فوقف حيث يطلب[7] .

---

(1) _ منير العجلاني : عن محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر للبسنوي ، ص ٢٤٠ عن نجدة خماش ص ٣٢٦ .

(2) _ عبد الحي الكتاني : التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية ، ص ٢٦٠ . فاس ١٣٤٩ هـ _ نجدة خماش ، ص ٣٢٧ .

(3) _ الكندي : مصدر سابق ، ص ٣١٥ . خليفة بن خياط : ج ١ ص ٣٨٩ ، ٤٢٠ .

(4) _ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ١ ص ١٨٥ .

(5) _ احسان صدقي العمد : الحجاج بن يوسف الثقفي ، ص ٤٠٢ . بيروت ١٩٧٣ . نقلا عن نجدة خماش ، ص ٣٣٧ .

(6) _ عبد الحي الكتاني : مرجع سابق ، ص ٢٧٣ .

(7) _ ابن سعد : الطبقات ، ج ٦ ص ٩٥ .

وكان للقاضي كاتب يعاونه (١) ويقوم بالوقت نفسه بمهمة المساعد والمشير ، وكان يشغل هذا المنصب عادة رجل ذو علم وفقه (٢) ، كما كان هناك كتاب مهمتهم تدوين القضايا وتسجيلها كان القضاء يعد من الأعمال الشاقة الخطرة لما فيها من تحمل التبعية فيما قد يخطيء به القاضي فيحكم على صاحب الحق فيظلمه وهو مسؤول عنه وهناك أحاديث كثيرة تشير الى خطورة المسؤولية الملقاة على عاتق القاضي ، فعن رسول الله (ص) قوله : ((القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة ، رجل علم علماً فقضى به بما علم فهو في الجنة ، ورجل جهل قضى بالجهل ففي النار ، ورجل قضى بغير ما يعلم ففي النار)) (٣) .

وعندما استعمل ابو الدرداء على القضاء في دمشق وأصبح الناس يهنئونه قال : اتهنئوني بالقضاء وقد جعلت على رأس مهواة ... ولو علم الناس ما في القضاء لأخذوه بالدول رغبة عنه وكراهية له (٤) .

وكان بعض القضاة لا يأخذون على القضاء أجراً ، لأن القضاء علم والعلم لا يباع وانما يتبرع به لوجه الله . أما القاعدة الأساسية في هذا الأمر فقد كان للقاضي رزق يجرى عليه من بيت المال ، ليفرغ من هم المعيشة الى هم القضاء (٥) . وقد اشتهر عدد من قضاة اليمن في عصر الدولة الاسلامية كان أبرزهم علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل .

وكان من أهم المؤسسات الادارية في اليمن في عصر الدولة الأموية الدواوين التي كانت ترتبط بالدواوين المركزية في عاصمة الخلافة الأموية وقد تعددت أنواعها فكان منها :

١ ـ ديوان الجند : عرف هذا الديوان في الدولة الاسلامية منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب الذي يعود اليه فضل تأسيسه وذلك لتحديد العطاء لجميع العرب والجند

---

(١) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٧ قسم ٢ ، ص ١٥٨ ، طبعة ليدن ١٣٢٢ هـ
(٢) ـ نجدة خماش : الادارة ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .
(٣) ـ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .
(٤) ـ ابن سعد : الطبقات ، ج ٧ قسم ٢ ص ١١٧ .
(٥) ـ ابو يوسف الخراج ، ص ١١٦ .

الاسلامي[1] ، وكان يعرف باسم الديوان لانه لم يكن يوجد غيره فلم يحتاجوا الى تمييزه بلفظ آخر يضاف اليه .

وكان الديوان يتألف من سجلات كتب فيها أسماء المسلمين الذين يستحقون العطاء مع ذكر مبلغ عطائهم ، وحول عطاء أهل اليمن ذكر البلاذرى انه فرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ما بين ألفين الى ألف الى تسعمائة الى ثلاثمائة ولم ينقص أحد عن ثلاثمائة[2] ، بينما يشير النص الذى أورده الطبري على ان الحد الأدنى للعطاء كان مائتين اتخذ العطاء في العصر الأموى وسيلة سياسية لتدعيم نفوذ الخلفاء وتثبيت أركان الدولة ، واختلف مقدار العطاء باختلاف الخلفاء والولاة ، وتبعا للظروف السياسية والاقتصادية[3] . والعطاء في مجمله لم يعط إلى المقاتلة في الخلافة الأموية بنسبة واحدة ، فقد كان هناك حد أعلى من العطاء يدعى شرف العطاء ، وبينما كان محددا الفين وخمسمائة درهم في عهد عمر ومن تبعه من الخلفاء الراشدين[4] فانه انخفض في خلافة بني أمية الى (٢٠٠٠) ألفي درهم .

وبما أن بعض العطاء كان يصرف في تجهيز المقاتل ، لذا كان الخروج للقتال ، أو ارسال بعث من البعوث ، يوجب توزيع العطاء وكان على أهل الديوان المشاركة بالبعوث والغزو وكثيراً ما يرد لفظ الديوان مقرونا بالغزو[5] .

٢ ـ ديوان الزراري : يمكن القول ان ديوان العطاء الذى أوجده عمر بن الخطاب ينقسم الى ديوان للجند وديوان للزراري ، فكان ديوان الجند يضم أسماء المقاتلة ومقدار أعطياتهم ومكان مكاتبهم ، ويسجل في ديوان الزرارى الافراد الذين يحق لهم العطاء من عائلة المقاتل . وقد طبق معاوية نظم عمر بن الخطاب في العطاء ، الا أنه فرض العطاء

---

(١) ـ حسين مولوي : مرجع سابق ، ص ١٦٨ .
(٢) ـ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٣٨ . نقلا عن نجدة خماش : كتاب الادارة ، ص ٢٥٩ .
(٣) ـ نجدة خماش : الادارة ، ص ٢٦٣ .
(٤) ـ الطبرى : ج ٣ ص ٦١٤ .
(٥) ـ المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ص ٢٢٤ .

للفطيم دون المولود ، فلما تولى عبد الملك بن مروان قطع ذلك كله إلاَّ عمن شاء[1] .

أما عمر بن عبد العزيز فقد فرض في عهد خلافته لكل فطيم عشرة دنانير[2] ، وقد استمر عطاء الزرية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك على نفس المنهج الذى سار عليه معاوية وابنه يزيد .

وقد استوجب ديوان الزراري في اليمن وغيرها من ولايات الخلافة الأموية اجراء عملية احصاء دائمة وبشكل متواصل وذلك لمعرفة من مات لشطبه من الديوان ومن ولد لتسجيله[3]

ــ ديوان الخراج : كان في العهد الاموي ديوان مركزي للخراج في دمشق ثم ديوان فرعي في اليمن تابع له وفي كل اقليم من أقاليم الدولة الاسلامية . ويعد هذا الديوان في نظر عدد كبير من المؤرخين من أهم دواوين الدولة لانه مصدر جميع الأموال للأقاليم والدولة ، وكان عبد الملك بن مروان يدرك هذه الحقيقة فيقول : الملك لا يصلح إلاّ بالرجال ، والرجال لا يقيمها الا الأموال[4] ، كما اعتبر عمر بن عبد العزيز الأموال أحد الأركان الاربعة التي تثبت السلطان[5] .

ومن نافلة القول أن نذكر أمراً مهمًا هنا هو أن معاوية كان أول من أمر بتسجيل أو حفظ سجلات بمقادير الجزية والخراج لكل منطقة أو اقليم ، وميز تميزاً واضحًا بين دخل أرض الخراج ودخل الصوافي وأنشأ مبدأ وضع الصوافي عمومًا تحت سلطة البيت الحاكم[6] . وكان كل ما يرد يسجل في ديوان الخراج[7] . واتبع الخلفاء الأمويون القاعدة نفسها ، فكان يسجل في ديوان الخراج كل ما يرد من أموال الفيء أما أموال الصدقات فكانت تسجل

---

(١) ــ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٤٤٥ .
(٢) ــ المصدر السابق نفسه .
(٣) ــ المقريزى : الخطط ، ج ١ ص١٧٤ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٢ .
(٤) ــ احسان صدقي العمد : مرجع سابق ، ص٤٠٤ .
(٥) ــ الطبرى : ج ٦ ص٥٦٨ .
(٦) ــ دانيل دينت : الجزية والاسلام ، ص٦٤ . ترجمة فوزى فهيم جاد الله ، بدون تاريخ
(٧) ــ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٣ ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الاولى القاهرة بدون تاريخ .

في ديوان خاص بها يسميه الماوردي باسم ديوان العشر[1].

وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه خراج اليمن في عصر الدولة الاموية بأنه بلغ ألـــف ألف ومائتي ألف دينار وقبل (٩٠٠) تسعمائة الف دينار[2].

٤ ـ ديوان الصدقات : ذكر الجهشياري أن الخلفاء الأمويون كانوا يعينون عمالا للصدقات غير عمال الخراج[3] اذ أن مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج ، فمال الخراج فيء لجميع المسلمين بينما الصدقات لمن سماهم اللـه في كتابه العزيز ، فاذا اجتمعـــت الصدقات من الابل والغنم والبقر جمع الى ذلك ما يؤخذ من المسلمين من العشور ، عشـــور الأموال ، وما يمر به على العاشر من متاع وغيره لأن موضع ذلك كله موضع الصدقة ، ثم يقسم ذلك أجمع لمن سمى اللـه تبارك وتعالى : ((انما الصدقات للفقراء والمساكين والعامليـــن عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل))[4].

وقد رأينا فيما مضى أن أرض اليمن أرضا عشرية اذن لم يكن من الضروري أن تسجل فـي ديوان الصدقات مساحات الأراضي العشرية وانما كان يسجل فيها أسماء الذين يملكون الأراضي ونوع الزرع وحالة سقية بسيح أو في الدالية لاختلاف حكمه ليستوفي على موجبه[5].

٥ ـ ديوان البريـــــد : يذكر القلقشندي وغيره من أهل الأخبار انه لما استقرت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان قرر وضع البريد لتسرع اليه أخبار بلاده ، من جميع أطرافها ، وأمـر باحضار رجال من دهاقنة الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم ما يريد فوضعوا له البريد[6].

ويبدو أن البريد في خلافة بني أمية لم يكن نظاماً يستعمله الشعب كما هو في الوقت الحاضر ، وانما كان نظاماً رسمياً حكومياً ، وقد استعمل الخلفاء نظام البريد في أول الأمـر

---

(١) ـ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص٢٠٧ ، ط ، الثالثة ، مصر ، ١٩٧٣ م ،

(٢) ـ اليعقوبي : التاريخ ، ج ٢ ص ٢٣٤ ،

(٣) ـ الجهشياري : مصدر سابق ، ص ٦٠

(٤) ـ ابو يوسف : الخراج ، ص٩٥ ، نجدة خماش ، الادارة ، ص ٢٧٩ ،

(٥) ـ الماوردي : مصدر سابق ، ص٢٠٧ ،

(٦) ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ص٣٦٧ ، المطبعة الأميرية القاهرة ١٩١٣ م
السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٢١٩ ، طبع دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ،

لنقل الاخبار بسرعة من مقر خلافتهم الى بلاد اليمن وولايات دولتهم الأخرى لتلقي الأخبار ولكن ليس معنى هذا أن البريد كان ينقل فقط المراسلات بين الولاة والعمال من جهة والخلفاء من جهة أخرى ، وانما كان باستطاعة أى فرد من أفراد الشعب أن يرسل الى الخليفة ما يريده عن طريق بريده في عهد خلفاء بني أمية[(١)] .

ويذكر القلقشندي أنه كان للبريد شخص مخصوص يتولى أمره ويقوم بتنفيذ ما يصدر وتلقي ما يرد يعبر عنه بصاحب البريد[(٢)] ، وكان عبد الملك بن مروان يأمر حاجبه أن يدخل عليه صاحب البريد متى جاء في الليل أو النهار ، وكان من مهام صاحب البريد إلى جانب عرض الرسائل والتقارير المتراكة لديه مهمة تعيين الموظفين المحليين في المدن المختلفة والأشخاص المناسبين في المحطات المختلفة على الطريق وتعيين السعاة والاهتمام بدفع المرتبات والأرزاق لهم[(٣)] .

كما وجد الى جانب هذه الدواوين السابقة جميعها في بلاد اليمن في عهد الخلافة الأموية دواوين عديدة أخرى[(٤)] كان في طليعتها ديوان الخاتم الذى أوجده معاوية بنفسه واتخذه لضبط المعاملات المالية وصيانة الوثائق الهامة[(٥)] . وقد اختص كل خليفة من خلفاء بني أمية بنقش خاص لخاتمه[(٦)] ، وقد فسر المؤرخون وجود هذه الدواوين الكثيرة في ولايات الدولة الأموية نظراً لتطور الدولة الاموية وتعقد إدارتها في هذه الحقبة التاريخية فكان ايجاد هذه الدواوين حاجة ماسة لتسهيل إدارة شؤون الدولة وتنظيم أمورها في أجزائها العديدة المترامية الأطراف .

---

(١) _ الطبرى : ج ٥ ص ٣٣٥ . ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٦ .
(٢) _ القلقشندى : مصدر سابق ، ج ص ٣٧١ .
(٣) _ Lewy, P. 301. نقلا عن نجدة خماش : الادارة ، ص ٢٨٤ .
(٤) _ نجدة خماش : الادارة ، ص ٢٨٨ وما بعدها .
(٥) _ الطبرى : ج ٥ ص ٣٣٠ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٩ .
(٦) _ نجدة خماش ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

ولاة بني أمية على اليمن وقواعد انتقائهم لولاتهم :

أول قائد بعث به معاوية الى اليمن قبل أن يتتب له الامر بشكل نهائي هو بسر بن أبي أرطاة الذي وصفته المصادر بأنه أكثر من القتل في شيعة علي من اليمنين وبقي مسيطرا على اليمن باسم معاوية حتى أرسل اليه علي بن أبي طالب جيشا بقيادة جارية بن قدامة حيث تمكن من طرده من أرض اليمن(١) .

ولما حسم الصراع لصالح معاوية واستتب له الامر بالخلافة بادر بارسال عثمان بن عفان الثقفي واليا على اليمن فأقام بها مدة من الزمن ثم عزله بأخيه عتبة بن أبي سفيان ثم استعمل النعمان بن بشير الانصاري ثم بشير بن سعد الاعرج الذي مات بعد ستة أشهر من ولايته عندئذ استعمل معاوية الضحاك بن فيروز فلم يزل واليا باليمن الى ان مات معاوية(٢) .

وعند ما تولى ابنه يزيد الخلافة أرسل إلى اليمن بحير بن ريشان الحميري واليا .

وحدث انه لما تملك عبد الله بن الزبير الحجاز استعمل على اليمن الضحاك بن فيروز الديلمي فأقام بها سنة ثم عزله وعين بدلا منه عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي فأقام أياما ثم عزله وعين عبد الله بن عبد المطلب بن وادعة السهمي فأقام فيها سنة وعدة أشهر ثم عزله وولى مكانه حسن بن عبد الله الفقيه ثم استعمل قيس بن يزيد السعدي .

ولما قتل عبد الله بن الزبير بمكة واستولى عبد الملك بن مروان على الحجاز جعل أمر اليمن الى الحجاج بن يوسف الثقفي فاستعمل هذا على صنعاء ومخاليفها أخاه محمد بن يوسف وعلى الجند واقد بن مسلمة الثقفي ولكن الحجاج عزل هذا الاخير وجعل اليمن كلها لاخيه محمد بن يوسف الذي بقي عاملا بها إلى أن توفي فاستعمل الحجاج على اليمن ابن عمه أيوب بن محمد الثقفي وهو الذي زاد في عمارة جامع صنعاء بأمر الوليد بن عبد الملك .

---

(١) ـ الطبري : ج ٥ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .
(٢) ـ ابن الاثير : الكامل ، ج ٤ ص ١٦٠ .

وعندما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة الأموية استعمل على اليمن عروة بن محمد السعدي وقد أقام باليمن أيام سليمان بن عبد الملك وشطرا من عهد خلافة عمر بن عبد العزيز وقد استعمل عمر بن عبد العزيز على القضاء بمدينة صنعاء وهب بن منبه الأنباري وفي سنة احدى ومائة توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز وولي الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فاستعمل على اليمن مسعود بن عوف الكلبي وفي سنة خمس ومائة مات يزيد بن عبد الملك وتولى الخلافة هشام بن عبد الملك فأقر على اليمن مسعود بن عوف أياما ولكنه لم يلبث أن عزله وولى بدلا عنه يوسف بن عمر الثقفي الذي ولي الأمر في اليمن ثلاث عشرة سنة وولي القضاء على صنعاء الغطريف بن الضحاك بن فيروز الديلمي . وقد حدث في أيام ولاية يوسف بن عمر لليمن ان خرج عباد الرعيني من ذرية القيل ذي رعين على الكوفة ولكن يوسف بن عمر هزمه شر هزيمة . وفي سنة ١١٧ هـ استدعى هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر لأعمال العراق بعد أن عزل عنها خالد بن عبد الله القسري فخلف يوسف بن عمر على اليمن ابنه الصلت بن يوسف وسار الى العراق ولم يزل الصلت عاملا على اليمن مدة هشام بن عبد الملك .

وفي أيام الوليد بن يزيد تولى أعمال اليمن مروان بن محمد بن يوسف الثقفي ولم يزل بها حتى قتل الوليد وقام بالأمر بعده يزيد بن الوليد الملقب بالناقص ما ستعمل على اليمن الضحاك بن واصل السكسكي فأقام فيها حتى آخر أيام يزيد بن الوليد وقام بعده مروان بن محمد الجعدي نسبة الى شيخه الجعد بن درهم فاستعمل على اليمن القاسم بن عمر الثقفي الذي هزم أمام الخارجي عبد الله بن يحيى (طالب الحق) فاستعمل الخليفة مروان على اليمن بعد هذه الهزيمة لمثله الوليد بن عروة الذي بقي في منصبه حتى اضمحلت دولة بني أمية بالشام ، وانتقلت الخلافة الى بني العباس .

ولم يكن تعيين الولاة على اليمن وبقية أمصار الدولة الاسلامية يتم بشكل اعتباطي بل كانت هناك قواعد أساسية اتبعت في اختيار الولاة وقد استند الرسول (ص) والخلفاء الراشدين من بعده والى حد كبير الخلفاء الأمويين على القاعدة الأولى التي وضعها

الاسلام في اختيار موظفيه والتي جاءت في قوله تعالى : ((ان خير من استأجرت القوي الأمين)) (١) .

وقد طبق عمر بن الخطاب هذه القاعدة ورجح الأقوى من الرجال على القوي (٢) . وكان يوسد الولاية الى الأكفاء ويرى أنه من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله (٣) . كما كان للكفاية العلمية مكانتها في عهده أيضا فكان اذا اجتمع اليه جيش من أهل الايمان أمر عليهم رجلا من أهل الفقه والعلم (٤) .

وفي خلافة بني أمية فانه نظرا لوصول معاوية الى الحكم بالقوة واضطرار عبد الملك إلى استخدام القوة حتى يتخلص من مناوئيه ، فان خلفاء بني أمية ، باستثناء عمر بن عبد العزيز ، كانوا يرغبون في الرجل القوي القادر على قمع الفتن ، وتوطيد الأمن وضبط الأموال وتدعيم الحكم .

وبالرغم من أن خلفاء بني أمية قد وفقوا الى حد كبير في انتقاء ولاتهم ، فاننا نلاحظ ذلك الاتجاه لتعيين الابناء والاقارب في عهد المروانيين وربما كان ذلك نتيجة للاضطرابات السياسية التي اضطر عبد الملك الى اخمادها قبل أن تستقر له الأمور (٥) .

ودرج الخلفاء الراشدون والأمويون بعد رسول الله (ص) على (العهد) لعمالهم على شكل مكتوب بالأغلب ، سواء أكان العمل عاماً أم كان خاصا . وكان عمر بن الخطاب اذا استعمل عاملا كتب له عهدا وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والانصار واشترط عليه ألاّ يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس (٦) .

وفي العصر الأموي كانت العهود كما كان الأمر عليه في العصر الراشدي تتضمن الوصايا التي اختلفت تبعا للظروف ، فعندما عهد معاوية لعبيد الله بن زياد بولاية خراسان

---

(١) ـ سورة القصص : الآية ٢٦ .
(٢) ـ الطبري : ج ٤ ص ٦٥ .
(٣) ـ ابن تيمية : السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، ص ٩ . بيروت بدون تاريخ
(٤) ـ الطبري : ج ٤ ص ١٨٦ ع
(٥) ـ نجدة خماش : الادارة ، ص ٢٩٤ .
(٦) ـ الطبري : ج ٤ ص ٢٠٧ .

قال له حين ولاه : ((اني قد عهدت اليك مثل عهدي الى عمالي ، ثم أوصيك وصية القرابة لخاصتك عندي لا تبيعن كثيراً بقليل ، وخذ لنفسك من نفسك ، وافتح بابك للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء ، واذا عزمت على أمر فاخرجه للناس ، ولا يكن لأحد فيه مطمع ، ولا يرجعن عليك وأنت تستطيع ... اتق اللـه ولا تؤثرن على تقوى الله شيئاً واذا أعطيت عهداً فـف به[1])) . وقد سار بقية خلفاء بني أمية على هذا النهج فيما بعد .

أما الكيفيـة التي كان يتسلم بها الوالي في اليمن مهام عمله ـ وولاة بقية الولايات ـ فكانت على الاغلب شخوص العامل الى مكان عمله وهو يحمل عهده فيتلقاه أهل الولايـة بالقبول وكان من عادة الولاة في العصر الاموي أن يفتتحوا ولايتهم بخطبـة يلقونها في المسـجد تلخص طريقتهم في السياسـة والادارة ومعاملة الرعيـة ليكون الناس على بينـة من أمرهم .

وكان الوالي يجلس للحكم في أكبر مساجد الولايـة الذى يعرف بالمسجد الجامع ، وربما سكن الوالي بيتاً يتصل بالمسجد ليكون قريباً من عمله[2] . وقد يجعلون بيت المال فـي المسجد أيضا لتكون حمايتـه أيسر والتورع عنه أكثر . وكان المسجد من الناحيـة السياسية والادارية صلة الوصل بين الامير والرعيـة ، وكانت كتب الخليفـة وأوامره تقرأ على الناس في المساجد[3] .

وكثيرا ما كان الوالي يعزل لخيانته أو لعجزه أو للرغبـة في رجل أصلح أو استجابـة لرغبات الشعب الذى يمل في بعض الاوقات أمراءه[4] .

وكان الخليفـة عمر بن الخطاب من أكثر الخلفاء عزلا لعماله ، وكان اذا عزل عاملا من غير خيانـة ، يعلن ذلك بكل وسائل الاعلان ليعرف ذلك وقد اتبع الخلفاء الامويون المبادئ نفسها التي سـار عليها الخليفـة الثاني مع ولاتـه[5] .

---

(١) ـ الطبرى : ج ٥ ص ٢٩٦ .
(٢) ـ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٤٢ .
(٣) ـ الطبرى : ج ٦ ص ٧٥ . الدينورى : الاخبار الطوال ، ص ٢٠١ .
(٤) ـ ابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٤٠ .
(٥) ـ الطبرى : ج ٧ ص ٢٠٥ .

ـ الخاتمـــــــة ـ

وبعد أن انتهينا من كتابة هذا البحث لا بدّ لنا من خاتمة نلخص بها أهم ما توصلنا اليه من نتائج حيث كانت على الشكل التالي :

١ ـ كان وضع اليمن السياسي قبل الاسلام مضطرباً ممزقاً حيث كانت أرض اليمن مقسمة بحسب القبائل ، وكانت القبيلة الواحدة تنقسم إلى عدة بطون وكل بطن مستقل عن الآخر وكانت العلاقة بين هذه المزق القبلية هي علاقة حرب : حرب من أجل صنم ، أو حرب من أجل أرض أو حرب من أجل عرض أو حرب لثأر .... الخ . وكانت تقام الأحلاف بينهم لتقام الحروب أو لتقوية إحدى القبائل الصغيرة الخائفة من جيرانها .

٢ ـ وكان بجوار هذا الوضع القبلي (وضع فارسي) الذي لم يعد له النفوذ والسلطان ، بل أصبح كأي قبيلة من القبائل ، لا نفوذ له إلاّ على مناطق محددة ولا يستطيع التحرك فيما حوله الا بما يقيمه من تحالف مع هذه القبيلة أو تلك وبهذا أصبح لا يعدو كونه قوة من القوى الموجودة في اليمن إلى جوار قوى القبائل العديدة .

ـ وإلى جوار ذلك كان هناك (نفوذ رومي) متمركز في نجران وقد ارتبط سكان هذه المنطقة بالنفوذ الرومي ارتباطاً وثيقاً .

ـ إلى جانب ذلك كان الوضع الديني في اليمن متردياً : فالوثنية تنتشر في جميع أرجائه وفوق هذا فقد كانت اليهودية منتشرة انتشاراً واسعاً في مرحلة من المراحل الزمنية ثم انحسرت حتى أصبحت في بعض أفراد من بعض القبائل . والى جوار اليهودية كانت النصرانية في نجران ، وبذا فاليمن قد ضم في وسطه جميع الأديان الموجودة حينذاك بحيث أصبح وضعه الديني قلقاً كما هو حال وضعه السياسي .

ـ وفي هذا الجو المضطرب سياسياً ودينياً ظهر في شعاب مكة المكرمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى دين جديد يقوم على أساس توحيد الله ورفض الشركاء له . وقد بدأ الدعوة وحيداً يدعو من يثق به ، كاتماً أمره ثم أعلنه بأمر ربه فتعرض له أهل مكة ، وآذوه ، وآذوا أتباعه فهاجروا إلى الحبشة ، ثم اتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو العرب في منازلهم أيام المواسم ، سواء المواسم التجارية أو مواسم الحج . ثم حصلت الهجرة إلى المدينة ، ثم غزوة بدر الكبرى التي أسقطت هيبة قريش في حس العرب ، ثم استمرت الغزوات الى ان كانت آخر غزوة بالنسبة لقريش وهي غزوة الخندق .

٦ ـ وبظهور الاسلام بمكة ، وللأحداث التي رافقت نموه سواء التي اتخذت ضده أو التي كانت لصالحه ، كان لهذه الأحداث صدى في اليمن ، فقد وصلتهم أخبار الاسلام واحداثه عن طريق معبرين : الأسواق العربية ، ومواسم الحج . فكان لسماع أهل اليمن بالاسلام آثار سواء على الادارة الفارسية في اليمن او على بعض القبائل اليمنية أو على بعض قبائل أفرادها الذين قدموا مكة ليعرفوا الاسلام فأسلموا ، ثم كانوا دعاة في أقوامهم الى الاسلام . فقد أسلم بعض الأفراد من همدان ومن الأشعريين ومن دوس ، ومن الأزد ، ومن سعد العشيرة وكانوا سبباً في اسلام الكثير من أقوامهم .

٧ ـ وحينما تم صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم آفاقاً جديدة للدعوة . فكان لا بدّ في هذا الجو من اخراج الدعوة من نطاق المدينة ومكة وما حولهما ، فاستهل رسول الله (ص) العام السابع للهجرة بارسال الرسل ومعهم الكتب الى زعماء القوى المجاورة حينذاك يدعوهم الى الاسلام . وقد وجهت الدعوة في هذه الاثناء للزعماء البارزين من أهل اليمن وعلى رأسهم ، ملوك حمير ، وأقيال حضرموت ، وملوك كندة ، ونصارى نجران ، بالإضافة إلى الادارة الفارسية باليمن (الأبناء) . ولم يوجه الدعوة الى همدان وهي من كبار قبائل اليمن اما لأنه اكتفى بمن أسلم منهم ليكونوا دعاة في أوساطهم ، أو لأنه اكتفى بتوجيه الدعوة الى أبناء فارس لارتباطهم مع همدان بأحلاف .

٨ ـ وقد أدى فتح مكة الى اسقاط الحاجز الذي كان يعوق الناس عن الاسلام ، وبسقوطه تساقطت بقية القوى في الجزيرة العربية ، فتدافعت القبائل في وفود متتالية الى المدينة لتعلن اسلامها . وفي هذه الفترة ـ فترة ما بعد فتح مكة ـ تتالت القبائل اليمنية الواحدة تلو الأخرى ، ولم تأت كلها مسلمة دفعة واحدة ، ولا طواعية ـ كما زعم بعض المؤرخين اليمنيين ـ بل بعضها أسلم حينما أرسل اليهم رسول الله (ص) رسلاً وكتباً تدعوهم إلى الاسلام فكانت سبباً مباشراً لاسلامهم . أو لاستسلامهم للدولة الاسلامية بدفع الجزية كما هو حال نجران . والبعض الثاني لم يسلم إلاّ بعد أن أرسلت اليهم السرايا والبعوث التي دعت الناس إلى الاسلام فمنهم من قبل ، ومنهم من رفض ، فقوتل ثم أسلم بعد ذلك . وأما البعض الثالث : فقد اسلم اما لأن الأمر في الجزيرة العربية أصبح بيد المسلمين ، فمن الخطأ الوقوف في وجه الاسلام ، واما لرغبة وحب للاسلام لأنه يحقق لهم الهدوء والاستقرار النفسي والاجتماعي والديني وأصبح اليمن بهذا جزءاً من الدولة الاسلامية ، فقد عين رسول الله (ص) الولاة

الذين يتولون شؤون اليمن ، ويعلمون الناس دينهم ويقبضون زكاة أموالهم . ولم يعد اليمن ذلك البلد المغرق بين قبائله المتناحرة المتصارعة المتقاتلة بل حرص رسول الله (ص) على لمّ شمل تلك القوى فكان عليه الصلاة والسلام يسعى الى تولية الزعماء المحبوبين عند الناس ، ثم يولي ولاة يضم تحت ولايته عدة قبائل ، فكان بهذا يزيل العصبيات القبلية والنعرات الجاهلية فلم ينتقل إلى جوار ربه ، إلا واليمن مقسم إلى ثلاث وحدات ادارية : الجند ، وصنعاء ، وحضرموت . وكان على اليمن جميعا أمير واحد يرجع اليه جميع الولاة ، وكلهم مرتبطون بعاصمة الدولة في المدينة .

٩ـ وصار اليمن مثله مثل المدينة سواء من ناحية إدارتها أو من ناحية ما يُؤخذ منها من أموال تحصلها الدولة إلى بيت مال المسلمين لأنّ اليمن والمدينة هي أرض (عشرية) أو نصف عشرية لا يتحصل منها إلاّ حسب حالتها . ويؤخذ هذا على سبيل الزكاة في أربعة أنواع من أصناف الزروع والثمار اضافة الى زكاة الماشية (البقر ، والغنم والابل) .

وأما الجزية على من بقي على اليهودية أو النصرانية في اليمن فقد حُددت بدينار على كل واحد منهم . وقد استمر هذا الوضع في عهد الخلفاء الراشدين ، فقد توحد اليمن أكثر من ذي قبل ، وعلى الرغم من أن كل مخلاف من المخاليف اليمنية الثلاثة كان عليها وال خاص إلاّ أن الوالي العام الذي كان مقره صنعاء له الولاية العامة على اليمن جميعاً ، ففي عهد أبي بكر رضي الله عنه كان المهاجر بن أبي أمية ، وفي عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما كان يعلى بن أمية ، وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عبيد الله بن عباس .

ونفس الوضع المالي أو ما تحصّله الدولة من أموال من اليمن ظل كما هو الحال في عهد النبوة ، على الرغم من أن عمر بن الخطاب (رض) حدد الجزية على أهل الشام والعراق بثمانية وأربعين درهماً على الموسر ، وأربعة وعشرين درهماً على المتوسط الحال ، واثني عشر درهماً على الفقير ، إلاّ اليمن فقد أبقاه على ما هو عليه مراعاة لحال الناس ، فالعراق والشام أكثر غنى من أهل اليمن .

١٠ ــ وقد تميز عهد الخلفاء الراشدين بأحداث كانت أساساً لكثير من الأحكام التشريعية التي جاءت فيما بعد وأهم هذه الأحداث : أحداث الردة التي حصلت في عهد أبي بكر وأحداث أو حركة الفتوح الاسلامية التي كانت في كل من خلافة ابي بكر وعمر وعثمان

وأخيراً أحداث الفتنة التـــي بدأت في أواخر خلافة عثمان وأدت الى مقتله ، ثم استمرت طوال خلافـة علي ، وأدت الى قتل الكثير من الصحابـة والكثير من المسلمين عامـة وفي نهايتها قتل الخليفـة الرابع علي . وكان لليمنييـن قسط كبير في التأثير علـى تلك الأحداث ايجاباً أو سلباً .

أما الردّة وما تبعها من أحداث فإننا نجد أهل اليمن وقعوا بها في جميـع مظاهرها وقد تصدى الخليفـة أبي بكر لردتهم وتمكن من اعادتهم الى حظيرة الاسلام ثانيـة .

وبانتهاء الردة وضح التصور الاسلامي لدى الناس وتخلصوا من الشوائب التـي كانوا يتصورونها عن الاسـلام ، وأصبح واضحاً لديهم ان الاسـلام لا يلتقي مع الجاهلية ولا تشوبه المطامع ، ثم توحدت اليمن وأصبحت ذات هدف واحد . تقاتل من أجلـه وهو الاسـلام ، ولم يعد القتال للنعرات القبليـة والعصبيات الجاهلية . وبرز منهـم شخصيات قياديـة كان لها أثرها في قيادة أهل اليمن في الفتوح الاسـلامية .

وفوق هذا أصبح في نفوسهم ثقـة بالقيادة وطاعـة للنظام ، جعلهم يلبون نداء الجهاد فور سماعهم له ، فخرجوا زرافات ووحدانا ، فحققوا مع اخوانهم المسلمين من غير اليمن تلك الفتوح التي أزالت امبراطوريـة فارس وقلصت من امبراطوريـة الروم . وقـد وصفت المصادر العربيـة خروجهم الى الجهاد في تشكيلات ووحدات عسكريـة بناء على البنيـة الاجتماعيـة القبليـة . لأنّ النظام القبلي كان أساساً في التشكيلات الحربية كنوع من التنظيم للجيش الاسـلامي ، ولذا كان النظام القبلي ضرورة اجتماعيـة وضرورة حربيـة . وقد خرجوا بنسـائهم وأولادهم .

إلى جانب ذلك فقد برزوا في جميع ميادين الجهاد سواء في تسليم زمام القيادة أو القيام بالتخطيط وقيادة العمليات القتالية الصغيرة والكبيرة ، كذلك تولوا مهمة الدعـوة إلى الاسـلام قبل القتال .

وحينما جاء دور القتال كانوا أبطالاً في ساحة المعركة ، شجعاناً في مواجهـة الأهوال ، كرماء في تقديم أنفسهم في سبيل اللـه . وكان لحركة الجهاد التي أدت إلى فتوح البلدان آثار ملموسـة على أهل اليمن . فقد استقروا في الأمصار ولم يعـد الرابط بين القبيلة هو العصبيـة الجاهلية بل أصبح ملموساً أن القبيلة الواحدة متفرقـة

بين الأمصار في العراق والشام ومصر والاندلس بل أدى ذلك الاستقرار الى اندماج القبائل ببعضها البعض على الرغم من العداوات التي كانت بينهم في الجاهلية ، بل وصل بهم الأمر الى التخلي عن اليمن كليّة فباع بعضهم ما يمتلكه في اليمن واستقر في الأمصار .

وكل هذا يدل على الاستمرار الحثيث لذوبان العصبيات الجاهلية وصهرها في بوتقة الاسلام مع ابقاء التنظيم الاجتماعي والوحدات القبلية كوحدات اجتماعية وعسكرية . ومن النتائج أيضاً ظهور طبقة من القادة اليمنيين المحنكين الذين تولوا العديد من المناصب العسكرية ، والسياسية ، والقضائية ، والمالية . ثم حسن اسلام من ارتد منهم فلما طُولبوا بالجهاد بعد حرمانهم منه ، هبّوا بطواعية فبرهنوا على صدق نواياهم .

وبرزت أيضاً كأثر لحركة الفتوح طبقة من العلماء من أهل اليمن كانوا قبلة لكثير من التابعيين حفظاً لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقهاً لشرع الله

١٠ — وأصبح لأهل اليمن دور بارز في سير الاحداث التي تلت الفتوح ، بل تولوا زمامها وقادوها ووجهوها حيثما شاءوا ، وعلى رأس تلك الأحداث أحداث الفتنة التي شملت أواخر عهد عثمان وعهد علي كله .

وكانت الفتنة قد شملت المجتمع كله وأصبح أفراده إما في صف مثيري الفتنة أو في صف أحد طرفي الفتنة : وهما معسكر علي ، ومعسكر معاوية أو في صف من قام ليتولى الصلح بين الطرفين ، واما في صف المنعزل عن هذا الصراع لالتباس الأمور وغموضها بالنسبة له .

غير أن المهم من كل هذا هو أن اليمنيين كانوا في الصدارة من تلك الاحداث فبعضهم في مقدمة من أثار الفتنة بل معظمهم من اليمن وعلى أيديهم ذاتها لقي الخليفة الثالث مصرعه .

وكان بعضهم في طليعة من تجاوب مع عثمان لنصرته والدفاع عنه ثم كانوا من أخلص جنود معاوية بن أبي سفيان .

وفي المعسكر الآخر — معسكر علي — كان بعضهم على قدر كبير من التأثير والقيادة وكذلك برز بعضهم في مقدمة الفريق المصلح سواء في معسكر عائشة وطلحة والزبير ،

الذين خرجوا للعمل على اطفاء نار الفتنة ، أو في المحاولات التي قام بها بعض الافراد كجرير بن عبدالله البجلي ، أو بعض الجماعات كجماعة (القراء) ، وكان لهم دور أيضاً في قضية التحكيم ، وفي انهاء الفتنة كليّة في عام الجماعة بعد مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذى قتل على يد واحد من أهل اليمن .

وانتهت تلك الفتنة مخلفة وراءها الآثار التي عادت على المجتمع الاسلامي عامة وأهل اليمن خاصة وهو ما يعنينا هنا ، فقد كان يخطب ود أهل اليمن في كلا المعسكرين ، فكان معسكر علي يقيم الحرب ويقعدها أحد ثلاثة قادته وهم من اليمن

وفي معسكر معاوية كان لزعيمين من زعماء اليمن الاثر الفعال في اثارة الحرب أو اطفائها كذلك نشأت أكبر الفرق التي ما زالت آثارها حتى الآن على أيد يمنية سواء فرقة (الشيعة) ، أو فرقة (الخوارج) .

وقد كان لتلك الفتنة آثار على أهل اليمن حيث قتل منهم العديد في كلا المعسكرين سواء من القادة أو من عامتهم .

ثم أخيراً وبعد أن كانت العصبيات الجاهلية للقبيلة الواحدة ظهر مصطلح جديد وهو مصطلح (اليمانية) الذى ضم تحته جميع أهل اليمن ضد النزارية والعدنانية أو ما اصطلح على تسميته بـ (القيسية) . واستمر الصراع بين الجانبين محتدما حتى كان أحد الأسباب الرئيسية في سقوط الدولة الأموية .

وحول هذا الأمر تؤكد المصادر العربية القديمة أمراً في غاية الأهمية هو فكما اعتمد الأمويون على اليمنيين في قيام دولتهم وكانوا عاملاً أساسياً في بناء صرحها .

فإنهم هم أنفسهم كانوا السبب في سقوطها وقتل آخر خليفة أموى بأيديهم ذاتها ونصرة الدعوة العباسية التي كان لنصرتهم لها أهمية خاصة في قيام صرح بنائها .

المصادر

- القرآن الكريم :
- ابن أعثم الكوفي : أبو محمد بن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، الجزء الأول طبع باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م .
- ابن أبي الحديد : عز الدين حامد ، شرح نهج البلاغة ، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٥٦ م .

ابن اسحاق : محمد بن اسحاق بن يسار ، السيرة المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق محمد حميد الله ، تقديم محمد الفاسي ، معهد الدراسات والابحاث للتعريب ، الرباط ، المغرب ١٩٧٦ م .

ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٢٩م

ابن حزم الأندلسي : محمد بن علي ، جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

ابن حبيش : الامام عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف بن حبيش ، كتاب ذكر الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في ايام الخلفاء الأول الثلاثة . تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط . بيروت ، ١٩٨٨ م .

ابن حبيب : أبي جعفر بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي كتاب المحبر ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، بدون تاريخ .

ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني
- كتاب الاصابة في تمييز الصحابة . طبعة القاهرة بدون تاريخ ، ثم طبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، طبعة القاهرة ، ١٩٧٨ م .

ابن خلكان : أحمد بن محمد . كتاب وفيات الأعيان ، القاهرة ، ١٣١٠ هـ .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٥٦م . ثم طبعة بولاق ، ١٢٨٤هـ .

- ابن دريد : أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، كتاب الاشتقاق ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م . ثم طبعة لافولت بالأوفست بغداد بدون تاريخ ، ثم طبعة الخانجي بمصر ١٩٥٨ م .
- ابن البقاهبة الله الحلي : المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأزدية ، ١٩٨٥ م

- ابن الحكم : تصنيف الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي ، بغية الطلب نسخة مصورة بخط المؤلف واعتقد أنه قيد الطباعة الآن ، من قبل الدكتور سهيل زكار ، المجلد الثالث من مجموعة مكتبة أحمد الثالث ، استنبول .

- ابن منبه (وهب) ، كتاب التيجان في ملوك حمير ، حيدر أباد الدكني ، ١٣٤٧ هـ

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، لسان العرب المحيط ، تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب بيروت بدون تاريخ . ثم طبعة دار صادر بدون تاريخ ، ثم طبعة دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

ابن مزاحم : نصر بن مزاحم المنقري ، موقعة صفين ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة بدون تاريخ . طبعة ثالثة ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

ابن ماكولا : أبو نصر علي بن هبة الله ، كتاب الاكمال ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد الدكني ، ١٩٦٢ م .

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٦٥م ثم طبعة ليدن ، ١٨٧٤ م .

ابن النديم : محمد بن أبي يعقوب ، كتاب الفهرست ، طهران ، ١٩٧١ م .

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك ، كتاب السيرة النبوية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م . ثم طبعة مصر ١٩٣٦ م .

ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ط . ليدن ١٨٨١ م .

ابن العبري : (غريغريوس الملطي ت ١٢٨٦ م ، تاريخ مختصر الدول . طبعة بيروت ١٩٥٨ م .

ابن سعد : الطبقات الكبير ، طبعة برلين ، مؤسسة النصر بدون تاريخ ، طبعة ليدن ، ١٣٢٢ هـ ، ثم طبعة بيروت ١٩٥٧ م ثم طبعة بيروت ١٩٧٨م ثم طبعة دار صادر بدون تاريخ .

- ابن عبد ربه :العقد الفريد ، طبعة القاهرة ، ١٩٤٨ م

- ابن سيده : كتاب المخصص ، طبعة مصر ، ١٣١٩ هـ

- ابن حوقل : صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ١٩٦٢ م .

- ابن الفقيه : الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ، ١٨٨٥ م .
- ابن قتيبة : كتاب المعارف ، طبعة مصر ١٩٦٠ م ثم طبعة دار المعارف ، ١٩٦٩م .
- ابن سيد الناس : كتاب عيون الاثر ، طبعة ثانية بيروت ١٩٧٤ م .
- ابن الديبع الشيباني : (ت ٩٤٤ هـ) ، كتاب بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد طبعة صنعاء بدون تاريخ .
- ابن قيم الجوزية : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي) كتاب زاد المعارف في هدى خير العباد محمد (ص) خاتم النبيين وسيد المرسلين ، طبعة القاهرة بدون تاريخ .
- ابن قدامة : (موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة) ، كتاب المغني على مختصر الامام أبي قاسم الحزقي ، طبعة بيروت ، ١٩٧٢ م .
- ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن ، التاريخ الكبير ، تصحيح عبد القادر بدران ، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩هـ — تهذيب تاريخ دمشق ، طبعة ، ١٣٤٦ هـ ثم طبعة بيروت ، ١٩٧٩م .
- ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن ، فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ١٩٢٠م ثم طبعة لجنة البيان .
- ابن كثير : أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، البداية والنهاية ، القاهرة ، ١٩٣٢ م .
- ابن عبد البر : الدرر في اختصار المغازى والسير ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٦٠م
- ابن دقماق : (ابراهيم بن محمد ايدمر العلائي) كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار ط . بولاق ، ١٨٩٣ م .
- ابن القوطية : (محمد بن عمر بن عبد العزيز) تاريخ افتتاح الاندلس ، طبعة بيروت ١٩٥٧ م .
- ابن الفرضي : (عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى ابو الوليد) ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، تشير عزت العطار الحسيني ، طبعة القاهرة ١٩٥٤ م .
- ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، مصر بدون تاريخ .
- أبو حيان التوحيدى : كتاب الامتاع والموانسة ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٩ م .
- ابو علي القالي : الأمالي وذيله لأبي عبيد البكرى ، جزء الذيل ، طبعة دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

- أبو العباس نجم الدين بن الرفعة الانصاري ، كتاب الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان تحقيق الدكتور محمد أحمد اسماعيل الخاروف ، طبعة دار الفكر دمشق ، ١٩٨٠ م .
- أبو عبيد بن سلام : كتاب الأموال .
- أبو يوسف : كتاب الخراج .
- الهمداني : كتاب صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة بمصر بدون تاريخ ، ثم طبعة القاهرة ١٩٥٣م ثم طبعة نشر مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٨٣ م . ثم طبعة دار اليمامة ١٩٧٤ م .
  - كتاب الاكليل ، ج ٢ طبعة القاهرة ، ثم ج ١ طبعة القاهرة ، ١٩٦٢م ثم جزء ثامن طبعة برنستن ، ١٩٤٠ م . ثم ج ١ طبعة القاهرة ١٣٦٨ هـ .
  - كتاب الجوهرتين العتيقتين ، طبعة ، ١٩٦٨ م .
  - قصيدة الدامغة وشرحها ، طبعة القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- الأزدي : محمد بن عبدالله ، تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عبدالله عامر ، نشر مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- الأصفهاني : (أبو الفرج) علي بن الحسين ، كتاب الاغاني . ط . بولاق ١٢٨٥ . ثم طبعة ليدن ، بعناية برونو ، ١٨٨٨ م ، ثم ط . دار الكتب المصرية بدون تاريخ .
- الأصفهاني : (حمزة)تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، بعناية جوتولد ، طبعة لايبزك ، ١٨٤٤ م . ثم طبعة بيروت ، تحقيق يوسف يعقوب مسكوني ١٩٦١ م .
- البغدادي : كتاب خزانة الأدب ، طبعة ١٩٦٩ م .
- البلاذري : أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٣٢ م .
  - أنساب الاشراف ، طبع منه مجلدان الرابع والخامس ، القدس ، ١٩٣٨م المجلد الأول ، ١٩٥٩ م القاهرة ، المجلد الثاني ، بيروت ، ١٩٧٣م .
- الحموي : ياقوت ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، طبعة دار بيروت ، ثم طبعة دار صادر للطباعة والنشر ١٩٥٧ م .
  طبعة بيروت ، ١٩٥٥ ، طبعة لايبزيك ١٩٦٨م ، طبعة دار صادر ١٩٧٧م .

- الحازمي : أبو بكر محمد بن أبي عثمان ، عجالة المبتدئ وفضالة المنتهى في النسب ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ١٩٦٥م .

- الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ثم ط . ١٩٦١ م .

- النويري : نهاية الأرب ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣ م .

السهيلي : الروض الأنف ، طبعة القاهرة ، ١٩٧١ م ، طبعة القاهرة ، ١٩٦٧ م طبعة دار العروبة بدون تاريخ .

الواقدي : فتوح الشام طبعة أولى ١٣٧٤ هـ ثم طبعة مصر بدون تاريخ ، طبعة دار الهلال مصر بدون تاريخ .

المسعودي : مروج الذهب ، طبعة دار الاندلس بدون تاريخ ، طبعة القاهرة ١٩٤٨ م ، طبعة أولى مصر ١٩٥٨ م . طبعة القاهرة ، ١٩٤٨ م .

الطبري : محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، طبعة ثالثة دار المعارف مصر ١٩٦١ م .

طبعة القاهرة ، ١٣٥٨ هـ ، طبعة ليدن ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ م . طبعة دار القاموس بيروت بدون تاريخ .

الديار بكري : حسين بن محمد الحسن ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس القاهرة ١٣٠٢ هـ .

السمعاني : الانساب ، طبعة ليدن ، ١٩١٢ م .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ١٣٢٧ هـ .

القالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، الأمالي ، بيروت ١٩٧٨م

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ١٤ جزء ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

الكلاعي : سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام الحميري ، ت ٦٣٤ هـ . الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء أربعة أجزاء نشر مركز الوثائق والتوثيق في الجامعة الاردنية ج ١ رقم الشريط (٢٣٣١٦) .
حقق مصطفى عبد الواحد جزأين من هذا الكتاب ونشرته مكتبة الخانجي

مصر ١٣٨٧ هـ ولم ينتـه من قسم السيرة ، وحقق خورشيد أحمد فاروق الجزء الخاص بالردة وسماه تاريخ الردة ونشره معهد الدراسات الاسلامية بدلهي الجديدة الهند .

- الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، بيروت ١٩٠٨ م .
- الضبي : المفضل بن محمد ، المفضليات ، شرح ابن الانباري ، تحقيق لايل بيروت ، ١٩٢١ م . طبعة ختمسة مصر ، ١٩٧٦ م .

المقريزي: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، الخطط ، بولاق والنيل ١٣٢٥هـ

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح ، كتاب البلدان طبعة ثالثة ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٧ م .
تاريخ اليعقوبي ط . دار صادر بدون تاريخ .

الاهدل : الدر المكنون في أخبار اليمن الميمون ، طبعة أولى مصر بدون تاريخ .

الزمخشري: الازمنة والامكنة ، طبعة حيدر أباد الدكن طبعة أولى ١٣٣٢
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل طبعة القاهرة ، ١٩٦٥ م .

الرازي : تاريخ مدينة صنعاء تحقيق حسين عبد اللـه العمري ـ عبد الجبار زكار طبعة ١ دمشق ١٩٧٤ ، ثم طبعة صنعاء ١٩٨١ م .

أحمد : المسند ،طبعة المكتب الاسلامي ، طبعة دار صادر بدون تاريخ .

أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي : (ت ٧٥٤ هـ) بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس طبعة مدريد ١٨٨٥ م .

الخزرجي : الكفاية والاعلام الجزء الذي حققه راضي دغفوس تحت اسم اليمن في عهد الولاة منشورات الجامعة التونسية بدون تاريخ .

المقري: نفح الطيب ، طبعة القاهرة ، ١٩٤٩ م .

الحميري : (محمد بن عبد اللـه) صفة جزيرة الاندلس ،منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار تحقيق بروفنسال ، طبعة القاهرة ،١٩٣٧ م .

خليفة بن خياط :التاريخ جزأين ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، طبعة وزارة الثقافة ١٩٦٧ م .

- مسلم : صحيح مسلم .
- محمد بن علي الاكوع الحوالي : الوثائق السياسية اليمنية من قبل الاسلام الى سنة ٣٣٢هـ . طبعة ثالثة ، ١٩٧٩ م .
- نجم الدين عمارة بن علي اليمني : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، طبعة ثالثة

القاهرة ، ١٩٧٦ م .

ـ نشوان بن سعيد الحميري : ملوك حمير وأقيال اليمن ، طبعة القاهرة بدون تاريخ
طبعة صنعاء ، ١٩٧٨ م .

المراجع

- اوليندر : (غونار) ملوك كندة من بني آكل المرار ، بغداد ١٩٧٣ م .
- امام : (أحمد عادل) ، القادسية ، طبعة أولى بيروت ، ١٩٧٣ م .
- الهرثمي : (أبو سعيد الشعراني) ، مختصر سياسة الحروب ، طبعة القاهرة بدون تاريخ .

الأعشى : الديوان ، طبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ .

المقدسي مطهر بن طاهر : البدء والتاريخ ، القاهرة بدون تاريخ .

الانصاري : (حسان بن ثابت) ، الديوان طبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ .

الافغاني : (سعيد) ، أسواق العرب في الجاهلية ، طبعة دمشق ، ١٩٧٢ م طبعة ثالثة بيروت ١٩٧٤ م .

الثور : (عبدالله) ، هذه هي اليمن ، طبعة ثانية ، ١٩٧٩ م .

الخربوطلي : (علي) ، المختار بن أبي عبيد الثقفي ، مطبعة مصر بدون تاريخ .

العبسي : (عنترة) ، الديوان ، مطبعة دار صادر بدون تاريخ .

البري : (عبدالله خورشيد) ، القبائل العربية في مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة مطبعة دار الكتاب ، مصر ١٩٦٧ م .

العسلي : (خالد) ، مجلة العرب طبعة دار اليمامة ١٩٦١م .

الشجاع : (عبد الرحمن عبد الواحد) ، اليمن في صدر الاسلام ، دار الفكر دمشق طبعة أولى ١٩٨٧ م .

الحوالي : (محمد بن علي الاكوع) ، اليمن الخضراء .

أبو العلا : (محمود طه) ، جغرافية شبه جزيرة العرب .

الحديثي : (نزار) أهل اليمن في صدر الاسلام ، بيروت بدون تاريخ .

الصمد : (واضح) ، الصناعات والحرف عند العرب قبل الاسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .

العلي : (صالح) محاضرات في تاريخ العرب .

- القاضي : (وداد) ، الكيسانية في التاريخ والأدب ، بيروت بدون تاريخ .
- باشميل : (محمد أحمد) ، حروب الردة . دار الفكر .
- بدر : (أحمد) ، دراسات في تاريخ الأندلس ، دمشق ت .
- بافقيه : (محمد عبدالقادر) تاريخ اليمن القديم ، بيروت ١٩٧٣ م .

- حتي : (فيليب) تاريخ العرب ، طبعة دار غندور ١٩٧٤ م طبعة القاهرة ١٩٥٣ م .

- حسن : (علي ابراهيم) تاريخ الاسلام العام طبعة الكويت ، ١٩٧٧ م .

- خطاب : (محمود شيث) ، مادة فتح الشام ومصر ، طبعة دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

زكار : (سهيل) تاريخ العرب والاسلام ، دمشق .

زيدان : (جرجي) تاريخ العرب قبل الاسلام طبعة دار الهلال بدون تاريخ .

سالم : (السيد عبد العزيز) ، تاريخ الدولة العربية ، طبعة مؤسسة شباب الجامعة بدون تاريخ .

- دراسات في تاريخ العرب طبعة الاسكندرية ١٩٦٨ م ، طبعة النهضة بيروت ، ١٩٧١ م .

- تاريخ العرب في العصر الجاهلي طبعة الاسكندرية ١٩٦٨ م . طبعة النهضة بيروت ١٩٧٠ م .

شرف الدين : (أحمد) ، تاريخ اليمن الثقافي ، طبعة الكيلاني مصر ، ١٩٦٧ م .

علي : (جواد) ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، طبعة المجمع العلمي العراقي (١٩٥٠ - ١٩٥٥ م)طبعة ثانية بغداد ١٩٧٨م .

عنان : (عبد الله) ،دولة الاسلام في الأندلس ، طبعة أولى ١٩٤٣ م .

عاقل : نبيه : تاريخ العرب قبل الاسلام ، طبعة دمشق .

- تاريخ بني أمية ، طبعة دمشق .

- تاريخ الدولة البيزنطية ، طبعة دمشق .

عمر : (فاروق) ، طبيعة الدعوة العباسية طبعة أولى بيروت ، ١٩٧٠ م .

فخري : (أحمد) ،الاكتشافات الأثرية في اليمن ، طبعة القاهرة ١٩٦١ م

فلهاوزن : (يوليوس) ، الخوارج والشيعة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

كاتبي : (غيداء) ، الردة بدون تاريخ .

- لوبون : (غوستاف) ، حضارة العرب طبعة ثالثة ، ١٩٧٩ م .

- موسل : (لويس) ، شمالي الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني طبعة الاسكندرية ، ١٩٥٢ م .

- مؤنس : (حسين) فجر الأندلس ،القاهرة ، بدون تاريخ .

- ماسينيوس : (لويس) ، خطط الكوفة ، طبعة أولى ،مطبعة العرفان صيدا بدون تاريخ .